

فوائد الأشرجار ونتاج السِّفر

في

أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن قشغ الله الحموي

التوفيق سنة ١١٤٢ هـ

رحمة الله تعالى

تحقيق

عبدالله محمد الكحلان

المجلد الثاني

دار التولاد

دار التولاد
بيروت

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>

مكتبة

فوائد الإنتاج السبق

في

أخبار القرن الحادي عشر

(٢)



جميع الحقوق محفوظة

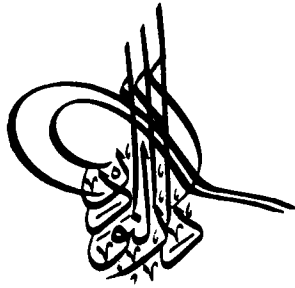
الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك : ٦-٩٤-٤١٨-٩٩٣٣-٩٧٨ ISBN



9789933418946



سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النواذر م.ف. سورية • شبكة دار النواذر اللبنانية م.م.م. لبنان • شبكة دار النواذر الكويتية م.م.م. الكويت

سورية - دمشق - ص.ب. : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : (٠٠٩٦٣١١) ٢٢٢٧٠١١

لبنان - بيروت - ص.ب. : ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : (٠٠٩٦١١) ٦٥٢٥٢٩

الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص.ب. : ٤٣١٦ - حولي - الرمز البريدي : ٣٢٠٤٦

هاتف : ٢٢٢٧٧٢٥ - فاكس : (٠٠٩٦٥) ٢٢٢٧٧٢٦

www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسست سنة ١٩٩٦م نور الدين خطاب الدين المدير العام والرئيس التنفيذي

فوائد الأثرجات ونتائج السيرة

في

أخبار الأئمة من الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣ هـ

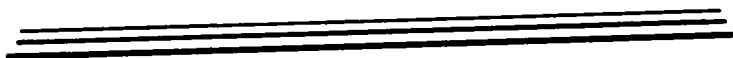
رحمه الله تعالى

المجلد الثاني

تحقيق

عبدالله محمد الكندي

دار النوازل®





تَابِعُ الْمُحَمَّدُونَ

[٣٤١] محمد بن عمر الرّوضي المالكي .

أحد العلماء الذين يُقتدى بهم، والصلحاء الذين يهتدى بهم، كان عالماً وقوراً، وعند أهل عصره مشكوراً، أخذ عن النور علي الأجهوري، ومن في طبقته، وألف مؤلفات، منها: «تذكرة القاري بذكر رواية مسلم عن البخاري»، وكتاب: «رد الاعتراض والقدح في جواز الإطتاب في الثناء والمدح»، وكتاب في «المغارة»، توفي بمصر سنة سبعين وألف - رحمه الله وإيانا - .

[٣٤٢] السيد محمد بن عمر بن عبد الوهاب العُرضي الحلبي الحنفي^(١).

كان فاضلاً أديباً، ماهراً أريباً، له في كل علم سهم مصيب، وحذق عجيب، ويد طويلة في العلوم النظرية، وسعة إطلاع على النقول الفقهية، واستحضار لدقائق العربية، ومحاضرة بديعة سنية .

وكان بديع النظم والنثر، رقيق الطباع والشيم، دقيق حواشي المعجّد والكرم، أخذ عن أخيه العلامة أبي الوفاء، وبه تخرّج، وحصل من العلوم

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٨٩ / ٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤٨٣ / ٢) (١١٣)، «الأعلام» للزركلي (٣١٧ / ٦)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٢٩٩ / ٦) (٩٨٤) .

طرفاً صالحاً، إلا أنه كان صارفاً أوقاته في الصحبة والمنادمة جل أوقاته،
وكان يقول له أخوه: لو تركت ما أنت فيه، لم يكن في حلب مرجع غيرك
في العلوم.

وكان دخل الروم، مقدراً أن المتاع بأرضه يسترخص، وأن المرء يبلغ
منه في أي وجه يشخص، فلم يحصل على طائل، ورجع إلى بلده، وأقام
بها، إلى أن توفي سنة سبعين وألف، بعد أخيه أبي الوفاء بخمسين يوماً.
وله تذكرة لطيفة وقفت عليها، جمع فيها جملة من أفاضل حلب،
والوافدين عليها، والأدباء الواردين إليها، أحسن فيها كل الإحسان، وفاقت
ألفاظها عقود الجمان.

ومن شعره:

على وَجَنَاتِهِ خَالٌ عَلَيْهِ	تبدَّتْ شعرةٌ زادتْهُ لطفاً
كقطعةٍ عنبرٍ من فوقِ نارٍ	بدا منها دخانٌ طاب عَرَفاً

وقوله:

ويلاه من جيدِ كماء الحياة	حَفَّ به ريقُ كَشِطِّ الفراتِ
كأنما أطواقُهُ حوَلَهُ	فوارهٌ تمطرُ ماءَ الحياةِ

وقوله:

الله يا عصرَ الصبا والهوى	ما كان أهنأك وأحلاك
إذ فيك ليل الخيل ريحانة	أشْمُها في ظل ممشاك
تمسّك الليل بأذيالنا	حتى حسبتُ الليلَ ليلاك

وقوله مضمناً:

لئن سلبوني لؤلؤاً كنتُ صنتُهُ
وإن غلبتني الأغنياء وطَيْشَتُ
فلله قوسٌ لا تطيش سهامُها
بأصداف صدري لم يثْقَبه ثاقِبُهُ
سهامي وعيشي كان صفواً مشارِبُهُ
ولله سيفٌ ليس تنبو مضاربُهُ

وقوله:

طويتُ رقعةً حالي عن شكائِتها
وقد قطعتُ حبالِي عن رجا بشرِ
حيناً يجود وأحياناً تبخله
وقد لجأتُ إلى مولَى أرى ثقتي
هو النصيرُ لعبدٍ لا نصير له
وقد سكنتُ زوايا الفقر والياسِ
معوضٍ بسهام الموتِ والباسِ
خلائقٌ أوحشته غيبٌ إيناسِ
بفضله نسختُ أحكامَ وسواسي
ترميه بالهوى ظلماً أعينُ الناسِ

وقوله:

قيل لي كمَّ وكمَّ تتمادى
قلتُ ظني بالله ظنٌّ جميلٌ
إن لله رحمةً تسع الخلدُ
في الهوى والطريقُ وعرٌّ قصيٌّ
وبخير الأنام جدِّي عليٌّ
حقَّ جميعاً فمن هو العُرضيُّ

وقوله:

إن يغب كلُّ صاحبٍ وصديقٍ
فاستمدنَّ رُوحَ رُوحِ نبِيٍّ
والرزايا بساحتك أنابتُ
إنَّ رُوحَ النبيِّ ما قَطَّ غابتُ

وقوله :

وقالوا تركت الشعرَ فيمن تحبه ولم تخترع معنى قديماً ولا بكراً
فقلتُ تجلَّى بعضُ أنوارِ حسنه على طُورِ أحشائي فأحرقتِ الفكرُ

وقوله :

إن خالَ الحبيبَ لمّا دهاني وشجاني منه الجفا والمِطالُ
قلتُ إذ زاد نكهةً وصفاءً قمِ أرخنا بقبلةٍ يا بلالُ

وقوله :

وجهه كعبه حسن ولما ماء زمزم
خلت ذاك الخال منه حَجَرَ الأسودِ يلثم

وقوله وقد أمره العلامة الشهاب الخفاجي، يأكل قطعة من البرش :

وما كان أكلي البرشَ مولاي كي أرى بطربة نشوانٍ وغبطةٍ مسرورِ
ولكنني كنتُ السليمَ لبيتكم فكان لآلامي به بعضُ تخدير

وقوله في لاعب شطرنج :

يحاول أن يُميتَ النفسَ ظبيُّ بشاماتٍ حكّت عشراتِ حاسبِ
تُرى أحظى به في الدهر يوماً أراني راكباً من فوق لاعِبِ

وقوله في مكاتبه :

هل من خليلٍ بشهبانا نُخاللهُ وهل غزالٌ إذا عدانا نُغازِلُه

عهدتها وشموسُ الراحِ جاء بها بدرُ التمامِ وغصنُ البانِ حاملهُ
 إن ماس من ذلك وأذلّ عاشقهُ حَتّامِ يغني إذا ما اهتزَّ عامِلُهُ
 ترى إذا ما قرعنا بابَ ساحتِهِ يُولي الجميلَ وإلا خابِ آمِلُهُ
 وهل يودُّ فتى شطّٰتِ منازلِهِ وربُّعَةٌ قد خلا والبيتُ نازلُهُ
 ما حيلتي وطُروقُ الطيفِ أفلقني كأن عيشاً لنا ما زال زایلُهُ
 طال الفراقُ فلا وافٍ يراسلنا على البعاد ولا آتٍ نُسائلُهُ^(١)

[٣٤٣] محمد بن عمر العباسي؛ نسبة إلى العباس عليه السلام عم النبي ﷺ،
 الخلوتي الصالحي، ثم الدمشقي الحنبلي، وأمه من ذرية الشيخ أبي عمر بن
 قدامة الحنبلي^(٢).

كان من أكابر العارفين، والأولياء المتمكنين، ولد بصالحية دمشق، في
 حدود سنة ألف، وأخذ الفقه عن أبي الوفاء المفلحي، ومن شيوخه: العلامة
 إبراهيم بن الأحذب، والنجم الغزي، وأخذ طريق القوم عن العارف بالله الشيخ
 أحمد العُسالي، لازمه بقرية عُسال، من قرى دمشق، وتخرج به، ثم صار
 خليفة من بعده.

وكان يؤثر الخمول على الظهور، إلى أن أراد الله سبحانه ظهوره، لما
 حبس الغيث عن دمشق، سنة سبعين تقريباً، واستسقى أهلها مرات، فلم
 يمتطروا، وكان المترجم لا يخرج معهم؛ هضماً لنفسه، فأنطق الله بعض

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أرباع الصفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٣).

المجاذيب: بأنكم إن أردتم الغيث، فاستسقوا بصاحب الترجمة.

فحيثذ أمره ولي الأمر بالخروج للاستسقاء بهم، فخرج وهو في غاية الخجل، وقال: اللهم إن هؤلاء عبادك، قد أحسنوا الظن بي، فلا تفضحني بينهم، فسُقوا من ساعتهم، وما رجعوا إلى البلد إلا بمشقة؛ من كثرة المطر، واستمر ثلاثة أيام.

فاشتهر بعد ذلك ذكره، وعلا قدره، ولازمه المريدون، وتسلك به جماعة صالحون، ثم انقطع عن الناس، وكان لا يقبل من الحكام هدية، ولا يتردد عليهم.

وله كرامات كثيرة مشهورة عند أهل دمشق، منها: أن بعض المجاورين بمكة من أهلها، رآه يصلي الأوقات الخمسة بالمسجد الحرام، بالمقام الحنبلي، وهو بدمشق^(١)، توفي عام ستة وسبعين وألف، ودفن بترية مرج الدحداح.

[٣٤٤] محمد بن عمر الكفرسوسي الشافعي^(٢).

الشيخ الصالح العامل، ولي الدين بن زين الدين ابن شيخ الإسلام شمس الدين الكفرسوسي، قال النجم في «الذيل»: كان من أجل الوعاظ بدمشق، إلى ما حواه من كمال الفضيلة، وإتقان العلوم.

توفي ليلة الأحد، ثامن رمضان، سنة خمس عشرة بعد الألف، ودفن بترية باب الفراديس، عند أبيه وجده - رحمهم الله تعالى وإيانا -.

(١) إدعاء رؤية المشايخ في الأماكن الفاضلة مثل الحرمين وبيت المقدس، دعوى باطلة يُكثر منها أهل التصوف وأدعياء الطريق، نسأل الله السلامة.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزوي (١/ ١٣٨) (٤٤).

[٣٤٥] السيد محمد بن عمر بن يحيى بن المَسَاوي السُّرْدِينِي الحَسَنِي،
ينتهي نسبه إلى إدريس بن جعفر بن نعمة بن علي بن داود بن سليمان بن
عبدالله الكامل بن المؤيد بالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن
المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ^(١).

القطب العارف بالله، المتوجه بكل كليته إلى مولاه، الذاهل عن الأكوان
بنظره إلى مكنونها، المربي السالكين بأحواله على تفنتها.

أحاطت به المعرفة من كل جانب، فظهرت منه العجائب والغرائب،
كان في بدايته مشتغلاً ليله ونهاره بقراءة القرآن، مجدداً في عبادة الرحمن،
ثم أخذ باليمن عن شيوخ من السادة بني الأهدل وغيرهم، ثم قدم الحرمين،
وجاور بهما سنين، ولازم بالمدينة شيخ شيوخ الطريق أحمد بن محمد
القشاشي، وأخذ عنه، وبه تخرج، وانتفع كثيراً.

وكان شيخه المذكور يشير إليه كثيراً، ويقول في شأنه: إذا لبس السيد
محمد خرقة، فهي خرقة نبوية.

ورأى صاحب الترجمة النبي ﷺ في المنام قائلاً له: قدمك كقدمي،
ومسجدك كمسجدي.

ورأى بعض الصالحين، في عالم الرؤيا أيضاً، قائلاً يقول: محمد ﷺ
أمين الله على خزائن الأرض، ومحمد بن عمر أمين رسول الله ﷺ.

وكان عليه السلام ﷺ على يعتريه في بعض أوقاته حال يغيب فيه عن شعوره، فيجلس

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤ / ١٠٤).

اليوم واليومين مصطلماً لا يتكلم.

ومناقبه وكراماته لا يحصيها عدّ، ولا يحيط بها حدّ، فلنكتف بما ذكرناه؛ فإنه أشهر من أن يُعرف حاله.

واستمر على المجاهدة والصيام، والصلاة والقيام، وإطعام الطعام، والإنفاق على الفقراء، والإحسان إليهم مدى الأيام؛ بحيث ينفق جميع ما يحصل له من بلاده ومزارعه - على كثرتها - في وجوه البر.

ولما قربت وفاته، قرأ من أول سورة الأنعام إلى قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ثم خرجت روحه الشريفة، وكان ذلك اليوم الأربعاء، رابع شهر ربيع الأول، سنة ست وتسعين وألف، ودفن بقرية السّنان - بكسر السين - من بلاد بني جل، من أعمال الشرف، من اليمن الميمون، وصُلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد صلاة الجمعة، سادس عشر ربيع الثاني، من السنة المذكورة - نفعنا الله به -.

[٣٤٦] محمد بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بكر بن إسرائيل بن

إسماعيل بن محمد بن عمر^(١).

الشيخ الإمام العلامة، الذي ظهر شرفه، وعلت غرفه، وأنبأ عن جوهر كلمه صدّقه، صنف عدة كتب، في فنون كثيرة، منها: تفسير غريب القرآن العظيم، المسمى: «شذور الإبريز في لغات الكتاب العزيز»، وهو كتاب يعجز الواصفون عن وصف جماله، وتغشى العيون من شمس كماله.

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٤/ ١١)، «لفت النظر» للجيلاني (٥٧٧)، «الأعلام» للزركلي

(٦/ ٢١٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٢).

وله «رسالة في القهوة» وأخرى في علم المساحة سماها: «المُسَمَّة النفاحة
بتحقيق المساحة» جمع فيها الكثير المتفرق من الكتب في هذا الفن، على
أقصد سبيل، وأقرب مأخذ.

وله نظمٌ حسنٌ، ورد على الشيخ العلامة محمد بن عمر بحرق، في
قصيدة له في السلطان بدر الكثيري في قوله: وكأنما أنصارك الأنصار، فقال
صاحب الترجمة: أتقيس غفلاً جاهلاً بنينا؟!!

ومن نظمه في القهوة:

يا شاعرا فاق في أقواله الشُعرا	أبدى لنا من قوافي نظمه دُررا
أطربتني إذ وصفتَ القافَ تُتبعه	هَاءٌ وواو وهاء بعده زُمرا
حققت في وصفها وصفي كفى ورقا	بل قد شفى وجلا عن قلبي الكدرا
فإنها قوةٌ مهما حذفتَ لها	هَاءٌ تَبَيَّنَ ذَا مَنْ فِي الْأَنَامِ قَرا
كذاك ناسبها في ذكرك اسم قوى	موافقاً عَدَّها فاعدُّه واعتَبِرا
فقاؤها قويت أعضاء كل فتى	وهاؤها لهدى والواو منه جرى
بين الأنام الوفاء والهَاءُ آخرها	منه الهباتُ وهذا السرُّ قد ظهرا
فاشربْ هنيئاً فما في ذاك منقصةٌ	كلا ولا حرمةٌ تخشى بها ضررا

توفي يوم الأربعاء، لثنتي عشرة بقيت من رجب، سنة خمس عشرة وألف،
بروضة بني إسرائيل بحضرموت - رحمه الله وإيانا - .

[٣٤٧] الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر بن أبي بكر ابن الأمير
إبراهيم ابن الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم ابن الأمير منجك اليوسفي

الناصرى، مملوك الناصر محمد بن قلاوون أمير الأمراء بالديار المصرية
في الدولة الجركسية^(١).

كان أمير الأمراء بدمشق، مفرد عصره في الكرم والجود، مشهوراً في
الآفاق؛ بحيث إنه لم يكن له قرين في الإحسان إلى الفضلاء، والإنعام إلى
الفقراء، قوي الشوكة، ملك من العقارات والبساتين والضياع في بلاد الشام،
ما لم ينله أحد في عصره، وله القصر المشيد العالي، الكائن بالشرق القبلي،
المطل على المرجة الخضراء، وهو من متزهات دمشق، ولما أتم الأمير بناءه،
نظم الشعراء له تواريخ، منها: قول الشيخ أبي بكر العمري:

وقصر توذ قصور الجنان ن لو أنها باب به تخدم
وكوثرها دائر حوله وأشجارها تربها تلثم
بناه الأمير فتى منجك محمد والفراس المعلم
وشرفه فغدا قدره عظيماً وتاريخه أعظم

ولولده الأمير منجك شاعر عصرنا قصائد فيه، منها: قوله:

قصر الأمير بوادي النيربين سقى رباك عني من الوسمي أمطار^(٢)
توفي ليلة الخميس خامس عشري شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين
وألف، وخلف الأمير الشهير منجك باشا، والأمير عمر.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٢٩ / ٤).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «أمطار» خمسة أسطر بياض بالأصل».

ولشعراء عصره فيه مدائح ومراث بديعة، منها: قول العلامة أحمد ابن شاهين:

مصابٌ لعمري بالأمير كبيرُ	ورزءٌ له أضحت دمشقُ تمورُ
وفقدُ كبيرٍ صغرَ العيشُ قدره	فكلُّ لذيةٍ في الحياةٍ حقيرُ
وميتٌ تمنى كلُّ حيٍّ بأنه	يصيرُ له مثل الأمير مصيرُ
مضى ما مضى إلا وخلفت روعةٌ	مُروراً لها بين الحشا وكُورُ

منها:

أميرٌ معاليه إذا ما ذكرتها	تفوحُ عبيراً أو تلوح بدورُ
----------------------------	----------------------------

ومنها:

بني منجك يا عظمَ الله أجركم	فقدركم بين الأنام خطيرُ
نعزيكم حتى كأن فؤادنا	خَلِيٍّ ولكنَّ الفؤاد سعيِرُ
أميركم بالحمد راح فأرخوا	(بأيمنٍ حمدٍ جنَّةً وحريِرُ)

ومنها:

أميرَ دمشقَ الشامِ يا روحَ أهلها	رحلتَ فأجسادُ الأنام قبورُ
----------------------------------	----------------------------

ولولده الأمير منجك وقد اجتاز بالقصر المذكور:

من مبلغُ قصرِ الأمير بأنه	فجَعثه فيمن قد بناه منونُ
---------------------------	---------------------------

ومنها:

قد أسكنته بعدَ ما وطىء الشهي	جدثاً فأمسى فيه وهو رهينُ
------------------------------	---------------------------

هين.....^(١) فيه الحدائق أبداً ولا مادت بهن غصونُ
وجفا ملتُ الغادياتِ رسومَه وأذيل فيه الدمعُ وهو مصونُ

ومنها:

ولئن خلا منه فبين جوانحي ربعٌ له طولَ المدى مسكونُ
أقوى فقئت كلَّ قطرٍ وحشةً ونأى فكلُّ قد عراه أنينُ
يبلى الزمانُ وذكره متجدد إن الزمانَ بفضلِه مشحونُ

ومنها:

ولكل عزٍّ في سواه مذلةٌ ولكل صدرٍ في المجالس دونُ
فسقاه من نَعَم المهيمن صيبٌ يهمي على ذاك الضريحِ هتونُ

[٣٤٨] محمد بن عبد الكريم، الشهير بقاضي زاده.

كان والده قاضي الأحساء، ثم ترك القضاء، وجاور بالمدينة الشريفة،
ومعه أولاده: محمد المترجم، ويحيى، قرأ بالروم على كثيرين، وبالحرمين
على القاضي عبد الرحمن بن عيسى المرشدي مفتي مكة، وبه تخرج، وعلى
محمد أفندي الشعراني قاضي المدينة، وأقام بالمدينة، على بث العلم ونشره،
إلى أن توفي بها ثاني ربيع الأول، سنة ثلاث وسبعين وألف - رحمه الله -.

[٣٤٩] محمد بن مصطفى بن بستان مفتي التخت العثماني^(٢).

(١) بياض في الأصل.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٠٢) (٣١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٢٣/ ٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٧٣/ ٣) (١٤٧).

الإمام العلامة، الأوحد المحقق الفهامة، شيخ الإسلام، ولي قضاء الشام، قدمها حادي وعشري ذي الحجة، سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، ثم ولي قضاء مصر، ثم قضاء العسكرين، ثم ولي قضاء مصر.

ثم كتب إليه السلطان مراد خان: بأني لم أعزلك عن مصر، فأقم من شئت بها مقامك، ثم جئنا زائراً؛ فإننا أنعمنا عليك بمشيخة الإسلام، وإفتاء الأنام في الأحكام، فدخل دمشق في رمضان، سنة أربع وتسعين، - بتقديم التاء فيهما - .

قال النجم الغزي: واجتمعت به إذ ذاك، في صحبة شيخنا أحمد العيثاوي، في مجالس كانت حافلة بالعلماء، وكان فصيح العبارة، عالماً بعلوم العربية فهامة.

قال النجم: وعرضت عليه بعض مؤلفاتي، فقبلها، وأثنى عليها، وعلى شيخ الإسلام الوالد، وقال: سرُّ بيت رضيَّ الدين لا ينقطع بالشام، كما لا ينقطع سرُّ بيت البكري بمصر، وأمر بكتابة بعض تحريراتي، وكتب منظومتي في «مورثات الفقر والنسيان» التي نظمت فيها رسالة الإمام العلامة المحدث إبراهيم الناجي.

ثم سافر إلى القسطنطينية، فصار بها شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، ومرجع الخاص والعام، وكان محمود السيرة في قضائه، نافذ الأحكام، مع الحلم الزائد، وحسن الخلق، والمدارة، ولين الجانب، مع العلم الوافر، والفضيلة التامة.

ويقي في منصب الإفتاء، إلى أن توفي رابع شعبان بالقسطنطينية، سنة ست بعد الألف، وهو اليوم الذي مات فيه شيخ الإسلام الشمس الداودي

بدمشق، ووصل الخبر بموته يوم الاثنين، ثامن عشري رمضان، وصُلي عليه غائبةً يوم الجمعة بعده - رحمه الله - .

قلت : وللعلامة درويش محمد الطالوي فيه مدائح كثيرة، ذكرها في كتابه «السباحات» .

[٣٥٠] محمد بن مصطفى الشهير بداود زاده .

كان من علماء الروم المشهورين، له اختصار القاموس سماه : «الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط»، توفي سنة إحدى عشرة بعد الألف - رحمه الله - .

[٣٥١] محمد بن مصطفى الشهير بقاضي زاده .

من مشاهير علماء الروم، له مؤلفات منها : «رسالة في صلاة الرغائب وعدم جوازها بالجماعة»، وله «رسالة الميزان» ألفها بإشارة شيخ الإسلام صنع الله أفندي، وكانت وفاته سنة أربع وأربعين وألف .

[٣٥٢] محمد بن مصطفى الواني المعروف بواز قولبي الرومي^(١) .

عالمٌ مشهورٌ، نقل «صاح الجوهري» إلى اللغة التركية، وحذف منها الأمثال والشواهد، حتى بقي في عشر حجه، توفي سنة ألف - رحمه الله - .

[٣٥٣] محمد بن مصطفى الشهير بكاني جلبي الحنفي^(٢) .

الرومي الأصل، اليمني المولد والمنشأ، كان من أجلاء الأعيان، وأهل

(١) «الأعلام» للزركلي (٧ / ٩٩) .

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (٤ / ٢٢٥) ، «الأعلام» للزركلي (٧ / ٩٩) .

الفضل والبيان، وكان أميراً من جهة الأتراك، حين كانوا مستولين على اليمن،
وكان حسن السيرة، صافي السريرة.

له اطلاع على العلوم الأدبية، ومعرفة جيدة بعلوم العربية، وله تاريخ
سماه: «بغية الخاطر ونزهة الناظر»، ابتدأ فيه من أخباره ﷺ، وأحواله، من
زمان ميلاده إلى هجرته، وصل فيه إلى سنة ثلاث وثلاثين وألف، وذكر فيه
الأئمة الدعاة من الزيدية، وغيرهم، وملوك آل عثمان، وحكامهم في اليمن،
وجعله باسم الوزير محمود باشا، وقد وقفت عليه، ونقلت منه ما هو من
شرطي.

وله أشعارٌ حسنةٌ، منها: قوله يمدح النبي ﷺ:

يا نبياً كمَّال الله له	كلَّ وصفٍ زَيَّنَّته الشِّيمُ
والذي من بأسه نارٌ لظى	وأياديه الزلالُ الشِّيمُ
والذي قد أصبحت أمته	يتدانى من علاها الأممُ
من لَصَبٌ ليس يَشْفِيه البكا	وهو من أجفانه منسجمُ
ولقلبٍ ولبرقٍ مثله	تحت جلبابه الدجى يضطرمُ
وكثيبِ القلبِ صَنَعاً داره	ما بدا رسم له أو معلَمُ
حبُّ جرعا طيبةٍ جرَّعه	كأسَ شوق ما حكاه العلقمُ

ومنها:

يا أحيابي وأيام خلث	هي أيام مضت أو حلمُ
وعهود قد حفظناها لكم	ما نرى أنكم ضَيَّعتمُ

وهواكم وهو عندي قسمٌ بسواه حالفاً لا أقسمُ
بُعْدُكم لم يغير بُعدكم غير دمعٍ قد جرى وهو دمُ
وسقامٍ لا يداويه سوى من برؤياهُ يداوى السقمُ
حيث لا تبصر إلا رحمةً في جنان ظلها مرتكمُ
في رباطية طابت تربةً حيث حلَّ المصطفى والحرمُ
ومنها:

مضجعُ حلِّ الحبيبِ المصطفى في ثراه والعلا والكرمُ
بقعةٌ ضمت بها أعضاؤه أفضلُ الأرض بقولٍ يجزمُ
بلدٌ بالمصطفى الهادي له كلُّ يوم وقفةٌ أو موسمُ
النبيُّ الهاشميُّ المجتبي سيدُ الخلق وإن هم رَغِموا
صفوةُ الله وما من آدمٍ كان في الكونِ ولا كانوا هم
جمعَ الله به أشتاتنا من شتاتٍ كاد لا يلتئمُ
ومنها:

بات يرعانا ويحمي سوحنا وكأننا حيث كنا نغمُ
هو مسكٌ طيبٌ من أجل ذا أنبياءُ الله منه خُتموا
نجلُ إسماعيلَ في عرق الثرى وابنُ إبراهيمَ فانظر مَنْ همُ
ومنها:

يا خليلَ الله هل من نفحةٍ يخجلُ البحرُ بها والديمُ

يا رسولَ الله هل من جذبة
يا حبيبَ الله هل من شربة
يا عظيمَ الجاهِ هل من غارة
ومنها:

يا أجلَّ الخلق هل تسمعي
وإليك اليوم أشكو خلة
خوف أعدائي ونفسي والهوى
بل أنا عبدٌ مسيءٌ مذنبٌ
ومنها:

يا جميلَ الخلق فعلي سَيِّئٌ
فأنا المضطَّرُّ وإنِّي سائلٌ
لست بالكافي لما أشكوكم
وحياء لم أقل لي ذمة
فكنيتُ الاسمَ إجلالاً وإن
ومنها:

فعليك اللهُ صلَّى دائماً
وكذاك ألكُ أربابُ التقى
ما هدى الساعي إليك القدمُ
وكذا الصحبُ الهداةُ الأنجمُ

[٣٥٤] محمد بن المطهر بن محمد... (١) الجرُموزي الحسني (٢).

السيد العلامة الأديب، والشاعر الماهر الأريب، فصيح اليمَن، وعمدة الزمن، ذو الحكم الباهرة، والنوادر النادرة، والشوارد التي سارت بها الأمثال السائرة، لا يوصف ما اتصف به من بدائع بدائة ارتجاله، وغزارة اطلاعه على الشعر وسعة مجاله، مع كونه حاز قصب السبق في غالب الفنون، وافتخرت به الآباء والبنون، وشهد أهل الفضل له بالكمال البارِع، وأذعنوا أن ليس له في العصرين مشابه له ولا مضارع.

ولما رأى الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل ما فيه من كرم الخصال، وكمال الفضل والجلال، جعله من خواص ندمائه، وأجلَّه وفضَّله على أكثر وزرائه، وأحلَّه منه محلاً كريماً، وأنزله عنده منزلاً جسيماً.

مولده - كما أخبرني صنوه - العلامة السيد الحسن بن المطهر، أمير المخا - عام تسع - بتقديم - التاء وثلاثين بعد الألف، وقرأ بصنعاء على أكابر شيوخها، وجَد في الطلب لاكتساب بضاعة العلم والأدب، ونظم الأشعار الحسان، التي تزري بعقود الجمان.

فمنها: قوله مضمناً بيت ابن تومرت:

فيا حجرَ النجدِ حتى متى تسسُ الحديدَ ولا تقطعُ

(١) جاء في الحاشية: «قبل كلمة «الجرُموزي» سطر ونصف بياض بالأصل».

(٢) «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ١٩٣) (١٦٩)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٣/ ٤٠٦) (٢٢٢).

وَذَوْبِي جَوَى أَيُّهَا الْأَضْلَعُ أَلَا ائْتَمِرِي أَيُّهَا الْأَدْمَعُ
كِبَارِ الْمَعَاصِي الَّتِي يَصْنَعُ وَنُوحِي عَلَى مَنْ لَهُ أَزْمَعْتُ

ومنها:

وَمَنْ عِنْدَهُ يَوْجِدُ الْمَهْيَعُ فَكَمْ خَاضَ جَهْلًا بِحَارَ الْعَمَى
عَلَى مَنْبَرٍ رَوْعِهِ يَرْدَعُ عَلَى أَنَّهُ وَاعِظٌ إِنْ رَقَى
بِمَثَلِ الَّذِي قَالَهُ الْمَبْدَعُ فَمَثْلُهُ إِنْ شِئْتُ تَمَثِيلُهُ
تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ فَيَا حَجَرَ النُّجْدِ حَتَّى مَتَى

وقوله:

فَفِي الْقَلْبِ نَارٌ أُجِّجَتْ بِضِرَامِ قَفَا حَدَّثًا عَنْ لَوْعَتِي وَغَرَامِي
فَلَيْسَ دَعْيِي فِي الْهَوَى كإِمَامِ وَعَنِي خَذَا الْأَشْوَاقِ وَالْوَجْدِ وَالْهَوَى
نَسِيمِ اشْتِيَاقٍ لَا يَلْذُ مِنَْامِ وَفِي الْجَزَعِ حَيٌّ كَلَمَّا شَاقَ ذَكَرَهُمْ
سَلَوٌ وَلَا أُرَوَاهُ شَرِبُ مُدَامِ جَفَوْا مَغْرَمًا لَمْ يَنْتَهَ عَنْ وَدَادِهِمْ
يَرْجِعُ الْحَانَأُ كَسَجْعِ حَمَامِ وَلَا لَحْنُ شَادٍ مَعْبِدِي غَنَاؤُهُ

ومنها:

يَقُولُ لَهَا الْوَجْدُ ارْجِعِي بِسَلَامِ إِذَا سَلَوَةٌ رَامَتْ إِلَى الْقَلْبِ مَسْلَكًا

وهي طويلة.

وكتب إلى الفقيه الأديب حسين بن علي الوادي، وهو إذا ذاك بصنعاء،
سنة إحدى وستين وألف: قوله:

السحب أرخى أدمعاً لا تفيقُ	فألبس الأغصان ثوباً أنيقُ
ودبَّج الأرضَ فمن أخضرٍ	أو أصفر أو أحمر كالعقيقُ
وكلما مرت بنا نفحةٌ	أهدت من الأزهار مسكاً سحيقُ
روت حديثاً عاد دمعِي له	مسلسلاً بالردِّ لا يستفيقُ
إن الربا قد كلَّلتْ بالكلا	وانتظمَ المنشورُ بين الشقيقُ
والطيرُ في أرجائها منشدٌ	هذا هو العيشُ الرقيقُ الأنيقُ
لا تهجروا إخوانكم واغنموا	زمانكم أو تهجروا العتيقُ
فإنما الدهرُ قصيرٌ أبداً	وقلما يُدركُ عيشُ رقيقُ
يا أيها الوادي الذي نشره	قد ملأ الأرجاء نشرأ عبيقُ
بُعدُك عني والوفاء شيمتي	ما لي إلى السلوان عنه طريقُ

فأجابه الحسين بقوله :

إن الذي صيرني حُبَّه	دمعاً جريحاً وفؤاداً رقيقُ
لم يكتفي عن مهجتي بالغضا	ولا عن العين بسفح العقيقُ
واحراً قلباهُ ومَن نافعي	منه إذا بجرح قلبي الحريقُ
مِن قمرٍ يفعل بالقلب مر	آه ولا فعلَ سلافِ الرحيقُ
مكوثرِ الريق لم لي دم ^(١)	ومدمع في حبه قد أريقُ
ما لي عن عشقه سلوةٌ	ولا أرى السلوان عنه يليقُ

(١) كذا في الأصل، والشرط الأول غير موزون.

إلا حديثاً في جمال الهوى
وهي طويلة .

وقوله إلى الحسين أيضاً:

قم يا رسولي نحو دار الحسين	وقل له الوعدُ شبيهٌ بذيْن
ما زلتُ تُدلي في جبال المنى	بوقفة والأمر في ذاك هَينُ
وكلَّ يوم نلتقي تقلُّ	غداً سأتيكم وما ذاك مَينُ
فأرقبُ الساعاتِ حتى مضى	ميعادُكم وأستخلف الحسرتَينُ
يابنَ عليٍّ أنت أطربتني	ولم أنل منك سوى وقفتَينُ
للهِ واديك وما حازه	من نغَمات من كلا الجانبَينُ
بليلة بلبل فلم أزلُ	أراعي في الدجى الخافقينُ

فأجابه بقوله :

ذكرت أن الوعدَ دينٌ نعم	الوعدُ عند الحرِّ لا شك دينُ
وكيف يخفى فيكمُ سائلي	وسائلي قد ملأ الخافقينُ
فهل سألتَ الربعَ عن وقفة	وقفتُها فيه بلا وقفتَينُ
وقلت للوادي هل جاءنا الـ	ـوادي وفيناه فما الأمر هَينُ
إن كان ذا مطل فنفسى لها	صبرٌ جميلٌ تقبل الحالَينُ

وهي طويلة .

وله يمدح صنعاء :

أرى المدائن شوهاً كلما ذكرت صنعاء والباب منها بابُ سترانِ
ما حلَّ فيها امرؤٌ إلا وعابنها جناتِ عدنٍ عليها حورُ رضوانِ
إياك إياك لا تعدلُ بها بلداً هيهاتَ ما الدرَّ والحصباءُ سيانِ
تاھت على الأرض ما نھر الأبلَّة والـ وادي المقدَّس أو ما شِعْبُ بَوَّانِ

توفي في شعبان سنة سبع ومائة وألف بضوران - رحمه الله - .

[٣٥٥] محمد بن نور الدين الدَّرَّا الدمشقي^(١).

مالكُ أعنة الشعر، وناهج طريقه، العارف بترصيفه وتنميقة، الناظم بعقوده، الراقم لبروده، المجيد لإرهافه، العالم بجلاته وزفافه، تصرف في فنونه كيف شاء، وأتبع دلوه الرشاء، فشعشع القول ورؤقه، ومدَّ في ميدان الإعجاز طلعه، فجاء نظمه أرقَّ من النسيم العليل، وآنق من الروض البليل، يكاد يمتزج بالروح، وترتاح إليه النفس كالغصن المَرُوح.

ولد بدمشق، وبها نشأ وبرع، وتأدب وترعرع، وأخذ عمن بها من الفحول، علمَ الفروع والأصول، ورحل إلى مصر، وأخذ بها علوم العربية، ثم قصد مكة البهية، فأدى النسكين، وزار سيد الكونين، وأقام بمكة نحو عامين.

وَأَلَفَ بِهَا: «شرح كتاب سقط الزند» لأبي العلاء المعري، باسم الشريف زيد، ملك الحرمين، ومدحه بمدائح طويلة أنيقة، وأشعار رقيقة، ورجع

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٤/ ٢٤٩)، «نفحة الريحانة» للمحيي (١/ ٢١٥) (١٣)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٢٦).

إلى بلده دمشق، فتوفي بها يوم السبت، وقت الزوال، سادس شهر رمضان،
سنة خمس وستين بعد الألف.

وله ديوان شعر، كله غرر، وجواهر ودرر، منه قوله: . . .^(١).

[٣٥٦] السيد محمد بن صلاح بن الهادي الوشلي اليمني^(٢).

سيد عظيم، وعالم كريم، ذو قدر فخيم، له السبق في الجهاد، ونظم
أعمال البلاد والعباد، وتولى الأعمال الكبار، بأبي عريش وجازان، من جهة
الأئمة بني القاسم.

ومن شعره: ما كتبه إلى العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، وقد
عاد إلى بلاده من أبي عريش ونواحيها، بعد أن ارتحل إليها، لصلاح أمر
عظيم، بين السادة النعميين، وأهل صبيا، عن أمر الإمام المؤيد بالله محمد
ابن القاسم، وهو قوله:

لست أنسى رقة العيش الذي	زاد في الرقة حتى انقطعا
في ربا الشجعة كنا جيرة	وأخلائني وأخذاني معا
جنة عند رباها زُخرفت	سيما والكرم فيها نبعا
وسقى الله لُيلات الحمى	وكَلَاه وَحَمَاه ورعى
وصديقاً زارني من بعد ذا	بجلابيب الظلام اذرعا
قطع البداء نحوي مسرعاً	والفيافي والمرامي قطعاً

(١) جاء في الحاشية: «بعد ذلك بياض بالأصل».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٧٧) (٢٤٠).

زار كالطيف اختلاصاً ومضى ثم ما سلم حتى ودَّعا

وقوله:

أودع القلب أسى إذ ودَّعا فجميل الصبر مني امتنعا
وسعى الحادي به مستخفراً ليت به بالخدن يوماً لا سعى
إن يكن لذلسمعي خبر بعد أن فارقتم لا سمعا
أو ظنتم أن جفني هجعا فلعمري بعدكم ما هجعا
عيل صبري إذ رحلتم جزعا وفؤادي ذاب فيكم ولعا

وقوله:

كان ينهاني الحيا أن أشتكي فغرامني لحيائي منعنا
فاقصد الناصر فضلاً إنه خير بحر للمعاني جمعنا
واسألا لي من نداه دعوة فهو برٌّ ومُجاب إن دعا
وهي طويلة راققة.

وله عدة رسائل، نظماً ونثراً، إلى الناصر المذكور، تضمنتها مجموعاته، وتوفي سنة ثمان وسبعين وألف، بأبي عريش، وبها دفن - رحمه الله وإيانا -.

[٣٥٧] السيد محمد بن الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر بن أبي بكر شعاع بن علي الأبيح بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد النجيب بن حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن الحسين بن علي بن آدم بن إدريس بن الحسين بن محمد الجواد ابن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي

السجاد زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، هكذا نقل نسب بني البحر محمد بن أبي بكر الأشخر، في كتاب «كشف العين فيمن بوادي سُردُ من ذرية السبطين»، وأن نسبهم فيه ثلاث عشرة قبيلة، من أشراف سررد الحسينيين - بالتصغير -، يجمعهم الحسن بن يوسف، وأم المترجم عائشة بنت أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر المتقدم^(١).

الشيخ الولي، العارف بالله الشهير، كان من أصحاب المقامات العلية، وأهل الكرامات السنية.

مولده ثامن عشر رمضان، سنة اثنتين بعد الألف بالمنصورية، وهي قرية من أعمال بيت الفقيه ابن عجيل، من قرى اللاميين معروفة، بينها وبين زبيد مرحلة كاملة، من جهة القبلة.

وكان أسلافه بمدينة الحرجة - بفتح الحاء المهملة والراء والجيم - من أعمال بيت الفقيه الكبير ابن حشبير، بقرب اللحية، بلدة معروفة، خربت قديماً.

وأول من قدم من أجداده إلى المنصورية: أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر، ومعه أخوه أبو القاسم بن أبي الغيث، المقبور برباط الشيخ محمد بن عمر النهاري، المشهور بقمر الصالحين، وقبره هناك يزار، ويتبرك به، فسكنوا بمحل يقال له: منير، بقرب محلّتهم الآن من الشرف، ويقال: إن ذلك باستدعاء عامر بن عبد الوهاب.

ودخل صاحب الترجمة إلى زبيد، سنة إحدى وعشرين بعد الألف

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٣/ ٤٧٨).

للقراءة، فقرأ بالروايات على شيخ^(١) القراء عبد الباقي بن عبد الله العدني،
للشيوخين، ثم لحفص عن عاصم، وقرأ في الفقه والحديث على إبراهيم بن
محمد جعمان بعض «المنهاج»، و«الأذكار»، وجملة من «البخاري».

وعلى القاضي أبي الوفا أحمد بن موسى الضجاعي، وعلى محمد بن
أحمد المرزقي الأزهري، وعلى محمد بن أبي بكر حجره، صاحب مقصورة
الجامع بزبد، وفي العربية على الشهاب أحمد بن محمد بن يحيى المطيب
الحنفي، وسمع «صحيح البخاري ومسلم» مراتٍ متعددة على الشيخ العلامة
علي بن أحمد الفقيه المقرَّب أحمد المدني، في مدة نحو عشرين سنة، وحج
عام أربعة وأربعين وألف، وأخذ بمكة عن محمد علي بن علان، قرأ عليه في
التفسير والحديث، وأجازه بمروياته.

وكانت وفاته عشية الاثنين، رابع شهر محرم، سنة ثلاث وثمانين وألف
بالمنصورية، ودفن عند أسلافه.

وله مؤلفاتٌ، منها: «تحفة الدهر في نسب الأشراف بني بحر ونسب
من حقق نسبه وسيرته من أهل العصر» - رحمه الله -.

[٣٥٨] السيد محمد بن الطاهر بن أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم
البحر.

كان سيداً جليلاً، حافظاً للقرآن، محافظاً على الجماعة والنوافل، قرأ
على السيد محمد بن الطاهر: «الأذكار» للنووي، وكانت وفاته في شهر ربيع
الآخر، سنة خمس وخمسين وألف.

(١) في الأصل: شيخه.

[٣٥٩] محمد بن محمد بن محمد الشرنبالي الشافعي .

شيخنا الإمام الفقيه، النحوي، المفنن في العلوم المتداولة، المنفرد بالقاهرة في علوم الحساب والفرائض والميقات، قرأ على شيخنا سلطان، وبه تخرج، وأخذ عن شيخنا علي الشبراملسي، ومحمد البابلي، ومحمد الدلجموني، ومنصور الطوخي .

وتصدر للإقراء في حياة شيوخه بالجامع الأزهر، وأخذ عنه كثير من أكابر الأفاضل، وصار رئيس العلماء بالجامع الأزهر، حضرت درسه في «شرح المنهاج» للمحلي، حين رجوعي إلى مصر، سنة سبع وتسعين وألف، وأجازني بمروياته ومسموعاته - سلمه الله - ثم قدم مكة، فحج، وجاور بها، وقرأ بها نبذة من «شرح المنهاج»، وغيره، وأخذ عنه أكابر فضلائها .

فتوفي - رحمه الله -، نصف ليلة الثلاثاء، ثالث وعشري شعبان، سنة اثنتين ومائة وألف، وصلي عليه ضحى اليوم المذكور بالمسجد الحرام، وكان له مشهدٌ حافلٌ، وأمّ الناسَ الشيخُ أحمد النخلي، وغسله بيده مع جماعة من الفضلاء، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة آل شيخان، وكنتُ القائم بتجهيزه؛ لما بيني وبينه من كمال الخصوصية، والناظر على ولده وأهله بعده إلى أن ذهبوا إلى الديار المصرية، بأمر منه - رحمه الله - .

وكان ينظم الشعر الحسن، بغير تكلف، فمنه يمدح النبي ﷺ:

أيا ساجعاتِ الورقِ خَلَّ ملامي	لقد حركَ التفريْدُ نارَ غرامي
معاذَ النوى لا ذقتِ طارقةَ النوى	ولا أنبِئتِ أرجاءه بثمان
ويا عذباتِ الرندِ جددتِ لوعتي	وحركتِ أشجاناً لدى مستهام

ويا جبلي نعمان بالله خلياً
أيا ليت شعري عن طلال ندى اللوى
... (١) الحمى يا من همو كلُّ بغيتي

إلى أن قال:

وفوداً أتينا والنواحي بعيدة
أتيناكم أنضاء فقرٍ وما لنا
أتيتُ وظهري أثقلته خطيئتي
جئتُ على نفسي فأثقلتُ حملها
وشققتها طالت وحرُّ أوامي
غنى عن نداكم يا أعزَّ كرام
وجندُ الردى قد قادني بخطام
وكم من ذنوبٍ بالنصوصِ عظام

ومنها:

فيا طالما حمَلتها من جرائم
وفرطت في جنب الإله فلم أقم
وضيعتُ عمراً طالما قد لهوته
وقائلة لما رأث ما أصابني
وحرقة أحشاء توالى زفيرها
تيمم بذلٌ نحو أكناف طيبة
وخاضت بحار الذنب جنح ظلام
فرائضه الغرّاً بوجه تمام
فيا خجلتي منه وطول ندام
وحلّ بقلبي من لهيب ضرام
وتنفيسها الصُّعدا بغير كلام
وأكرم بها مثوى ودار مقام

ومنها:

فقف بحماها واستظلَّ بظلها
وحيُّ رباً فاحت ونشرَ بشام

(١) يباشر في الأصل.

فشيئتها الإغضاء عن ذي جرائمٍ	وحطُّ الخطايا شأنها بدوامٍ
فيا طالما أغضتُ ويا طالما عفتُ	ويا طالما أشفتُ عُضالَ سقامٍ
فيا صاحٍ إن وافيتَ تربةَ أحمدٍ	ولذتَ بذِي الجاهِ المنيعِ وحامي
فقمُ بين تياكُ الرياضِ مؤدِّباً	وأهدِ تحياتي وطيبَ سلامي
وقل يا رسولَ الله وقفةً مذبٍ	أسيرِ خطايا قد رمى بسهام
فيا كعبةَ الآمالِ يا رحمةَ الورى	ومن خُصَّ بالمحمود يومَ زحامٍ

وله ، وكتب بها إلى السيد محمد بن أحمد الحارث :

عقودُ سلامٍ بالسعودِ اتساقُها	ونشرُ تحياتٍ يطيبُ انتشاقُها
نسيمُ سلامٍ عطرت كلَّ محفلٍ	وروضةٌ عز قد ترنم ساقُها
تُساق هدايا من محبٍّ متيمٍ	إلى ملك العلياء إليه استباقُها
شجاعٌ لدى الهيجا صدوقٌ لدى اللقا	صبورٌ إذا طالت وعز افتراقُها
أرادتُ تجاريه الأسودُ فقَصَّرتُ	وعادتُ حيارى حين ضنَّ لحاقُها

ومنها :

فمن ذا يساوي في التسامي محمداً	وقد قلد الجوزاء ختم انتساقها
ولكنها رامتُ بغايةٍ وسعها	تجاري أياديه فكل وفاقُها
وكيف وقد جاءت أحاديثُ جوده	بنقل رواة صحَّ عنها سياقُها
فلا زال نوءُ المجد يورق يانعاً	وسحبُ أياديه يَصُبُّ انبعاقُها
ولا برح الوَسْمي يَجودُ بداره	وجرعاؤها الأنواء يبدو اتلاقُها

ومنها:

فيا ليت شعري هل أقيم بظله فتحيا به روح عادي اشتياقها^(١)
وهل يأتيني من حماه مبشرٌ فتسكن آلامي وبسرى فراقها^(٢)

منها:

فهاك عقوداً قد تسامى نظامها وراقت فرقت نشرها ورحاقها

منها:

عليك سلامُ الله يا أفصح الورى ومن دانت العليا له ونطاقها
كذا الآل والأصحابُ ما قال قائلٌ عقودُ سلامٍ بالسعود اتساقها

وله من أخرى، يمدح السيد محمد أيضاً:

خليليّ قد طفت المعاهد كلّها وسرّختُ طرفي بين تلك المحافلِ
فلم أر غوثاً يرجى لملمةً سوى جيرة الحي الكرام الأصايلِ
أبا الحارث المعروف في كل أزمةٍ إذ الحربُ شبت فاصطلى كلُّ باسلِ
له راحةٌ من بأسها يتقي الردى وجودُ نداها مبدأً للمناهلِ

ومنها:

سألت الندى والجودَ ما لي أراكما تقلدتما عقداً سما عن مُشاكلِ

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: فواقها.

وما بال روضِ العز أصبح يانعا
فقالا أقمنا تحت ظل محمد
فكنا له عبيدين في كل مشهد
فصارث لنا تلك المزايا كما ترى

ومنها:

فقلت فهل لي من سبيل لأشتكي
فقالا تيمّمه فإن له يدا
كريم إذا الأزمات قد شطّ وليها

وله من قصيدة يمدحه :

وقائلة لي أطلت بوصفه
وجُست خلال المجد تختار صفوه
وكرزت مغناه على كل مسمع
وواليت ذا في كل وادٍ ومشهد

ومنها:

فقلت لها كُفّي عن العذل واسمعي
فلو شاهدت عيناك كثرة جوده
لغصت بحار الدرّ تستخرجينها

يميس ويرقى فوق أعلى المنازل
له شيم فافت كرام الأوائل
نروح ونغدو عند سير المحامل
وكم من أيادٍ كاثرت جود وائل

له قصتي أو أن أبث مسائلي
وهمتّه تكفيك في كل نازل
فعادت عواذيهما كغيث مواصل

وجمع سجاياه بعقد نظام
فجئت نعوتاً في رقيق كلام
وهمت به مرحاً أشد هيام
وقمت بذكراه أتم قيام

مقال نصوح لا يعي لمام
وبسط أياديّه وحفظ ذمام
وتنسقها^(١) نعتاً لكل مرام

(١) كذا في الأصل .

ومنها:

فكم زاحمتني في معانيه أمة	من الشعرا كلُّ أتى بمقام
فمن ناظمٍ حاكى عقوداً تنسقت	ومن ناثِرٍ يُنشِي عيبر تمام ^(١)
فليس نظامي أولَ الشعر فاعلمي	ولا قوسُ إنشائي بأولِ رامي
وإني وإن أكثرْتُ في الوصف والثنا	لنظم قصور لا يفي بغرام
وكيف وفي الأحزاب آيةٌ إنما	يريدُ ومدحُ الأهل في الآي سامي

ومنها: ... (٢)

عُربَ الحي أهدي إليكم تحيةً	تحيةً مشتاقِ الفؤادِ خليلُ
يمازجها نشرُ الرياض وحسنُها	فتحيا بها الأرواحُ وهي عليلُ
أكاتبكم في البعد أهلَ مودتي	وقد عاقني عجزِي وعزِ وصولي ^(٣)
وكنت حريصاً أن أشاهد أنسَكُمْ	ولكن حظَّ العاشقين قليلُ
فإن توصلونا فالحياءُ قريرةٌ	وإلا فقد مرث وشطَّ سبيلُ

منها:

أيا كعبةَ الأنس الذي طاب أصله	وطيبُ السجايا شاهدٌ ودليلُ
جمعتَ نعوتاً ضاق عنها نظامُها	وعاد إليها الطَّرْفُ وهو كليلُ

(١) كذا في الأصل، ولعلها: تمام.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «منها» أربعة أسطر بالأصل».

(٣) كذا في الأصل، ولعلها: وصولُ.

وله :

سقى الله بالوسمي رنح سعودي
وسقى ربوعاً حازت البشر والندی
فكم لي بها شجوة وفرط صباية
وروى ربا ذاك الحمى بعهود
وبسطة كف وانقباض حسود
وعقد ولاء ثم حفظ عهود

ومنها :

بها جيرة عزت وطابت أصولها
وإني وإن ورئت بالربع والحمى
فلم تر عيني كابن أحمد سيدا
له سؤدد فوق السماكين رفعة
شجاع إذا ما الحرب شب لهيها
صبور إذا الهيجا ترادف هولها
سجايأهم الهيجا وصدق وعود
فروح حياة الرقمتين شهودي
هو الناصر المدعو لحل عقودي
وذاك تراث من كرام جدود
وعافت سيوف القوم رد عمود
وهاجت بموج مع كثير جنود

ومنها :

فهيئات من يلقي صدوقاً لذا اللقاء
كما الناصر المعروف في كل أزمة
فيا كعبة الآمال يا طيب الشا
يخوض حياض النقع عند ورود
كريم السجاي حافظ لحدود
أبى الله إلا أن ترى في صعود

[٣٦٠] الفقيه محمد المشلول الزيلعي العقيلي^(١).

الشيخ الأستاذ، العارف بالله، المجمع على جلالته وولايته، ولد

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٤ / ٣١٣).

بجازان، في نيف وثلاثين وألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وقرأ ما يكفيه لمعاشه ومعاده، كان كبير الحال، مؤثراً الخمول على الظهور، ويأبى الله إلا اشتهاره.

مهابةً ذا سكينة، إذا رآه من لم يعرفه، تحقق ولايته، لطيف الطباع، متحملاً للأذى، لا تكاد تسمع منه كلمة تغضب جليسه، ولو أساء الأدب، وكان سيفاً مسلولاً، إذا ألجى إلى ظهور شيء من الكرامات، أتى بالعجب العجائب منها.

ولذلك كانت تهابه أمراء السواحل، إذا وصل إليها، وكان معه جلبة يتعيش بها تستراً، ولا يستطيعون أخذ شيء منه من المكوس، على جاري عادتهم، واتفق له كثيراً أنه يخرج الحمول البز من الفرضة، فيراها المكاسون حبواً، ويكون قد أعطاه أصحابها شيئاً من المال، على أن يخرجها لهم من الفرضة، من غير شيء، وله من هذا القليل أشياء كثيرة مشهورة.

وكان - نفع الله به - بيني وبينه محبةٌ وصحبةٌ، ولي معه وقائع عديدة باهرة شاهدها منه، توفي بعد رجوعه من الحج إلى بلده في جلته، في شهر صفر، عام ستة وتسعين وألف، ودفن بالقنفذة - نفع الله به - آمين.

[٣٦١] السيد محمد بن الهادي ابن الإمام أبي الفتح الديلمي القطايري^(١).

من أكابر أبناء الأئمة وأفاضلهم، له الأدب العظيم، والبلاغة السائرة، مع الكفاية التامة في الأعمال الكبار، والمحاسن المشرقة إشراق النهار، ولما أمره الإمام المهدي أحمد بن الحسن بالسير إلى الجهة الخيرية، من

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣ / ٤٧١) (٢٣٩).

أعمال الشرف الأسفل؛ لقطع دابر المفسدين فيها، الذين عاثوا في البلاد،
وأكثروا فيها الفساد.

فصال عليهم بعزيمة واجتهاد، وقطع دابرهم، وأرسلهم في الأغلال
إلى الإمام، وقد كان الإمام أمره أن لا يقطع أمراً فيهم، إلا عن أمر القاضي
الحسين المهلا، فامتثل أمره، وتم بمقتضى الشرع الشريف عن نظره.

وله إلى القاضي المذكور عدة رسائل نظماً ونثراً، فمنها هذه البديعية:

عُجْ بِالْغَضَا وَلَعَلَّعِ	وراممة والأجرع
وقفْ هناك معلنأ	بصوتك المرجع
واسأل أهيل المنحنى	عن قلبي المستودع
قلبٌ به نارُ الهوى	والوجد بين أضلعي
من لا يرى دموعه	في الخد أي هُمع
يكي اللويلات التي	سلامها تودعي
ليلاتٍ وصلِ عَبَرَت	عبورَ برقٍ مسرع
أيامَ لي ثوبُ الصُّبا	وصفوه مدرعي
سقا الحيا زمانه	وعيشنا ذاك رُعي

ومنها:

لهفي على مواقف	مضتْ بذاك المربع
كنتُ بهافي غفلة	ونعمة لم تُنزع
وشادن جفونهُ	نبأهُ لم تُدفع

وَاصِّلْنِي تَكْرِمًا
فَلَيْتَ شِعْرِي مَا لَهُ

ومنها:

أَهْ عَلَى الْعَيْشِ الَّذِي
نَدِيرُ كَاسَاتِ الطَّلَا
فِي حَيٍّ حَيٍّ كُلُّهُمْ
شَمُوسُ عِلْمٍ نَوْرِهِمْ
مَنْ آلَ طَهْ مَعِشِرِ
لِيُوْثِ حَرْبٍ إِنْ دُعُوا
أَكْرَمَ بِهِمْ مَنْ سَادَ

ومنها:

وَأَنْتَ يَا سَعْدُ إِذَا
أَبْلَغَ حَسِينًا مَنْ لَهُ
قَاضِي الْقَضَاةِ يَا لَهُ
وَعَابِدُ زَاهِدٍ
بُورِكَ لِلْعَالَمِ فِي
فَخْلَنِي مَنْ غَيْرِهِ
أَكْرَمَ بِهِ مَنْ عَلِمَ
وَيَاسَلِي عِرْفَتَهُ

طَبْعًا بَلَا تَطْبُعِ
شَطَطًا عَنِ الْمَوْلَعِ

طَالَ لَهُ تَوَجُّعِي
بَلْفِظِ رَبُّ الْمَعْيِ
كَالْبَدْرِ عِنْدَ الْمَطْلَعِ
مَا زَالَ ذَا تَشَعُّشِ
ذَوِي السِّیُوفِ الْقُطْعِ
لَبَّوْا بِبَطْشِ الْأَنْزَعِ
صَدُورِ كُلِّ مَجْمَعِ

نُودِيَتْ يَوْمًا فَاسْمِعِ
فِي الْمَجْدِ خَيْرُ مَوْضِعِ
مَنْ عَالِمٍ وَأُرُوعِ
وَنَاسِكٍ وَأُورِعِ
حَيَاتِهِ وَالْمَرْبِعِ
كَمْ صَنَمٌ مُلْفَعِ
وَعَالِمٌ مَمْتَعِ
بِالْكَفِّ عَارِي الْأَشْجَعِ

إن صرف الدهر لم
يمتته مسلماً

ومن جواب القاضي إليه :

يا ابن الوصي الأروع
نجل النبي من له
ومن أبوه الناصر الـ
ومن غدا برهائمه
وافى إلي نظممه
في جنة راقته لدى
أنهارها كفضة

ومنها :

كأنما مرت على
محمد من علممه
وإن بدا في محفل
رأيت بحراً زاخراً
يملئ علوماً جمّة
يوري الحديث مسنداً
مدبجاً ومرسلاً
معنناً معضلاً

يجر ولما يمنع
بحالة التودع

ونور كل مجمع
قال الإله فاضدع
بخر الإمام الألمي
في العلم أي مرجع
كزهري روض مفرع
فضل بتلك مولع
تجري بتلك الأربع

سوح العظيم الأروع
في الناس ذو تنوع
مشرف ممنع
أماجه لم تدفع
لمسمع ومسمع
وإن يحدث يرفع
كالغيث إمّا يهمع
مسلسلاً لمن يعي

كَمْ خَيْرٍ مِنْهُ لَنَا غَيْرُهُ لَمْ يَرْجِعْ
يَزِيلُ كُلَّ مَنْكَرٍ مَوْضُوعُهُ لَمْ يَسْمَعْ
وهي طويلة.

ومما كتبه إلى القاضي الحسين المذكور، في يوم الأربعاء، رابع وعشرين
من شهر شعبان، سنة إحدى وتسعين بعد الألف: قوله:

لئن^(١) صرفت عني الهموم الطوارقُ وساعدني دهري وما عاق عائقُ
وأيدني ربُّ العباد بنصره وتأيده لم أخشَ ما قالَ فاسقُ
وحسبُ الفتى أن يتقي الله ربّه وما غضبُ المخلوقِ إن يرضَ خالقُ
وأني فتى غيرَ الإلهِ وبطشه أمنتُ ولي ربِّ السماء مرافقُ
فقل للاولى قد يحسدوني على العلا لُحيتُم أما فيكم مدى الدهر صادقُ
تباتُ كأعيان الغواني عيونكم تملُّكمُ عند الخمولِ النمارقُ
ومنها:

ولي مقلُّ شَهَرِ الجفونِ ومفرشٌ سروجُ المذاكي والحسامِ المعانقُ
وسُرْدُ الدَّلاصِ الزَّغَفِ أشرفُ ملبسٍ عليَّ وللنقعِ الكثيفِ سُرادقُ
ولي عزماتٌ تسلبُ الليثَ شبلةً وعزمٌ له تعنو الذرا والشواهِقُ
ورأيي إذا أعملته^(٢) في ملمةٍ يفلُّ فِرْنَدَ السيفِ والسيفُ فالقُ

(١) في الأصل: لأن، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: أعلمته، والصواب ما أثبت.

سَجِيَّةُ آبَاءِ كَرَامٍ غَطَارِفِ
نَمَتْهُمْ إِلَى الْعَلِيَا نَفُوسٌ كَرِيمَةٌ
إِلَى الْمَجْدِ سُبَّاقٍ وَإِنِّي لِلْآحِقِ
تَخَافُ أَعَادِيهَا وَتَرْجُو الْأَصَادِقُ

ومنها:

وَمَا هِيَ إِلَّا نِعْمَةٌ قَدْ تَحَدَّثَتْ
أَيَا سَعْدُ عَجْ لِي بِالْحُسَيْنِ الَّذِي لَهُ
فَتَى يُدْهَشُ الْأَبْصَارَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
وَنَادٍ بِنَادِيهِ وَقُلُوبًا يَابْنَ نَاصِرٍ
بِهَا شَفَتِي وَالْحَرُّ بِالْحَقِّ نَاطِقُ
عِلْمُ لَهَا بَحْرٌ عَلَى النَّاسِ دَافِقُ
وَحِلْمًا وَعِلْمًا فَهُوَ لِلنَّاسِ خَارِقُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقُ

ومنها:

لَقَدْ أَرَعَدْتُ فِي الْأَرْضِ مِنْ قَبْلِ صَبُوتِي إِلَـ
وَمَا صَوْلَتِي لَوْلَا الْإِمَامُ بِقَوْلِهِ
أَتَتْ نَحْوَهُ مِنْكَ الطُّرُوسُ مَذْكَرًا
يَقُودُهُمْ مَنْ لَيْسَ لِلْخَصْمِ مَدْخَلُ
فَتَى شَبَّ فِي نَصْرِ الْخَلِيفَةِ جَاهِدًا
وَقَامَ بِأَمْرِ الْحَقِّ عَنْ أَمْرِ قَائِمٍ
وَأَنْفَذَتْ سُبُلًا لِلْمَسَاكِينِ لَمْ يَزَلْ
بِهَا مَارِدٌ طَاغٍ وَمَا زَالَ بَارِقُ
لِثَامُ وَلِلْأَوْبَاشِ ثُمَّ بَوَارِقُ
فَبُورِكَ قَوْلًا فَهُوَ لِلْخَيْرِ سَابِقُ
فَلَبَّتْكَ مِنْهُ بِيضُهُ وَالسَّوَابِقُ
عَلَيْهِ وَلَا لِلْقِرْنِ إِنْ ضَاقَ مَارِقُ
وَشَابَ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغَرَانِقُ
هُوَ الْعَدْلُ إِنْ جَارَ اللَّثِيمُ الْمَنَافِقُ
بِهَا مَارِدٌ طَاغٍ وَمَا زَالَ بَارِقُ

ومنها:

وَجَاءَ مَعِيَ وَجْهٌ مِنَ الْحَقِّ أَبْلَجُ
وَلَكِنِّي أَدْعُوهُ دَعْوَةً وَامِقٍ
أَضَاءَ بِهِ الْإِسْلَامَ فَالْغَشْمُ زَاهِقُ
وَنَفْثَةُ مَصْدُورٍ بِهِ الصَّدْرُ ضَائِقُ

ذوى البغي في الأصفاد حرب وآخر
له شهاب وهو والله سارق
لعلَّ أمير المؤمنين يحقق الـ
لذي قلتُ أو يدري لما أنا راشق
ومن يعلم التلميح غير طلبقه
ولولاه ما في الخلق أروع حاذق
وكيف ينير العدل والجو رائق
إليك على بعد الديار نصيحة
لها الود والإخلاص داع وسابق

ومنها :

فإن نطقت عني بحق فأهله
وإن كذبت فالمجدُ عندي طالق
ويا أيها القاضي الهزبر وخير من
يُنَادى إذا ما الظلم للرفق ماحق
سلام عليكم بعد جدِّي وآله
سلام امرئ إن رُمته لا ينافق
تحية ذي قلب تحرق بالجو
ولم لا وقد قلَّ الوليُّ الصادق
ولولاك في هذي الرُى للعتُّها
وأوصيتها ما لاح أو ذرَّ شارق
وإخوتك الصيدُ الكرام عليهم
أوصيتها ما لاح أو ذرَّ شارق
يقول إذا ما ضم شملي بشملكم
تحية حبِّ بالمودة واثق
ولم لا ولم أَلَفِ امرأ ذا حفيظة
فريقا هوى منا مشوق وشائق
سواك وإخوانٍ لهم قد عرفتهم
بها لا ولا قرم فتوق وفائق
ودادهم في قائم الدهر صادق

وتوفي بصنعاء ، عام سبعة وتسعين وألف - رحمه الله - .

[٣٦٢] محمد بن نجم الدين بن محمد بدر الدين بن محمد رضي
الدين بن محمد بن عبدالله بن بدر بن عثمان بن جابر بن تغلب بن ضوي
ابن شداد بن عاد بن مفرج بن لقيط بن جابر بن وهب بن ضباب بن جحيش

ابن معيـض بن عامر بن لؤي بن غالب، الغزيُّ الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، العامري القرشي الشافعي^(١).

محدث الشام، وخاتمة من بها من الحفاظ الأعلام، وممن بواه الله في الحديث منزلة عليّة، وجمع له بين العلوم السنية، وممن استجيب فيه دعوة المصطفى ﷺ، فكان وجهه كالبدْر في النورانية، وممن افتخرت به دمشق على سائر البلاد، مع كثرة ما في ذلك العصر من العلماء الأمجاد، وأجمع على جلالته أهل المشرق والمغرب، وانفرد في عصره بعلو الإسناد، الذي هو للعالم أجلُّ منصبٍ.

سمعت شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي يشي عليه، ويقول: إنه حافظ الدنيا في عصره، ويكفيه شهادة مثل هذا الحبر الفخيم، الذي أجمع الناس على علمه العظيم.

وذكره جماعة من المؤرخين، منهم: صاحبنا السيد العلامة محمد أمين ابن فضل الله المحبي الدمشقي، في كتابه «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، فقال: النجم الأرضي، وأبوه البدر المضي، وجده الرضي، ثلاثة في نسق، طلّعوا فأناروا الغسق، وقدمهم في النباهة، أعلى قدرهم في الوجاهة، فمن يدانيهم، وإلى الكواكب مراميهـم، وهم في القديم والحديث، أئمة التفسير والحديث.

لم يبرح المجدُ يسمو ذاهباً بهم حتى أزاح الثريا وهو ما قنعنا

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤ / ١٨٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١ / ٥٤٠) (٥١)، «الأعلام» للزركلي (٦ / ٦٣).

والنجم الممجدات المشيرة عليه، وسحقه وفروا العظام مسجعة باليه خوف للنجم
إذا جرى لما ضل صاحبكم وما غوى، والذي به يقتلني المقتلني، وبسنت
يهدي بالمهدي شعرة:

هو النجم يهدي جميع النور، فممن دونه البطل والنشمن دون
وقد صار في الأرض حيث انتهوا، وحيث انتهوا فيه يقتلون
إذا ظلمة الغي ألوث بهم، أضاء فبالنجم هم يهتدون.

وله دعاء يستجاب، وخواطر ليس بينها وبين الله حجاب، فلو حُثِرَ به
المنهك في غوايته، لأمسك، أو خُوطب به المتهالك في عصيانه، أناب
وتسك، شغل بالإفادة أيامه ولياليه، ونظم على جيد الأيام فرائده وآليه،
وتأليفاته كاثرت رمل النقا، وأريت على الجواهر في الرونق والنقا، مع ما له
من كرم يخجل الأجواد، وسخاء أضحت عوارفه كالأطواق في الأجياد، لم
يُرو في التواريخ كأحاديثه الحسان، ولم يسطر كآثاره في الحسن والإحسان،
وله شعر كقدره ثمين، إلا أنه كالياسمين، فيكتب لشرفه، لا لكثرة طُرفه.
انتهى.

قلت: مولده سنة سبع وسبعين - بتقديم السين فيهما - وتسعمائة،
ومات والده وعمره سبع سنين، وأجازه بمردياته، وقرأ القرآن العظيم على
الشيخ يحيى العماد، وبالروايات على حسن الصلتي، ولازم العلامة الشهاب
أحمد العيثاوي سنة تسعين وتسعمائة، وقرأ عليه «المنهاج» تقسيماً وانفراداً،
وشرح والده الصغير، وسمع عليه نبذة من «شرح الإرشاد» لابن حجر، بقراءة
الشيخ شرف الدين الدمشقي.

وكان الشيخ العيثاوي يحبه، ويجله، ويعامله معاملة الوالد لوالده، واستنابه في حياته في وظائفه وخطبه، ثم زوجه إحدى بناته، فولدت له بدر الدين محمد، المتقدم ذكره، ثم ماتت، فزوجه أختها، فولدت له الشيخ العلامة الشُّفودي، ولما حضرته الوفاة، أذن له بالكتابة على الفتوى، فكتب على الفتاوى، وأمره أن يباشر تدريس الشامية البرانية عنه، فباشرها، ثم فرغ له عنها.

وتولَّى المترجم إفتاء دمشق، فكان محدثها ومفتيها، وناشر لواء الإفادة بنواديها.

ومن مشايخه: الملا أسد الدين التبريزي، والقاضي محب الدين الحموي، وكتب له بالإجازة شيخ الإسلام الشمس محمد الرملي، والشيخ نور الدين الزيادي، وعلي بن غانم المقدسي.

وكان المترجم يميل لفن الأدب، ومفاكهة أهله، ويمزج - للطفاته وحسن أخلاقه - جدَّ القول بهزله، فتارة ينظم في الغزل ما تصبو إليه القرائح، وطوراً^(١) يجني الأجنة بما يجتني ثمار الوعظ والنصائح.

وحج مراراً، وأخذ عن علماء الحرمين في عصره، وأجازوه، وقد جمع أسماء شيوخه، ومن روى عنه في فهرس كبير، وأخذ عنه خلق لا يحصون، منهم: محمد بن بلبان، وعلي القروي، وعبد القادر الصفوي، ونجم الدين الرضي، وأخوه الكمال محمد العيثاوي، ومحمد الخباز، ومصطفى بن سوار، والسيد محمد بن كمال الدين النقيب.

(١) في الأصل: فطوراً، والصواب ما أثبت.

ويلاحظ: فإنه كان في عصره شيخ الإسلام على الإطلاق، جامعاً
للكمالات الجميلة، ومحسناً الأخلاق، وحظراً أنواع الفضائل والعلوم،
ومحتوياً على بدائع المشور والمنظوم.

وإذا تكلم في الحديث بلفظه الجلي، أقر كل مسلم بأنه البخاري،
وأجمعت على تفرده في عصره بعلوم الحديث علماء البلاد، واتفقت على
ترجيحه بعلوم إسناد والده البدر الذي اشتهر في الآفاق، وفاق علماء عصره
بالاتفاق، خصوصاً بتفاسيره الثلاثة المنظومة، أكبرها في ثلاثين ألف بيت،
والوسط في عشرين ألف، والصغير في عشرة آلاف، مزج فيها جميعها القرآن
مزجاً غريباً سهلاً من غير تكلف، وكذلك شروحه على ألفية ابن مالك الثلاثة
المنظومة.

والحاصل: أنهم ذرية بعضها من بعض، ملأ فضلهم طول الأرض
والعرض، فعلّمهم لا يخفى على أحد، وفضلهم شاع وذاع في كل بلد
- قدس الله أسرارهم، وأعلى في الدارين منارهم -.

وله المؤلفات الكثيرة الفاخرة، منها: «الكواكب السائرة بأخبار علماء
المائة العاشرة»، وذيله المسمى: «لطف السمر وقطف الثمر بتراجم أعيان
الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر»، و«كتاب جمع فيه أشراف الساعة»
نظماً أوصلها إلى ألف، وشرحه في مجلد ضخيم سماه: «تعبير العبارات
في تحرير الأمارات»، و«مقصورة في أحوال أبناء عصره» تبلغ ستة عشر
ألف بيت.

وله «التب في التشبه» في أربع مجلدات لم يؤلف قبله مثله، وعقد «النظام
لعقد الكلام»، و«شرح على ألفية جده الرضي في التصوف»، و«شرح منظوم

على منظومة والده النحوية» المرسلة إلى مصر للشمس الرملي، فحفظ له عليه
نظماً، ذكرته في ترجمة الشمس الرملي، وكتاب «الدر النضيد»، و«شرح على
لامية ابن الوردي» التي أولها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقيل الجِدَّ وجانب من هَزَلْ
وابتلي في أواخر عمره بالسَّكَّة في الدرس فقط.

سبَّها أن الشيخ المجذوب حسين بن فرقة كان يأتي إلى درسه بالجامع
الأموي تحت قبة النسرة، وهو يُقَرَأ الحديث، فيجلس في وسطه ويتكلم
بالهذر من الكلام الذي لا يفهم على طريقة المجاذيب ويرفع صوته بذلك،
فأكثر الكلام يوماً، وأشغل الحاضرين، فقال له الشيخ: أُسكت يا حسين،
فقال له: أُسكت أنت، وصادف حالاً له، فسكت الشيخ من ساعته، وصار من
ذلك الآن لا يستطيع التكلم في الدرس بكلمة واحدة، وكان يأتي بعدها إلى
الدرس، فيقرأ عليه القارئ الحديث إلى أن يُتَمَّه، فيتكلم الطلبة بعضهم مع
بعض، وهو ساكت إلى أن يُتَمَّوا الكلام فيما بينهم على الحديث، وإذا أشكلت
عليهم مسألة رفعوها إليه في بيته، فيحلُّها لهم، ولم يَخْتَلْ على الشيخ شيء من
حاله ~~له~~ وفهمه، إلا عدم استطاعته التكلم في الدرس ثم لم يزل على
هذا الحال إلى أن توفي ثامن عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وستين وألف
بدمشق، ودفن بترتبههم، بقرب الشيخ رسلان - نفع الله به -.

ومما امتحن به - رحمه الله -: أنه لما مات شيخه الشيخ أحمد العيثاوي،
وكان مدرس الحديث بمسجد دمشق، تحت قبة النسرة، وكان يظن أنه لا يعدل
به عنه؛ لقرابته من الشيخ، وكمال علمه، فلم يتم له، ووجه للشيخ شمس

الدين الميداني ؛ لكونه أسن منه وأشهر منه، إذ ذاك، فحصل له غاية التعب .
ثم توجه إلى الروم ؛ رجاء أن تتم له من ثمة، فوصل إلى القسطنطينية،
ونزل على شيخ الإسلام إذ ذاك - أظنه يحيى بن زكريا -، وكان تولى دمشق
سابقاً، ويعرف الشمس والنجم ومكائهما، فعرض عليه مدارس أخرى غيرها،
ومعالم جسيمة بدلها، فلم يقبلها، وصمم على طلب التدريس المذكور .
فلما أيس المفتي منه، تطف به، وألان له القول، وأعمل له المكيدة
والحيلة، وكتب براءتين سلطانيتين بالتدريس المذكور: واحدة باسم الشمس
الميداني، وأخرى باسم النجم الغزي، وأمضاهما بالعلامة السلطانية المعروفة
عند أهل الروم، ثم عرض البراءة التي باسم النجم، وأشرفها عليه، فاستقر
خاطره، وسُرَّ بذلك، وأمر المفتي خادمه أن يكتب عليه كتاباً ويختمه،
ويضع البراءة باطنه، فذهب الخادم ليختمه، وكان مواعداً لخدمة أن يضع
البراءة التي للشمس باطن الكتاب، ويبقى عنده براءة النجم، ففعل الخادم
ذلك، ثم دفعه للنجم، وأمره أن لا يفتح الكتاب إلا بين يدي قاضي دمشق، إذا
وصل إليها؛ ليكون أقوى له وأثبت .

فلما وصل النجم إلى الشام، خرج إليه أكابرها وعلمائها، يتلقونه من
خارج البلد؛ كجاري عاداتهم إذا وصل أحد من الروم، وحصل له بها قبول،
ودخلوا به إلى بيته، ثم ذهبوا جميعهم إلى قاضي البلد؛ ليسجل له المرسوم
السلطاني .

فدفعه للقاضي مختوماً، فلما أراد القاضي فتحه، قال له النجم: لا تفتحه
إلا بحضور الشمس الميداني، فأرسل بطلبه، فأتى إليه، ودخل عليه، وهو

لا يظن إلا أن التدريس خرج عنه، وصار للنجم الغزي، فقال له القاضي:
يا مولانا جاءنا مرسوم سلطاني، مرادنا نقرؤه عليكم، ففتح القاضي الكتاب،
وفي باطنه المرسوم السلطاني، فلما شرع في قراءة المرسوم بنفسه، فإذا
مضمونه: إن جميع ما على الشمس الميداني من المعاليم والتدريس، وتدريس
القبة المذكورة، باقٍ عليه، مقرر به غير معارض من أحد، كائناً من كان، وإن
النجم الغزي لا يعارضه فيه، ولا في شيء من وظائفه، مع تأييد شديد، وعظيم
تأكيد على الواقف على المرسوم، من خدام السلطنة العلية، أن يزيدوا في
تعظيم الشمس وتوقيره، وقبول شفاعته.

فلما قرئ المرسوم، تعجب القاضي ومن في المجلس من أكابر البلد
وعلمائها، وكاد النجم الغزي يموت حياءً، وتحقق المكيدة من المفتي، ورجع
بخفي حنين، وذهب الشمس الميداني إلى بيته، ولم يظهر منه تغير حال،
ولا انبساط ولا عجب، وقبض المرسوم من القاضي، وأوصله القاضي إلى
خارج باب مجلس الحكم، واستمر عليه التدريس إلى مات، فوجه للنجم
الغزي، بغير معارض ولا مشقة، إلى أن مات أيضاً رحمه الله بمنه..

ومن غريب الاتفاق: أن النجم جلس في التدريس المذكور، تحت قبة
النسر مدرساً سبعة وعشرين سنة، بقدر الشمس الميداني الذي كان قبله.
ومن شعره: هذه الزائفة، التي عارض بها قطب مكة الذي عليه المدار،
وقمر أفقها الذي يأبى غير الإبدار، وهي قوله:

سبحان مَنْ للوجود أبرز رَشَأَ بحكمِ الهوى تعزُّزُ
زادَ على الريمِ في دلالٍ وعن جميع المَها تميُّزُ

أحوى وللطرف ليس منه	أحوى ولا للبهاء أحوز
لقد كساه الجمال ثوباً	بالطف اللطف قد تطرّز
رنا بطرفٍ جاذري	كأنه للوصال الغر
وعداً ولكن بلا نجاز	يا حبذا الوصل منه لو تنجّز
بعثت باثنين من خضوعي	وثالثٌ بعدَ ذين عزّز
أرجو وصالاً منه بعزّ	من عزّ وصله فقد بزّ
فما رثى لي ولا وفى لي	وقد قسا قلبه ولزّز
وعفّ إلا عن قتل مثلي	فإنه عنه ما تحرّز

قوله: من عزّ بزّ، مثلاً معناه: من غلب، سلب، قالت الخنساء:

كَأَن لَّمْ يَكُونُوا حِمًى يَتَّقَى إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزًّا

قال المفضل: أول من قال ذلك: رجل من طيء، يقال له: جابر بن رالان، أحد بني ثعل، وكان من حديثه: أنه خرج ومعه صاحبان له، حتى إذا كانوا بظهر الحيرة، وكان للمنذر بن ماء السماء يومٌ يركب فيه، فلا يلقي أحداً إلا قتله، فلقي ذلك اليوم جابراً وصاحبيه، فأخذتهم الخيل بالثوبة، فأُتي بهم المنذر، فقال: اقترعوا، فأيكم قرع خليت سبيله، وقتلت الباقيين، فاقترعوا، فقرعهم جابر بن رالان، فخلّى سبيله، وقتل صاحبيه، فلما رآهما يقادان ليقتلا، قال: من عزّ بزّ، فأرسلها مثلاً.

وقصيدة القطب مطلعها:

أقبل كالغصن حين يهتزّ ميلَ قدودٍ تميل في الخَز

وللمترجم :

أخوك في الإسلام يجديك في علمٍ ورأيٍ منه أو أنسٍ
كان قد احتجت إلى نفعه وإذ به قد صار في الرمسِ
ما أحوجَ المرءَ إلى خلِّه وأحوجَ الجنسَ إلى الجنسِ
ويلاه من عصرٍ رُزئنا به على افتقادِ الكُمَّلِ الخمسِ
لسنا نرى ممن مضى واحداً ولو بلغنا مطلعَ الشمسِ

هذا معنى موجود في الأثر، وذلك ما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن
سليمان بن موسى الأشدق، قال: أخوك في الإسلام إن استشرته في دينك،
وجدت عنده علماً، وإن استشرته في دنياك، وجدت عنده رأياً ما لك وله،
وإن فارقك، لم تجد منه خلفاً. انتهى.

ومن هذا ما نقله الشعراني في «طبقاته» عن الشيخ أبي المواهب الشاذلي:
أنه كان أهل الخصوصية من هو وفيهم أيام حياتهم، فتأسف عليهم بعد
مماتهم، وهناك يعرف الناس قدرهم، حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا
يجدونه عندهم، وقد قيل في هذا المعنى:

ترى الفتى يُنكر فضلَ الفتى ما دامَ حياً فإذا ما ذهب
يحمله الحرص على لفظةٍ يكتبها عنه بماء الذهب

ومن مقاطيعه قوله :

تواضعُ تكنُ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخانِ يعلو بنفسه إلى طبقاتِ الجوِّ وهو ضيعُ

وقوله:

لا تَكْرَهَنَّ حَسُوداً يجديك نشر الفضيلة
كَمْ مِنْ حَسُودٍ مَفِيدٍ ما لم تفدُ الفضيلة

ومثله لوالده البدر:

الحمدُ لله على فضله إذ صَيَّرَ الحاسدَ لي يخدمُ
يجهدُ في رفعِ مقامي وفي رفعِ علومي وهو لا يعلمُ

ومثله لابن الوردي:

سبحانَ من سخر لي حاسدي يحدثُ لي في غيبي ذكرا
لا أكرهُ الغيبةَ من حاسِدٍ يُفيدني الشهرةَ والأجرا

ولأبي حيان:

عدايَ لهم فضلٌ عليّ ومِنَّةٌ فلا أذهبَ الرحمنُ عني الأعدايا
همو بحشوا عن زلتي فاجتنبُها وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

ومن نظمه، في حديث ابن ماجه، عن أبي سعيد يرفعه: «سيأتاكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم، فقولوا لهم: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ»: قوله:

لقد أوصى النبيُّ الصَّحْبَ يوماً بقومٍ يسألون العلمَ عنه
إذا جاؤوهم أن يكرمُوهم ويُنبوهم بما سمعوه منه
فمن طلب الحديثَ يَجِلُّ قدرًا ولا يدركُ له كنهٌ فكنهُ

وقوله:

يا ربِّ جُدْ لي بالندی والهدی
يا ربِّ آنسني لك حمداً على
لا ملجأ منك إلا إليك
فضلك لا أحصي ثناء عليك

وقوله مفرد:

ظلمُ الظلومِ مثلُ نارِ الحلفا
فوراً تشورُ وسريعاً تُطفئ

وقوله:

دبرتُ أمرَكَ عندما
وعليكَ قد حَنَنْتُهَا
فاذهبْ عن التدبير في
إنَّا لكافوكَ الذي
ولعلمنا بك يا فتى
فالجأ إلينا ضارعاً
كنتَ الجنينَ ببطنِ أمِّك
حتى لقد جادتْ بضمِّك
كلُّ الأمورِ بكلِّ عزمِك
يأتي بعزمك أو بهمِّك
نُغْنِيكَ عن تدقيقِ فهمِك
نأخذُ بكفك في مُهمِّك

وقوله:

أعاطيه كؤوساً من لُجَينٍ
ولستُ مرايياً في ذا ولكنْ
فيجعلُ لي من الذهبِ الوفاءَ
خيارُ الناسِ أحسنهم قضاءً

وقوله:

انظر إليه كأنه متبرمٌ
فكأنَّ صفحةَ خدهِ ياقوتةٌ
مما تغالزه عيونُ النرجسِ
وكان عارضه خميلةٌ سندسٍ

وقوله :

لنا نفوس إذا هي انصدعت
عزّت فعاشت بفقدِها رغداً
بلحظِ طرفٍ تقوم ساعتهُا
وفي اعتزالِ الأنامِ راحتُها

وقوله :

بلغتُ من الجوى ما ضقتُ عنه
إلهي إن حُبَّك في فؤادي
فخلّصني بفضلِكَ ربّ منهُ
فأنقذه من البلوى وصنهُ

وقوله :

قال صحبي عن الدخان أجنباً
قلتُ ما فرّطَ الكتابُ بشيء
هل له في كتابنا إيماءُ
ثم أرختُ (يوم تأتي السماء)

وقوله :

عن النبيّ أنا من رأى امرأة
فلياتِ زوجتَهُ فليقبضِ حاجتَهُ
أحل في قلبه للحسن موقعها
إن الذي معها مثلُ الذي معها

وقوله :

تلم المعاني بالقلوب كأنها
وتذهبُ حتى لا تراها فإن تجذُ
عرائسُ تجلّى في عقود من الدُرّ
لها لمماً بالقلب يخلج في الصدرِ
فبادرُ إلى تقييدها بكتابة
لذلك ذخراً وهي من أنفع الذخِرِ
لكم لاح لي أمرٌ وراحَ وعندما
أطالعُه ألقاه من أعجب الأمرِ
وما العلمُ إلا روضةٌ مستنيرة
فطوراً إلى نور وطوراً إلى ثمرِ

وما زلتُ في تلك الرياض معاطياً نفائسَ ما تحويه من أول العمرِ

[٣٦٣] محمد بن محمد السُّوداني .

نزىل المدينة الشريفة، كان من أكابر الفضلاء، جال بلاد المغرب،
وقرأ ببعض نواحيه، ثم توجه منه إلى الحج، واستوطن المدينة مدةً طويلةً،
مرموقاً بعين الإجلال، مظنوناً به الصلاح.

ثم توجه إلى بغداد، ودخل الكوفة، وحصلت له هناك وجاهةٌ عند أهل
تلك الناحية من المالكية، وتزوج هناك، وانتفع الناس به، ثم حصلت له آفةٌ في
عينيه، فكف بصره، ثم رجع إلى المدينة، واستقر بها، وصار من المدرسين،
يُقرئ في فنون العلوم، حتى نيفَ وستين وألف، ودفن بالبقيع - رحمه الله
تعالى - .

[٣٦٤] محمد بن محمد الهُريري - مصغراً - الحلبي^(١).

نزىل دمشق، كان من فضلاء وقته، عالماً وعاملاً، منكفاً عن الناس،
نساخاً للكتب، وخطه متوسط، لكنه صحيح مبيّن مضبوط، لا يكاد يُرى فيه
تحريف، ولذلك كان يُرغب في خطه، حتى كتب كتباً كثيرةً مقبولةً إذا عرضت.

توفي بدمشق، في نيف وستين وألف، ودفن بمرج الدحداح.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: قوله محاجياً في مقراض، وأرسل بها إلى
عبد الكريم الطاراني الميقاتي بدمشق، سنة أربع عشرة وألف:

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٤ / ٣٠٠)، وذكر وفاته في سنة سبع وثلاثين وألف، «الأعلام»
للزركلي (٧ / ٦٢).

يا أيها الجبرُّ الذي
يا فاضلاً أفلأُمه
ومن له في المشكلا
أوليتَ كلَّ مكمل
ما مثل قولك للذي

فأجابه بقوله أولها :

يا من يُبين المشكلا
ومن ابتنى بيتَ المعـا
وحلا بحلِّ الغامضا
بجواهرِ الدررِ التي
وبها يدين أبو نُـوا
يا كاملاً أشعاره
أذكرتَنِّي ببلاغـة
مستفهماً عن آله
فطربتُ من لفظ غدت
وفهمتُ منه لفظَ مقـ
لا زلتُ تحيي ميّت الـ
وبيتَ ترفُل في ثـا
ماناح قنريُّ فها

منه الأفاضلُ تستفيدُ
قد أذكرت عبدَ الحميدُ
تِ الفهمُ والقولُ السديدُ
من وفرك البحر المديدُ
حاجيته أحبُّ مريدُ

تِ بفهمه العالي السديدُ
لي سامياً وغدا فريدُ
تِ محلياً جيدَ القصيدُ
يَعْنُو لها ابنُ أبي الحديدُ
سِ والمفضلُ مع لبيدُ
من دونها الدرُّ النضيدُ
نمقتَهَا عبدَ الحميدُ
للقصِّ يدرِيها المريدُ
منه الأفاضلُ تستفيدُ
راضٍ ومعناه أحيـدُ
آدابِ الفضلِ المديدُ
ب العزِّ والعيشِ الرغيدُ
ج بلابل الصبِّ العميدُ

[٣٦٥] محمد بن محمد المكنى الطرابلسي .

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: من أعلم أهل بلده طرابلس المغرب، كانت له مشاركة حسنة في فنون كثيرة، أخذ عن محمد ابن مساهل مفتي طرابلس، وعن غيره، وكان له عقل، وزيادة نبل.

ومهر في فنون عديدة، وفاق أقرانه، ولما عزل شيخه المذكور عن الفتوى، وليها، فحمدت سيرته، وظهرت نجابته، وسدد في فتواه، وولي بها تدريس الجامع الكبير، والخطابة والإمامة.

لقيته بداره، واستعرت منه «المطول» لسعد الدين، فأعاره، وكانت له خزانة كتب ليس مثلها لأحد من أهل بلده، ثم استعرت منه «العضد على مختصر ابن الحاجب»، وكان ذلك قبل رحيلنا، فأعاره، وكتبت له مع الرسول بيتين وهما:

فَمُنُّوا بِهِ قَبْلَ الرِّحِيلِ لَنَا كَمَا تَطَوَّلْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ بِالْمَطْوَلِ
فَإِنَّكُمْ أَهْلٌ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ كَمَا أَنْكُمْ أَهْلٌ لِكُلِّ تَفْضُلٍ
توفي والده قريباً من سنة ست وخمسين بعد الألف، وتوفي المترجم بعد سنة خمس وسبعين وألف - رحمهما الله تعالى - .

[٣٦٦] محمد بن محمد بن محمود بن عبد الحق العمري الشافعي الطرابلسي .

عالم الشافعية في عصره بطرابلس الشام، كان إماماً جليلاً، عالماً عاملاً زاهداً، منكفاً عن الناس، مشغلاً بما يعنيه من أمور دينه ودنياه، قرأ يبilde على كثير، وأخذ بدمشق عن النجم الغزي، ومن في طبقته، وأجازوه.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على نشر العلم، والاشتغال به، إلى أن مات سنة ثمانين وألف تقريباً، ولما قدم الأمير منجك إلى طرابلس، اجتمع به، وصارت بينهما ألفة ومودة، ومدحه بقصيدةٍ مطلعها:

طرابلس هي الدنيا جميعاً إذا ما كان ابنُ عبدِ الحقِّ فيها
ولم يكن فيها في عصره من الشافعية من هو أفاقه منه، إلى ما حواه من العلوم العقلية، وسلوك طريق الصوفية...^(١).

[٣٦٧] محمد بن محمد بن محمود بن محمد بن أحمد بن محمد ابن خضر بن محمد بن خضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي المناشيري الصالحي الدمشقي الشافعي^(٢).

كان صاحب فضلٍ كبيرٍ، وأدبٍ غزيرٍ، قرأ على والده، وعلى علي النجار، والقاضي حسين العدوي، ومحمد بن بلبان، وعلي الغزوي، وعبد الوهاب الفرغوري، ومحمد الأسطواني، ومحمد المحاسني، وعبد الباقي الحنبلي.

مولده يوم الثلاثاء، بين الظهر والعصر، رابع عشر شهر ربيع الثاني، سنة سبع وعشرين وألف، ووفاته في نيف وثمانين وألف، والمناشيري نسبة إلى المناشير، وهي رقاع الأحكام، وكان جده خضر الأدنى كاتب الإنشاء بالديار المصرية - رحمه الله -.

[٣٦٨] محمد بن محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي الشافعي^(٣).

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطر بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمجبي (٤ / ٢٠٠).

(٣) «خلاصة الأثر» للمجبي (٤ / ٢٠١).

فاضل وافي الفضيلة، ذو فنون جليلة، عارفٌ بحقائق التنزيل، ماهرٌ في معرفة التفسير والتأويل، إمام في الفقه، مشارك في جميع العلوم، صحيح الفهم في كل منطوق ومفهوم، ذو رتبة عالية المقدار، ومنزلة رفيعة المنال والمنار.

أخذ عن النجم الغزي، ومن في طبقة، وأخذ عنه كثير، من أجلهم: عبد القادر بن عبد الهادي العمري، وأبو السعود بن تاج الدين، وباشر الوظائف الدينية، ودرس تحت القبة النسرية بجامع دمشق، ولم يزل يدرس في فنون العلوم، حتى وافاه أجله المحتوم، سنة ثمانين وألف.

وقد رأيته في سن الصغر، ودعا لي بدعوات أرجو بها الظفر، وسأله بعض تلامذته في درسه: لم دخل النفي [على] لا إله إلا الله؟ فأجاب على البديهة: إنما دخل النفي في هذه الكلمة؛ لتحقيق الإثبات؛ فإن قولك: لا صديق لي إلا أنت، أشدُّ تحقيقاً من قولك: أنت صديقي. انتهى.

والعياوي: نسبةٌ إلى عيَّنا - بفتح العين، وسكون الياء التحتية المثناة، بعدها ثاء مثناة، وألف مقصورة - : قرية من قرى دمشق.

[٣٦٩] محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو الدرعي، نسبة إلى «درعه»: واد بالمغرب الأقصى^(١).

كان عالم المغرب في عصره، إماماً في التفسير والحديث وفقه مالك، يعرف «المدونة» معرفةً جيدةً، وكثيراً من أولاده يحفظها؛ لعنايته بها، وكان

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤ / ٢٣٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢ / ٩) (٦٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٨٣)، «الأعلام» للزركلي (٧ / ٦٣).

ممن اجتمعت القلوب على حبه واعتقاده؛ حيث كان مجللاً، حسن الخلق، متواضعاً كريماً، صاحب زاوية في بلده، وبيته منزل للوافدين عليه من الغرباء وطلبة العلم، مشهوراً بالمغرب شهرةً قويةً.

ولد في شهر رمضان، سنة إحدى عشرة وألف، وقرأ بالمغرب على شيوخ كثيرين، منهم: العلامة محمد بن سعيد الميرغني المراكشي، وأجازه إجازةً حافلةً بمروياته، ومن شيوخه: علي بن يوسف الدرعي، كان إماماً محققاً، من أكابر أولياء الله تعالى، وكان يرى النبي ﷺ يقظةً، ومنهم: محمد بن أحمد المصمودي، نسبة لمصمودا: قرية بالمغرب، ومنهم: الشيخ أبو بكر السجستاني، تلميذ الشيخ إبراهيم اللقاني.

وقدم مصر للحج مرةً سنة سبعين وألف، وأخرى سنة ست وسبعين، واجتمعت به فيها، وأخذت عنه، وأجازني بمروياته، وكان ينزل في مصر، ببيت الشيخ عبد السلام اللقاني؛ لما بينهما من المودة القديمة بالمكاتب، وأخذ بمصر عن شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وعبد السلام اللقاني، وعبد المعطي المالكي، وأخذ عنه كثير، منهم: العلامة محمد بن سليمان الروداني، وعبد الملك السجلماسي بالمغرب، وشيخنا منصور الطوخي، وأحمد البشبيشي.

وله مؤلفات، منها: «غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب»، ومنها: «وسيلة العبد الضعيف إلى مولاه اللطيف»، و«سيف النصر على كل ذي بغى ومكر»، و«مناسك الحج»، و«منظومة في قواعد الإسلام». توفي في شهر صفر، سنة خمس وثمانين وألف، ببلده وادي درا،

وأعقب ذريةً صالحَةً، من أجلهم: ولده شيخنا أحمد، قدم مكة مرتين أيضاً، واجتمعت به في الثانية، سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، وأخذت عنه أيضاً، وأجازني بمروياته، ولقنني أذكراً نافعةً، ورجع إلى بلاده - بلغه الله سلامته وكرامته - وأخبرني أن مولده، في شهر رمضان، سنة سبع وخمسين وألف، وأكثر أخذه عن والده.

[٣٧٠] محمد بن كمال الدين محمد بن محمد بن حسين بن كمال الدين بن محمد بن حمزة بن أحمد بن علي بن الحافظ شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن علي ابن الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط المجتبى بن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب الحسيني الدمشقي الحنفي^(١).

نقيب الأشراف بدمشق، ورئيسها في عصره، كان علامة دهره في غالب العلوم، كما شهدت بذلك أهل الفهوم، من العرب والروم، واشتهر صيته وذكره، وعلا في الخافقين قدره، ويوَاه الله في العلم منزلةً عليّةً، إلى ما حواه من النفس الرضية، والشيم الهاشمية، والمكارم الحاتمية، والشرف الذي ينطح النجوم، وتخضع له التخوم، والجاه العميم، والخلق العظيم.

مولده في غرة رجب، بدمشق، سنة أربع وعشرين وألف، وبها نشأ، وقرأ القرآن العظيم، وأخذ الحديث والفقه عن محمد بن منصور بن المحب،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤ / ١٢٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٥).

وعلي القبردي الصالحي، ومحدث دمشق النجم محمد الغزي، وحج، وأخذ بمكة عن محدثها محمد علي بن علان، وأجازه بمروياته.

وعنه أخذ العلامة محمد بن سليمان المغربي، وشيخنا عبد القادر البغدادي، لما قدما دمشق، ومحمد أبو المواهب الحنبلي، وعبد الحي العكري، وعثمان القطان، وعبد القادر بن عبد الهادي، وأخي محمد شاهين، وغيرهم. وكان منزلنا بدمشق قريباً من داره، وبين طائفتنا خصوصيةً ومحبةً، وكان يمازحني كثيراً وأنا صغير، ويقول لأخي محمد شاهين: إني أنفوس في أخيك أن يصير عالماً فيه بركة، ولعل الله يحقق ذلك.

وله مؤلفات كثيرة، منها: «شرح تنوير الأبصار»، و«حاشية على البيضاوي»، و«حاشية على شرح الألفية» لابن النازم.

وكان له ولدٌ فاضلٌ نحيرٌ، أكبر أولاده، اسمه عبد الرحمن، توفي قبله بقليل، وجزع عليه كثيراً، وله فيه مرثيات، وبعد وفاة ولده بأيام، عزل من منصب النقابة، فسافر إلى الروم، ورجع بمنصبه.

ثم توفي سلخ صفر، سنة خمس وثمانين وألف بدمشق، ودفن بالصالحية، بالتربة الإيجية، تربة آبائه وأجداده.

وله الشعر الأنيق، البديع الرقيق، منه: قوله يمدح السيد عبد الله الحجازي الحلبي، حين قدم دمشق، قاصداً للحج:

جاء الغمامُ الروضَ سَحًّا	فاستجدَ من رِئاه نُفْحًا
واستجلِ من زهر الربى	قبل ابتسامِ الصبحِ صُبْحًا
واجنحِ لوانية الأصا	ئل في الخمائل تلقَ نُجْحًا

واصْنَحْ لِهَيْمَمَةِ الصَّابَا
يَغْنِيكَ عَنْ أَلْحَانٍ مَعَا
وَاشْرَبْ عَلَى ضَفَفِ الْغَدِيدِ
وَأَجِدْ مُحَادَثَةَ النَّدِيدِ

ومنها:

وتَوَلَّ إِفْرَاغَ الْمَعَا
فَهَمَّا الْغَنِيمَةُ بَافْتِنَا
مَا الْبَكْرُ إِلَّا التَّبَرُّ إِنْ
إِنَّا بِمَدْحٍ مُسَدِّدٍ

ومنها:

فَإِذَا تَوَلَّى وَجْهَهُ
كَصِفَاتٍ تَرْبِ الْمَكْرَمَا
فَرَعُ الْكِرَامِ الرَّافِعِيَا
مَوْلَى أَحَاطَ بِكُلِّ مَنْ
وَأَقَامَ سَوْقَ الْفَضْلِ كَا

ومنها:

مَا جَالَ طَرْفُ مَضَائِهِ
وَافَى دَمَشَقَ رُكَابُهُ

وَاسْمَعْ مِنَ الْغُرَيْدِ صَدْحَا
سُبْدٍ أَوْ زَنَامٍ إِنْ أَشْحَا
رَبِّهَا كَوْوَسَ الرَّاحِ طَفْحَا
سَمِ تَجِدُ سَقِيمَ الْوَدِّ صَحَا

نِي فِي مِبَانِي الْقَوْلِ لَقْحَا
نَكَ فِي الْبَيَانِ مَنَّاكَ سَمْحَا
عَاصَاكَ زَنْدُ الْفِكْرِ قَدْحَا
فَالْفِكْرُ يَرْشَحُ فِيهِ رَشْحَا

فُتَحَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ فَتْحَا
تِ أَخِي الْعَلَا الْمَرْغُوبِ مَدْحَا
نَ لَهُمَ بِأَوْجِ الْمَجْدِ صَرْحَا
سَقْبَةً فَأَغْنَى عَنْكَ شَرْحَا
سَدَةً فَضَاعَفَ فِيهِ رِنْحَا

فِي الْبَحْثِ إِلَّا كَرَّ سَبْحَا
فَأَفَادَنَا أَدْبَا وَنُضْحَا

وَأَنَّا شَرَفًا أَفَّا
وَكَفَى الْفَتَى زَمَنٌ بِصَفِّ
مَوْلَايَ يَا مَنْ سَرَّ أَفْ—
دَ صَدُورَنَا بِالْأَنْسِ شَرْحَا
وَمَسْرَّةِ أَمْسَى وَأُضْحَى
سُدَّةً بِلَطْفٍ مِنْهُ قَرْحَى
ومنها:

يَا بَنَ الْفَوَاطِمِ وَالْمَكَا
أُولَيْتَنِي نَظْمًا يَرْقُ
مَصْقُولَ أَفْظَاظِ تَكَا
هُوَ لَا سِوَاهُ الْكِيمِيَا
لَا الْبَحْثَرِيُّ وَلَا السَّرِيُّ
مَا عَارِضَتُهُ قَرِيحَةٌ
رمِ مُبْتَنَاتٍ لَيْسَ تُمَحَى
قُ فَيَسْتَرْقُ الْحَرَّ سَمُحَا
د تَرَى الْمَعَانِي فِيهِ لَمُحَا
لَ لِأَنَّهَا فَسَدَتْ وَصَحَا
يُ يَدَانِيَانِ مَدَاهُ فَسُحَا
إِلَّا وَعَادَتْ مِنْهُ قَرْحَى
ومنها:

كَلِّفْتُ بِهِ شُمَّ الْمَعَا
وَبِهِ رُفِعْتُ مِنَ الْحُضِيِّ
أَفْلا أَتِيَهُ بِهِ وَإِنْ
وَأَجَرُ أَذِيَالِ الْفَخَا
مَوْلَايَ عَذْرَاءُ إِنَّهَا
مَنْحَتْ بِمَدْحِكَ فَاسْتَقْلُ
وَتَبَارَكْتَ عَنْ كَاشِحِ
طَسٍ حِينَ ذَاقَتْ مِنْهُ مَلْحَا
ضُ وَصَرْتُ لِلْعِلْيَاءِ سَطْحَا
صَادَفْتُ مِنْ مَرْمَاهُ قَدْحَا
رَ وَلَا أَلَامَ بِهِ وَأُلْحَى
مِنْ فِكْرَةٍ بِالْبَيْنِ مَرْحَا
لَتَ أَنْ تَرُومَ سِوَاكَ مَنْحَا
وَتَزِينَتِ جِيدًا وَكَشَحَا

واسلم بقيت نسيج وخـ
سـدك مفضلاً جوداً وصَفحاً
وقوله:

أمل ليس ينقضي في تمني
لست أرضاك مسرفاً في تجنيـ
لك في كل مهجة راضها الحبـ
بقوام يملئ عليّ إذا ما
ومحيّاً يرى ضئيلَ نحولي
نظرة تستفاد عند التفاتك
بك بحالٍ والحسنُ بعضُ صفاتك
بُ هو يـُستطاب في مرضاتك
لَ حديث الرماح في قناتك
لعذولي والصبحُ للستر هاتك

ومنها:

وسنا مبسم إلى الرشـد يهـديـ
يا بديعاً تحكي الرياض سجايا
أنا من لا يجيله فرطُ إعرأ
وعلى مقلتي رقيبٌ من الوجـ
حسبُ قلبٍ وناظرٍ يتمنا
مُلحٌ تسلبُ النهى ومزايا
ها بما ضلّ في دُجى مرسلاتك
ه أقل مهجتي شبا لحظاتك
ضك عن مذهب العلا وحياتك
سد أرى في لقاء بهجة ذاتك
ك بأن لا يرى سوى حسناتك
أنها تستطاع واللحظُ فاتك

وكتب للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني، حين قدم دمشق،
 واجتمع به، قوله:

وكنْتُ أسائلُ الركبانَ عمَّن
فلما ذرَّ شارقه منيراً
أقامَ بمهجتي ونأت ربوغة
بأفقِ الطُّرس عاوده هجوغة

فأجابه بقوله :

أياربَّ الموالي والمعالي ومن بالرق لبَّاه مطيعة
لقد كُملتَ في خلقي وخلقي بأعظم ما تخيَّله سميعة
وشرَّفت الرقيتَ برفع ذكرٍ علمت بأنني حقاً وضيعه
فدمت ضياءَ أفقِ الشام حقاً بلا أفق الوجود إذن جميعه
وقد قرَّرتُ بمراكم عيوني جريحُ الطرفِ عاوده هجوَّه

[٣٧١] محمد مرزا بن محمد السروجي الدمشقي الشافعي^(١).

كان شيخاً جليلاً، عالماً عاملاً، فاضلاً كاملاً، خيراً تقياً، صالحاً نقياً، ملازماً لعبادة الله وطاعته، وذكر الله وخشيته، له معرفةٌ جيدةٌ بعلم الحقائق، وإطلاع على كتب الرقائق، واعتقادٌ ومحبةٌ للقوم - نفع الله بهم -، وجمع من كتبهم شيئاً كثيراً، سيما كتب الشيخ محيي الدين بن عربي، ورزق فهماً لكلامه - نفع الله به -.

مولده سنة أربع بعد الألف بدمشق، وبها نشأ، وكان في ابتداء أمره في حانوتٍ يصنع سروج الخيل وبيعها، ثم طلب العلم، ولازم أكابر الشيوخ، وأخذ عن محدث دمشق وحافظها الشمس محمد الميداني، وعن محدث العصر في المغرب الشهاب أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ثم الفاسي، حين قدم دمشق، حضر دروسه، وقرأ عليه كتباً عديدةً، منها: عقيدته المسماة: «إضاءة الدجنة»، وكتب له في آخر نسخته إجازةً بخطه بها، وبجميع مؤلفاته ومروياته.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٤).

ولازم العلامة المحدث النجم محمد الغزي، وأخذ عن العارف بالله عبدالله الرومي البوصنوي، شارح «الفصوص»، قرأ عليه غالب مؤلفاته، وأجازه بمروياته، وعن الشيخ غرس الدين الخليلي المدني، وغيرهم من كبار الشيوخ، أهل التمكين والرسوخ.

ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وجاور بهما عمراً طويلاً، وكان غالب إقامته بالمدينة، وأخذ عن عارف زمانه تاج الدين النقشبندي، وأخذ عن السيد الجليل سالم بن أحمد شيخان، والعارف بالله أحمد القشاشي، وعن كثير من مشايخ الحرمين، وأجازه جل شيوخه.

ولما توجهت إلى المدينة الشريفة، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، نزلت عنده، وأكرمني، وكان في غالب أوقاته لا يفارقتي، ويفرحه ما يفرحني، ويكدره ما يكدرني، ويحزنه ما يحزنني، فجزاه الله عني أفضل الجزاء وأجزله، وأحسنه وأكملته، وقرأت عليه نبذة من «الفتوحات المكية»، وجميع «نظم مراتب الجيلي» لشيخه غرس الدين، وشرحه لشيخه عبدالله الرومي، ورسائل كثيرة، وأجازني بمروياته.

وكان - رحمه الله - يأمرني دائماً بذكر لا إله إلا الله، وتلقته منه، وقال لي: إنه تلقنها من علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - مناماً، وقرأت عليه سورة الكوثر، وقال لي: إنه قرأها على رسول الله ﷺ مناماً أيضاً.

ولم يزل - رحمه الله تعالى - تاركاً ما لا يعنيه، مشغلاً بنفسه وذويه، ملازماً لطاعة رب العالمين، متحققاً بحق اليقين، سالكاً طريقة الناسكين، حتى توفي سنة تسع - بتقديم التاء وثمانين - رحمه الله، وأسكنه عليين.

ومن وصاياه لي: لا تتعرف من لا تعرف، ولا تداخل من تعرف، إلا

لضرورة داعية؛ فإن الوقت فاسد.

وأخبرني صاحب الترجمة: أنه لقي - في بعض حجاته - رجلاً فقيهاً من أهل تلمسان، حكى عنه أحوالاً غريبة، منها: أنه رافقه من مكة إلى المدينة، وكان يختم كل يوم كذا وكذا ختمة، قال: فلما وصل إلى المدينة، ودخلنا المسجد النبوي، وتقدمت إلى الزيارة، ووقفنا بالمواجهة، قال: فلما فرغت من الزيارة على الوجه المعتاد، رجعت إلى الروضة، وجلست أنتظره، فأبطأ هنيئاً، فإذا هو داخل، فقلت له: ما أبطأك علي؟ فقال لي: ختمت ختمةً أمام وجه النبي ﷺ، ثم جئتك.

وهذا لا يُستبعد على سبيل الكرامة وخرق العادة، لا شك أن من ألف قراءة القرآن واعتادها، قد يبلغ إلى ختم ثلاث أو ما يقرب من ذلك في اليوم.

وقد ذكر الناس في كرامات الأولياء: أن بعض أصحاب الشيخ أبي مدين حج في السنة التي حج فيها السهروردي، فذكر له عنه أنه يختم في اليوم واللييلة سبعين ألف ختمة، فبعث بعض ثقة أصحابه يختبر له ذلك، فوجده يقرأ، فتبعه من الركن إلى قريب من الحجرة، فختم عدداً كثيراً من الختمات.

وفي هذا خرق عادة للقارئ والسماع؛ لأن سماع مثل هذا في هذه المدة لا يمكن عادة، وهذا قريب من ختمة في كل نفس، فقد قيل: إن أنفاس الآدمي المعتادة في اليوم واللييلة نحو من ذلك العدد، وعلم الله أوسع من أن يحاط به. انتهى.

[٣٧٢] محمد فريد بن محمد شريف الصديقي الحنفي الأحمد آبادي.

أحد العلماء المشهورين بالديار الهندية، أخذ عن السيد معظم البلخي،

ومن في طبقته من علماء بلده، وكان حافظاً للقرآن، من أفراد الزمان، أشرقت بالهند شمسُ علمه وآدابه، وزها نورُها إذ زها في عوده ماء شبابه.

وممن أخذ عنه، وتخرج به: صاحبنا الفهامة محمد قاسم الأحمد أبادي، وكان يشني عليه كثيراً، ويقول: ما رأيت في الهند أفضل منه.

وله مؤلفات كثيرة منها: «حاشية على شرح التلخيص» للسعد، و«حاشية على شرح الهداية» للمبيدي، و«حاشية على المطول»، و«حاشية على حاشية الخطابي على المطول»، و«حاشية على التلويح»، وغيرها، توفي سنة تسع وثمانين وألف ببلده - رحمه الله -.

ونقل لي عنه صاحبنا محمد قاسم المذكور: أنه كان في مجلس بعض الأمراء، فجرى ذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية وقول البيضاوي: لم تذكر الملائكة؛ لأن إتيانهم بمثله لا يخرجهم عن كونه معجزة... إلخ، فقال: لا نسلم أن إتيان الملائكة بمثله لا يخرجهم عن كونه معجزة، ولعل عدم ذكر الملائكة ليس لعدم صدور المعارضة منهم، أو لدلالة النص على عدم اقتدارهم على الإتيان بمثله؛ لأن الإنسان مع شرفه لا يأتي بمثله، فغيره بطريق الأولى. انتهى.

قلت: وعدم صدور المعارضة منهم؛ لكونهم معصومين، لا يعصون الله ما أمرهم، وأما الجواب الثاني: فيخذه: أنه لا يأتي إلا على القول بتفضيل البشر على الملك، وعلى تسليمه، فيمكن أن يوجد في المفضول مزية لا توجد في الفاضل، فلا يتم ما ذكره. انتهى.

[٣٧٣] محمد بن محمد بن أحمد المنوفي الشافعي المكي.

كان من صدور العلماء المدرسين، والأئمة والخطباء المعبرين، فقيهاً

محققاً مفتناً، له اطلاع واسع على كثير من العلوم الدينية، مجللاً عند الأشراف الحسينيين ملوك مكة، موثر الجاه.

ولم يزل كذلك حتى امتحن من محمد بن سليمان المغذف، في دولة الشريف بركات بن محمد أمير مكة، ورمى عنده بأنه من أعوان الشريف سعد ابن زيد، فخشي منه مكيدة، وكان المترجم من الدهاة، فأخرجه من مكة مع جماعة من أهلها من أتباع الشريف سعد، فمكث بمصر سنين، واجتمعت به فيها، ثم حصلت لهم شفاعاة من بعض كبراء مصر، فرجعوا إلى مكة، وأقام المترجم بمكة، إلى أن مات بها سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن بالمعلاة.

وكان - رحمه الله - عذب المصاحبة، خيراً بموقع الكلام، ذا فطنة قوية، وفكرة المعية، وتأن في الأمور، حازماً لأمر دينه ودنياه، وكان في دولة الشريف زيد بن محسن، ثم في دولة ولده سعد، قارئ المنشورات السلطانية، مرجواً للدولة الحسنية، حسن السيرة، طاهر السريرة، له فضائل كثيرة، ومآثر شهيرة، وهو والد صاحبنا الفاضل، المتحلي بأجل الفضائل، سعيد المنوفي - أطال الله عمره -.

[٣٧٤] محمد مكّي بن محمد ولي الدين الحنفي^(١).

الرومي الأصل، المدني المنشأ والمولد، رئيس الحرمين، وقاضي البلدين، وسعيد الدارين، الذي اشتهر صيته وذكره، وعلا عند جميع الأنام قدره، وحصل له من العزة ما لم يعهد لأحد من أقرانه، وأهل عصره وزمانه، إلى كرم نفس وشيم، وأخلاق رضية وعلو همم.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبّي (٢٥٧/٤).

كان مرجع المدينة الشريفة في عصره، ولا يصدر شيء إلا عن رأيه، وكان معاملاً لأهل المدينة بالإحسان والامتنان، وكلهم مرجعهم إليه في كل مهمة؛ لأنه كان كالأب الشفيق عليهم، يحبه الصغير والكبير، والغني والفقير؛ لما هو عليه من الأدب، والاعتناء بحاجات أهلها من غير طلب.

ولد سنة تسع عشرة وألف، وجاء تاريخ مولده بغاية الضبط (محمد بن ولي عاش مبرورا)، ومراده بغاية الضبط: الطاء، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم النافع، وأخذ الطريق، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من السيد العارف بالله سالم ابن أحمد شيخان، ولازمه وانتفع به، وحصل منه علوماً مفيدةً في الدين والدنيا، وكان من أعز جماعته عنده.

وبشره بأشياء ظهر له من بعد ذلك حقيقتها.

منها: أنه يعيش سعيداً، ويموت كذلك، فرفل في ثياب السعادة، وأعطاه الله الحسنى وزيادة.

ومنها: أنه لا يتعرض له أحدٌ بسوء إلا قصم سريعاً، وشوهد له من هذا شيء كثير، وهو مشهور في واقعة أهل المدينة، وما فعل بعضهم معه؛ من شكواه إلى الأبواب العلية السلطانية، فخذل، ولم يظهر بشيء، وكانت النصرة للمترجم، وهو غافل، وغالبٌ من تعرض له مات في حياته، بأسوأ حال.

ومنها: أنه بشره أنه من أهل الجنة، بلا سابقة عذاب.

وقد صحبته مدةً مديدةً، وأجازني بمروياته.

ومما اتفق له في مجاورته بمكة، سنة اثنتين وسبعين وألف: أنه ورد

إليه من الروم تفويض الحكم الشرعي بطيبة، من قاضيهامولى بها من الديار الرومية تفويضاً مطلقاً، واتفق أن قاضي المدينة المعزول عنها، وهو محمد أفندي المرغلي، أُعطي قضاء مكة، وجاء له المنشور السلطاني في مجلس درسه، في الروضة المطهرة، وهو يقرر تفسير قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]، فأرسل هو أيضاً بتفويض حكم مكة إليه، فباشر النيابة عن القاضي بنفسه بمكة، وأقام من يباشر عنه في المدينة، حسبما أبيع له في ذلك، فقال في ذلك الشيخ العلامة أحمد بن عبد الرؤوف المكي:

وضحت لرائد مدحكم طرقُ البيان	وتحدثت بنسيبكم خُرسُ اللسان
وأنتُ بأسجاع الهديلِ حمائم	الترسالِ عن أوصافك الغرِّ الحسان
وتقلدت تيهاً نظامَ حليها	وتطاولتُ شرفاً لها عنقُ الزمان
وشدايها حادي علاك محدثاً	ولقد روى الحسن الصحيح عن العيان
سعتِ العناصبُ نحو بابك خطبةً	وترومُ نحلتها القبولَ لأن تُصان
وأنتُ إنَّيك خلافةً مقرونةً	بفرائد التسديد يقدمها الأمان
لقضاء مكة والمدينة مفرداً	إذ لا يكونُ لنجم سعدكم قران
فلذلك تأديتُ الغداة مؤرخاً	(يا حاكم الحرمين في وقتٍ وأن)

توفي بالمدينة ليلة الخميس، ودفن ضحى يومها، الخامس عشر من شهر محرم، افتتح سنة أربع وتسعين وألف، وصلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بالبقيع - رحمه الله -.

ورثاه جماعة، منهم: ولده الفاضل أحمد، فقال:

سبحان من قَدَّرَ الآجالَ تقديرأ لا نستطيعُ لها ردأ وتأخيراً

نبكي لفرقة أحبابٍ وبينهم
وليس يجدي البكا والنوحُ ذا أسفٍ
ولا يردُّ عليه فائتاً حَزَنٌ
لكنْ على مثلِ ذا الرزءِ الجليلِ إذا
أبكي على جوهرِ الفضلِ الكريمِ ومنْ
حبرٌ هو البحرُ المعروفُ شيمتهُ
فقل لطالبِ عامِ الانتقالِ اصْخِ
وزده يا راحماً جوداً يؤرخه
عليه رحمةُ ربي دائماً أبداً
بكاءٌ تُكَلِّى على ابنِ صارٍ مقبورا
ترى الشرى بدما عينيه ممطورا
كلاً غدا تحت حكم الله مقهورا
أفنيْتُ صبري ودمعي^(١) كنت معذورا
في دينه والدُّنا قد كان مشكورا
بذاك قد كان في الأقطار مشهورا
بشطر بيت تراه فيه مسطورا
(محمدُ بنُ ولي مات مبرورا)
تملا ثرى مضجَعٍ [قد] حلَّه نورا

[٣٧٥] محمد أبو عبدالله المرابط بن محمد بن أبي بكر، شهر بالصغير،
الدلائي الفشتالي المغربي المالكي^(٢).

شيخنا العلامة، نادرة الدهر، وفريد العصر، لم يأت من أرض المغرب
في عصرنا له شقيق، فهو - لعمري - بجميع الفضائل حقيق، ذو حسب تليد،
وباع في المجد طويلٍ مديد، وله في كل علم سهم مصيب، وحذق عجيب،
خصوصاً العربية؛ فإنه رأس المؤلفين فيه في زمانه، وسار ذكره به سير المثل
بين أقرانه.

ولد بالزاوية من قرى الدلا، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وروى الفقه

(١) في الأصل: ودمع.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٠٣ / ٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١٩ / ٥) (٣٧٠)،
«عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٠)، «الأعلام» للزركلي (٦٤ / ٧).

والحديث والعلوم العربية عن والده، وعن إمام المغرب في عصره بلا مدافع
أبي عبدالله محمد العربي بن يوسف أبي المحاسن الفاسي .

وعنه أروي «شرحه لدلائل الخيرات»، وعن ولي الله السري السني
الحسني السيد أبي محمد عبد الهادي ابن عالم المغرب في الحديث، وعلوم
القرآن أبي محمد عبدالله بن طاهر السجلماسي، وغيرهم، وبرع وفاق علماء
عصره، واشتهر صيته في الآفاق، وأخذ عنه خلق، وانتفع به كثير من فضلاء
المغرب، وتخرجوا به .

ولما قدم القاهرة المحروسة، لا زالت ربوعها عامرة أهلةً مأنوسةً،
سنة ثمانين وألف، مريداً الحج، أقبل عليه فضلاؤها، ولازمه علماؤها،
واستفاد منه نجباؤها، وعقد بها درساً بالجامع الأزهر .

وجرى بينه وبين شيخنا علامة العصر، شهاب الملة والدين، أحمد
البشبيشي، مطارحات وأسئلة وأجوبة منظومة في العربية، منها: ما كتب به
إليه شيخنا أحمد المذكور - قدس سره -، وهو قوله :

ولا أيها النحريرُ عالمُ عصره	ومنْ غُرفِ الرِوَادُ من فيضِ بحره
ومن قلْدَ التسهيلِ عقداً منظماً	تنزّه عن طعنِ الحسودِ ومكره
أبينوا لنا إعرابَ نعم وتلوها	إذا كانت اسماً تُفصحون بأمره
وهل هي من قسمِ المعارفِ أو أتتْ	منكرةٌ تستطردون لذكره
وهل أحدٌ منهم بذاك مصرّحٌ	أم الشيخُ فيها يستبدُّ بفكره

ومنها:

فإن قلتُ التعريفُ فيها محصّلٌ فمن أيِّ قسمٍ يا جديراً بخبرة

وإن قلتُ التنكيرُ فيها فما الذي
فلا زلتمو أهلاً لبذلِ فوائِدِ

فأجابه بقوله :

أيا عالماً قد عاد فرداً بدهره
حنائِكَ إن الرفعَ لا شكَّ واحدٌ
سوى أن حاوي المدح والتلو قد غدا
لدى رأسِ أهل الكوفة القوم إذ أتى
فعاد بذلك اسماً مجازاً وإنما
وقد زعم القراءُ إذ ذاك أنه
فمن ثمَّ أسموه ادعاءً لأن غدا
وإذ ذاك ما المخصوصُ قد عاد مسنداً
وأما على رأي الجماهير منهم
ميناً على الممدوح أي منوه
وذلك رأيُ الألمعيِّ ابن حمزة
فتاليه محكومٌ به أو عليه أو
طموحاً لمشتقٍّ جليٍّ مؤولٍ
فسيفُ ابتداءً فيه إن كان عاملاً

أساغَ ابتداءً يا فريداً بعصره
وجبرَ فقيرٍ مع تزئيدِ فقره

إذا ما شدا بالنظم أو حينَ نشره
لدى متعاطي النحوِّ يا فخرَ مصره
كتاب وقرناه مسمًى بأسره
مسمًى به الممدوحُ نافحُ عطره
هو الفعلُ ملتاحاً وقالوا بنصره
خليفةً مطويٍّ يضمنُ بنشره
يحرر سربالاً يضوع بنشره^(١)
لهاتيك إذ نَمَتَ بمكنونِ سرِّه
فنعمَ ابتداءً رافعٌ ما بإثره
كما ماز ممدوحاً حرياً بنكره
ويحيى ارتواءً من مَشارِعِ نهره
تشا كسار ذا قياساً فأجره^(٢)
به فاصغِ واقطفِ بالحِجَا ينع ثمره
كما شامتِ الأفكارُ أنوارَ بدره

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

وناهيك منه في القضية حاكماً
 بلى عزموا عقد الترافع فيهما
 وقال ابنُ كيسانَ لتالٍ متى بدا
 وسمَّ تالِي التالِي الذي عَنْ مسنداً
 وقد قلتُ رأياً وما كنتُ عالماً
 وقد زعموا قولاً سنياً فنؤهوا
 فلا زلتُ طوداً في المعارفِ شامخاً
 كما ذاك قول الكوفة الغرِّ فادِرهُ
 جنوحاً لأصلٍ ثابتٍ بمقرّة
 بيانٌ أو أبدلْ واقدرهُ حَقَّ قدرهُ
 بذاك وأملِ اللفظَ تسمُ بجبرِهُ
 بقولِ أناسٍ مُرتوين بغدرِهُ
 به علما يجترُّ أثوابَ فخرِهُ
 يلوذُ بك العاني ويُجلى بأمرِهُ

وله مصنفاتٌ عديدةٌ شهيرةٌ، منها، وهو أجملها: «نتائج التحصيل في شرح التسهيل» لابن مالك، في مجلدات، قرأت عليه شيئاً منه، وأجازني به، وناولني إياه، و«فتح اللطيف للبسط والتعريف»، و«المعارج المرتقاة»^(١) إلى معاني الورقات» لإمام الحرمين، و«البركة البكرية في الخطب الوعظية»، و«الدرة الصدفية في محاسن الشعر وغرائب العربية»، و«فصل الخصمين في متعلق الظرفين»، و«الدلائل القطعية في تقرير النصب على المعية»، و«التحرير الأسمى في إعراب الزكاة اسماً»، و«رفع اللبس عن ورود تفعل بمعنى فعل وبالعكس»، وغير ذلك، وله «ديوان شعر» بليغ كبير الحجم، من طالعه، عرف في البلاغة مكانه.

سمعت منه - رحمه الله - الحديثَ المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعته منه، وقرأت عليه طرفاً من «صحيح البخاري»، وغيره من الكتب

منتدى سور الأذكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

(١) في الأصل: المرتقات.

الحديثية، وطرفاً من غالب مؤلفاته، وأجازني بسائرهما، وتلقنت منه الذكر،
وصافحني المصافحة المتصلة إلى النبي ﷺ، وكتبت إليه أبياتاً استدعي منه
الإجازة، مطلعها:

ملك نُحاةِ العصرِ علامةَ الدهرِ ويا علماً في العلم مرتفعَ القدرِ
منها:

وقبلك ما كان ابنُ مالك هكذا وعمرو نسيناه وعاد بلا ذكرِ
أجزني بما ألفتَه وقرأته على السادة الأعلام أشياخك الغُرُ
بقيتَ بقاء الدهر يا غايةَ المنى وبلُغتَ ما ترجوه يابن أبي بكرِ
فكتب إليّ إجازات سنية بمروياته، أعاد الله علي من بركاته .

ومن شعره قوله :

سَبَّحْتُ إِذَا أَوْمَضْتُ لِلصَّبِّ عَيْنَاكَ وَفَكَّرْتُ أَقْضِي هَوَى مِنْ حَسَنِ مَرَاكِ
يَا مَنْ ثَمَلْتُ بِرَاحٍ مِنْ لَوَاحِظِهَا اللَّهُ مَا فَعَلْتُ فِينَا حُمَيَّاكَ
تَكَامَلْتُ فِيكَ أَوْصَافُ جَلَلٍ بِهَا عِنْدِي فَسَبْحَانِ مَنْ بِالْحَسَنِ حَلَّاكَ
يَا أَخْتَ ظَبِيِ النِّقَا دَلًّا وَفَرَطَ بِهَا رَدِّي وَدَائِعَ قَدْ أَوْدَعْتَهَا فَاكِ
فَلَا تَجُورِي فَأَنْتِ الْيَوْمَ مَالِكَةُ ذَوِي الصَّبَابَاتِ فَاسْتَبْقِي رَعَايَاكَ

ولما رجع من الحج إلى بلاده، أذن له مولاي الرشيد سلطان المغرب
في عصره أن يسكن فاس، فأقام بها إلى أن توفي سنة تسعين بعد الألف
- رحمه الله - .

وكان أخوه الأكبر سيدي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر سلطانَ

فاس ومكناس والقصر، وما والاها من أرض الدلاء وسلا، وغيرها من الأقاليم
المعتبرة بأرض المغرب، ومكث ملكاً أربعين سنة، فلما خرج مولاي الرشيد
الشريف الحسيني في أرض المغرب، انتزع الملك منه، ومن غيره من ملوكها،
وملوك السوس الأقصى، واجتمعت كلمة المغرب عليه، وحبس به إلى أن مات
مسجوناً.

ولما انتزع الملك منه، ومن ولده عبدالله، خرب مدينتهم المعروفة
بالزاوية، زاوية والده الشيخ محمد بن أبي بكر، ففترق جمعهم، وتشتت
شملهم، والدهر لا يبقى بحال واحدة، ورحلوا بأجمعهم إلى مدينة تلمسان،
بقرب الجزائر، من الممالك العثمانية.

وسميت مدينتهم بالزاوية؛ لأن والدهم الشيخ محمد بن أبي بكر بنى
بها زاوية عظيمة، كان يطعم بها الطعام للفقراء والمساكين، وكانت منزلاً لمن
يفد عليهم من الغرباء والفضلاء المترددين؛ بحيث إنه لم يسمع بذلك الإقليم
بزاوية مثلها، فسميت البلد باسمها، وهي قريبة من فاس، بينهما نحو ثلاث
مراحل، في أرض تسمى: الدلاء، وغالب أهلها لهم معرفة جيدة بلسان البربر،
وفيها منهم خلق كثير، ويقال: إن أصل الشيخ محمد بن أبي بكر منهم.

ولما قدم صاحب الترجمة إلى مصر، ووصل معه ابن أخيه فخر الدين
عبدالله بن محمد الحاج، وكان في زمن والده أمير سلا وأعمالها من قبل والده،
ومن خبره: أنه لما ملك الرشيد بلادهم، جمع كنوزه وأمواله وذخائره، وحبس
نهرًا بالدلا، وحفر فيه مكاناً يعرفه، ووضعها جميعاً، وأجرى عليه الماء
وتركه، وبلغ الرشيد ذلك، فعالج كثيراً في معرفته، فلم يقدر.

ولعبدالله هذا ولد اسمه أحمد، من أكابر الفضلاء، تصدّر بأرض المغرب

لقراءة العلوم الثقلية والعقلية، وله شعرٌ بديعٌ، أوقفني والده على شيءٍ منه، ولم يتيسر لي تقييده، وبينه وبين والده مكاتباتٌ بديعة، وأخبرني بعض المغاربة: أنه خرج بعد موت مولاي الرشيد، وولاية أخيه مولاي إسماعيل بعده، طالباً للملك، ومعه خلقٌ كثيرٌ، لكنه لم تطل مدته، فمات في أثناء ذلك، وأباده الدهر كما أباد أهله - رحمهم الله تعالى - .

[٣٧٦] محمد بن محمود بن أبي بكر الوطري التنبكتي المالكي^(١).

عرف بـيَعْنُيع - بياء مفتوحة، فغين معجمة ساكنة، فياء مضمومة، فعين مضمومة، قال تلميذه العلامة أحمد بابا، في كتاب «كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج» مختصر كتابه «الذيل»، الذي ذيل به كتاب «الديباج المذهب في معرفة أعيان أهل المذهب» للإمام برهان الدين بن فرحون، المسمى: «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»:

شيخنا وبركتنا، الفقيه العالم المتفنن، الصالح العابد الناسك، كان من صالحي خيار عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين، مطبوعاً على الخير، وحسن النية، وسلامة الطوية، والانطباع على الخير، واعتقاده في الناس، حتى كان الناس يتساوون عنده، في حسن ظنه بهم، وعدم معرفة الشر، يسعى في حوائجهم، ويضر نفسه في نفعهم، ويتفجع لمكروهم، ويصلح بينهم، وينصحهم، إلى محبة العلم، وملازمة تعليمه، وصرف أوقاته فيه، ومحبة

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤ / ٢١١)، «نيل الابتهاج» (٦٠٠) (٧٣٦)، «كفاية المحتاج» (٤٧٦) (٦٤١)، «شجرة النور الزكية» (٢٨١) (١٠٥٨)، «تعريف الخلف» (٢ / ٥٠٩)، «الأعلام» للزركلي (٧ / ٨٨)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٠٦٧).

أهله، والتواضع التام، وبذل نفائس الكتب الغريبة العزيزة لهم، ولا يفتش بعد ذلك عنها، كائناً ما كان من جميع الفنون، فضاع له بذلك جملة من كتبه - نفعه الله بذلك - وربما يأتي لبابه طالب يطلب كتاباً، فيعطيه له من غير معرفة من هو، فكان العجب العجائب في ذلك؛ إشاراً لوجهه تعالى، مع محبته للكتب، وتحصيله لها شراءً ونسخاً، وقد جئته يوماً أطلب منه كتب نحو، ففتش في خزانته، فأعطاني كل ما ظفر به منها.

إلى صبرٍ عظيمٍ على التعليم آناء النهار، وعلى إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر، حتى يمل حاضروه، وهو لا يبالي، حتى سمعت بعض أصحابنا يقول: أظن أن هذا الفقيه شرب ماء زمزم؛ لثلا يمل في الإقراء؛ تعجباً من صبره.

مع ملازمة العبادة، والتجافي عن رديء الأخلاق، وإضمار الخير لكل البرية، حتى الظلمة، مقبلاً على ما يعنيه، متجنباً الخوض في الفضول، ارتدى من العفة والمسكنة أزين رداء، وأخذ بيده من النزاهة أقوى لواء، مع سكينه ووقار، وحسن أخلاق وحياء سهولة الورود والإصدار.

فأحبه القلوب كافة، وأثنوا عليه بلسان واحدٍ إلى الغاية، فلا ترى إلا محباً مادحاً، ومثنياً بالخير صادقاً، طويل الروح، لا يأنف من تعليم مبتدئٍ أو بليد، أفنى فيه عمره، مع تشبهه بحوائج العامة، وأمور القضاة، لم يصيبوا عنه بدلاً، ولا نالوا له مثيلاً، طلبه السلطان: لتولية القضاء بمحله، فأنف منه، وامتنع وأعرض عنه، واستشفع، فخلصه الله تعالى.

لازم الإقراء، سيما بعد موت سيدي أحمد بن سعيد، فأدرسته أنا يقرئ من صلاة الصبح أول وقته إلى الضحى الكبيرة، دواً مختلفة، ثم يقوم لبيته،

ويصلي الضحى مرة، وربما مشى للقاضي في أمر الناس بعدها، أو يصلح بين الناس، ثم يقرئ في بيته وقت الزوال، ويصلي الظهر بالناس، ويدرس إلى العصر، ثم يصلّيها، ويخرج لموضع آخر، يدرس فيه للاصفرار أو قربه.

وبعد المغرب يدرس في الجامع إلى العشاء، ويرجع لبيته، وسمعت أنه يحيي الليل على الدوام، وكان محققاً ذكياً، فطناً غواصاً على الدقائق، حاضر الجواب، سريع الفهم، منور البصيرة، سكوتاً صموتاً وقوراً، وربما انبسط مع الناس، ويمازحهم، آية الله في جودة الفهم، وسرعة الإدراك، معروفاً بذلك.

ولد عام ثلاثين وتسعمائة - على ما سمعت منه -، وأخذ العربية والفقه عن الفقيهين الصالحين: والده، وخاله، ثم قطن مع أخيه الفقيه الصالح سيدي أحمد شقيقه، بـ «تنبكت»، فلازما الفقيه أحمد بن سعيد، في «مختصر خليل».

ثم رحلا للحج، فلحقا بمصر الناصر اللقاني، والتاجوري، والشريف يوسف الأرميوني، والبرهمتوشي الحنفي، والإمام محمد البكري - رحمهم الله -، وغيرهم، فاستفادوا ثمة، ثم رجعا بعد حجّهما، وموت خالهما، فترلا بتنبكت، فأخذوا عن ابن سعيد، الفقه والحديث، قرأ عليه «الموطأ»، و«المدونة»، و«المختصر»، وغيرها، ولازمه.

وعن سيدي ووالدي الأصول، والبيان، والمنطق، قرأ عليه: «أصول السبكي»، و«تلخيص المفتاح»، وحضر عليه شيخنا حمل الخونجي، ولازم مع ذلك الإقراء حتى صار خير شيخ في وقته في الفنون لا نظير له، ولازمته أكثر من عشر سنين، وذكر مقروءاته عليه.

ثم قال: وباحثته كثيراً في المشكلات، وراجعته في المهمات.

وبالجملة: فهو شيعي وأستاذه، ما نفعتني أحدٌ كنفه ويكتبه - رحمه الله، وجازاه بالجنة -. وأجازني بخطه جميع ما يجوز له، وعنه، وأوقفته على بعض تأليفي، فسرّ به، وقرظ عليه لي بخطه، بل كتب عني أشياء من أبحاثي، وسمعتة ينقل بعضها في دروسه؛ لإنصافه وتواضعه، وقبوله الحق حيث تعين. وكان معنا يوم الواقعة علينا، فكان آخر عهد به، ثم بلغني أنه توفي يوم الجمعة، في شوال، عام اثنين وألف، وله تعليق وحواشي، نبه فيها على ما وقع لشرح خليل وغيره، وتتبع ما في «الشرح الكبير» للتائي من السهو نقلاً وتقريراً، في غاية الإفادة، جمعتها في جزءٍ تأليفاً - رحمه الله تعالى -.

[٣٧٧] محمد بن محمد بن سليمان الروداني المغربي المالكي^(١).

نزيل الحرمين، الشيخ الإمام، العلامة المحدث، المسند، المفسن في ضروب العلم، المشهور عند العرب والروم، حكيم الإسلام، وآخر العلماء الأعلام، المتوقد فطنة، والمتوهج ذكاء، الممتلئ حكمة وإيماناً، ولم يرشح له وعاء، ولا حُلَّ له وكاء، الذي توغل في أقطار الأرض، وبلغ على حداثة سنه مبلغاً عجز عنه فحول الرجال، وتحلى بمحاسن الأوصاف وما حال. قرأت بخطه: أن والده أخبره: أن مولده سنة تسع - بتقديم التاء - وثلاثين، بمدينة «تارودنت» قاعدة بلاد السوس الأقصى، وكان ممن ألهم الرشد في صغره، فاجتنى ثمر رشد في كبره.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٠٤ / ٤)، «طيب السمر» للحيمي (٥٤١ / ٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٦)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٦٧٤)، «الأعلام» للزركلي (١٥١ / ٦).

فلما بلغ مبلغ الرجال، تآقت نفسه إلى تعلم العلم، فخرج فاراً من أبويه، فبلغ بلاد درعة، واستقر عند صالح علمائها، وعالم صلحائها، شيخنا الشيخ محمد بن ناصر الدرعي - رحمه الله تعالى^(١) -، فآقتبس من علومه، ولازمه أربعة أعوام، في التفسير والحديث، والفقه والتصوف، وغيرها، وصحبه، وتخرج به.

ثم خرج من عنده رحالاً^(٢) في أقطار المغرب، ودخل سجلماسة، وغيرها من البلاد القبلية، ثم وصل إلى مراكش، وأخذ عن كثير، من أجلهم: مفتيها قاضي القضاة عيسى السجستاني الشهير بالسُّكتاني، والعلامة محمد ابن سعيد الميرغني المراكشي، ثم إلى «تادلا»، ثم إلى «فاس»، ولقي بها أوحداً زمانه، في سلوك طريق الصدق، العديم النظير في معرفة أدب معاملة الحق والخلق، الشيخ محمد بن عبدالله معان الأندلسي.

وكان دخوله فاس بقصد تعلم العلوم الرسمية، سيما علوم الحكمة؛ من هيئة، وتنجيم، وحساب، ومنطق، وما شاكل، فقد كانت له اليد الطولى في ذلك، شديد البحث عمن يتقن بعضها، فلم يظفر في بلاد المغرب بمن يشفي غليله في ذلك.

فلما دخل فاس، ولقي بها العارف بالله الشيخ محمد بن عبدالله المذكور، زجره أشد الزجر عن تعاطي هذه العلوم، وغيرها من العلوم الرسمية، ومنعه من لقاء علماء الوقت، وألزمه بالرجوع إلى والديه، والأخذ بخاطرهما، فرجع

(١) في الأصل: ﷺ.

(٢) في الأصل: رجال.

إلى والديه، حتى طابت قلوبهما، وأذنا له بالسفر.

فرجع إلى مراكش، وأقام فيها مدةً، وانتفع بعلمائها؛ كسيدي محمد ابن سعيد، المتقدم ذكره، وحكيمها المريد، وغيرهما، ولم يزل يتنقل في البلاد، إلى أن وصل الجزائر، وأقام فيها مدةً، وانتفع بعلمائها؛ كالشيخ سعيد ابن إبراهيم قُدورة الحنفي الجزائري، ومنه تلقن الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عنه علم المنطق وغيره.

ولقي رجلاً بالجزائر من أجلاء الصالحين، وكان يواظب الجلوس عنده، وهو - في الغالب - ساكت لا يتكلم، وذات يوم ضاقت عليه نفسه، ولم يدر إلى أين يتوجه من البلاد، فجاء الشيخ، فلما جلس عنده، قال له: أنت مسجون عند النبي ﷺ، وقد آل الأمر إلى ما قال؛ فإنه انتهت سياحته إلى المدينة المشرفة، ولم يخرج منها: من لدن وصلها، إلا إلى مكة.

ثم دخل كثيراً من البلاد الأفريقية، ثم ركب البحر إلى القسطنطينية، ووقعت له وقائع مع بعض علمائها منها: أنه دخل على بعض عظمائها، من القضاة، فقدم إليه القهوة والدخان، وذلك عندهم من جملة الإكرام، فامتنع من ذلك، وألح عليه، فلجَّ في إباته.

فقال له: هذا زهدٌ أم ترهُّدٌ؟ فقال: بل فرار من حرام أو شبهة، فدار الأمر بينهما في ذلك، قال: ومنَ الله علي بقوة القلب، واستحضار الجواب، وكنت - إذ ذاك - قريب عهدٍ بالقراءة، وقد أتقنت طرفاً من أصول الفقه والمنطق، فلم يأت بدليل، إلا ومنَ الله عليّ بإبطاله، حتى أفحمته، وانفصل المجلس، وتسلمت من عنده، واختفيت في بعض الأماكن، وشاع الخبر في البلد: أن مغريباً دخل على فلان، وناظره، وكذا، وكذا حتى أفحمه، ولم أزل

مختفياً إلى أن خرجت منها بعد مدة .

ثم وصل إلى مصر، ولم تطل إقامته بها، وأخذ عمن بها من العلماء الأعيان؛ كالشيخ علي الأجهوري، والشيخ أحمد بن محمد الخفاجي، والشهاب أحمد بن سلامة القليوبي، وشيخنا خاتمة الفقهاء سلطان المزاحي، وأجازوه، ثم سافر إلى الصعيد، وأقام بمدينة «جرجا»، إلى أن سافر منها إلى الحجاز، فحج، واستوطن المدينة الشريفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام -، وكان سكناه بها آخرأً، بيت منفرد، برباط السلطان، فيه طاقات يشرف منها على الحرم الشريف النبوي، فاعتزل فيه عن الناس، ولم يعاشر أحداً في المسكن، وتعاطى أسباب معاشه بيده، وترك الخروج نهاراً، وربما خرج لبلي للزوارة، أو لمهم آخر، وربما أغلق على نفسه بابه شهراً أو أشهرأً لا يراه أحد، فثبت له بذلك هبة في القلوب، وحصل له ناموس عند الخاصة، وربما تعاطى القراءة مع بعض خواصه في بيته، في وقت معلوم، لا يأذن فيه لغيرهم .

وقد لاهمه صاحبه الشيخ عبدالله العياشي على كثرة الانزواء، وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص، فاعتذر بفساد الوقت، ونيات أهله، ومشاهدة المناكير، مع عدم القدرة على زوالها؛ كلبس الحرير، وتعاطي الدخان .

وقال: كيف أجلس إلى قوم أعلم حالهم، وحال مكاسبهم؛ من أكل المكوس، وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعاً، مع العلم بذلك، فإن نهيتهم وزجرتهم، وقعت معهم في أشد مما وقعوا فيه، وإن سكث عنهم وباسطتهم، وألنت لهم القول، كنت معيناً لهم، وممالتاً لهم على ما هم فيه، وتركت

الواجب عليّ من هجرانهم بلا عذر، إلى غير ذلك مما هو معلوم.
وكان - رحمه الله - شديد الورع، ضيق الحوطة في تحمل أعباء ملاقة
الخلق، مقبلاً على شأنه، لكنه غير عارف بزمانه، كما قيل:

كان لا يدري مُدارة الوري ومدارة الوري أمرٌ مُهم
وكان معاصراً - في الحرمين - للشيخ أبي مهدي عيسى الثعالبي المغربي،
وكانا في حالتهما - في ذلك - على طرفي نقيض، مع صلاح حالهما معاً،
وديانتهم، ووفور علمهما ورعاً، عاب كل منهما على الآخر ترك ما عاب عليه
فعله، وقال له صاحبه الشيخ عبدالله العياشي ذات يوم: إن الشيخ عيسى
يقول: ما أحسنَ فلاناً لو أنه كف من عزلته شيئاً، وألان جانبه للخلق! فقال
له: وأنا أقول: ما أحسنه وأعلمه وأجرأه على منهاج السلف، لو انقبض عنهم
شيئاً، وترك مداهنتهم في الحق!

وكلٌّ على هدى، إلا أن النفس إلى ما عليه الشيخ عيسى أقبل؛ لأن
اعتزال الخلق في هذا الزمن، وعدم الاختلاط بهم، والتجهّم لهم، وحجبهم
عند الاستئذان، مع معرفتهم له، واستشعارهم لخصوصيته، مما يزيدهم فيه
إغراءً، وله مطالبة، فيشار إليه بالأصابع، ويحمل من يرى في نفسه أنه مشارك
له في علمه وخصوصيته، على التطلع لعوراتهِ، والتبّع لزلزلاتهِ، والقعود له
بالمراسد؛ لئُسْقَط منزلته من قلوب الخلق، فينصب نفسه غرضاً لسهام
الستهم، فيتضرر بذلك في دنياه وفي دينه، إن كان ممن يكتُم تألمه بما يبلغه
عنهم، ويؤثر ذلك عنده حقداً.

ولأنما ينبغي ذلك ممن كان مغموراً بين الناس، لا يؤبه له، ولا يفتقد

إن غاب، ولا يُستأذن عليه إن احتجب، فيجد الراحة في نفسه؛ من عدم مشاهدتهم ومخالطتهم، من غير أذى يصل إليه منهم، فيسلم له دينه ودنياه.

وأما من كان مشهوراً بينهم، موسوماً بخصوصية تستشرف النفوس إلى لقائه ومخاطبته، فلا ينبغي له أن يحتجب عنهم، ويظهر الانزواء عنهم، والتكره للقائهم، سيما إن كان يصرح بدمهم، ويعيب ما هم عليه، فإن ذلك - وإن كان حقاً في نفسه - إلا أنه عرض به نفسه لآفات كثيرة كان في غنى عنها، اللهم إلا أن تكون له حال قاهرة، فيترك وما انتحل من ذلك؛ فإن الله جاعل له عنه فرجاً ومخرجاً.

وكان - رحمه الله - ميمون النقية، له ورعٌ تامٌ، ولا يقبض من أحدٍ شيئاً، إلا قليلاً ممن علم وجوه مكاسبه، وتحقق استقامته فيها.

ومن ورعه: أنه لا يتقوت - في الغالب - إلا من كسب يده، وكانت له يدٌ صناعٌ، يحسن غالب الحرف المهمة، سيما الرفيعة العمل، الرائقة الصنع؛ كالطرز العجيب، والصياغة المتقنة، وتجليد الكتب، والخرازة.

ولقد أُخبرت: أنه لما كان بمراكش، كان لا يتفرغ في الأسبوع إلا يوم الخميس، فيطلع فيه شيئاً يشتغله، فيبيعه، ويتقوت به إلى الخميس الآخر، وله يدٌ طولى في عمل الأسطرلابات، وغيرها من الآلات التوقيتية؛ كالأرباع والدوائر والأنصاف، ومن أعجب ما رأيته من صناعته: أنه يجبر قوارير الزجاج المتصدعة بحسن احتيال، ولطف تدبير، إلى أن لا يكاد صدعها يتبين، ويصير مثل الشعرة الرقيقة.

ومن ألطف ما أبدعه، وأدق ما صنعه، وأجل ما اخترعه: الآلة الجامعة

النافعة في علمي التوقيت والهيئة، ولم يسبق إلى مثلها، ولا حدّى أحد على شكلها، بل ابتكره بفكره الفائق، وصنعه الرائق، كرة مستديرة الشكل، منعمة الصقل، مغشاةً ببياض الوجه، المموه بدهن الكتان، يحسبها الناظر بيضةً من عسجد؛ لإشراقها، مسطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة، منقسمة نصفين، فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها مصقلة، مصبوعة بلون الأخضر، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها نظر رائق، ومخبر فائق.

وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك؛ لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتهومة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مشاهدٌ فيها، وتخدم لسائر البلاد، على اختلاف أعراسها وأطوالها. وحاصل القول فيها: إن الوصف فيها لا يكاد يحيط بها، ولا يعلم قدرها ومزيتها إلا من شاهدها.

وكانت له معرفة بالعلمين، فيرى ما يذهل الفكر، ويحير النظر، ويُعلم أن من اهتدى لاستخراج ذلك للعيان، بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير في تصوره هنا، قد أيد بنور الهدى، وإلهام ربّاني.

وقد ألف رسالة في وصفها، وكيفية العمل بها، في سائر المطالب التي تدرك غيرها وزيادة، ولما شاعت هذه الرسالة عند الناس، تنافس الناس في اقتناء هذه الآلة، ولا يقدر أحد على عملها وإتقانها إلا هو، فكان يبيع الآلة منها بثمانٍ غالٍ.

والعجب أنها مصنوعة من الكاغد، ومع ذلك، لو ألقيت من شاهقٍ

لا تنكسر، فهي مع صلابتها خفيفة الحمل، لينة المجس، وصفة ما تتخذ منه - على ما أخبر به هو رحمه الله - أن يؤخذ الكاغد، فيلقى في الماء حتى يتحلل، ويصير مثل العجين، ثم يأخذ الصمغ العربي، فيلقيه [في] الماء حتى يتحلل، فيعجن بمائه ذلك الكاغد عجناً ناعماً، ثم يتخذ منه الكورة، ويجهد في تكويرها، حتى تكون متساوية الأقطار بالنسبة إلى المركز؛ بحيث لو أُلقيت على سطح مستوٍ، لوقعت على نقطة واحدة.

وقد أخبر - رحمه الله -: أن ذلك شق عليه، حتى أخذ مسماراً، وأدخله في وسطها، ثم أخذ نصف دائرة من نحاس منقوب الطرفين، فأدخل طرفيه في رأس المسمار الخارجين عن جنبي الكرة، ثم أخذ يدير نصف الدائرة المذكورة على ذلك العجين المكور، ويزيل الناتئ منه، مثلوزيد على المنخفض حتى تكورت غاية التكوير، ثم طلاها ببياض الوجه، ثم كتب عليه ما احتاج إلى كتابته، ثم دهنها بدهن الكتان فوق الكتابة، فلأجل ذلك لا تمحى الكتابة المذكورة، ولو أصابها بلل من عرق اليد أو غيره.

وكذلك أيضاً الدائرة التي فوقها، مصنوعة من مثل ذلك، إلا أنه يخرمها ما دامت رطبة، فإذا يبس شيء منها قبل تمام خرمه، شق عليه؛ لأنه لا يكاد يعمل فيه الحديد إلا بمبرد من الهند يبرده به كما يبرد النحاس والحديد.

وقد أخبر - رحمه الله -: أن الآلة الأولى التي استخدمها بقي في وضعها نحو عام، واحتاج إلى كثير من الآلة في اصطناعها، ثم بعد ذلك سهلت عليه حتى صار يصنعها في مدة قليلة.

وبالجملة: فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وصناعة اليد، فلا يكاد يتعاصى

عليه شيء من الصناعات المندرسة التي لم يبق إلا أخبارها، فضلاً عن الموجودة.

وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه، مع ما يتوقف عليه من علوم الحساب وغيره، إلا أنه يتحامي تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلية ديانةً منه - رحمه الله تعالى - وكان يقول: إن ما يتبجح به بعض المنجمين من المعاصرين؛ من علم حوادث الجو؛ من الخسوفات والكسوفات، ونزول الأمطار والصواعق، وما هو بسبيل ذلك، أمرٌ قريبُ المدرك، سهل التناول، والتحقيق في هذا العلم أمر وراء ذلك، والتشاغل بمثل ذلك بطلالةٌ وتمويهٌ على العوام بأمور تشبه إدراك الغيب، وذلك مذمومٌ شرعاً.

وله - رحمه الله تعالى^(١) - «قصيدة في علم التوقيت» أكبر من «الروضة» بالغ في تجويد نظمها، وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيراً من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء يبين حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرب العمل بضوابط وقواعد مبنية الأرصادات الصحيحة، الواقعة في هذه الأزمنة الغريبة؛ كأرصاد السلطان أولغ بيك أحد ملوك العجم المتأخرين، تمهراً في هذا الفن غاية، وجمع من علماء مملكته من هو مثله في تحقيق الفن، فاستعان بهم في تحقيق ما رامه من ذلك، ولم يقلد الأقدمين، ولا من بعدهم في شيء من تلك الأشياء، فرصد بنفسه هو وأصحابه ما احتاج إلى رصده، حتى تحقق له ما بنى عليه الأعمال المطلوبة، حسبما ذكر لهم ذلك، في أول زيجه الذي هو أصح الأزياج في زماننا هذا، على ما قال أرباب ذلك الفن.

(١) في الأصل: نفع الله به.

ولصاحب الترجمة شرحٌ على منظومته المذكورة، أجاد فيها غاية الإجابة .
ولم يزل - رحمه الله تعالى - مقيماً بالمدينة، حتى طرقة طارق المجاورة
بمكة، فتوجه من المدينة إلى مكة، وأقام بها مدةً مديدةً، وألف بها مؤلفات
مفيدة، منها: «مختصر تلخيص المفتاح وشرحه»، و«حاشية على شرح
التوضيح»، و«حاشية على التسهيل».

ولازم الإقراء في فنون شتى، وأكب على الإقراء والتصنيف، ثم جد في
تحصيل علم الحديث، وجمع كتبه، واجتمعت إليه الطلبة الفضلاء ولازموه،
ومنهم: السيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان،
والشيخ عبدالله بن سالم البصري، والسيد محمد بن أبي بكر الشلي، والشيخ
حسن بن علي العجيمي، وكثير، واختصر «تفسير الوصول إلى جامع الأصول»
للعلامة المحدث عبد الرحمن الربيع، أحسن في اختصاره، وأجاد كل الإجابة،
وبين فيه أوهاماً وقعت لأصله.

ولما قدم مصطفى باشا، أخو الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلي، سنة
إحدى وثمانين وألف، اختص به، وأخذ عنه، وولع به، واصطحبه^(١) معه إلى
الروم، فلما وصل إلى مصر، أجله أهلها في غاية الإجلال، وأخذ بها عمن
بها من شيوخ عصره، ومنهم: شيخنا خاتمة المحققين الشبراملسي، وأجازه.

وتوجه من مصر إلى دمشق، فمر بطريقه على «رملة» فلسطين، فأخذ
بها عن خاتمة العلماء المحققين الشيخ خير الدين الرملي الحنفي، وأجازه،
ولما وصل إلى دمشق، اجتمع إليه علماؤها، وبالفوا في تعظيمه، وأخذ بها عن

(١) في الأصل: وأصحبه.

خاتمة المسنين الشيخ محمد بن بلبان الحنبلي الصالحى، وعن السيد محمد ابن كمال الدين نقيب الأشراف بدمشق.

ولما وصل إلى قسطنطينية، حظي عند الوزير أحمد باشا الكبرلي فمن دونه، ومكث ثمة نحو سنة، ورجع إلى مكة مجلاً معظماً، وحصلت له الرياسة العظمى، التي لم يعهد مثلها لمثله، وفوض إليه من السلطنة العلية النظر في أمور الحرمين مدة، حتى صار شريف مكة بركات بن محمد لا يصدر إلا عن رأيه، وأنيطت به الأمور العامة والخاصة، ونال من الجاه، ما يتجاوز الوصف، إلى أن مات الوزير المذكور، فرق حاله، وانحطت مرتبته. شعر:

لكل شيء إذا مات نقصانٌ فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسانٌ

ثم ورد أمر سلطاني إلى مكة، سنة ثلاث وتسعين وألف، بإخراجه من مكة إلى بيت المقدس، وسببه عرض الشريف بركات أمير مكة فيه إلى السلطنة، أن يخرجوه من مكة، وزعم أنه تضرر منه، وكان ذلك يوم عيد الفطر، وألح عليه قاضي مكة وأميرها الشريف سعيد بن الشريف بركات بن محمد، في امثال الأمر السلطاني، والخروج من مكة، فامتنع من الخروج في هذه الحالة، وتعلل بالخوف من قطاع الطريق، وأبى أن يسلم نفسه وماله للسراق في هذه الحالة، فأمهل بعد علاج شديد وتوجه من بعض الأشراف، إلى مجيء الحجاج إلى مكة.

ثم توجه صحبة الحاج الشامي، وأبقى أهله بمكة، فلما وصل إلى دمشق، أقام بها إلى أن توفي في عامه، في حادي عشر ذي القعدة، سنة أربع وتسعين بعد الألف، ودفن بالصالحية، بسفح قاسيون، بالتربة الإيجية المعروفة ثمة.

ورثاه جماعة من أهل دمشق، بقصائد طنانة، وكان له مشهدٌ عظيمٌ -رحمه الله تعالى-، وله فهرسٌ بجميع مرويّاته وشيوخه، سماه: «صلة الخلف بموصول السلف»، وقد وقفت عليه، فوجدته مأخوذاً من فهرس العلامة المحدث محمد بن طولون الدمشقي.

وذكر في آخره: أنه وقع له بالمغرب عجائب، منها: أنه كان مجتازاً على بلد العارف بالله أبي عبدالله محمد بن محمد الواورغتي التادلي، وهو قاصد بلداً أخرى، فسأل عن البلد، ف قيل له: إن فيه شيخاً مربياً، صفته كذا وكذا، قال: فجذبني الشوق، ولم أملك نفسي حتى دخلت بلده، فلقيني رجلٌ خارجٌ إليّ، وقال: أمرني الشيخ أن أخرج إليك وآتيه بك.

فلما دخلت عليه، رفع بصره إليّ، ف وقعت مغشياً عليّ بين يديه، وبعد حين أفقت، فوجدته يضرب بيده بين كتفي، ويقول: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]، ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ﴾ [الفصّر: ٦١]، فأمرني بملازمته، ومذاكرة أولاده بالعلم، فقلت له: إني طلبت كثيراً، لكن إلى الآن ما فتح الله لي في شيء، ولا أقدر على استخراج كتاب، ولا الأجرومية، وكنت إذ ذاك كذلك.

فقال لي: اجلس عندنا، ودرّس كل علم شئت، في كل كتاب شئت، ونطلب الله أن يفتح لك، فجلست، فدرست طائفة من الكتب التي كنت قرأتها، وكنت إذا توقفت في شيء، أحسُّ بمعاني تُلقى على قلبي، فكانها أجرام، وغالب تلك المعاني هي التي كانت مشايخنا تقررها لنا، ولا نفهمها، ولا أتذكرها قبل ذلك.

وكان مسكني قرييـ[ا] من مسكنه، فكنت أعرف أنه كان يختم القرآن العظيم بين المغرب والعشاء يطلب بها النوافل، ورأيت يوماً تصفح جميع المصحف الشريف، وجميع «تنبيه الآنام»، وجميع «دلائل الخيرات» في مجلس، فتعجبت منه، وسألت بعض الحاضرين، فقال لي: من ورد الشيخ أن يختم ثلاثتها بعد صلاة الضحى^(١).

وشاهدت له العجب العجائب، في نزول البركة في الطعام، وغير ذلك مما هو محض كرامة الله تعالى لأوليائه.

ومنها: أنه لقي يوماً العلامة عيسى المراكشي، وقد احتفَّ به خلقٌ كثير يزدحمون على تقبيل ركبته وهو راكب، قال: فزاحمتهم حتى أقبل يده تبركاً، فانحنى إليّ دون الناس، وقال لي: أجزتك بجميع مروياتي، فكأنما طبعها في قلبي إلى الآن.

وكان ذلك قبل اشتغالي بطلب العلم، ولست متزياً بزيّ طلبته، حتى يقال: إنه رأى علامة الأهلية، ولا أن ذلك من عادته مع المتأهلين للإجازة، بل لم يظفر بالإجازة منه إلا القليل من أخصائه فيما أظن، ثم بعد غيبتني عنه ثمانية أعوام في طلب العلم الشريف، من الله عليّ بالرجوع إليه، وتجديد الأخذ عنه، سنة ستين بعد الألف، قبل وفاته بسنة، والله الحمد. انتهى.

قلت: وقد اجتمعت به كثيراً، وقرأت عليه من كل الكتب الستة، وأجاز

(١) هذه الأباطيل وأمثالها مما يُروج لها أدعياء الطريق، وأهل الشطح والتصوف، وإلا فمن له شيء من دين أو مسكة من العقل لا يقبل من هذه الخرافات، رحم الله المصنف وغفر له.

لي روايتها، وحضرته مجالس في «صحيح مسلم»، وفي «شرح المسامرة» لابن أبي شريف، ببيته بالمسجد الحرام - رحمه الله تعالى - .

[٣٧٨] محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البخشي بن محمد بن أحمد البكفالوني، ثم الحلبي الشافعي^(١).

سيد أهل الأثر والحديث، واللابس من أردية الفضل كل قديم وحديث، وكعب الأخبار، وجُهينة الأخبار، وكثر الفنون العربية، ومعدن العلوم الدينية، وسر المواهب اللدنية، ومورد المناهل الدنيوية.

أحاديث فضله على أعلام الرواة مرفوعة، وأسانيده مجده على سرر المراتب موضوعة، فهو البحر الذي وقفت كل الأفاضل على ساحله، والجبر الذي لا يُعرف في الفضل أواخره من أوائله، سنده في العلم أعلى سند، وأوصافه في المجد جلّت عن العدد، وذاته مرآة الزمان، وصدره مجموعة العرفان.

ولد بـ «بكفلون»، وهي قرية من أعمال حلب، في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وثلاثين وألف، وبها قرأ القرآن العظيم، ونشأ في حجر والده في أرغد عيش ونعيم، قرأ في بدايته بحلب، على أبي الوفاء الفرضي، ثم رحل إلى دمشق الشام، وأخذ عن من علمائها الأعلام.

وأخذ الطريق عن العارف بالله أيوب الخلوّتي، وقرأ عليه جملة من فنون، وأطلعه على كثير من أسرار علمه المكنون، حتى نال منه غاية الأمل،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤ / ٢٠٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢ / ٦٤٥)، «الأعلام» للزركلي (٧ / ٦٥)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦ / ٣٧٦) (١٠٠٥).

وأثمرت له من غيث دعائه أغصان العلم والعمل، فرجع إلى أهله بنعم وافرة، ومزايا متكاثرة، ثم توطن حلب، وأخذ بها عن عالم عصره محمد الكواكبي، وأقام بها على بث العلم ونشره، في غالب أوقاته.

وله من التأليف الشافية: «نظم الكافية»، و«شرح لطيف على البردة»، وغير ذلك مما لم يعتن بإظهاره، ولم يطلع عليه أحد لعدم اشتهاؤه.

وله في حلبة الأدب سباق مشهور، ودرر قلائد توذها اللبّات والنحور، فمن دره الرطيب^(١)، وجوهر نظمه الغريب: قوله يمدح الشريف سعداً، وأخاه أحمد ابني الشريف زيد بن محسن أمير مكة، وهما بالقسطنطينية، دار الخلافة العثمانية:

خليليّ إيه عن حديث صبا نجد	وإن حركت داء قديماً من الوجد
فأهاً على ذاك النسيم تأسفاً	وآه على آه تروح أوتجدي
عليلاً أنفاس تصح نفوساً ^(٢)	معطرة الأردن بالشيخ والرند
وهيات نجد والعذيب ودونه	مهامه تغوي الكبد فيها عن الورد
ومن كل شمّاخ الأهاضب خالط السد	سحاب يروم الشمس بالصد والرّد
وتسري الصّبا منه قتمسي وبيننا	من البون ما بين السماوة والسند

ومنها:

سقى الله من نجد هضاباً بأرضها تنفّس عن أذكى من العنبر الورد

(١) في الأصل: الرطب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: نفوسنا.

وحيًا الحيا حيًا نَعْمُنَا بظْلِهِ
نغازلُ غزلانًا كوانسَ في الحشا
تحاكي الجوارِ الكنسَ الزُّهرَ بهجةً
حجازيةُ الألفاظِ عذاريةُ الهوى
بعيدةُ مهوى القُرطِ معسولةُ اللمى
تميسُ وقد أرختْ ذوائبَ فرعِها
وتعطفُ بجيدٍ عطلِ الحلبيِّ حسنه

ومنها:

وكم ليلةٍ باتت يديها حمائلي
ندير سلافاً من حديث حبابها
ولما تمطى الصبحُ يطلبُ علمنا
عفيفين عما لا يليق تكرمًا
وقد كان يسعى الدهرُ في شتِّ شملنا
فأصبحتُ أشكو بينها وفراقها

ومنها:

وإني قد استطلعت دَرَكَ مطالبِي
بطلعةِ نجلِي رويةِ المجدِ غاربِ الـ
إمامِ المصلَى والمحضَّبِ والصفَا
أبي أحمدٍ زيدِ الصناديدِ في الوغى
وتبليغَ آمالي وما ندَّ عن جدِّ
معالِي سنامِ الفخرِ بل غرةِ الحمدي
وراثَةَ جدِّ عن نميٍّ إلى جدِّ
بني حسنِ الأسدِ الكواسرةِ الحدِّ

بُزاةِ العلا الغر الميامنة الألى
غيوثٌ إذا أعطوا ليوثٌ إذا سطوا
سما قدرهم يومَ التفاخر عن نِدْ
مناقِبُهُم جَلَّتْ عن الحدِّ والعدِّ
لنا من ضيائها شمسُ أحمدَ والسعدِ

ومنها:

هما نَيِّرا أَوْجِ المعالي وشرفا
ومذ رحلا عن مكةٍ غابَ أنسُها
بروجَ قصورِ الرومِ في طالعِ السعدِ
فكانا كنصلِ السيفِ غابَ عن الغمدِ
أضاءت بهم أرضُ الشَّامِ وأصبحت
ضواحي نواحي الرومِ تنضجُ بالنَّدِّ

ومنها:

وقد طالما ذابتُ قديما تشوفاً
إلى أن تجلَّى الله جل حلاله
إلى نيل تقبيل المواطىء بالجدِّ
فأصبحتُ يحكين الجنان تبرجاً
وإرفلن من نور الخمائل في بردِ
جوادين في شوطِ المماجدِ جلياً
وحازا رهانَ السبقِ في خنقِ الضدِّ
براحتهم إن تنسب الجودَ في العطا
فتلك بحورٌ تتقي الجزرَ بالمدِّ
وإن أحسنَ السحبِ النباتَ بمائها
فكم أحييتِ الراحةُ أنفُسَ مُستجدِ
رياضٌ لمرتادِ حصونٍ للاندِ
رجومٌ لمستعدِ نجومٍ لمستهدِ
شمائلٌ تهزو بالشمائلِ لطفها
وعطفُ شمولِ الراحِ هزته تُبدي
إذا ما دجا ليلُ الخطوبِ بمعضلِ
أماطَ لثامَ الكشفِ عن ذاك بالجدِّ
بهم شرفتُ أرضُ الحجازِ وأمنت
ظباها وأمثها الوفودُ إلى الرفدِ

ومنها:

بنو هاشم إن كنتَ تعرفُ هاشماً
بهم فخرتَ قحطان والعربُ كلُّها
فمن مجدِّهم يُستقبسُ المجدُّ كلُّه
هنيئاً بني المصطفى الشرفُ الذي
بمدحتكم جاء الكتابُ فما عسى
وعذراً بني الزهراء إنني ظامئ
يوذُ لساني أن يترجمَ بعضَ ما
وقد تعبتُ مني القريحة نضبة
كفشةِ مصدورٍ ولمحةِ عاشقٍ
فإن أعطتِ الأيامُ بعضَ قيادها
وما هاشمٌ إلا الأسنةُ للمجدِ
ودانت لهم قحطانُ أهلُ القنا الصلِّدِ
ومن جودهم أهلُ المكارم تستجدي
تسامي فلا يُحصى بعدُ ولا حدُّ
تقولُ الوري من بعد حماميمَ والحمدِ
إلى المدح والأيامُ تُنسي عن الوردِ
لكم في فؤاد الصبِّ من صادق الودِّ
على حذرٍ من حاذرٍ أحذر الرُّبْدِ
تسارقُه عينُ الرقيبِ على بُعدِ
رأيتم له من مدحكم أعظم الوردِ

سمعت عليه بمنزله بمكة، بمدرسة قايتباي، الحديث المسلسل بالأولية،
وهو أول حديث سمعته منه، بروايته له عن أيوب الخلوئي، وهو أول حديث
سمعه منه، بروايته له عن إبراهيم الأحذب، وهو أول حديث سمعه منه،
بروايته له عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وهو أول حديث سمعه منه،
بسنده المشهور في معجم شيوخي.

وكان ذلك بسؤالٍ مني له في ذلك، بحضور شيخنا الحسن بن علي
العجمي، وصاحبنا الفاضل سليمان بن أحمد وغيرهما، وأجاز لي برواية
ذلك، مع بقية مروياته، وحضرت دروسه بالمسجد الحرام، في «صحيح
البخاري»، وبالمدرسة المذكورة في «رسالة القشيري»، و«الحكم» لابن

عطاء الله، و«التنوير»، وغيرها.

توفي - رحمه الله - بمكة، ليلة الثلاثاء، الخامس من شهر ربيع الثاني، سنة ثمان وتسعين وألف، وصلى عليه إماماً بالناس، ضحى يومها، بالمسجد الحرام، الشيخ الصالح أحمد النخلي، في مشهدٍ حافلٍ، حضره شريف مكة أحمد بن زيد، وقاضيهما، وغالب أعيانها، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ - رحمه الله، ونفعنا به في الدارين -.

وأخبرني: أن بعض الأولياء بحلب، أخبره: أنه يقيم بمكة إقامةً طويلةً جداً، فقدم مكة في موسم سنة ست وتسعين، وأقام بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور، فكان في كلام ذلك الولي إشارةً له أنه يموت بمكة، فإنه لم تطل إقامته حياً، كما أخبر ذلك الولي، وكان يظن أن تطول إقامته حياً، فلم يقدر ذلك، وكانت إقامته ميتاً، فهنئاً له إذ أراد الله له سعادة الدارين، وجعل تربته بأفضل الحرمين.

وكان - رحمه الله - ذا خلقٍ رضي، وسمت حسن نبوي، كثير التحمل للأذى، مدارياً لأهل وقته، عارفاً بأحوال زمنه، معنياً بما يعنيه من أمور دينه ودنياه، متواضعاً سخياً، ينفق جميع ما يأتيه على وجوه الخير، وكان محباً للفقراء، معظماً لهم، كثير الاعتقاد للمجازيب، وإذا جاء أحدٌ منهم، يُجِله ويعظمه، لا يتكلم إلا في خير، ولا يذكر أحداً إلا بخير - رحمه الله -.

[٣٧٩] محمد بن محمد بن محمد البُديري - مصغراً - الدمياطي

الشافعي، الشهير بابن الميت^(١).

(١) «الأعلام» للزركلي (٧/ ١١٤٠).

صاحبي ورفيقي في الطلب، وشريكي في الجثي بين يدي المشايخ
على الركب، الشيخ الفقيه، المفنن النبيه، العالم الصالح الكامل، الصوفي
السريّة، الحسن العشرة والعشيرة، اللطيف الطباع والشيم، المطبوع على
الصدق والحياء والكرم.

مولده بدمياط، سنة أربع وخمسين وألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن
وجوده، وقرأ بالروايات جميع القرآن العظيم، على شيخنا مقررٍ مصر في
عصره محمد البقري، وأجازه بمروياته، ولازم شيخنا أحمد البشيشي، في
دروسه الفرعية وغيرها، وأخذ عن شيخنا علي الشبراملسي، وغيره من علماء
المصريين.

وقرأ ببلده دميّاط على الفقيه زين الدين الدميّاطي، والفرائض والحساب
على محمود القباني الدميّاطي، وحصل من العلم ما تنشرح له الصدور، وتقر
به العيون، في غالب الفنون المتداولة بالديار المصرية.

وأقام ببلده للتدريس والإفادة، ورزقه الله الحسنى وزيادة، وكان في
مدة مجاورته بالجامع الأزهر، لا يفارقني في غالب الأوقات، وأتذكر معه في
دقيق العبارات، ونتجاذب أكّوس المناديات، حتى حالت بيني وبينه الأسفار،
وفرق الدهر بيننا وأبعد الدار، ثم قدم مكة، واجتمعت به، ورجع إلى بلده.

واتفق أني كنت وإياه في متّزه من منازة مصر، فغضب بعض الحاضرين
في المجلس على عبد له اسمه سالم، وضربه ضرباً وجيعاً، وكان سبق منه أن
ضربه مرات عديدة، في مجالس حضرتها، فقلت للمترجم: أكثر ما يضرب
سالم، فتوقف في هذا التركيب، وقال لي: كيف إعراب سالم؟ فقلت له:

يجوز فيه الرفع والنصب، نظيره ما أجازاه بعض شراح «أدب الكاتب»، في قول ابن قتيبة فيه: إن اللمع يياض في الشفتين، وأكثر؛ ما يعتري ذلك السودان، استجازوا رفع السودان، ونصبه، فالرفع على أنه خبر أكثر؛ أي: أكثر من يعتريهم ذلك السودان، والنصب على أنه مفعول يعتري، وما مصدرية؛ أي: أكثر اعتراء ذلك السودان، وهذا المفعول هو الذي أغنى عن الخبر؛ لأنه الجزء المستفاد من الكلام، فأعجب به، ثم عرضه على شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشيشي، فاستحسنه - رحمه الله تعالى - .

[٣٨٠] محمد بيك بن يار محمد بن خواجه محمد بن مير موهب^(١).

البخاري الأصل، البرهانوري المولد والمنشأ، الهندي النقشبندي الحنفي، الشيخ الإمام، العلامة المحقق، نور الدين، صاحب الفضائل والمعارف، والعلوم الباطنة والعوارف والأصول.

قد ترجم نفسه في مؤلف مستقل ذكر فيه أحواله، فقال: إن جده خواجه محمد قدم من ناحية بخارى إلى بلاد الهند، وصحب بعض ملوكها، وأقام بها، وسكن بيرهانبور، وولد المترجم بها، آخر ليلة أربع عشرة، في شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وألف، وتوفي والده وهو صغير، فقرأ القرآن، وختمه قبل البلوغ.

واشتغل بالعلم الفارسي حتى بلغ، فذهب يوماً لصلاة الجمعة إلى مسجد الشيخ الإمام الأكمل، منبع الأسرار الإلهية، ومعدن العلوم اللدنية،

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٤ / ١١٠)، «هدية العارفين» (٢ / ٣٠٦)، «الأعلام» للزركلي (٧ / ١٣٥).

الشيخ عبد اللطيف البرهانوري، فصلى الجمعة معه، ثم دخل الشيخ إلى بيته لأداء سنة الجمعة، وكان المصلون بعد أداء الصلاة جالسين، منتظرين لقدم الشيخ، حتى خرج من بيته، وجلس في صحن المسجد يعظ الناس، وهم كأن الطير على رؤوسهم، فأثرت رؤيته له وكلامه فيه تأثيراً عظيماً، وانقطع خاطره عن بعض التعلقات الدنيوية.

وكان الشيخ صاحب حال ومقال، وأكثر الناس تابوا على يديه توبةً نصوحاً، وحصلت لهم بركة كبيرة بصحبته، واستقاموا على جادة الشريعة، حتى إن السلطان محمد أورنك زيب سلطان الهند، اجتمع به ليلة من الليالي، فأثرت صحبته فيه تأثيراً بليغاً، فاشتغل بالصوم والصلاة، وقيام الليل، واكتساب المعارف، وصار مولعاً بالعبادة، وغلبت عليه التقوى، وإجراء أحكام الشريعة، والعدل في بلاده بحسب المقدور والإمكان، ولم يزل على هذه الصفة، إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته، وكان السلطان المذكور يذكر الشيخ كثيراً بالتعظيم والتكريم، في غالب الأحيان، وأحوال هذا الشيخ السنية، واستقامته مشهورة في الهند، مستغنية عن البيان.

ثم شرع المترجم في قراءة علم الصرف على الشيخ الجامع بين العلوم النقلية والعقلية، صاحب السلوك والمعرفة في الطريق الحسنية الشيخ محمود، ولما فرغ من قراءة الصرف، قرأ عليه النحو، ثم ماتت أمه وهو ابن ثمان عشرة، فتوجه إلى مدينة «ملتان»، وكان بها إذ ذاك السلطان محمد أورنك زيب، فقصد ملازمته على قواعدهم، وخدمه نحواً من سنتين، ثم خطر له خاطر رحمانى، فعزم على ترك ملازمة السلطان، والاشتغال بكسب العلم.

فتوجه إلى لاهور سنة اثنتين وستين وألف، ولقي علماءها وصلحاءها،

وخدم الشيخ العارف بالله نور محمد القادري، وكان مجذوباً مسلّكاً، يربي المريدين بالنظر والصحبة، بغير تلقين ذكر، فحصلت له ببركة صحبته الرغبة في السلوك، والاشتغال بخدمة ملك الملوك.

واشتغل بها بالعلم الظاهر عند الشيخ نعمة الله الحافظ البصير البلخي، فقرأ عليه «شرح الكافية» للجامي، ثم سافر بإذن الشيخ نور محمد المذكور إلى بلدة الغزني، وزار مزاراتها، ثم رجع منها إلى كشمير، وأخذ عن الشيخ محمد أمين الدار النقشبندي، قال: ورأيت يوماً توجه إلى قلب مريده، فغاب مريده عن حواسه، وظهر من قلبه صوت من ذكر الله تعالى.

ثم جاء صحبته إلى لاهور، ومكث فيها مدةً، ثم سافر منها إلى دار السلطنة، دهلي جان آباد، وأقام بها ثلاث سنين، وزار أكابرها، واشتغل بها بالفقه والمعاني، والمنطق والحساب عند الشيخ كليم الله، والشيخ محمد صالح، وكان من العلماء العاملين، والصوفية الزاهدين.

ثم قدم إلى دهلي أيام إقامته بها الشيخ محمد سعيد، والشيخ محمد معصوم، والشيخ يحيى، أبناء إمام العارفين، ومقتدى السالكين، الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، فتشرف بلقائهم، وسمع من بعض مريديهم: ذكر لفظ الجلالة بالقلب، وكان مشغولاً به.

ثم سافر من دهلي في سنة ست وستين وألف، إلى بلدة مراد آباد، وقرأ في الأصول كتاب «المنار»، و«البزدوي» على الشيخ عبدالله تلميذ الملا عبد الحكيم الساليكوتي، وأخذ بها السيد عبد الجليل الذكر القلبي، وكان هذا السيد من مشايخ الطريقة القادرية والنقشبندية والخشّية، مرتاضاً زاهداً في الدنيا، يستفيد المريدون والسالكون منه أحوالاً عظيمة.

ثم سار من مراد آباد، إلى بلدة جونبور، وزار على طريقه من كان من المشايخ، واستمد منهم صالح الدعاء، فبلغه أن قرية «سلون» فيها شيخ صاحب حال وكرامات، اسمه الشيخ بير محمد، فقدمها، واجتمع به، وكان من مشايخ الخشتية والقادرية، فلما رآه، استبشر به، ولقنه الذكر النقي، والأنبات مع الإرادات الخمس، بالقلب بحبس النفس، وأمره بحفظ الأنفاس، وقطع من شعر رأسه قليلاً بالمقص، وقال: فيه إشارة إلى قطع العوائق الدنيوية الفانية، وكان في خدمته زماناً، حتى حصل له الحضور بالذكر، ثم لقنه لفظ ذكر الجلالة، بتحريك اللسان بلا صوت.

وكان مشغولاً بكسب العلم الباطني بحضرته، حتى ألقى الله على قلبه واردة، انكشفت له بها مسألة وحدة الوجود، ويمدد روح المولى عبد الرحمن الجامي وكلامه - قدس سره - فتح عليه باب علم الحقائق والتصوف، وأجازه الشيخ بير محمد بالطريق الخشتية، بسنده المتصل، في فهرس المترجم.

ثم سافر إلى بلدة جونبور، سنة تسع وستين وألف، وزار المشايخ الذين كانوا فيها، ومنهم: علامة المنقول والمعقول، العارف بالله الشيخ عبد الرشيد، واستمد منه الدعاء، وقرأ على الشيخ العلامة عبد الشكور، كتاب «المطول» للسعد، و«شرح المواقف» للسيد، و«التوضيح مع التلويح»، و«الهداية في الفقه»، و«تفسير البيضاوي»، وكان مشغولاً بالعلم الباطني، مع اكتساب العلم الظاهري.

ثم توجه إلى بلدة يَنَنَّة، سنة إحدى وسبعين وألف، ولقي بها الإمام الأكمل، مرشد السالكين، ومقتدى العارفين، الشيخ سلطان النقشبندي، فلقته ذكر اسم الذات على الطريقة النقشبندية، وتوجه إلى قلبه زماناً، وألقى الفيض

الإلهي فيه، وأجازه بطريق النقشبندية وغيرها من الطرق التي وصلت إليه من المشايخ.

وقرأ «شرح حكمة العين»، و«شرح الجغميني»، و«شرح التذكرة في علم الهيئة»، و«تحرير إقليدس في علم الهندسة»، و«الشرح العضدي مع حاشية الشريف الجرجاني عليه»، و«معرفة الأسطرلابات»، و«القانونجة في علم الطب» على العارف بالله السيد جعفر، وقرأ «زيج مرزا ألغ بيك»، وبعض العلوم الجزئية، وبعض مسائل «الشفاء» لأبي علي بن سينا، و«شرح الإشارات» على الشيخ حبيب، وحصل له منه حظ وافر، وأخذ عن الشيخ محب الله الإله آبادي، شارح «فصوص ابن عربي»، وصاحب المؤلفات الكثيرة في التصوف، بعض الفتوحات والفصوص.

قال: ومن الاتفاقات الحسنة: أن جميع شيوخه الذين قرأ عليهم كانوا متصفين بالعلوم الظاهرة والباطنة، زاهدين في الدنيا، عاملين بالتقوى.

ثم سار من يَنَنَّهُ إلى فير زيود، موضع الشيخ الأجلّ زبدة الصلحاء الواصلين، السيد نعمة الله القادري، وكان صاحب جاه وجلال، فزاره به، وسمع عليه بعض المسائل من «الحاشية القديم على شرح التجريد»، وفرغ من تحصيل هذه العلوم الرسمية، وهو ابن ثلاثين سنة، فوقع في قلبه إرادة الحج، وزيارة النبي ﷺ، فتوجه إلى هذا السفر.

قال: وكان في أثناء الطريق يستغرق في الذكر، فإذا وقعت الواردات على قلبه، ألفته في بحر التوحيد والوجود، الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، في جميع الجهات، وهو مستغرق فيه، وغلبت على قلبه وبصيرته، هذه الخواطر، حتى كان ينظر في هذا البحر المحيط بجميع الكائنات بالبصر، وقلبه مملوء

بالحضور، ولا يميز وجوده من بحر هذا الوجود، ويرى جميع حركاته وسكناته فيه؛ كحركات السمك وسكناته في البحر، والله أعلم بحقيقة هذا الحال.

ثم وصل إلى قرية دَرَيْنَكه، وكان فيها صاحب العلوم الفائقة، السيد صفي الدين القادري الشطاري، فجلس عنده أياماً، وأعطاه إجازة بما وصل إليه من مشايخه من الطرق والأوراد والذكر.

ثم توجه إلى قرية راجِكِير، وبها معبد الشيخ شرف الدين يحيى المنيري، صاحب الكرامات المشهورة، والمصنفات المشهورة في علم الحقائق والسلوك، فاعتكف فيه أربعين يوماً، ففتح الله عليه بعض الحالات والكيفيات.

ثم انتقل منها إلى بلد أجْمِير، وزار فيها مقام الشيخ معين الدين الجُشتي، ومنها إلى بلدة أُجِير، ومنها إلى مسقط رأسه برهانپور، ولازم الشيخ برهان، وكان مقتدى أهل عصره، فلقنه الذكر على طريقة الشطارية، ودعوة الصراط المستقيم من الجواهر الخمس للسيد محمد الغوث.

ثم سافر إلى قرية حَالَنَابُور، وكان فيها العارف الكبير جان محمد، فاجتمع به، وأدخله الخلوة، وأجازه بدعوة الأسماء الأربعين، وحصل له حالٌ عظيمٌ، ثم سافر منها إلى بندر سُورت، ومنها إلى بلدة أحمد آباد، وزار المشايخ الذين كانوا فيها.

ثم رجع إلى سُورت، وأقام بها، حتى قدم إليها حاجاً العارف بالله الشيخ يحيى بن أحمد السَّرَهَنْدِي النقشبندي، فركب معه البحر، ونزل معه بندر المخا، ومنه إلى زَبِيد، وأخذ عن مشايخها.

ثم وصل إلى مكة المشرفة، سنة خمس وسبعين وألف، فاجتمع بها بالشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري، والشيخ المحدث محمد بن

سليمان المغربي، وأخذ عنهما الحديث، وأخذ عن عبد الوهاب المصري علم التجويد، ثم وصل السيد عبد الرزاق بن شرف الدين القادري إلى مكة، فأخذ عنه طريق القادرية.

ثم ذهب إلى المدينة المنورة، وزار النبي ﷺ، وسمع بها «صحيح البخاري» على الشيخ ياسين الخليلي المدني، ثم سافر إلى مصر، وقرأ في الجامع الأزهر «ألفية العراقي» في أصول الحديث، و«الجامع الصغير»، ثم سافر إلى دمياط، ومنها إلى غزة، وأخذ بها عن الشيخ عبد القادر الغصين، ثم زار البيت المقدس، واجتمع بمن به من مشايخه.

ثم رجع إلى مكة المشرفة، فسمع من بعض الصالحين بذكر شيخ كامل بلخ، صاحب كرامات وخوارق، وهو الشيخ حاجي علي النقشبندي البلخي، فسافر من طريق اليمن، حتى وصل إلى المخا، ومنها إلى مسكت من بلاد عمان، ومنها إلى ريك بندر، وأراد أن يسافر إلى شيراز، فوصل إلى عقبة كازرون، فأذاه الروافض، فرجع إلى البصرة، وزار النجف وكربلاء، ووصل إلى بغداد، وأخذ عن بها من المشايخ، ثم توجه إلى همدان، وقزوین، ونيسابور، وسمنان، وطوس، وزار بها الإمام موسى بن علي الرضا.

حتى وصل إلى بلخ، سنة ثمانين وألف، فاجتمع بالشيخ المذكور، فأكرمه وأجلسه عنده، وكان معتكفاً في المسجد، وقد نوى اعتكاف أربعين يوماً، قال: فتوجه إلى قلبي، وكنت جالساً في حلقة مريديه معه، وكلهم كأن على رؤوسهم الطير، متوجهون إلى الله مستغرقون في الحضور والذكر.

وكل من كان يجلس في هذه الحلقة من المعتقدين، يحصل له الحضور بلا تلقين، وكم من شخص حصل له الفناء، وهو الجذبة والذهول عن

الخواطر، وكانوا لغلبة هذه الجذبة كأنهم سكارى، وكانت صحبته مؤثرة، ولم يكن يلقي مريدیه إلا هذه الكلمة : اعلّموا أن الله تعالى حاضرٌ في جميع الجهات، وهو وراء الجهات .

قال : وكنت يوماً جالساً عنده، بعد صلاة التهجد معه، في حلقة مريدیه في المراقبة وإذا بالنور حلّ في جسدي وملأه، وأنا أحسه في الباطن، وكنت على هذه الحالة حتى [إذا] تحركت، زال، هكذا كنت في هذه الكيفية دائماً .

ثم سافر بإذن الشيخ إلى سمرقند، وحبس بها مدة، وأخذ عن مشايخها، وزار بها خواجه عبيدالله الأحرار، وسائر أوليائها، ثم سافر إلى بخارى، واجتمع بعلمائها، ومشايخ الطريقة بها، وأخذ عنهم .

ثم رجع إلى بلخ، واستأذن من الشيخ في السفر، فأذن له، فسافر إلى كابل، وهي بلد كبيرة مشهورة، وزار مشايخها وعلماءها، ومكث بها مدة، واجتمع بالشيخ العارف بالله الملا يا منده كلكار النقشبندی، من تلامذة الشيخ محمد معصوم النقشبندی السرهندی .

قال : ورأيتُه أخذ كاغداً، فقطعه مدوراً مثل الدينار، فقرأ عليه الفاتحة والإخلاص، وبلعه، وتوجه إلى قلبه، فخرج من حلقه فضة مسكوكة بسكة الهند، تسمى رُبيّة، وهكذا كان يفعل كل وقت الاحتياج^(١) .

ورأيت منه كرامات كثيرة أيضاً، ثم جئت إلى جلال آباد، ومنه إلى بيشار، ومنه إلى آتک، ومنه إلى کشمير، ومنه إلى لاهور، قال : ورأيت من

(١) إذا لم يكن هذا من حال من يتعامل مع الجن مثلاً، أو أن الحكاية من صناعة خرافات المتصوفة فماذا تكون، أعاذنا الله من الخذلان .

العجائب والتجليات والفتوحات ما لا يدرك إلا بالذوق، ولا ينال إلا بالشوق.
وأقام بلاهور مدةً، واختلى بها للرياضة مدةً، حتى قدمها الشيخ
العارف بالله محمد نقشبند بن محمد معصوم، أما الشيخ أحمد الفاروقي
السرهندي، فزاره، وطلب منه التوجه، فتوجه إلى قلبه، وأفاض عليه علوماً
فيضية.

ثم جاء إلى سرهند، واجتمع بالشيخ يحيى السرهندي ابن الشيخ أحمد
الفاروقي، والشيخ عبدالله، والشيخ سيف الدين، ثم سافر إلى قرية يتن، وزار
بها قبر الشيخ فريد الدين شكر كنج، واعتكف في مسجده أربعين يوماً،
وحصلت له معارف إلهية.

ثم جاء إلى بلده دهلي، وزار مشايخها ومزاراتها، وأخذ عنهم، ثم
منها إلى بلدة أكبرآباد، وكواليار، وزار بها قبر سيدنا ومولانا السيد الغوث
مصنف كتاب «الجواهر الخمس» في فن الدعوة.

وكان إذا وصل إلى موضع أو قرية، زار قبور أوليائها وصلحائها
وعلمائها، واستمد منهم، ثم استخار الله تعالى، وألقى القرعة في أي بلد
يسكن، فخرجت للحرمين الشريفين، فجاء إلى مكة سنة أربع وثمانين،
فحج، ثم زار النبي ﷺ، والعلماء الذين بهما، واجتمع بالسيد العارف بالله
عبد الرحمن بن أحمد الإدريسي، واستمد من دعائه، وحضر بمكة دروس
عيسى بن محمد الجعفري، ومحمد بن سليمان، وسمع منه الصحاح الستة،
وكتب له إجازة بمروياته، على ظهر فرسه الذي سماه: «صلة الخلف بموصول
السلف»، وألبسه الخرقة.

وأقام بمكة على خير وفي خير، يقرئ الناس فنون العلم، تارة بالمسجد

الحرام، وتارة بخلوته برباط الداودية، وأخذ عنه كثير من الفضلاء، واستفادوا منه، وألف مؤلفات كثيرة، منها: شرح القسمين الأخيرين من التهذيب في المنطق، سماه: «زبدة عقائد الإسلام في شرح تهذيب الكلام»، و«شرح على أشكال التأسيس» قرأت عليه طرفاً منه، وأجازني به وبمؤلفاته ومروياته، و«خلاصة الرسائل» في بيان فضائل مكة.

و«رسالة في الحج والعمرة»، و«الرسالة الكاشفة لهيئة الأرض والسموات بالأحاديث والآيات»، و«رسالة في جواب أسئلة السيوطي عن حروف الهجاء»، و«رسالة في بيان خوارق العادات لسيدنا بهاء الدين نقشبند»، و«رسالة فائض المنيين في السلوك والحقائق»، و«رسالة في علم المعاني».

و«جواب سؤال للسيد أحمد الحموي» وقع في حاشيته على «الأشباه والنظائر»، عند قوله: الإيمان تصديق ﷺ في جميع ما جاء به من الدين ضرورة، و«رسالة في تعريف الإيمان وأركانه وشرائطه»، و«رسالة في علم الصرف».

و«الفوائد الفاخرة في بيان أحوال الدنيا والآخرة»، و«شرح الإرشاد في النحو»، و«جامعة الدلائل الشافية لمذهب الحنفية»، و«رسالة في أجوبة أسئلة وردت من الهند»، وتاريخ سماه: «خلاصة السير»، و«رسالة في سير الشمس والقمر وتقويمهما»، و«رسالة في الإسطرلاب»، و«رسالة أجاب بها عن اعتراضات السيد محمد البرزنجي على الشيخ أحمد السرهندي النقشبندي».

و«رسالة مفرح القلوب في آداب السلوك»، و«مرآة المقصود في دفع شبهات وحلة الوجود»، و«الفوائد السنية في بيان الأمور الدنيوية والضرورية،

و«شرح تهذيب المنطق»، وبعض عبارات وقعت في شرحه للملا عبد الله اليزدي، و«مختصر شرح التحرير لابن الهمام»، و«رسالة في حروف الهجاء»، و«رسالة في تقليد الحنفي للشافعي»، و«ترغيب الحسنات وترهيب السيئات» في الحديث.

و«رسالة في بيان حقيقة الكعبة»، و«مناسك الحج»، و«فضائل مكة والمدينة»، و«رسالة في عمرة المكي في أشهر الحج»، و«رسالة في رد مذهب الروافض»، و«رسالة في الفرائض وبيان في سهام الورثة»، و«رسالة في أن الأصل في الأشياء الحل»، و«رسالة في بيان تعريف العلم والاعتراضات الواردة عليه وجوابها»، وغير ذلك.

[٣٨١] محمد بن يحيى بن أحمد نظام الدين بن معصوم الحسيني^(١).

ذكره أخوه السيد علي في «سلافة العصر»، فقال: ماجدٌ ثبتت في المجد وشائقه، وفاضلٌ نشبت بالفضل علائقه، أحرز من الأدب النصيب الأوفر، وتمسك منه بما أخجل نشره المسك الأذفر.

قلت: ولد بمكة سنة ثمان وأربعين وألف، وجاء تاريخ مولده قول بعضهم من أبيات:

إن قلت ما تاريخُ مولِدِه فقل (جبر الزمان بدا بأشرف طالع)

ونشأ بمكة، وقرأ القرآن، وطلب بها من العلم قدراً صالحاً، ثم ذهب إلى والده بالديار الهندية، وأقام بها إلى أن توفي سنة اثنتين وتسعين وألف.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٩٦) (٢٩٧)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦).

وله شعرٌ يأخذ بمجامع القلوب طرائقه، ويملك مسامع أولي الأشواق
شائقه ورائقه، فمنه قوله :

تذكرتُ أيامَ الحجيحِ فأسبَلْتُ جفوني دماءً واستجدَّ بيَ الوجدُ
وأيامنا بالمشعرينِ التي مضتْ وبالحَيِّفِ إذ حادي الركابِ بنا يحدو

وقوله مخاطباً لأخيه السيد علي :

وما شوقٌ مقصوصِ الجناحينِ مقعدٍ على الضيمِ لم يقدر على الطيرانِ
بأكثرَ من شوقي إليك وإنَّما رمانِي بهذا البعدِ منك زمانِي

وقوله :

ألا لا سقى الله البعادَ وجورَهُ فإنَّ قليلاً منه عنك خطيرُ
ووالله لو كان التباعدُ ساعةً وأنتَ بعيدُ إنه لكثيرُ

وقوله :

ألا يا زماناً طال فيه تباُعدي أما رحمةٌ تدنو بها وتجوّدُ
لألقى الذي فارقتُ أنسي مذ نأى فها أنا مسلوبُ الفؤادِ فريدُ

[٣٨٢] محمد بن أحمد النوري الميداني الشافعي^(١).

الشيخ العلامة، الفرضي الحيسوب، انتهى إليه علم الفرائض والحساب
في عصره، حتى صار مشهوراً في الآفاق، ورحلت إليه الطلبة، وكان متهماً

(١) «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٨٧) (٥٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣١٤).

بعمل الكيمياء، وله صلاح وحسن اعتقاد.

قال النجم الغزي: حدثني أنه كان مريضاً، فدخل علي الشيخ مسعود المغربي يعوده، فقال له: نصبر أو نحمل عنك، فقلت: يا سيدي! لا صبر لي على المرض، فقال: يحصل الخير، قال: فما خرج من عندي، حتى عرقتُ وذهبت الحمى عني ببركته، وعُمر نحوَ ثمانين سنة، ومات سنة ثلاث أو أربع بعد الألف.

[٣٨٣] محمد بن أحمد الشيخ العالم الصالح شمس الدين ابن الشيخ شهاب الدين الناصري الصالحي الشافعي، المعروف بابن الرومي^(١).
مولده سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، كانت له فضيلة تامة، وفهم رائق، وحذق فائق، وسكينة وتقشف، وتقى وتعفف، وكان رفيقاً للقاضي محمود العدوي في الاشتغال، وحضر دروس إسماعيل النابلسي، والشمس بن المنقار، وقرأ على الملا أسد، وقرأ على أحمد العيثاوي «شرح الإرشاد» لابن حجر.
وتوفي يوم السبت، بعد الزوال، رابع عشر شهر ربيع الآخر، سنة أربع بعد الألف، ودفن من الغد بسفح قاسيون، عند والده، فوق تربة السبكيين - رحمه الله تعالى -.

[٣٨٤] محمد بن أحمد بن شهاب الدين بن هلال الحمصي الأصل،
الدمشقي الحنفي^(٢).

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٩٥) (٢٨).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٩١) (٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣ / ٣٤١).

قال النجم في «الذيل»: مولده تقريباً سنة عشرين وتسعمائة، وقرأ الفقه على القطب ابن سلطان، والشمس بن طولون، وأبي الفتح المالكي، وقرأ على علي أفندي قنالي زاده، وبرع في الفقه، وشارك في غيره، وولي إمامة السليمانية، وكان يكتب رقاع الاستفتاء، وهو المفتي في نفس الأمر، ولم يكن بدمشق في زمانه أعلم بالفقه، وأقوال فقهاء الحنفية منه، وله قدرة على استخراج نقولهم، ولشيخه أبي الفتح فيه:

إن الكتابة للفتاوى لم تجد أحداً سواك يحلُّ من إشكالها
حلَّتْ مقلتها فيا إنسانها أنت ابنٌ مقلتها أم ابنٌ هلالها
وشعره لا بأس به، وله مراتب في شيخه ابن عماد الدين، منها قوله:

لقد فارقت نفسي وانبعاسي^(١) إلى أيام حزني وانبعائي
لتكرار النواحي في النواحي وتجديد القوافي والمراثي
على من كان في الدنيا ملاذي وملجأ غربتي وبه غيائي
توفي سنة ثلاث بعد الألف تقريباً.

[٣٨٥] الخوجة محمد بن أحمد الباقي النقشبندي الهندي الحنفي^(٢).

كان - قدس الله سره - آيةً من آيات الله سبحانه، ونوراً من أنواره، وسراً من أسرارهِ، صاحب علم ظاهرٍ وباطنٍ، وتصرفاتٍ كبيرة، كثير الصمت والتواضع والانكسار، ذا خلقٍ حسن، لا يتميز عن الناس بشيء، حتى إنه كان

(١) في الأصل: وانبعائي.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤ / ٢٨٨).

يمنع أصحابه من أن يقوموا لتعظيمه، وأن لا يعاملوه إلا كما يعامل بعضهم بعضاً.

وممن أخذ عنه، ولازمه، وانتفع به: العارف الشيخ تاج الدين النقشبندي، كتب الخوجة إليه كتاباً، وكان الخوجة في لاهور، والشيخ تاج في سَنَبَل، فلما أتاه كتابه، عزم على زيارته، فلما وصل إليه، توجه إلى سلوك طريق الأكابر النقشبندية، فتم سلوكه في ثلاثة أيام، ثم أجازته بتربية المريدين.

وهو أول من أجازته، وصحبه عشر سنين، وكانت الصحبة بينهما كصحبة شخصين لا يُدرى أيهما عاشق، وأيهما معشوق، كانا يأكلان في إناء واحد، ويرقدان على سرير واحد، ثم ظهرت له التصرفات العظيمة، فصار كل من يقع نظره عليه، أو يدخل في حلقة، يصل إلى الغيبة والفناء، ولو لم يكن له مناسبة، وكان الناس مطروحين على بابه كالسكارى، يحيي واحداً، ويميت آخر، وبعضٌ كان ينكشف له في أول الصحبة عالمُ الملك والملكوت، وكل هذا كان من غلبة الجذبات الإلهية.

وكان مولده ومنشؤه بنواحي كابل، من بلاد العجم، التي تحت يد سلطان الهند، وكان جاء إلى الهند لأمر من الأمور الدنيوية، فجذبتة الجذبات الإلهية، فترك الدنيا وأربابها، ودار في الطلب عند أكثر مشايخ وقته، ومضى عليه زمان في السياحة، والأخذ على المشايخ في طرق شتى، حتى حضرت له روح الشيخ عبيدالله أحرار - قدس الله سره -، فعلمه الطريقة النقشبندية، وتم أمره.

ثم رجع إلى بلاد العجم؛ لأخذ الإجازة من الشيوخ، ثم عاد إلى الهند،

وتوطن مدينة ذهلي، وظهرت منه الأمور العجيبة، وانتفع به خلق كثير في مدة قليلة، وما انشرت هذه السلسلة في الهند إلا منه، وما كان أحد يعرفها منهم قبله.

وتوفي - نفع الله به - يوم الأربعاء، رابع وعشري جمادى الآخر، سنة أربع عشرة وألف بمدينة ذهلي جهان آباد، من بلاد الهند، وله أربعون سنة وأربعة أشهر، وقبره بها على غربيها، عند أثر قدم الرسول ﷺ، يزار ويتبرك به.

[٣٨٦] محمد علي بن سليم.

وزير مكة المشرفة، وقدوة أعيانها، ونخبة أهل الفضل بها وسكانها، وزر لسلطان الحرمين الشريفين زيد بن محسن بن حسين مدة من أيامه، ثم لولده الشريف سعد، وكان يجله ويعظمه، ويأتمر لأمره، ولا يصدر إلا عن رأيه.

ولما صار على الشريف سعد ما سنذكره في ترجمته؛ من الإجماع عن الوطن، والتوجه إلى أبواب السلطنة، توجه هو بأهله وأولاده إلى اليمن من طريق البر سنة ثلاث وثمانين وألف.

ولما وصل القنفذة ساحل البحر، وبلغه أن مُلك مكة صار للشريف بركات بن محمد، فأضمر العود، وكتب إلى الشريف بركات بذلك، فأجابه: إني مشتاق إليك، وأود وصولك، لكن محمد بن سليمان المغربي لا يقبل ذلك، وأخشى عليك من مكره.

فثنى عنانه إلى نحو اليمن، وركب السفن، فوصل جازان، ونزل من

البحر إلى ذلك البندر، وألقى عصا التسيار، فقابله أعيان ذلك الإقليم بما يليق به؛ إذ كان لهم به سابق معرفة، وصنائع مودعة.

ثم رحل لزيارة إمام اليمن - إذ ذاك - إسماعيل المتوكل على الله، فقابله بالقبول، وقرر له ولأولاده ما يقوم بهم حيث أحبوا الإقامة، واختار الإقامة بصيبا، ودرت عليه الصلوات الإمامية هناك مدة ثلاث سنين.

ثم مر به أمير من أمراء الهند، يقال له: عابد خان، قاصداً الحج، فاجتمع به في البحر، قريباً من جازان، في سنوك نزل فيه الخان المذكور، فأعجبه لفظه وأسلوبه، فحسن له دخول الهند، والاجتماع بملكها محمد أورنك زيب، فمال الوزير محمد علي بن سليم؛ لياسه من عودة مخدومه الشريف سعد من الديار الرومية إلى رأيه، ووعدته الاجتماع في المخا.

ثم شرع في انتهاز فرصة الحركة، وطلب الإذن من إمام اليمن إذ ذاك، وهو أحمد بن الحسن الملقب بالمهدي، فحاوله البقاء بأرض اليمن، فلم يساعده على ذلك، فأذن له إلى المخا.

وما عاد عابد خان إلى المخا إلا وهو بها، فأركبه أحد مراكب السلطان، واصطحبها إلى بندر سورت، بأهله وأولاده، ثم منها إلى جهان آباد، مقر سلطان الهند حينئذ، وهو السلطان العادل محمد أورنك زيب، فأكرمه بما يليق به من الإكرام، وقرر له في كل يوم عشر روبيات، وجعل لأولاده مناصب، وكانوا ثلاثة: عمر وهو أكبرهم، وأبو بكر وهو أوسطهم، وعلي وهو أصغرهم، فأقاموا مدة ثلاث سنين.

ثم حدثته نفسه بالعود إلى ديار العرب، فطلب الإذن من السلطان،

فأذن له بعد ما أدرَّ عليه من الإنعامات ما هو لائق به، وأمر بإركابه في أحد
مراكبه، فركب إلى بندر المخا، وكان العامل به السيد حسن الجرهموزي،
فقابلته بما هو أهله، ثم قصد إمام اليمن إذ ذاك، وهو المؤيد بالله محمد بن
إسماعيل المتوكل على الله، فأكرمه غاية الإكرام، وعين له ولأولاده ما يكفيهم،
وأنزلهم داراً عظيمة بتعز، فأقاموا بها ثلاث سنين.

فوصل إليه مكتوب أخيه مخدومه، الشريف أحمد بن زيد، يستدعيه
فيه إلى مكة المشرفة، ويشوقه إلى أوطانه، فأقلع عن سكنى اليمن، ويمم نحو
الحجاز وظعن، وذلك في أوائل سنة ست وتسعين وألف.

فأحلّه الشريف أحمد محل الروح من الجسد، ولم يزل مقيماً بها إلى أن
وافاه داعي الحمام، فأجاب إلى دار السلام، وذلك في شهر ربيع الأول، سنة
ثمان بعد المائة والألف، ودفن بالمعلاة، في تربة السادة آل أبي علوي؛ لمحبتة
لهم، وكمال عقيدته فيهم، ومولده كما أخبرني من لفظه، بمكة المشرفة،
سنة أربع عشرة بعد الألف.

وكان فصيحاً بليغاً، يحفظ القرآن حفظاً عجيباً، حسن الصوت - رحمه
الله تعالى -، وكانت له دراية تامة بعلم العروض، وله النظم الرائق الفائق،
والتخميسات العجيبة.

فمن نظمته: قوله مؤرخاً عود الشريف أحمد بن زيد، إلى مكة المشرفة
سلطاناً:

حين بشرى الشريف أحمدَ وافت ملأ الكونَ بشرها وتجدد
عاود التخت مالكا قلت أرخ (عود يمن بذلك العود أحمد)

وقوله في حكيم يصبغ لحيته :

دُعي حكيماً غلطاً ظالماً أضله الله على حكيمته
دليلُ هذا أنه لم يزل شاهده يكذب في لحيته

[٣٨٧] محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الرحيم، صاحب المَسْوَح.

كان من الفقهاء المحققين، والعلماء الراسخين، نجب في حياة والده،
وقرت عينه به، ثم أصيب به بموته، بعد أن أنست به هجرة المَسْوَح في حياة
والده، وتصدر للتدريس، وانتفع به كثير، وكان مولده سنة سبع وسبعين
- بتقديم السين فيهما - وتسعمائة، ووفاته سنة اثنتي عشرة وألف، عن خمس
وثلاثين سنة - رحمه الله تعالى -.

[٣٨٨] محمد بن أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي^(١) نسبة إلى رملة،
وهي قرية صغيرة على البحر، قريبة من منية العطار، تجاه مسجد الخضر،
بمنوفية مصر، الأنصاري الشافعي.

الشيخ الإمام، فاتح أقفال مشكلات العلوم، ومحبي ما اندرس من
آثارها والرسوم، أستاذ الأستاذين، وأفضل علماء الدين، وأحد أساطين
العلماء، وأعلام سائر الفقهاء، علامة المحققين على الإطلاق، وفهامة
المحققين بالاتفاق، ناشر سنة سيد الأنام، عمدة أهل مصر والشام، من أجمع

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٧٧) (٢٢)، (خلاصة الأثر) للمحبي

(٣ / ٣٤٢)، (خلاصة الخبر) لعمر بن علوي الكاف (٤٥٩)، «عقد الجواهر والدرر»

للسلي (٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٦ / ٧)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني»

(١٠٨٢).

الناس على جلالته شرقاً وغرباً، ونوه بفضله السراة غرباً وعجماً.

ولد بمصر، في سلخ جمادى الأولى، سنة تسع عشرة وتسعمائة - بتقديم التاء فيهما -، ونشأ على تحصيل العلوم والمعارف، والأخذ عن أكابر الطوائف، سالكاً الطريقة الجميلة، مالكا أزمة المعرفة والفضيلة.

واشتغل على أبيه، وأغناه عن كثرة التردد إلى كل فقيه، وبث فيه ما كان عنده من خالده وتالده، فكانت بدايته كما قيل بنهاية والده، وحفظ القرآن، و«البهجة»، وغيرها من المتون، في كثير من الفنون.

وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، قال - رحمه الله تعالى - : أخذ بيدي والدي وأنا صغير، وتوجه بي إلى شيخ الإسلام زكريا، وأجازني بجميع مروياته ومؤلفاته، ودعا لي ببعض صالح دعواته.

وأخذ عن برهان الدين بن أبي شريف، قال - رحمه الله تعالى - : رأيت الشيخ زكريا كالألف في الانتصاب، ورأيت الشيخ برهان الدين وهو قاعد إلى هيئة السجود أقرب من الهرم، فقلت لوالدي : ما بال الشيخ زكريا مع كونه أسن من الشيخ برهان الدين أصحُ جسيماً، ومنتصب القامة؟ فقال : كان الشيخ برهان الدين يكثر الجماع جداً، فأسرع إليه الهرم، وأما الشيخ زكريا، فكان معرضاً عن ذلك جداً.

وقرأت بخطه : أن له رواية عن أحمد بن النجار الحنبلي، ويحيى الدميري المالكي، وشيخ الإسلام الطرابلسي الحنفي، والشيخ سعد الدين الذهبي الشافعي، وغيرهم، وأنه قرأ على والده في الفقه والتفسير، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والتاريخ، وبلغني عن بعض طلبة والده : أنه سمع والده

يقول : تركت محمداً - بحمد الله - لا يحتاج إلى أحد من علماء مصر، إلا في النادر.

قال : ولم يزل له الاعتقاد التام في طائفة الصوفية ؛ تبعاً لوالده، وكان فهمه عجبياً، إذا دعي للمعنى الغامض، كان مجيباً، جمع الله له بين الحفظ والفهم، والعلم والعمل، وكان موصوفاً بمحاسن الأوصاف، مواظباً على الإفادة والقيام والاعتكاف.

قال العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني - رحمه الله تعالى^(١) :-
صحبت من حين كنت أحمله على كتفي إلى وقتنا هذا، فما رأيت عليه ما يشينه في دينه، ولا كان يلعب في صغره مع الأطفال، بل نشأ على الدين والتقوى والصيانة، وحفظ الجوارح، ونقاء العرض.

رباه والده فأحسن تربيته، ولما كنت أحمله، وأنا أقرأ على والده في المدرسة الناصرية، كنت أرى عليه لوائح الصلاح والتوفيق، فحقق الله رجائي فيه، وأقر عين المحبين به؛ فإنه الآن مرجع أهل مصر في تحرير الفتاوى، وأجمعوا على دينه وورعه، وحسن خلقه، وكرم نفسه، ولم يزل - بحمد الله - في زيادة من ذلك. انتهى.

وجلس بعد وفاة والده للتدريس، ورفع لواء مذهب إمام الأئمة محمد ابن إدريس، ودرس في كل علم نفيس، وبرع في العلوم النقلية والعقلية، والمدارك النظرية، وطار اسمه في مشارق الأرض ومغاريها، وملاً قفارها وسباسبها، وسار ذكره سير الشمس، وصفت له الحواس الخمس.

(١) في الأصل : .

وجلس في الجامع الأزهر، وأضاء به مصباحه الأزهر، فأبدى من العلوم العجائب، وأظهر من المعارف الغرائب، واستمرت الشهرة له في عصره في الفقه والعلوم الشرعية، وللأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري في معارف الصوفية .

وحج على عادة أهل مصر مرات، وجاور في مرة منها، وشرح في تلك السنة «الإيضاح في المناسك» للإمام النووي، وسماه: «الغرر البهية في شرح المناسك النووية»، وهو عندي بخطه، والله الحمد والمنة، وكان ركوبه في الذهاب والإياب، في المحفة المحفوفة بالإخوان والأحباب .

وحضر دروسه أكثر تلامذة والده؛ كالشيخ محمد الخطيب الشربيني، والفهامة أحمد بن قاسم العبادي، ولازمه، وانتفع به كثيراً؛ كالشيخ نور الدين الزيادي، وسالم الشبشير، وعلي الحلبي، ومحمد الخفاجي، وولده الشهاب، والشمس محمد الشوبري، والشهاب أحمد القليوبي، ومحمد المأموني، وولده إبراهيم، والشيخ منصور الطبلابي، وأبي بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، وعلي الأجهوري، ومن الشاميين: الشمس محمد الميداني، ونعمان الجبراصي، وعمر بن الكاسوحة، وأبو الطيب الغزي، لما رحل إلى مصر سنة اثنتين بعد الألف .

وولي عدة مدارس، وتزينت بحضوره المحافل والمجالس، وتشرفت الطلبة بحضور مجالس دروسه العامرة، واقتبست الناس من أنوار فوائده الغامرة، وكان مجلس درسه بالجامع الأزهر، في صدر المقصورة، من جهة يسار المحراب، ومجلس درس الأستاذ الشيخ البكري من جهة يمين المحراب، وإذا اتفق جلوسهما في الفقه في آن واحد، يحضر مشايخ العلماء من أهل الإفتاء

والتدريس عند المترجم دونه، وإذا اتفق جلوسهما في التفسير، تحضر المشايخ
المشار إليهم عند الشمس البكري دونه - رحمه الله تعالى - .

وعاش حتى صار علماء الشافعية بمصر كلهم تلامذته، إلا النادر،
فلا يوجد الآن عالم شافعي، إلا وهو من طلبته، أو تلامذة طلبته، وأرسلت
إليه الأسئلة من سائر الأقطار، ووقف الناس عند قوله أكثر من أقرانه - رحمه
الله - .

وولي منصب إفتاء الشافعية، بالقاهرة المعزية، فباهت به الأيام، وتاهت
في عينه السنة الأقلام، وأصبحت عيون المذاهب إليه ناظرة، وثمرة العلوم
في روضته ناضرة، وحُمِلت إليه مسائل الفتاوى من كل جانب، ووفد إليه
الناس من المشارق والمغارب، ووسعت أخلاقه الأقارب والأجانب، وجزم
بنصب المشايخ ورفع قدرهم، فأكرم به من رافع جازم ناصب .

ثم شرع في التأليف، ورتبه بحسن الترتيب والترصيف، فشرح المنهاج
وسماه: «نهاية المحتاج»، وفاق بالترجيح عند تلاطم الأمواج، وأتى فيه
بالعجب العجيب، ودعا قصي الإجابة، فكان المجاب، وصار هو العمدة
عند المصريين، والمرجع للمفتين، و«شرح البهجة الوردية» في مجلدين
ضخمين، وهو عندي بخطه أيضاً، والله الحمد والمنة، وشرح «العقيدة
الهدلية» سماه: «التحفة البهية»، وشرح «الطريق الواضح» للشيخ أحمد الزاهد
سماه: «عمدة الرابح»، وشرح «العباب» للمزجد، لكنه لم يتمه، وشرح
«الزبد» لخص فيه شرح والده، وهو مزجُ وشرحُ أبيات السيوطي التي أولها:

يتبع الفرعُ في انتسابٍ أباه ولأُمِّ في الرقِّ والحريّة

وشرح رسالة والده في شروط الإمام والمأموم سماه: «غاية المرام»،
وشرح «مختصر الشيخ عبدالله بافضل الصغير»، وله «حاشية على شرح
التحرير» لشيخ الإسلام، و«حاشية على العباب»، و«شرح على الأجرومية»،
وشرح منظومة ابن العماد التي في العدد، وسماه: «فتح الجواد بشرح منظومة
ابن العماد»، و«شرح مناسك الحج» التي نظمها تلميذه الشيخ سليمان الدلجي،
ومنها شرح على المنظومة النحوية المسماة بـ «العنقود ونظم العقود» لأبي
عبدالله محمد بن عبدالله الموصلي الخليلي التي أولها:

لله ذي العز الذي رفع العلا فأحمد وصل على النبي ومن تلا
واعلم بأن اللحن يُزري بالفتى والمرء يُسبر في الكلام ويُبتلى
يسبر؛ أي: يجرب، ويبتلى؛ أي: يختبر، وسمي الشرح المذكور:
«فتح الملك المعبود بشرح العنقود».

وله فتاوى جمعها بخطه، يقول فيها: سئلت فأجبت، وقد أخذها تلميذه
الشيخ أحمد السبكي، وزاد عليها من وقائع الحال شيئاً كثيراً، وأخذها أيضاً
تلميذه الشيخ أحمد المتبولي، وزاد عليها من وقائع الحال أيضاً.

وله مؤلفات أخرى، منها ما كمل، ومنها ما لم يكمل، واشتهرت كتبه
في جميع الأقطار، واعتمدها العلماء الأخيار، ومما اشتهر عند أشياخنا
المصريين: أن مشايخهم أخذوا عليهم العهد أن لا يفتوا إلا بقوله، وهم على
ذلك إلى الآن، فإنه إذا اختلف ابن حجر والمترجم في مسألة، أفتوا بقوله.

والظاهر: أنه مجدد القرن العاشر؛ لأنه لم يشتهر الانتفاع بأحد ممن
انقضى القرن وهو موجود مثل اشتهاه، واحتياج الناس لكتبه، لا سيما فيما

يتعلق بالعلوم الشرعية، وقد تمت المائة العاشرة وهو بين الأنام، يُرجع إلى قوله وأفعاله عند الخاص والعام، وهذه الشروط المذكورة، قد اجتمعت فيه كما هي مسطورة، وهي شروط المجددين؛ كما ذكر بعض العلماء العارفين، قال ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها» أخرجه أبو داود، وغيره، وفي رواية: «من أهل بيتي».

وزعم الجمال النزيلي: أن المجدد في العاشر الشيخ علي بن مطير، وقال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس: إنه عبد الملك بن دعسين، ويحتمل أنه الشيخ محمد البهنسي.

وقال الشيخ الغزي في «ذيل الكواكب السائرة»: وقد مد الله في عمره، حتى كان مجدّد هذه الأمة. قال: وأرسلتُ إليه مؤلفي المنظومين: «شرح اللمحة» للوالد في النحو، و«شرح منظومة ابن الشحنة في علم البلاغة»، فكتب على كل منهما تقریظاً منظوماً، وصورة ما كتبه على شرح اللمحة:

حمداً وشكراً دائمين أبداً	لربنا جلّ تعالی سرمداً
ويعدّ فالعلامةُ البدریُّ	هو البلیغُ الحافظُ الغزّيُّ
ألف نظمَ اللمحةِ البدریة	في النحو تنحو نحوها الألفیة
فألفَ النجمُ علیها شرحاً	یا حسنه مؤلفاً قد صَحّاً
فالنجمُ نجلُ البدرِ لا بدعَ یُرى	من فرعِ هذا الأصلِ نوراً بهراً
أجزّته بكلِّ ما ألفتُه	وما رویّته وما سمعته
وفقه الله لخیرِ العملِ	وإنني أسأله الدعاءَ لی
وقاله العبدُ الفقیرُ الرملی	محمدٌ نجلُ الشهابِ العدلِ

في عام سبع ثم تسعين مضت من بعد تسعمائة قد سُجِّلَتْ

وصورة ما كتبه على شرح منظومة ابن الشحنة :

حمداً لمن علمنا البيانا	وعلّم العلوم والقرآنا
هذا وشمس الدين بن الشحنة	قاضي القضاة قد رقى في السنة
من علمه البلاغة القديمة	ألف نظماً سامياً في القيمة
بشرحه قد فاز نجم الدين	نمقه بنظمه المبين
ألف هذا دون عشرين سنة	فكم له كرامة مينة
وفقه الله وزاده علا	والحمد لله على ما حصّلا
وقاله الرمليّ نجل أحمد	محسبلاً محوقلاً طول المدى

وكانت وفاته آخر يوم السبت، وصلى عليه إماماً بالناس الأستاذ الشيخ زين العابدين البكري، زوج ابنة المترجم، يوم الأحد، ثالث جمادى الأولى، سنة أربع بعد الألف، ودفن على والده، في التربة التي بقرب من جامع الميدان، المطل على الخليج الحاكمي.

ومات بعده بشهر الشيخ علي بن غانم المقدسي، فرثاهما يوسف المغربي، وأرخ وفاتهما بقوله :

لما قضى الرمليّ شيخ الورى	من كان على مذهب الشافعي
ثم تلاه المقدسيّ الذي	حوى علوم الصحبة والتابع
أرخت في موتهما قاتلاً	(ومات أبو يوسف والرافعي)

وتوفي والده الشهاب الرملي في تاسع عشر جمادى الأولى، سنة

سبع وخمسين وتسعمائة، وماتت والدته المترجم في سنة تسع وثلاثين وتسعمائة،
ودفنت بحوش الدير، خارج باب النصر، بالقرب من الشيخ إبراهيم الجعفري،
وكان كثيراً ما يقصدها بالزيارة، ويذكر أنها كانت من أولياء الله - رحم الله
الجميع، وأعاد علينا من بركاتهم -.

[٣٨٩] محمد بن أحمد العجمي، الحلبي الأصل والمحتد، الدمشقي
المنشأ والدار.

كان من كبار تجار سوق الذراع بدمشق، ومع ذلك كان عالماً كبيراً
بالفرائض والحساب، والجبر والمقابلة، والارتماطقي، وغالب أهل عصره
كانوا يقرؤون عليه هذه الفنون.

وهو والد جامع أشتات الفنون الأدبية، مصطفى أبي الصفا بن محمد
العجمي، المترجم في «الريحانة الخفاجية»، و«السانحات الطالوية»، ولكونه
ليس من شرطنا، لم نذكره؛ لأنه توفي ثاني شهر رمضان، سنة ثلاث وتسعين
وتسعمائة، وعاش بعد والده المترجم، إلى سنة ست وألف، فتوفي فيها
بدمشق - رحمه الله -.

[٣٩٠] محمد بن أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس^(١).

السيد المزيل كل هم وبوس، المشهور بالولاية التامة، المعروف بنفع
الخاصة والعامة، من بوعظه تنجلي غياهب الكروب، وبذكر الله على لسانه

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٣/ ٣٤٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٣٢)،

«عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠).

الفصيح تطمئن القلوب، ولد بمدينة تريم الشهيرة، ونشأ بساحتها المنيرة، وطلب الفضائل، وصحب السادة الأماثل.

وأخذ عن والده إمام الطريقة وبحر الحقيقة، وصحب تاج الدين، وشيخ العارفين، محمد بن علوي باجحدب، وجد في الاجتهاد، وعمل بما يرضاه رب العباد، حتى فاق الأقران، وسأوى من تقدمه من فضلاء الزمان، وسار بذكر أحواله الركبان، وقصده الناس من سائر البلدان، وصحبه خلق كثير، ولبس منه خرقة التصوف جم غفير.

وكان كبير القدر، واسع الصدر، له كرامات، وأحوال ساميات، وأفعال صالحات، وحج بيت الله الحرام، وزار جده - عليه الصلاة والسلام -، هو وأخوه الشيخ عبدالله، وحصل لهما مزيد الأنس والصفاء، وتأرج به الحجون والصفاء.

ورجعا إلى وطنهما «تريم» سالمين، ووصلا منزلهما غانمين، ولم يزل نفعاً للعباد ممدوداً بمزيد الإمداد، إلى أن انتقل إلى دار المعاد سنة ست بعد الألف، ودفن بمقبرة زنبل، بقرب مشهد جده الشيخ عبدالله العيدروس، وقبره ظاهر، ونوره باهر - نفع الله به - آمين.

[٣٩١] محمد أبو الغواير بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد العجل بن محمد بن يوسف بن إبراهيم ابن الإمام القطب الغوث الفرد الجامع الفقيه أبي اللقيف أحمد بن موسى بن علي بن عمر العجيل ابن محمد ابن حامد بن رزيق بن وليد بن زكريا بن محمد بن حامد بن مغرب بن عبيد ابن محمد الفارس بن زيد بن ذوال بن شبوة بن ثوبان بن عبس بن سحاره

ابن غالب بن عبدالله بن عك بن عدنان اليمني الذؤلي صاحب بيت الفقيه ابن عجيل^(١).

الإمام العارف بالله، صاحب الأحوال الباهرة، والكرامات الخارقة الظاهرة، والأنفاس الطاهرة، الذي تواتر حديث فضله وجلالته، وأجمع الناس على ولايته، وعمت بركاته الحاضر والبادي، في كل وادٍ ونادي.

كان - نفع الله به - إمام أهل العرفان، المشار إليه بالبنان، وقطب دائرة اليمن الفخيم، ومركز محيط ذلك الإقليم، متخلفاً بالأخلاق النبوية، متصفاً بالصفات الربانية، شيخ المريدين في عصره، وأستاذ الأستاذين في دهره.

جُنْدِيَّ الطريقة في زمانه، غزاليُّ الرقيعة لإمكانه، ابن عربي الحقيقة بشانه، ومن أرباب الأحوال السنية، بل المقامات العلية، بهرَ بجميل جماله أطوادَ العقول، وأثلج بيرد لطفه المناكب والصدور، ونال منه تلامذته الوصول. وله ببلده الظهورُ الكبير العجيب، والجاه الطويل العريض الغريب، قلد أعناق الرجال باليمن المَنَن، ودانت له النفوس وإن خالف السرُّ العلن، وامتد في المقامات والأحوال باعُهُ، وعمرت بإقباله رباعُهُ، وقصده الغادي والرائح، وخدمته القرائح بالمدائح.

وكان ﷺ حريصاً على سلوك طريق أهل السنة والجماعة، مواظباً على الخير، لا يصرف من أوقاته ساعة في غير طاعة، حافظاً لأزمانه وأوقاته، مقبلاً على طاعات ربه وعباداته، حسن الصمت والسيرة، نير القلب والسريرة، مع كرامات أشهر من الشمس في رابعة النهار، وخوارق اشتهرت في سائر الأقطار.

(١) «خلاصة الأثر» للمجبي (٣/ ٣٥٠).

أخذ الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية عن محدث اليمن وحافظه في عصره عبد الرحمن الدَّبَّيْع صاحب «تيسير الوصول إلى جامع الوصول» لابن الأثير، وأجازه إجازة عامة بمروياته .

وأخذ الطريق عن السيد الولي العارف بالله أبي القاسم بن علي، المعروف بصائم الدهر، ولازمه مدةً مديدةً، وأجازه بالإرشاد، ووصل إلى خدمة الشيخ محمد الفتى، وعرض عليه إشكالاته، فحلها له، ويقال إنه: غسل أقدام الشيخ، وشرب ماءها، فانبسط الشيخ وأخذ رُطْباً ومضعه، وأخرجه من فيه، ووضع في فم المترجم، فلما ابتلعه، كشف له الحال، ووصل رتبة عليّة، ونصبه للإرشاد، وصار من جملة خلفائه^(١).

وأخذ عنه خلق كثير لا يحصون، في مشارق الأرض ومغاربها، منهم: ولده وخليفته من بعده أحمدُ أبو الوفا الآتي ذكره.

وكان على طريقة شيخه صائم الدهر، دائم العبادة، عالماً بالعلوم الظاهرة والباطنة، كاملاً مكملًا، مرشداً حقيقياً، بارعاً في علوم الطريق، وله آثار كثيرة وأخبار شهيرة، متداولة باليمن.

ورأيت بخطه - نفع الله به - ما نصه: أخبرني الشيخ الصالح نجم الدين ابن أحمد الفيومي المصري: أنه رأى في حال سِنَةٍ، يومَ عيد الفطر، سنةً سبع بعد الألف، كأن النبي ﷺ في محل قبره الكريم بارزاً، والنور يخرج من جميع

(١) وهذه الأفعال والأباطيل من سلوكيات أهل الطريق كما يدعون، التي يفخرون بها، وليس لها أصلٌ في كتابٍ أو سنة، نسأل الله السلامة والعصمة من هذه الخرافات.

أجزائه، ويخرج من صدره الكريم نورٌ له جرم، وحلق السبابة والإبهام، وقال: مقدار هذا.

قال: ورأيت ذلك ممتداً من محله، حتى اتصل بسيدي محمد العجل، وهو إذ ذاك في حال قراءة المولد والذكر بمسجده، وصار النور يدخل في صدره مستمراً على ذلك، ورأيت جمعاً من الأولياء ينالهم نور من ذلك، ولكنه صغير الجرم، ومثله الرائي بالخيط في مقتضى الجس.

قال: واستيقظت، والحال على ما هي؛ من اتصال نور النبي ﷺ بصدر سيدي الفقيه محمد، ودخوله فيه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. انتهى.

ويقال: إنه - نفع الله به - استمر نحو سنتين مرتاضاً، فكان في النهار يذهب إلى الهيجا، ويأتي بالليل إلى تربة جده الفقيه أحمد بن موسى العجيل، حتى ظهر له في ليلة، وأعطاه أصبعه فمصها، وأمره بالرجوع إلى البلد للتربية والإرشاد، ويقال أيضاً: إنه أناه في منامه، وقال له: لازم مطالعة كتب الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، ونحن ندافع عنك بالسيف والترس.

ولم تزل نسمات نفحاته عاطرة الأرج، وزجاجات وارداته ظاهرة الوهج، إلى أن أحب مولاه لقاءه، فأجاب داعيه ودرج، وبروحه اللطيفة إليه عرج، وكانت وفاته ظهر يوم الخميس، سابع شهر ربيع الثاني، سنة إحدى عشرة بعد الألف، ببلده بيت الفقيه ابن عجيل.

وبُني عليه قبة عظيمة، أمر ببنائها الوزير حسن باشا، وكان ختم بنائها يوم الخميس، رابع عشر شوال، سنة اثنتي عشرة وألف، وقبره درياق مجرب

لفضاء الحاجات، وقد منّ الله سبحانه عليّ بزيارته عام رحلتي إلى اليمن الميمون، سنة أربع وتسعين وألف، وكنت نازلاً ببيت حفيده شيخنا العارف بالله موسى بن أحمد بن محمد المترجم - أعاد الله عليّ من بركاتهم -؛ كما سيأتي ذلك في ترجمته.

والذُّولي - بضم الذال المعجمة -: نسبة إلى ذؤالة، وهي ناحية على نحو نصف يوم من زبيد، والعُجيل: تصغير العجل، وبنو عجيل بيتٌ علمٍ وصلاح، ورياسةٌ وسيادة، وشهرتهم تغني عن التعريف بهم.

وكان جدهم العارف بالله إبراهيم بن علي بن عمر، صاحبَ ماشية بين قومه من المغاربة، فأراد يوماً أن يسقي دوابه، فلم يمكنه؛ لكون الدلو لغيره، فذبح عجلًا، وفري جلده، وسقى دوابه، فكان قومه يقولون: صاحب العجيل، فلما كثر ذلك وعُرف به، حذفوا المضاف، وأقاموا المضاف إليه مقامه، فقالوا: عمر العجيل، واستمر ذلك في ذريته - نفع الله بهم - آمين.

[٣٩٢] محمد بن أحمد بن محمد^(١).

الشيخ المربي الجواد، السيد الشريف محب الدين الحصني الشافعي، ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان - رحمه الله تعالى - عالماً عاملاً، ورعاً متقشفاً، ملازمًا للاعتكاف بمسجد الحِصْنِيَّة، بحارة المزَار، بالشاغور البراني من دمشق.

وكان على إقامة مطبخ آبائه بخان الكشك، المقابل لخان ذي النون، بالقرب من قرية الخيارة خارج دمشق، معمرًا له بإصلاح الحلوى والطعام في

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٢).

كل عام لملاقاة الحاج، وكان سخيّاً لا يملك شيئاً، وكان يستدين ويطعم، حتى مات وعليه أموالٌ كثيرةٌ، فسومح بها بعد موته، وذلك ببركة سخائه وكرمه، وكانت وفاته يوم السبت، حادي عشر رمضان، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقيل في تاريخ وفاته:

إن الشريفَ محمدَ القطب الذي يدعى محبَّ الدين للأخرى انتقل
إن تسألوني أين حلَّ أرخوا (في وسط جنات النعيم قد نزل)
[٣٩٣] أبو المعالي درويش محمد بن أحمد بن محمود الطالوي الأم،
الرومي الأب، الحنفي الدمشقي^(١).

أحد أفراد الدنيا فضلاً وأدباً، وشعراً، وفصاحةً وبلاغةً، وأجلُّ الطالوين،
من ذرية الملوك الأرتقيين، الذين هم من المجد والملك بمكان مكين، وممن
جمع بين مهارة العلم، وغزارة الأدب، وصرف نقد أوقاته في طلب العلوم،
ولها اكتسب.

فهو مجمع البحرين، الجامع بين الفخرين، وكنز الهداية، ومعدن
الدراية، الذي أوصافه السنية تجل عن التعداد، وفصائله الجسيمة اشتهرت
في كل ناد وواد، وشهد ببراعة عبارته كل حاضر وباد، ريان الفضائل والعلوم،
بارع المنطوق والمفهوم.

ولد بدمشق سنة خمسين وتسعمائة تقريباً، وكان في أول أمره، على

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٣٩) (١٥٦)، وورد فيه اسمه: درويش بن محمد، «خلاصة الأثر» للمحيي (٢/ ١٤٩)، «ريحانة الألباء» للخفاجي (١/ ٥٣)، «عرف البشام» (٤٦) (١٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٩٧)، (٦٩).

طريقة أهله، يلبس لبس الجند، فنظر إليه الشهاب أحمد بن البدر الغزي، فتوسم فيه قابلية العلم، فجذبه إليه بلطف، حتى حُبب إليه طلبه، فلما طلب العلم، وذاق حلاوة الفضل، أشار إليه بترك زي الجنود، ولبس زي العلماء.

وأخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي، فحضر مجالسه في التفسير، بالتقوية، والجامع الأموي مدةً، مع ملازمة ولده شهاب الدين المذكور، وعن نجم الدين البهنسي خطيب دمشق ومفتيها، ثم بعد وفاته قرأ الفقه والمعاني والبيان على عماد الدين الحنفي.

وأخذ عن جماعة من فضلاء العجم الواردين إلى دمشق، منهم: المنلا محمد بن حسن المغاني، أنزله في مدرسة جده الأمير علي بن طالو الأرتقي، وقرأ التصوف، على ملا غياث الدين الشهير بمير محمد التبريزي، وأخذ عن سراج الدين التبريزي نزيل مكة، وصحبه برهةً لما قدم من مكة إلى دمشق. وأخذ خرقة التصوف عن محمد المناشري اليمني نزيل المدينة، وإمام مسجد قبائها.

ثم صحب الشيخ الإمام أبا الفتح محمد بن عبد السلام التونسي الخروبي المالكي نزيل دمشق، ولزمه مدةً مديدةً، واختص بصحبته، وسلك على طريقته، واستفاد من درر فوائده، وغرر عوائده، حتى صار من أجل تلامذته، فقرأ عليه الأدب، والرياضي والمنطق، والحكمة والتصوف، وغيرها، واكتسب منه فنوناً عديدة.

وكان يملي عليه لطائف الأسمار، ومحاسن الأخبار، مما يزري لطفه بفعل العقار، حتى صار أعجوبة في الكمال، ونادرة في محاسن الخلال،

وألف رسالةً في ترجمته سماها: «هدايا الكرام في أخبار محمد أبي الفتح ابن عبد السلام».

ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن شيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الرملي، وخاتمة الحُساب والفرضيين عبدالله الشنشوري، قرأ عليه «شرحه على الرحبية»، وكتاب «النزهة في الحساب» وبعض «شرح الترتيب» له، وغيرها، وأجازه بمروياته.

وقرأ على الجامع بين الشريعة والحقيقة، والحاوي للعلوم الرقيقة والدقيقة، خاتمة الحنفية بالديار المصرية، علي بن غانم المقدسي، طائفةً من «صحيح البخاري»، وبعض «صحيح مسلم»، ونبذةً من كتاب «الهداية» لأبي الحسين علي بن عبد الجليل المرغيناني، مع مراجعة شرحها للكمال ابن الهمام، وكثيراً من كتاب «كنز الدقائق» لأبي البركات حافظ الدين النسفي، مع المباحثة في شروحه، وجملة من كتاب «المنار في أصول الفقه» للنسفي أيضاً، وأجازه بمروياته، سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، في إجازةٍ طويلةٍ كتبها له، ذكرها في كتابه «السانحات»، وقال فيها: إنه شرف مجالسه بالحضور.

وأخذ عن شيخ الإسلام محمد النحراوي البصير الحنفي غالبَ الكتب التي ذكرناها، و«مجمع البحرين» لابن الساعاتي، وبعض «مغني اللبيب» لابن هشام، و«حاشيته للدماميني»، و«حاشيته للشمني»^(١)، وأخذ عن العلامة البدر القرافي، وأجازه.

وأخذ عن الشيخ الرئيس داود الحكيم أنواع الكتب العلمية، وأصناف

(١) في الأصل: للسمني.

المؤلفات الحكمية، في الأقسام الطبيعية، والفلسفية الإلهية، وما صنف في ذلك من الكتب المعتمدة، والرسائل المحررة، ودون في نوعي الحكمة المشائية والإشراقية، لم تأهلي حكماء الإسلام، ومتأخري فضلاء الأنام، وسائر العلوم، من منشور ومنظوم، سيما الفنون الأدبية، وما ينحاز إلى ذلك من الدواوين الشعرية، وتواريخ الأمم السالفة، التالدة والطارفة، وكتب السير والمناقب والأخبار، وظرائف النكت من المقاطيع والأشعار؛ ككتاب «رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا» للحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل، أبي القاسم سلمة بن أحمد المجريطي، يشتمل على إحدى وخمسين رسالة، في فنون شتى.

وكتابه الموسوم أحدهما «برتبة الحكيم»، والآخر «بعناية الحكيم»، ومن كتب الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا «كتاب الشفا»، و«القانون» و«النجاة»، و«الحكمة الشرفية»، و«كتاب التعليقات»، و«رسالة الأجرام السماوية»، و«الرسالة التبريزية»، كتب بها لبعض سلاطين عصره، و«الرسالة العلائية» التي كتبها لعلاء الدولة بالفارسية، وما شاكل ذلك من الكتب والرسائل، وكتاب «الإشارات» الذي هو آخر تصانيفه، مع شرحه للمحقق نصير الدين الطوسي، والإمام الفخر الرازي، والمحاکمات بين الشرحين للعلامة قطب الدين الرازي، وحواشيه لسيد المحققين الشريف الجرجاني.

ومن كتب الشيخ المقتول شهاب الدين السهروردي، على طريقة المشائين: «المسارح والمطارحات»، وكتاب «التلويحات مع شرحه» للفاضل هبة الله بن كمونة البغدادي، وكتاب «الألواح العمادية» سلك فيه طريقة وسطى بين الحكميتين، صنفه للملك العادل عماد الدين بن داود بن أرتق، ومن

كتبه على الطريقة الأخرى: كتاب «الرموز اللاهوتية»، و«الإشراق مع شرحه» لأفضل الحكماء المتألهين قطب الدين محمود بن مصلح العلامة الشيرازي، وما ضاهى ذلك من رسائله؛ «كالهياكل النورانية وشرحها» للمحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني.

ومن كتب الأدب، كتاب «الغرر والدرر» للشريف المرتضى، وكتاب «نهج البلاغة» لأخيه الشريف الرضي، مع شرحه للعلامة عز الدين بن أبي الحديد الكرخي المدائني، و«القصائد السبع العلويات» له في مدح أمير المؤمنين، ويعسوب الموحدين، علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه في الجنة -، وشرحها لبعض العلويين.

ومن دواوين الشعر: «ديوان الحكيم الأديب والفيلسوف الأريب محمد ابن هانيء الأندلسي»، و«ديوان سقط الزند» للشيخ العلامة أبي العلاء أحمد ابن سليمان المعري، مع شرحه لتلميذه أبي يحيى زكريا الخطيب التبريزي، وشرحه المسمى بـ: «ضرام السقط» للقاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي، الملقب بصدر الأفاضل، وشرحه للعلامة محمد ابن السيد البطلئوسي الأندلسي.

ومن التواريخ: كتاب «العقد» لابن عبد ربه، وكتاب «المسالك والممالك» لابن فضل الله العمري، وكتاب «الملل والنحل» لمحمد الشهرستاني، وابن كمونة البغدادي، وما جمعه ابن خلدون، ونحو ذلك.

ومن كتب المناقب: «مطالب السؤل في مناقب آل الرسول» لمحمد بن طلحة القرشي العدوي النصيبي، وما ألف الحافظ زين الدين عبد الرحمن

ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي في هذا المعنى ، وكذلك ما صنعه في مناقب آل البيت الخطيب المدني الشهير بالزرندي الأنصاري ، وما دونه الفاضل شمس الدين محمد بن يوسف المعروف بالكنجي ، وسماه : «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» رتبه على مائة باب .

ومن غرر القصائد في مدح أهل البيت قصيدة دُغِبِلَ الخزاعي التي مطلعها :

مدارسُ آياتٍ خلّت عن تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٍ مقفّرُ العَرَصاتِ
وهي إحدى وستون بيتاً .

والقصيدة الدالية ليحيى بن سلامة الحصكفي التي أولها :

أقوتُ مغانيهم فأقوى الجسدُ ربعانٍ كلُّ بعدٍ سلمى فدَفَدُ
وعدة أبياتها ثمانية وخمسون بيتاً ، وهي من أرق الشعر لفظاً ومعنى ،
وأرشق القريض عروضاً ووزناً ، إلى غير ذلك .
وأجازه بمروياته وسائر مؤلفاته .

وأخذ بغزة هاشم عن شيخ الإسلام محمد بن محمد بن محمد الخطيب التمرتاشي الحنفي ، وأجازه بما يجوز له روايته ، وبمؤلفه في الفقه الذي سماه :
«تنوير الأبصار وشرحه» .

وقرظ له غالب مشايخ مصر على رسالته التي ألفها في شأن سلفه أهل طالو ، الذين شادوا في رتب العلى وطالوا ، وأثنوا عليه ، وشهدوا له بالتقدم في العلوم ، وأن له فيها المقام المعلوم .

وتكرر شعره^(١) إلى البلاد الرومية، ودار الخلافة السنية، قسطنطينية المحمية، وانتظم في سلك علمائها، وقارن فيها بدور سمائها، ومدح من بها من الموالي العظام بأنواع المدائح، مما لا تسمح بمثله القرائح، قبل أن تأفل من سمائها تلك الشمس الطوالع، وتغيب بدورها عن هاتيك المنازل والمطالع، وتستتر بيد المحاق غرر أقمارها، وتظلم جيوب الآفاق بمحو أنوارها.

وما ذاك إلا بأنه رأس من كان فيها من أساطين علمائها، وأفاضل مواليتها، وانتقاص أرضهم من أطرافها، بموت أولئك الرؤساء من أشرافها في ناديها، في زمان لم يكن في القصر إلا لمح البصر، أو لطرفة عين، حتى صاروا أثراً بعد عين، كما قال القائل:

جرت الرياح على ممر ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
وقال:

أتى على القوم أمراً لا مَرَدَّ له حتى قَضَوْا وكأنَّ القومَ ما كانوا
وصارَ ما كان من علمٍ ومن أدبٍ كما حكى عن خيالِ الطيفِ وسنانُ

ثم رجع إلى دمشق، وولي تدريس الخاتونية داخل دمشق، ثم اتصل بخدمة قاضي القضاة محمد بن بستان، حين كان قاضياً بدمشق، وناب عنه، ثم دخل معه القسطنطينية، وتنقل في المدارس نحواً من ثلاثين سنة، حتى بلغ طريقة المولوية، على أسلوب أقرانه من الموالي الرومية.

(١) في الأصل: «شعره»، ولعل الصواب: «سفره»؛ ليستقيم المعنى، والله أعلم.

ثم عاد إلى دمشق مسقط رأسه، سنة تسع وتسعين وتسعمائة، وصحبه بها جماعة من أصحابه القدماء وغيرهم.

ومن لطيف ما دار بينه وبين الشيخ حسن البوريني من المذاكرة: أن الشيخ حسن نقل عن الشيخ الطيبي بيته المشهور:

ولا تضاف شهراً إلى اسم شهرٍ إلا الذي أوله الرأ فأدر
فمر بهم في المطالعة في حواشي «الكشاف» للسعد: أن إضافة لفظ شهر
إلى رجب ممتنع، فقال الطالوي: ينبغي أن يستثنى ذلك مما يقتضيه كلام
الطيبي، فقال له البوريني: تفضلوا بنظم، فقال الطالوي:

إلا الأصم فهو فيه ممتنع.

فقال البوريني مجيزاً:

لأنه فيما رَووه ما سُمع.

وبهذا علل السعد المنع.

ثم سافر إلى الروم، ولم يزل يحل ويرتحل، ويبرود العز يشتمل، حتى وصل إلى دمشق سنة ثلاث عشرة وألف، متولياً تدريس السليمانية، وإفتاء الحنفية بها، وتوفي يوم الأربعاء، ختام رمضان، سنة أربع عشرة بعد الألف، وصلى عليه بالجامع الأموي إماماً بالناس، المولى نيالي أفندي، قاضي دمشق إذ ذاك، ودفن بمقبرة باب الصغير، عن نحو سبعين سنة.

وبالجملة: فإنه كان غرة جبهة الدهر، وهالة طلعة البدر، شمائله أرق من النسيم، وأنفاسه شفاء كل سقيم، وله شعرٌ بديعٌ رائعٌ، ونثرٌ حسنٌ فائقٌ، ينحو فيه نحو المتنبي والرضي ومهيار، ولا يقصر عن جزالة شعر حسان

ويشار، وكان إذا مدح، أبدع، وإذا رثى، تفجع، رأيت ديوان أدبه بخطه، فأجلتُ فيه طرف الطرف، فوجدته ظرفاً ملئاً من الطرف، ووعاءٌ اشتمل على اللطف، ونقلت منه ما عز وندر، من غرائب نفائس الدرر.

ثم اطلعت على كتابه «سانحات زي القصر في مطارحات بني العصر»، فرأيت ألفاظه اللطيفة من المعاني في بحر، وهو كتاب جمع فيه ما دار بينه وبين فضلاء عصره وأدبائه، من المكاتبات الفائقة، والمراسلات الرائقة، بالديار الرومية والشامية، والقاهرة المعزية.

وافتحته بترجمة شيخه أبي الفتح بن عبد السلام المالكي، ونقلت منه ما لذ وطاب، وحسُن عند أهل الخطاب.

فمن فوائده المنظومة، ونوافج مسكه المختومة، التي تغار منها درر الأسلاك، وتغور لحسنها درراي الأفلاك: ما كتب به من دمشق، إلى صديقه العلامة موسى بن شهاب الدين السيوري الخشابي، وهو مجاورٌ بمكة، سنة سبع وسبعين وتسعمائة، قوله:

سلوا الركبَ عن صبٍّ بأعتابكم مُلقَى	وعن مدّمع فيكم مدى الدهر لا يرقى
ولا تسألوا غيرَ المطايا فإنها	تُخَبِّركم عن شرح حالي وما ألقى
ألا فاسألوا عن مغرمٍ كيف حاله	حليف عني يشكو الصبابة والعشقا
يحنُّ إليكم كلُّما هبتِ الصُّبا	سُحَيراً ويصبو كلُّما صدحت وَرْقا
ويطرب من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ	وعيشٍ تقضى مَعَكُمْ يانعا طَلقا
معنى بكم لو رامَ إظهارَ بعضٍ ما	يحنُّ ^(١) من الأشواق لم يستطع نطقا

(١) كذا في الأصل، ولعلها: يُجِنُّ.

ومنها:

إذا ما جرى والريح في حلبة الضنى	لفرطٍ نحولٍ مسَّه أحرزَ السبقا
بذوب جوى حتى إذا عن ذكركم	جرى دمعُه في خده يُخجل الورقا
أيا نازلي سفح المحصب من منى	ويا زائري البيت الحرام ألا رفقا
فبي منكم داءٌ بقلبي حبُّه	وسورةُ أشجانٍ معي أبداً تبقى
أحبابنا إن شئتنا يدُ النوى	وأبدتُ صروفُ الدهر فرقتنا حقاً
فإني على ما تعهدون وحقكم	ولم أبغ يوماً من ولائكم عتقا

ومنها:

سقى الله أكنافَ الحجازِ وأهله	لقد صرتُ في حكم الغرام لهم رقاً
وخصَّ كرامَ الناس في خيرِ بلدةٍ	وحياً الحيا عني سويقةً والفلقا
إله الورى إني دعوتك ضارعاً	بخير الورى المختارِ أفصحهم نطقا
تجمُّعنا عمّا قريبٍ فإننا	أضرَّ بنا طولُ البعاد وما نلقى
عليكم سلامُ الله ما هامَ عاشقٌ	وشامَ معني الحزن من نحوكم برقا

ومنه: ما كتبه إلى قاضي صفد صالح بن محمد الكوراني، سنة خمس
وثمانين وتسعمائة، مضمناً شطر مطلع لأبي الطيب:

جوانحنا شوقاً إليكم جوانحُ	والبائنا تصبو لكم والجوارحُ
ومغناكم مغنى الهوى ياشقى الهوى	وأيامه غادٍ من المزن رائحُ
وخصَّ الصبا حيثُ الشبيبةُ أيكهُ	بأغصانها وزقُ الأمانى صوادحُ

وحيث الحمى روضٌ لطارح^(١) أهله
معاهدٌ أحبابي ومربى مآربي
وإذا مامن حسانة الجيد ناعماً
متى ابتسمت عن ذي لَمَى قلتُ منشداً

ومنه قوله :

بين سقطِ اللوى ومعطفٍ بانه
ظبياتٌ عندَ الطلا قاصراتُ الطُ
ناظرات عن نرجسِ الروضِ غَضٌّ
مشرقاتُ الوجوه أقمارُ حسنٍ
كلُّ خمصانةٍ الوشاحِ ثَنَّةُ
وبأجاديها من اللؤلؤ الرطُ

وقوله :

قد كساها الشبابُ ديباجَ وشيٍ
فهى تهتزُّ فيه حسناً وفي
ليَ فيهن مائسُ العُطفِ أَلَمَى
كالقضيبي الرطبِ يعلوه بدرُ
يرتقي حبه الفؤاد بديلاً

أحاديثُ أشجاني بهم وتطارحُ
وأوطانُ أوطاري إذ العيشُ صالحُ
أغادي الهوى فرطَ الصبا وأراوحُ
بأدنى ابتسام منك تحيا القرائحُ

وأثيلاتٍ ملتقى كئبانِه
طُرف ترنو بأوطفٍ وسنانِه
باسماتِ الثغور عن أُحوانِه
مخجلاتُ البدرِ في عنفوانِه
عقدُ درٍّ مفصلٌ بجمانِه
ب عقودٍ نُظْمَن في مرْجانِه

جلت وردَ الخدودِ من أرجوانِه
آخر تحكي الرياض عن ألوانِه
ناعسُ الطرف ندَّ عن غزلانِه
فوق دُعصٍ من الظبا ريانِه
عن مريّر الأراكِ في أغصانِه

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : أطارحُ .

وقوله :

عن حماه واستكفٍ وقعَ سنانِه	لا تَسَمُّهُ سرحَ اللحاظِ وذُدُّهُ
لفتةَ الريمِ في مِربعِ بانِه	وتجنبْ مراتعَ الظبيِ واحذرْ
قطُّ يوماً واسألهُ حفظَ أمانِه	لا تعرْ نظرةً لساحرٍ طرفِ
مُ بسحرِ اللحاظِ من أجفانِه	قد رماني من بينها ذلك الريمُ
كاملٍ فيه جلٌّ عن نقصانِه	ملكَ القلبِ فهو سلطانُ حسنِ
صِرْنِ مثلَ الكُرَاتِ في صَوْلجانِه	فقلوبُ العشاقِ بين يديه

وقوله :

فجفاني ولجَّ في هجرانِه	لم يزلْ بي حتى تملَّكَ لُبِّي
وهو لاهٍ عني برفعةٍ شأنِه	أنا واللهِ هالكٌ من جَفاءِ
هـ بآسِ العِذارِ من ريحانِه	والذي حَفَّ يانِعاً وردَ خديـ
رَصَّعَ الدرَّ منه في عِقبانِه	وأمالَ الرُّضابَ راحاً بثغرِ
أسرفَ في ظلمِه وفي عدوانِه	لا أظعتُ الوشاةَ فيه ولو
هو قطبُ الأوانِ سعدُ زمانِه	غيرَ أني أشكو جفاهُ لمولِي
غيثُها المرتجى ندى إحسانِه	الإمامُ الجليلُ غوثُ البرايا

وقوله :

من بغربي سنانِه ولسانِه	ناصرُ الحقِّ والشريعةِ والديـ
وابلُ القطرِ من ندى هَتَّانِه	ذو سجايا مثلِ الرياضِ سقاها
في يديه تدفقتُ من بَنانِه	بحرُ جودٍ له جداولُ عشرُ

عالمٌ عاملٌ تقيُّ نقيُّ
سار في الخافقين ذكرُ علاه
فائضُ العلم عن رويةِ فكرٍ
ثاقبُ الفهم كم خبايا علومٍ
بسنا منطقٍ فصاحةٍ قُسُ
فهو كشافُ مشكلاتٍ معانٍ
ومنه قوله :

خاشعٌ للإله في رضوانه
وعلا قدره على كيوانه
كاد يجلو سرَّ القضا لعيانه
قد جلاها بالكشفِ عن برهانه
عنده باقلٌ لدى سخبانه
حلَّى ألفاظه بديعُ بيانه

أيها السعدُ قد سموتَ محلاً
كيف يتلو المقالُ آيةَ وصفٍ
فلماذا قلت والحديثُ شجونُ
أنت عينُ الوجودِ من أعيانه
وأرى أنك المرادُ من الكو
علمَ الله كيفَ فأعطانا
ظُلَّه الوارفُ الظلالِ مرادُ
وقوله :

قصرَ المدحُ عن بلوغِ رعانه
لك جاءت في الذكر من قرآنه
فاستمع منه فيك بعضُ حسانه
بل محلُّ الإبصار من إنسانه
نِ وقصدُ المحيطِ من دورانه
ك المحلُّ الجليل من سلطانه
الحقُّ مجلِّي الوجودِ من أكوانه

قرن الله ملكه بك سعداً
حطت أركانه بحزمٍ وعزمٍ
كاد لولاك ركنه يتداعى

فلكأ دائراً بسعدِ قرانه
قد أقاما الميَّاد من بُنيانه
لا تداعى وشدَّت من أركانه

ما يراه أولو النهى غير جسم
ورآك العبادُ من نعم اللـ
أنت روحُ الحياة في جثمانه
ـه عليه وطُوله وامتدانه

وقوله:

إيه سعدَ الورى لعلك تصغي
عبدك الطالويّ من قيل فيه
نحو وَصَافٍ مدحكم حَسَّانَه
شاعرُ العصر بحترِيّ زمانَه
كالدراريّ يُخجلُن درَّ عُمانَه
سرنَ في الخافقين مع ركبانه
فهي حلِيّ الزمان في جيده العا
طلِ باقيّ والشفُ في آذانه

وقوله:

أنت سعدُ الورى ونيرها الأعـ
عجبَ القوم من سناك وقد أشـ
ظمُ والسرُّ شَفَّ عن كتمانَه
رقَ هذا الوجودُ من لمعانَه
وأضاء الأكوان شرقاً وغرباً
ما توارى أستغفرُ الله ضناً
وتوارى عن منزلي ولمعانَه
بل لحظ ما زال في حرمانَه

وقوله:

فعمسى نظرةً من السعد تُدني
دمتَ للعالمين سعدَ البرايا
عينَ حرمانه إلى رحمانَه
باهرَ الفضل في علو مكانَه

ومن مشهور شعره وبديعه: القصيدة الرائية، التي كتبها من الديار الرومية،
سنة إحدى وألف، إلى دمشق الشام، لا أغبها صوب الغمام، متشوقاً لسكانها

من الفضلاء، وحماة ساحتها من الأمراء، ومشايخها الصوفية الكبراء، وهي قوله:

بالعهد من زمن السرورِ	أنسيمةً الروضِ المطيرِ
بِوعيشه الغضُّ النضيرِ	وأنيقِ أيامِ الشبا
بي يا لمعهدِها الخطيرِ	ووثيقِ أيامِ التصا
بُوشرخه فيها سميري	ومعاهدِ كان الشبا
داعي الصباحِ المستيرِ	هومتُ فيه فصاحَ بي
أعقابِ برقِ مستيرِ	فطفقتُ أنظرُ منه في

وقوله:

بع فيه حسانَ البدورِ	قد كان حسانُ المرا
ريانُ من ماء الغرورِ	أيامَ غصنُ شيبتي
غَنَاءُ صافية الغديرِ	حيثُ الشيبية روضةُ
ةُ الرودُ من ريمِ الخدورِ	... ^(١) رائدها المها
كأخي الرشا أختِ الغريرِ	من كل مخطّفة الحشا

ومنها:

أبهى من القمرِ المنيرِ	طلعتْ بليلاً ذوائبِ
تب والنحور من الثغورِ	بيضاء وشّحتِ الترا

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

ركسا معاففها الشباب
 نمشي أناة الخطوف في
 قويت على قتلي وفي
 وبما جرى يوم النوى
 كالعقد أسلمة النظا
 وبوقفة التوديع والـ
 ومنها:

ويدُ الفراق تشبُّ في الـ
 ألا سريت مع الصَّبا
 فاجتزت من أرض العراق على الخور
 ووقفت بالزوراء وقـ
 وحملت للكرخ التحيـ
 ونزلت من نهر الأبلـ
 وأقيمت في شطِّ الفرا
 وسمعت هينمة الريا
 ومنها:

وجدت في تلك الحدا
 حفت بسرو كالقيا
 ولثمت خدَّ الروض فيـ
 ثقي طوق ساجعة الهدير
 ن تلفعت خضر الحرير
 ه نبات ربحان طير

وثنيت عطفك والصبأ
 وأتيت بابلَ فاصطحبـ
 يغنيك متهمـ ومنـ
 حُ يكاد يُؤذَنُ بالسفور
 تِ بمثلِ مصباحٍ منيرِ
 جدـ سناها عن خفيرِ

ومنها:

ثم انبريت مع الجنو
 حتى نزلتِ بذِي الأرا
 فسقطتِ من أرض الخزا
 وشملتِ من طفلِ العشيـ
 وطلعتِ نجداً والـدجى
 ب وحذتِ عن مَسرى الدُّبورِ
 كـة أو رثيتِ على ثبيرِ
 مى والبشام على الخبيرِ
 ية نفحةً عند المـرورِ
 ينيل من أثوابِ قيرِ

وقوله:

ومشيت فوقَ عرارِهِ
 وهبطتِ غورَ تهاـمةٍ
 ونزلتِ في سفح الأرا
 وسلكتِ من وادي العقيرِ
 وأملتِ فيه ذوائبَ الـ
 وهـصرتِ بانـاتِ النُّقا
 ما بين خردانٍ وخيرِ
 والشهبُ مالتِ للغويرِ
 كِ وسفتِ راهبةَ البريرِ
 قِ منابتِ العممِ الشكيرِ
 أغصان من طلحِ نضيرِ
 هـصرَ الروادفِ للـخـصورِ

ومنها:

فحملتِ عنها من غوا
 لي المسك فاغمة الزهورِ

ر وسمتِ عاليه العبيرِ	وعبرتِ دارين العطا
وانثيتِ مع البكورِ	وازددتِ من أرجِ الكبا
سلاً ورنده عند المسيرِ	وجرعتِ وادي الشخر ليد
كالوحي يخطرُ في الضميرِ	والصبحُ يخطرُ في الدجى
خوفَ الصباح لدى الوكورِ	والنسرُ فيه واقِعُ
سكةُ الأعنة عن مسيرِ	وكواكبُ الجوزاء ممـ

ومنها:

سيفاً من الشعرى العَبورِ	خافت سُهيلاً فانتضتْ
بِ كأنه كفُ المشيرِ	والنجمُ يهوي للغرو
رِ اللهوِ بل مغنى السرورِ	فهبطتُ ربعَ الشامِ دا
دَسِ شاطئاً غير الشطيرِ	ونزلتُ بالوادي المقَّد
دي النيرينِ على الصخورِ	وخطوتُ من بطحاءِ وا
ما بينَ روضِ أو غديرِ	ووقفتُ في تلك الربي

ومنها:

ر بها السلامَ بلا قصورِ	وقرأتُ سكانَ القصورِ
م مفيدِ أربابِ الصدورِ	لا سيما شيخِ العلو
ية شيخِ جامعها الكبيرِ	شمسِ الهدايةِ والدر
غة عمدةِ الفتحِ القديرِ	كشافِ أسرارِ البلا
سني المقتفى كنز الفقيرِ	مُعلي منارِ الشرعِ مغـ

ومنها:

ورئيسها قاضي جما	عتها المحكم في الأمور
الفاضل اللسن المفو	وه والمنزّه عن نظير
أعني به القاضي محب	ب الدين ذا الرأي المنير
مولي أراع براعة	قلب الطروس مع السطور
بيديع وشي محجل	وشي البديع أو الحريري
وأبي الضيا حسن	خليفة الفضل والأدب الغزير

ومنها:

عجباله فاق الأوا	ئل وهو في الزمن الأخير
أدب يروقك مثل زهـ	ر الروض غب حيا مطير
وجناب سامي القدر عبـ	د الحي ذي الفضل الشهير
والأكرمي الأريحيـ	ي الألمعي أبي السرور
ومشيدي أركانها	أمراء معلّمها الخطير

ومنها:

منهم جناب الطالوي	ي سليل أرتق ذي السرير
في السلم كالغيث المطير	ر والحرب كالليث الهصور
محيي مكارم حاتم	بين الأنعام بلا نكير
وعلي المصري كهـ	ف الجود أمن المستجير
والمنجكي محمد السنـ	سامي على الفلك الأثير

ومنها:

فهو الأمير ابن الأمير	ر ابن الأمير ابن الأمير
وشيوخها البدلاء أهـ	ل الكشف حقاً والحضور
وأئمة العرفان منـ	هم شيخنا موسى الشُّور
والشيخ ناصر عامر الـ	أوقات بالذكر الجَهير
ذكرتهم الأنواء ذكـ	رى بالعشايا والبُكور
وكساهم خلع الشبا	ب الروق مقتبل الدهور

وهي عروض قصيدة الرضي التي أولها:

نطق اللسان عن الضمير والبشرُ عنوانُ السرور

وعروض قصيدة المنخل ؛ كما في «حماسة أبي تمام»، التي مطلعها:

إن كنتِ عاذلتِ فسيري نحوَ الحجازِ ولا تجوري

ولإبراهيم بن المدبر قصيدةٌ على هذا الرويِّ، في مدح المتوكل:

يومُ أتانا بالسرور	والحمدُ لله الكبير
أخلصتُ فيه شكره	ووفيتُ فيه بالندور

منها:

البدْرُ ينطق بيننا	أم جعفرٌ فوق السرير
فلذا تواترتِ العظا	ثمُ كنتَ منقطعَ النظر

وللأديب العلامة عبد البر بن عبد القادر الفيومي، صاحب كتاب «منتزه

العيون والألّباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب» قصيدة على هذا البحر،
مطلعها:

يا روضة السفح الخضير هل فيك من غصنٍ نضير
ومن شعره يذكر جامعَ يلبغا، تحت قلعة دمشق الشام، وهو من محاسنها،
والقصيدة في نفس الأمر مدح لدمشق، ويرثي شيخه أبا الفتح المالكي:

ألم بساحة يلبغا مهما انبرت	منك الهموم ومل إلى شبّاك
واستجل روضاً من سماء زمرد	طلعت نجوم الزهر في أفلاك
ينساب فيه كالمجرة جدول	حسباًؤه كالدّر في أسلاك
حاكت له الأنوار من حليل البها	وشياً يحار الطرف في إدراك
ورسا النسيم بساحته كما رست	طير قديم الشجر فوق أراك

ومنها:

ما بين شحور كراهب بيعة	قد رتب الإنجيل في أحلاك
وغناء قمري وسجع حمامة	ورجيع سن مولع بشباك
وخير نهر من لجين ماؤه	ذهب الأصيل جرى خلال حباك
ذو شاطئ لو قد رأى رفاقه	نهر الأبلّة فاض وسط نباك
حفّت بوادر بأسه أرجاءه	حتى ثوث منه مكان مساك
يسقون فيه على التصابي قهوة	كالمندل الشحري غب مذاك
من كف ساجي الطرف مهما أن رنا	أسر الفؤاد فعاد في أشراك
ولكنم جلوت به الهموم وصحبتني	شيخ علوم الشرع تحت ملاك

ومنها:

كانت على الأيام منه بهجةً ونضارةً بقيت بُعيدَ هلاكه
فسقى إلهُ العرشِ تُرباً غيبتُ تلكَ العلومَ بيدِ نو أسماكه
وغدتُ تحايا الربِّ كلَّ عشيةٍ تُهدى إليه على يدي أملاكه

وله من قصيدة وهو بالروم يتشوق لوطنه قوله:

على الشامِ مني كلما هبتِ الصَّبا سلامٌ كنشرِ الروضِ طابَ له نشرُ
بلادُ كأنفاسِ الشَّمولِ شماليها وتربُّتها مسكٌ وحصباؤها دُرُ
سقاها وحيَّاهُ الإلهُ معاهداً سحابَ دنو العهدِ وافى به البشرُ
فيا حبَّها زدني جَوَى كلِّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعِدُك الحشرُ

وله يستدعي بعض أصدقائه إلى منزله، في بعض الأيام:

قد غازلَ النسرِينُ لحظَ النرجسِ في مجلسٍ سقي الحيا من مجلسِ
يرنو إليه كما رنتُ من خشيةِ الرِّزِّ رقباءٍ غيَّدُ عن لحاظِ نَعْسِ
والوردُ أخجلَه الحيا فكأنه خَدُّ تورَّدَ من لهيبِ تنفُسِ
في فتيةٍ نشرتُ حداثقَ بردها فزهت على زُهرِ الجواري الكُنسِ

ومنها:

دارتُ سُلَافُ الذكرِ منك عليهمُ فغدت تمايلُ كالغصونِ المُيسِ
ترجو قدومَكَ كي يتمَّ سرورها وتقرَّ عيناً يا حياةَ الأنفُسِ
لا زالَ وردُك يانعاً في روضةٍ وشبابُك الفتانُ زاهي الملبسِ

ما غردت وُزُقْ بأعلى أيكِ
في روضةٍ كسيتَ مطارفَ سندسٍ
ومما كتبه إلى الشمس الصالحى، معاتباً له عن قولٍ بلغه عنه :

قسماً بطرة كلِّ بدر زاهرٍ	وبطلعةِ القمرِ المنيرِ الزاهرِ
وبفترةِ الأجفانِ ترشق في الحشا	شهمَ المنية عن لحاظٍ جاذرٍ
وبكلِّ هيفاءِ القوامِ إذا بدتْ	أزرتْ بحوطِ نقا الرياضِ الناضرِ
من كلِّ خَوْدٍ وازنتِ شمسَ الضحى	غيداءَ تهزأً بالغزالِ النافرِ
ربَّنا المُخلخلِ ذاتِ قَدْ ناعمٍ	غرثى وشاحِ ذاتِ طرفٍ فاترٍ
رُعبوبةٍ تختال من مَرَحِ الصُّبا	كخميلةٍ بالروضِ ذاتِ أزاهرٍ
لا بل بعزمٍ كالحسامِ الباترِ	وبثبتِ عزمٍ للأعادي قاهرٍ

ومنها :

وبهمةٍ هامَ المجرةِ قد علتْ	فسمتْ على سرِّ السماكِ الظاهرِ
وبطارفِ الشرفِ الرفيعِ محله	وبتالدِ الحسبِ المنيعِ الطاهرِ
لأنَّ الكمِّيَّ الثبتُ في الهيجا إذا	شنتْ لي الحسادُ غارةً ناثِرِ
من كلِّ مَنْ لم أرضه خِلاً ولم	أعدُّه يوماً من سَراةِ منابرِ
أسدٌ عليّ وفي الحروبِ نعامه	فتخاءُ تنفر من صَفيرِ الصافرِ
زعمَ العدوُّ بأنني متنحلٌّ	ما قلته يا ويحه من جائرِ

ومنها :

إن شئتُ وشئتُ القريضَ بمدحه	ووصفتهُ ونعتُّه بمآثرِ
-----------------------------	------------------------

من كل قافية إذا ما أنشدت
حتى يرى أني امرؤ من إمرة
لكن لي جرثومة قد أسبلت
ومنها:

يا فاضلاً قادت لنا أفكاره
حليت جيد الدهر عقد فرائد
بقائد طنانة ما غادرت
خُذْهَا إِلَيْكَ أَرْقَ مِنْ مَرِّ الصَّبَا
تعدو على سخبان تسحب ذيلها
وكن الضنين بها فإن محلها
لا زلت ربعاً بالفضائل عامراً
مانح قمرئي بروض زاهر
فأجابه الصالح بقوله:

أسماء زهر أم رياض أزاهر
مبلولة الأذيال تستبدي شذا
أم درة مكنونة ما ثقلت
أم بنت فكر بالحياء تلفعت
منه:

مذ غارلتنى من جفون نواظر
ونضت نقاباً عن جبين زاهر

غَضِيتُ طرفي خوفَ بارقٍ ثغرِها من أن يمرَّ كلمحٍ لحظٍ باهرٍ
سأيرتُها والنجمُ في آفاقِها يرنو بطرفٍ للنديمِ السامرِ
وتلت حديثاً كالأمانِ لخائفٍ وألذُّ من غَفَلاتِ عينِ الساهرِ

وقال:

أكرمُ بها من عادةٍ فتانةٍ لو لم تشبُ ودِّي بصدِّ الهاجرِ
فطمْتُ ولائي والمعارفُ نُكُرت يا فاطمَ الذكري لعاهدٍ غابرِ
وأنتَ تعرِّفنا بأن مقالِها فوقَ السماكِ وفوقَ نسرٍ طائرِ
وتقولُ نظمي فوقَ نظمِ الحاجري وكذا جريرٌ في العديدِ الآخرِ
شاهدتها فالرعدُ في أرجائها يحدو فخاراً كالسَّخاءِ الباهرِ
والبرقُ مني حينَ قابلَ رعدَها أندى انسياباً من حديثِ الفاخرِ
واريتَ تضميناً لبيتِ سائرِ ففهمت معنى من صفيهِ الصافرِ

وقال:

من ذا يبارز في الحروب غزاةً فافهمُ أخي كحسنِ قصدِ الشاعرِ
ما^(١) راعني في النظم إلا قولُها شئتُ لي الحسادُ غارةً ثائرِ
يا ليتَ شعري والحوادثُ جمّةٌ والدهرُ يُيدي كلَّ أمرٍ نادرِ
ماذا ترى الحسادُ حتى يحسدوا ابنَ السراةِ المنتمينَ لكابرِ

(١) في الأصل: فما، الصواب ما أثبت؛ ليستقيم الوزن.

نَعَسَ الَّذِي يَرْجُو الْوَفَا مِنْ أَمْرِ
فَدَعَ التَّفَاخَرَ وَالْقَرِيضَ لِمَعْشَرٍ
بَرَقَتْ غَمَائِمُهُمْ لَغِيثٍ مَاطِرٍ
لَكِنْ هَذَا النِّظْمَ يَصْلَحُ لِلَّذِي

ومنها:

وَأَرَى مَصَارِيعاً بِخَطِّكَ عُلِقَتْ
غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمَعْدَبُ فِيكُمْ
بِأَهْذِهِ لَا تَحْسِبِي هَذَا الْجَفَا
أَنْتَ الْعُذِيبُ وَإِنْ مَضَى ذَاكَ النِّقَا
وَسَكَنْتَ عِنْدِي فِي سَوَادِ النَّاطِرِ

ومنها:

بِأَفْضَلًا سَحَّتْ سَحَابُ بَنَانِهِ
خَذَهَا إِلَيْكَ وَنَظَمَهَا فِي لَيْلَةٍ
كَالسَيْفِ يَضْحَكُ وَالْحَتُوفُ بِحَدِّهِ
لَا زَلَّتْ أَفْقاً بِالدَّرَارِيِّ نَيْراً
مَا اعْتَلَّتِ النِّسَمَاتُ مِنْ نَوْمَاتِهَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
مَا غَنَّتِ الْعِشَاقُ فِي رَكْبٍ وَمَا

أَوْ مَا رَأَى فَلَكَ الزَّمَانِ الدَّائِرِ
إِنْ سُوجِلُوا أَوْ فُخِرُوا بِمُفَاخِرِ
وَرَوَى عَطَاؤُهُمُ النَّدَى عَنْ جَابِرِ
خَطَّ الْقَصَائِدَ فِي بَطُونِ دِفَاتِرِ

فَأَذَاعَ هَذَا الْقَوْلَ بَيْنَ عَشَائِرِ
هَذَا لِعَمْرِي حُكْمُ خَصْمٍ جَائِرِ
مِمَّا يَكْدُرُ مُورِدِي وَمَصَادِرِي
وَتَبَدَّلْتُ غَزْلَانُوهَ بِقَنَابِرِ
وَحَلَلْتَ مِنِّي فِي سُودِ خَاطِرِي

بِبَدِيعِ نَظْمٍ كَالْعِبَابِ الزَّآخِرِ
تُبْدِي قُصُوراً مِنْ ضَعِيفٍ قَاصِرِ
وَيَلِينُ هَزْأً فِي يَمِينِ الْبَاتِرِ
يَهْدِي السَّبِيلَ لَجَائِرٍ وَلِحَايِرِ
وَرَقَى خَطِيبُ الْوَرَقِ عَوْدَ مَنَابِرِ
أَهْلِي الْمُفَاخِرِ وَالنُّجَارِ الطَّاهِرِ
قَصَدَ الْحَجَّازَ وَحَنَّ قَلْبُ الذَّاكِرِ

[٣٩٤] أحمد بن أحمد الكردي صائم الدهر^(١).

نزىل دمشق، ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان من جماعة الشهاب أحمد الغزي، وقرأ عليه كثيراً، ثم قرأ الفقه بعده على جماعات، منهم: أحمد العيثاوي، ولازمه كثيراً، وقرأ على الشمس محمد الميداني. وكان مجاوراً بالجامع الأموي، ملازماً لقراءة القرآن، متعبداً شديد الورع، متجرداً عن الدنيا والنساء، قال النجم: حكى لي: أنه اقتات بمكة ثلاثة أيام بماء زمزم، واستغنى به عن غيره، قال: فعرض علي بعض الناس قطعة خبز، فأكلتها، فذهبت عني تلك الخاصية.

وقطن بدمشق أكثر من أربعين سنة، وهو على خير وفي خير، إلى أن توفي يوم الثلاثاء، سابع جمادى الأولى، سنة أربع عشرة بعد الألف، ودفن بمرج الدحداح، خارج باب الفراديس - رحمه الله -.

[٣٩٥] الملا محمد بن أحمد البغدادي الشافعي ثم الحنفي^(٢).

قال النجم الغزي في «الذيل»: قدم دمشق فيما أخبرني شيخنا أحمد العيثاوي، في سنة سبع وسبعين - بتقديم السين فيهما - وتسعمائة، فحضر درس شيخ الإسلام الوالد، ولازم إسماعيل النابلسي، وقرأ فقه الشافعية، ثم تحنف.

(١) جاء في الحاشية: «لعله محمد بن أحمد».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ١٩١) (٦٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي

(٤ / ٣١)، وسماه: محمد بن عبد الملك.

وكان مجاوراً بالمدرسة العزيزية، بجوار الكلاسة، بالقرب من الجامع الأموي، وكان قديماً من جماعة الملا مصلح الدين الراوي، ثم لما عمر جامع الدرويشية بدمشق، صار فيها مدرساً حنفياً، ثم ولي وظائف أخرى، وأثرى، وصار من رؤساء دمشق.

وكان علامةً في المنطق والبيان، والكلام والهيئة، مشاركاً في العربية والفقه، وكان يحضر دروسه أفاضل دمشق، وكان ضيق العبارة، حسن التحرير.

توفي ليلة الاثنين، عشرين شعبان، سنة ست عشرة بعد الألف، ودفن شمالي مرج الدحداح في أقصاها عن بضع وستين سنة - رحمه الله -^(١).

[٣٩٦] أحمد بن أحمد بن علي القاضي شمس الدين المغربي الدمشقي المالكي^(٢).

قال النجم الغزي: قرأ القرآن العظيم على شيخنا يحيى العمادي، وكان يثني عليه، وكان يحفظ القرآن، حسن الصوت، وأخذ الفقه عن القاضي علاء الدين البعلي المالكي، عُرف بابن المرحل، وسافر إلى مصر، وأخذ عن علمائها؛ كالبنوفري، وغيره، وحج وجاور، وقرأ على أفاضل مكة، وقرأ بدمشق في العلوم على إسماعيل النابلسي الشافعي، وعلى رفيقه العماد الحنفي، وعلى الشمس بن المنقار.

(١) جاء في الحاشية: «أو يكون محل هذه الترجمة فيما قبل».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٩٥) (٢٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٥٣).

وناب بمحكمة قنا العوني، ثم بالباب عن شيخه القاضي علاء الدين، وكان يدرس بالأموي، ويفتي، واستقرت له الفتوى منفرداً بعد شيخه المذكور، وكانت سيرته في القضاء حسنة، وكانت له معرفة تامة بالعربية، وغيرها من العلوم الأدبية، وله حسن معاشرة.

ولما دخلت السلیمانیة إلى دمشق، في وقعة ابن جانبولاد، دخلوا عليه وهو مريض بيته، بحارة قصر حجاج، خارج باب الجابية، وانتهبوه وأهانوه، فزاد مرضه، إلى أن مات يوم الخميس، ثامن عشر ربيع الأول، سنة ست عشرة بعد الألف، وصلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي، إماماً بالناس بالسيانية، خارج باب الجابية، ودفن بباب الصغير، وممن أخذ عنه، وبه تخرج، محمد بن أحمد بن الفرفور - رحمهم الله تعالى -.

[٣٩٧] أحمد بن أحمد المعروف بالعيشي.

أحد علماء الروم الكبار، اختصر «الصحاح في اللغة»، وهو نافع، وأفيد من «مختار الصحاح» للرازي، غير أنه غير مشهور، وله: «مختصر الطريقة والحقيقة»، توفي سنة عشر وألف.

[٣٩٨] أحمد أبو عبدالله بن أحمد، الشهير بابن الوحي الرومي.

كان بحراً فياضاً في العلوم، خصوصاً فنون العربية، مفنناً في غيرها، عظيم الجاه، موفور النعمة، كريم الأخلاق، حسن السيرة، وجده علي بيك المذكور في «تذكرة الشعراء»، ومطلع شمس وجودهم بلدة أزيق، وبها ولد المترجم، سنة تسعمائة وأربعين.

وقرأ فنون العلوم، وأخذ الطريق وأكملة على بعض مشايخها، ثم جلس

على سجادة الذكر والوعظ، إلى أن مات وُسْنَه أفندي، سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة، وكان محدث دار الحديث، المنسوبة لوالدة السلطان، بمدينة أسكدار، فأعطيت له، مع وعظ الجامع المنسوب إليها أيضاً.

ولم يزل على ذلك، حتى توفي سنة ثمان عشرة وألف، ومن آثاره الجلية: «شرح مغني اللبيب لابن هشام» في مجلدين، وهو شرح مفيدٌ حافلٌ، يدل على سعة اطلاعه، وطول طوله وباعه، وله على تفسير اليباضي تعليقات لطيفة، وغير ذلك - رحمه الله تعالى -.

[٣٩٩] أحمد بن أحمد بن إدريس الحلبي، ثم الدمشقي الحنفي، المعروف بابن قلاق سيز، وهي لفظة تركية معناها: مقطوع الأذن^(١).

مولده بحلب، سنة ست وثلاثين وتسعمائة، في خامس وعشري ربيع الأول، وقرأ بها على ابن الحنبلي، الأصول والفقه والحديث، وعلى الملا أحمد القزويني، في المعاني والبيان والتفسير، وأخذ الفقه أيضاً عن البهنسي، والحديث أيضاً عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وقرأ «صحيح البخاري» على النسفي، والفرائض عن عبد الوهاب الحلقي، والقراءات عن الطيبي، والمنطق عن الملا إبراهيم الكردي القزويني الحلبي.

وكان يحب العزلة والانجماع عن الناس، ملازماً للاشتغال بالعلم، وتفقه عليه كثير، منهم: ولده أحمد، ومات في حدود إحدى وعشرين بعد الألف.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٨٨ (٢٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٥)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ١٨٦) (٩٤٩).

[٤٠٠] أحمد بن أحمد البيطار^(١).

إمام مسجد منجك بمحلة القصب، كان من الفضلاء المشهورين، وهو آخر طلبة العلامة شهاب الدين الطيبي، وكان مقرئاً مجوداً، قليل الحظ في الدنيا، توفي ليلة السبت، عشرين محرم، سنة إحدى وعشرين بعد الألف، وقد بلغ من العمر أربعاً وثمانين سنة - رحمه الله تعالى -.

[٤٠١] أحمد بن أحمد القرمانلي.

أحد علماء الروم المشهورين، له «حاشية على الدرر والغرر» في فقه الحنفية، توفي سنة إحدى وعشرين وألف.

[٤٠٢] أحمد بن أحمد الصلتي الحنفي^(٢).

إمام الدرويشية خارج دمشق، كان من تلامذة الشيخ حسن البوريني، الملازمين له، حتى إنه تعلم منه الفارسية، وكانا يتكلمان بها في المجالس، وكان فاضلاً عالماً عاقلاً، عليه سكينَةٌ ووقارٌ، توفي يوم الثلاثاء، تاسع عشر محرم، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف - رحمه الله تعالى -.

[٤٠٣] أحمد كمال الدين بن أحمد طاش كبري الرومي الحنفي^(٣).

عالمٌ كبيرٌ شاع فضله في الآفاق، ووقع على فضله وكماله الاتفاق، كان

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٩٩) (٦٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٩٤ / ٤).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩٨) (٢٩).

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٠١) (١٥٥) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨).

طوداً راسخاً في فنون العلوم، لا يكاد يوجد له ضريب بين موالي الروم، سيما في علم الفقه والعربية والبيان.

وبلغ في الرياسة والعزة، ونفوذ الكلمة، ما لم تبلغه أقرانه، وكان ذا مروءة وإحسان، وتواضع في رفعة بغير امتنان، حسنة من حسنات الزمان، حليفاً للسنة والقرآن، يخشى الله كأنه يراه، ولا يداري في دين الله.

ولي قضاء دمشق سنة خمس وألف، وسار فيها أحسن سيرة؛ من العفة وصفاء السريرة، وحل من أهلها محل الروح من الجسد، ولم يشك منه أحد، ثم تقلد في المناصب العلية، بالديار الرومية، فولي قضاء العسكر الأناطولي مرتين، وقضاء العسكر الروم ايلي ثلاث مرات.

وكان - مع ذلك - ملازماً للاشتغال بالعلوم النافعة، والكد في إقرائها، وألف مؤلفات كثيرة نافعة، منها: كتاب «عمدة أرباب البداية والنهاية في تحرير مسائل الهداية»، وجمع جميع ما فيه المسائل، وجردها من الدلائل، وأورد نبذة من الشروح المحتاج إليه في حلها، وأهداه إلى السلطان أحمد بن عثمان خان، أكمل تحريره في جمادى الآخر سنة أربع وعشرين وألف، وقال في ذلك:

أحمد الله الذي من فضله	تم هذا الجمع لي والانتخاب
قد بذلت الجهد في تحريره	وتحرير له محض الباب
غرر الفقه غدت سافرة	فيه حتى ما عليها من نقاب
فاجعل اللهم سعي خالصاً	لك مشكوراً إذا قام الحساب
واكسبه ثوبي قبول ورضاً	من أولي الفضل وأصحاب الثواب

إن ترم تاريخ إتمام له كاملاً أرخه (قل تم الكتاب)
توفي بالقسطنطينية سنة ثلاثين وألف، وأرخ وفاته العلامة إبراهيم بن
عبد الرحمن العمادي بقوله :

ألا إنما الدنيا غرور نعيمها ينغصه تكديرها وزوالها
قضى الله للمولى الكمال بأن قضى فأرخ (ديار الروم مات كمألها)
[٤٠٤] أحمد بن أحمد المرّداوي، نسبة إلى مرداء، من قرى نابلس
الحنبلي^(١).

نزىل مصر، شيخ الحنابلة في عصره بالديار المصرية، أخذ عن التقي
الفتوحى، وعن عبدالله الشنشورى الفرضى، وغيرهما، وعنه كثير، منهم:
مرعى المقدسى، وعثمان الفتوحى، ومنصور البهوتى الحنبليون، ومن أخذ
عنه الحديث وعلوم العربية: الشمس محمد الشورى، وأخوه الشهاب أحمد،
وشيخنا سلطان المزاحى.

توفي بمصر، سنة ست وعشرين وألف، ودفن بترية المجاورين،
بالقرب من السراج الهندي - رحمه الله تعالى -، وكان من المنتصرين لشيخ
الإسلام ابن تيمية الحنبلي، غير مُسلّم لشيخ الإسلام الشهاب ابن حجر
الهيتمي ما قاله فيه من الضلال والإضلال، ويقول: إن جميع ما نقل عنه من
المقالات الشنيعة مكذوب ومفترى عليه، وسمعت أن شيخنا سلطان كان
يميل إلى قول المترجم، والله أعلم.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبى (٣/ ٣٥٦).

[٤٠٥] أحمد بن أحمد المنوفي المكي^(١).

قال صاحب «السلافة»: إمام الأئمة الشافعية، ورب الفطنة الألمعية، ملك للعلوم زماماً، وتقدم في مقام الفضل إماماً، مولده بمكة، وبها نشأ وترعرع، وبرع في جميع العلوم، ثم رحل منها إلى الروم، وبلغ من المناصب ما يروم، فلما عاد إلى وطنه، نصبت له المنون أشراكها في طريقه، وأغصته إذا أساغت له أمانيه بريقه، فتوفي بدمشق عام أربع وأربعين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

عتبت على دهري بأفعاله التي أضاق بها صدري وأضنى بها جسمي
فقالتم تعلم بأن حوادثي إذا أشكلت ردت إلى من كان ذا علم

وسئل وهو بدمشق عن التجشّي، هل ينبغي بعده الحمد؟ من حيث إن الشيع نعمّة مباحة، أو الاستغفار؛ لأنه نشأ عن خلاف الأولى، وهو الشيع؟ فأجاب على البديهة، بأنه يجمع بينهما، فيحمد الله اعتباراً بالنعمة، ويستغفره لسوء أدبه في أكله. انتهى.

قلت: ولم أر في كتب أئمتنا الشافعية التصريح بهذه المسألة، بعد التبع، ثم وقفت عليه في بعض كتب المالكية، فذكر مثله، وزاد: أنه يخفي المتجشّي صوته ما أمكنه. انتهى.

وفي «القاموس»: التجشؤ: تنفس المعدة؛ كالتجشية، والاسم كهَمْزَة. انتهى. أي: جُشَاءَة.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٧٢) (٢٩٣)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٢٤).

[٤٠٦] أحمد بن أحمد الروحي السَّفْطِي؛ نسبة إلى محلة روح، وسفط
القدور بقرب المحلة الكبرى، بغربية مصر، المالكي.

الشيخ الإمام، العارف بالله، والذال عليه، قطب الناسكين، وأجل
العلماء العاملين، أخذ عن محمد بن سلامة البنوفري، وعبد القدوس الشناوي،
وشرف الدين الروحي، وغيرهم، وكان معظماً عند علماء عصره، ولذلك
كان العلامة النور الأجهوري يجله، ويزوره كثيراً، ويسأله الدعاء، وكان
- نفع الله به - كريم النفس، ينفق جميع ما يحصل له من الفتوحات على زائريه،
وكثيراً ما ينشد:

إذا المرء وافى منزلاً قاصداً	إليك ودلته عليك المسالكُ
فكن باسماً في وجهه متهللاً	وقل مرحباً أهلاً قدومٌ مباركُ
وقدّم إليه ما نويت من القرى	عجولاً ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل في الأمثال بيتٌ مصدّق	تداوله زيدٌ وعمرو ومالكُ
بشاشة وجه المرء خيرٌ من القرى	فكيف إذا جاء بالقرى وهو ضاحكُ

وذكر عنده بعض أصحابه رجلاً كان يتجاهر بالمعاصي، وكان يتردد
إليه، فملس يده على وجهه، وقال: بأبي وجهٌ لا يفلح أبداً، قال الشاعر:

فلإذا رأى إبليسُ غرةً وجهه حَيًّا وقال فديتُ من لا يفلحُ

فكان سبباً لتوبته، ورجوعه إلى حال حسنة. توفي في نيف وأربعين وألف.

[٤٠٧] أحمد أبو عبدالله بن أحمد الفجيري القَصْرِي المغربي المالكي.

كان صاحب حالٍ عظيم، ومقامٍ جسيم، وكراماتٍ كثيرة، وأحوالٍ

خارقة شهيرة، أخذ عن أبي محمد عبدالله بن حسّون السلاسي، وتوفي سنة أربع وأربعين وألف.

[٤٠٨] أحمد بن أحمد المعروف بابن النيشانجي الرومي^(١).

عالمٌ كبيرٌ مشهور، قرأ بالروم حتى برع وفاق أقرانه، وألف ترتيب جامع الفصولين في فقه الحنفية، تصرف فيه بزيادة ونقص، وإبرام ونقص، وسماه: «نور العين في إصلاح جامع الفصولين»، وهو من أنفع الكتب وأجمعها لمسائل الدعاوى لمن ابتلي بالقضاء، توفي سنة إحدى وثلاثين وألف - رحمه الله تعالى -.

[٤٠٩] أحمد بن أحمد الشرانسي.

أحد كبار المحققين في العلوم العقلية، له في الروم شهرة تامة، ومؤلفات مفيدة، منها: «حاشيته على جزء النبأ من تفسير البيضاوي»، و«شرح على الرسالة العضدية الوصفية»، توفي سنة إحدى وثلاثين وألف.

[٤١٠] أحمد أبو عبدالله بن أحمد الحنّان الغرناطي المدحي^(٢).

كان إماماً فقيهاً، متبحراً في العلوم الدينية، متبعاً للسنة النبوية، مظهراً للحقائق الربانية، والمواهب الرحمانية، لاحت أنواره، وعظمت آثاره، وأكثر أهل المغرب الأقصى من أهل فاس وغيرهم أخذ عنه؛ لاشتغاله بالأهم فالأهم من العلوم، إلى ما حواه من العلم اللدني، والحلم والصبر على الطلبة، والاهتمام بتفهمهم، مع ملازمة الصيام والقيام، واشتغاله بعد قراءة العلم

(١) «هدية العارفين» (٢/ ٢٧٢)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨).

(٢) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٣٦٧).

بقراءة القرآن، وذكر الله على الدوام، والصلاة على سيدنا محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام -.

ولد سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وأخذ عن ابن مَجْبَر، والقُدومي، والبدري، والسراج، والحميدي، والمنجور، وعنه كثير من العلماء؛ كالشيخ أحمد بن عمران، والشيخ عبد القادر الفاسيين، وقاضي فاس محمد بن سودة، وغيرهم.

وطال عمره، وبارك الله له في أوقاته، وألف التأليف النافعة، ولم يزل معمرًا ظاهره وباطنه، ممتعًا بحواسه، حتى توفي آخر ذي الحجة، سنة خمسين وألف بفاس - رحمه الله تعالى -.

[٤١١] أحمد بن أحمد الشويري، نسبة إلى شَوَيْر؛ ككوثر: قرية بمصر^(١).

شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، وحامل لواء الإمام الشافعي المُطْلبي على كاهله، والراقم له تحريراً بأنامله، وصدر الشافعية بالديار المصرية، ومفرد الإفتاء والتدريس، بالجامع الأزهر في كل علم نفيس، الذي اشتهر ذكره في الممالك الإسلامية، وحظي في عصره في الفقه حظوة لم يحظها أحد من الشافعية؛ بحيث إن جميعهم كان يرجع إليه في المسائل المعضلة، والعبارات المشككة الفقهية، وجلالته في بقية العلوم المتداولة أشهر من نار على علم، وكان يلقب بالشافعي الصغير؛ لما حواه من العلم الكبير.

أخذ عن شيخ الشافعية الشمس محمد بن أحمد الرملي، ولازمه

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٨٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٦)، «الأعلام» للزركلي (١١/ ٦).

سنين، وقرأ عليه: «البهجة» قراءةً بحث وتدقيق، وأجازه بالإفتاء والتدريس وجميع مروياته سنة ألف، وجرد حواشي «شرح الروض» للشهاب الرملي سنة خمس عشرة وألف، وكان ملازماً للشيخ عبد المنعم الطائفي، والفهامة الشيخ منصور سبط الشيخ ناصر الدين الطبلاوي، والعلامة الرباني النور علي الزياي، وبه تفقه، والقُدوة الشيخ صالح البلقيني، والعلامة البرهان إبراهيم العلقمي، وغيرهم، وأجازه غالب شيوخه، وشهدوا له بالفضل التام، واشتهر بالعلم والجلالة عند الخاص والعام.

وهو آخر من قرأ بالجامع الأزهر: «شرح الروض»، و«متن العباب»، و«مختصر المزني»، وغيرها من الكتب القديمة، وكان غالب ميله إليها، ومعوّله في المراجعة عليها، وكان ثابت الفهم، دقيق النظر، مثبّتاً في النقل، متأدّباً مع العلماء، وكان حسن الخلق، عظيم الصورة، طويل القامة، لطيف الخلق، ولا يستطيع أحد أن يملأ نظره منه لهيئته، ملازماً للعبادات، وصنوف الخيرات، معتزلاً عن الناس، إلا في مجلس علم، أو حضور جمعة أو جماعة، غير متردد إلى أحد من الحكام، بل هم يأتون إليه، ويقبلون يديه، وهو لا يعبأ بهم، ويبالغ في نصيحتهم وزجرهم.

روى عنه كثير، منهم: شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي، والمحقق النحرير علي الشبراملسي، والفهامة ياسين بن زين الحمصي. وأفاد الشيخ عبدالله العياشي المغربي في «رحلته»: أنه أجاز لمن أدرك حياته.

وله مؤلفات، منها: «حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني»، و«حاشية على شرح المنهج»، و«أخرى على شرح التحرير»، و«حاشية على شرح الأربعين

لابن حجر»، وغير ذلك من رسائل عديدة، وأجوبة مفيدة.

وكان مولده في حادي وعشري، شهر رمضان، سنة سبع وسبعين وتسعمائة، ووفاته فجر ليلة الثلاثاء، سادس وعشري جمادى الأولى، سنة تسع وستين وألف بمصر، بعد أخيه العلامة الشهاب أحمد الشويري الحنفي بنحو عامين أو ثلاثة، ودفن بتربة السيدة سُكينة، بقرب محلة طيلون - رحمه الله تعالى، ونفع به -.

نقلت من إجازة كتبها للشيخ العلامة أحمد بن شهاب الدين العجمي المصري ما نصه: وأشترط عليه أموراً:

أحدها: أن الإفادة ولا الاستفادة، ما استطاع من الدأب في تحقيق المشكلات، وجميع المآخذ التي بها كمال الانتفاع.

وثانيها: أن يراجع في جوابه عن الحادثة المنقولة، وأن لا يحكم عقله، وأن يعتمد على عدد من النقول.

وثالثها: أن لا يُتبع نفسه هواها، وأن يلزمها تقواها، مع التفكير في قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١] الآية. انتهى.

[٤١٢] أحمد بن أحمد بن أبي الفتح بن شمس الدين بن ناصر الدين، الأسطواني الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الحنفي^(١).

كان عالماً كبيراً في الفقه والحديث والأصول، متضلعا من العلوم الشرعية، ورعاً ناسكاً، متقشفاً مخشوشناً، مخلوقاً، كثير العبوس في وجوه

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٦).

الناس؛ لما يكرهه منهم، شديد الإنكار عليهم فيما يخالف الشرع، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره، مطبوعاً على الالتذاذ بذلك، متحملاً للأذى من الناس بسببه.

وكان من أوجد زمانه في الوعظ، ومن رجال الدهر أدباً وحزماً، وعلماً وفهماً، لطيف الطبع، حسن المحاورة، حلو الإيراد، مليح المفاكهة، بديع الصفات، من أوعية الفضائل، مجموع خير وعلم، متكلمٌ بالحق، ويعمل به، ولا يخاف في الله لومة لائم.

قرأ في بدايته بدمشق على الشمس الميداني، والنجم الغزي، ومن في طبقتهم، ثم رحل إلى القاهرة، فأخذ بها عن البرهان اللقاني، والشمس المحلي، والنور الحلبي، وغيرهم، وبرع حتى فاق أقرانه.

وسافر من مصر من طريق البحر إلى الروم، فأسره النصارى، وبقي في بلادهم مدة، ثم فك من أسره، ومكث بالقسطنطينية دهرًا طويلاً، وصار بها واعظاً نبيلًا، وألف بها رسائل باللغة التركية مشهورة نافعة، ثم رجع إلى دمشق، وأقام بها على بث العلم ونشره، والملازمة على التدريس في العلوم النافعة، حتى توفي سنة ثمانين وألف تقريباً، ودفن بباب الصغير، وهو ممن أدركته، وكنت أحضر دروسه وأنا صغير، مع خالي العلامة محمد بن حسين الملا -رحمهم الله تعالى-.

[٤١٣] أحمد بن أحمد بن عمر حمّاده الحمادي الشافعي^(١).

صاحبنا الفاضل الأديب، الكاتب الأريب، كان من رؤساء الكتاب

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٩).

بديوان دِجَرَجَا، قصيدة الصعید العظمى، قدم سنة ثمان وسبعين وألف إلى مصر، واجتمعت به، وتأكدت بيني وبينه الصلابة.

وكان عذب اللسان، قوي الجنان، صالحه لدينه ودنياه، مرجعاً لحكام الصعید في قواعد الدولة، ومعرفة الأمور السلطانية، وكان من أهل الخير والصلاح، يدافع الحكام بالتي هي أحسن، ويستر على الرعية ويراعهم، وجميعهم راضون عنه.

وكانت له معرفة بعلوم الطريق، وألف رسائل لطيفة، وله معراجٌ على أسلوب غريب، وهو أنه جرد من نفسه سؤالاً في صفة الخمرة التي يتغزل فيها العارفون، وإليها يشيرون، وعنهما يخبرون، ويصفونها بالسكر والغية، وفي كيفية الاتصال إلى تلك المرتبة، ومتى يتقرب إليها من اجتباها الله تعالى وقربه.

فأجاب عنه، وتسلىق منه إلى المعراج النبوي بوجه لطيف يعرفه من وقف عليه، وقد أهداني منه نسخة، وأخبرني أنه قرأ بالصعید على شيوخ كثيرين، وبمصر على شيخنا سلطان ومعاصريه، وله روايةٌ عليه في الحديث. وله أشعارٌ كثيرة، أنشدني منها قصيدة لم أذكر منها إلا قوله:

وسرتُ إلى ما أحجمَ العقلُ دونَه ونلتُ أموراً لا يحيط بها فكري

توفي بعد رجوعه من مصر، ببلده دِجَرَجَا، سنة ثمانين وألف، بعد مرض طويل - رحمه الله وإيانا -.

[٤١٤] أحمد بن أحمد بن أحمد القشوي الشبامي الكوكباني.

فاضلٌ كريم النجار والفخر، سليم الصدر، أخف على خاطر من

الريشة، تطيب بمجالسه العيشة، وله نظم أحلى من السكر، وأشهى من وصل
الغادات، منه قوله :

يا بديعَ الجمالِ أشكو من الحب فقد حركَ الجوى وأثارة
فاسقني من لَمَاك بارد ريق علَّ يُطفي بها رسيسَ الحرارة
وتعطف ولو بطيف خيال وأغثني وصلًا ولو بإشارة

[٤١٥] أحمد بن أحمد بن علي البهوتي؛ نسبةً إلى البهوت، من غريبة
مصر، الحنبلي الخلوتي^(١).

شيخنا العلامة، جامع الفنون البعيدة والقرية، والعلوم المعروفة والغريبة،
وراضعُ دُرِّ التحقيق ولَبَّانِه، وواضعُ دُرِّ التدقيق عقداً على لَبَّانِه، ورافع طراز
سندس المعقول وراياته، وكشاف أسرار التنزيل وحكم آياته، ومنتهى إرادات
طالبِي علوم الدين، وأقصى غايات المحصلين، ومجمع بحري المعقول
والمُنقول، ومنبع نهري الفروع والأصول، وحامل أعباء التدريس والإفتاء
المسدّد الذي عليه المعوّل، على مذهب إمام الأئمة أحمد بن حنبل.

ولد بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن وجوده، وأخذ الفقه عن العلامة
عبد الرحمن البهوتي الحنبلي تلميذ الشمس محمد الشامي، صاحب «السيرة
النبوية»، ولازم منصوراً البهوتي، وبه تخرج في الفقه، وأخذ علوم العربية
والأصول والكلام عن الشهاب أحمد الغنيمي، وبه تخرج فيها وانتفع.

واختص بعده بملازمة خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وصحبه،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٠)، «السحب الوابلة» (٢/ ٨٦٩)، «رفع النقاب
عن تراجم الأصحاب» (٣٥٨).

فكان لا يفارقه في دروسه في العلوم العقلية والعربية، ويجري بينهما في الدرس محاورات سنّية، ونكات دقيقة لا يعرفها من الحاضرين إلا من كان من أكابر المحققين، وكان شيخنا المذكور يُجلّه، ويشني عليه، ويعظمه ويحترمه وهو بين يديه، ولا يخاطبه في درسه إلا بغاية التعظيم؛ لما هو عليه من الفضل الجسيم، ولكونه رفيقه في الطلب، وشريكه في بضاعة العلم والأدب، ولم يزل ملازماً له ملازمة المحب للحبيب، حتى قضى نحبّه، وتلقاه الموت بتكريم وترحيب.

وكانت وفاته بعد نصف ليلة الجمعة، تاسع عشر ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وألف، وصُلي عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع الأزهر في مشهدٍ حافل، وكثر عليه النحيب والأسف، ولم يكن له في مذهبه خلف، وله تعليقاتٌ ومؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «نظم رسالة الوضع وشرحها على شرح الاستعارات للعصام».

وهو أحد شيوخه الذين أخذت عنهم، بالجامع الأزهر، وكان بيني وبينه محبة واتحاد، وكان مولعاً بالسماع وحضور مجالسه؛ بحيث يذهب إليها قصداً وهي غير لائقة به، فقلت له يوماً: يا سيدي! حضور مثل هذه المجالس لا يليق بك، فقال لي: يا ولدي! أنا أعرف ذلك، غير أن في باطني داء خطيراً يتحرك عليّ، ويؤذيني، ولا يسكنه عليّ إلا السماع، وهذا عذرٌ ظاهرٌ، عند أهل الشرع والبصائر.

ومن شعره قوله:

سمحت بعد قولها لفؤادي ذُبْ أَسَى يا فؤاده وتفتّت

ونجا القلب من حبائل هجرٍ نصبتُها لصيده ثم حلتُ

وفي قوله تفتت وحلت تورية لطيفة .

وقوله :

كأنَّ الدهرَ في خفض الأعالي وفي رفع الأسافلة اللثامِ

فقيهٌ عنده الأخبار صحَّتْ بتفضيل السجودِ على القيامِ

يشير إلى أن كثرة السجود أفضلُ بناءً على مذهب الحنابلة .

[٤١٦] محمد بن أحمد بامشْمُوس الدوعني الحضرمي الشافعي .

الشيخ الفقيه، العالم العامل، النبيه الورع الكامل، العارف الواصل، كان صاحب أحوال وتربية، وعلم غزير من علوم القوم، وكرامات أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تذكر، لقي السيد العارف بالله عمر العَطَّاس باعلوي، وأخذ عنه، ولازم بعده الشيخ علي باراس الدوعني، وبه تخرج وانتفع، واشتهر ذكره في بلاده .

ومن كراماته : ما أخبرني به بعض أصحابنا : أن رجلاً أهدى له تمرًا في زنبيل، وكان فيه شبهة حرام، وقدمه إليه، فلما وضعه بين يديه، عرف بطريق الكشف أن فيه شبهة، ففتح الزنبيل الذي فيه التمر، فقال له : ما هذه الزنابير التي أتيت بها إلي؟ فلما رآها الرجل، بُهت، ورجع به إلى البيت، ففتحه ثانياً، فوجده تمرًا على حاله، وعلم عند ذاك اطلاع الشيخ على حاله^(١)، توفي في حدود سنة تسعين وألف ببلده .

(١) مثل هذه الحكايات لا تروج إلا على قليل العقل والدين، نسأل الله السلامة .

[٤١٧] أحمد بن أحمد بن مساهل الطرابلسي المغربي^(١).

من أحسن أهل بلده سمتاً ودلاً، وأصدقهم قولاً وفعلًا، له مشاركة في العلوم، وحسن اطلاع على فروع المذهب، طالت ولايته للفتوى نحو أربعين سنة، وحُمدت سيرته فيها، ثم استعفى منها فأعفي، وبقي ملازماً لداره ومسجده للتدريس فيه، مستريحاً من التكاليف، مشتغلاً بمطالعة التأليف، ولا يقطع القراءة - في الغالب - صباحاً ومساءً، شتاءً وصيفاً، يقرأ ما تيسر من فقه ونحوه وما يشاكل ذلك، ويختتم بشيء من كتب الوعظ والتذكير.

ومع ذلك له ميل قوي إلى طريق القوم، وقد أخذ الطريق عن ولي الله بلا نزاع بين تلك البقاع، سيدي محمد الصيد رحمه الله، والصيد في لغة أهل هذا القطر هو الأسد، وسمي بذلك؛ لكثرة ردعه للظلمة، وقهره للحجابه، حتى كان لا يجترئ أحدٌ على معارضته فيما أمر به، ولا يتعرض لمن انتسب إليه، وظهرت له كرامات.

وقد أخذ الطريق عن سيدي عيسى بن محمد التلمساني المشهور بأبي معزة، وهو أخذ عن الولي الكبير، والعلم الشهير، سيدي أبي عمرو القسطلبي المراكشي، ولأجل هذه النسبة لم يزل ولد الشيخ المذكور، سيدي عبد الحفيظ يبالغ في تعظيم أولاد سيدي أبي عمرو، بل تعظيم كل من يمت إليهم بقرابة، أو خدمة، أو جوار، وغير ذلك، وإن اتفق قدوم أحدٍ منهم عليه، فلا يبغي ولا يذر في إكرامه، والمثول بين يديه كأصغر الخدام وأحقرهم.

ولقد حج معنا سنة ستين، سيدي محمد بن أبي القاسم، من أولاد

(١) «موسوعة أعلام المغرب نشر المثنائي» (١٥١٧).

سيدي أبي عمرو، وتلقاه بالبشر والتعظيم، وأنزله عنده، وبالف في إكرامه، وشيعه في الذهاب والإياب نحواً من سبع مراحل.

ولقد أخبرني من حضره ذات يوم، وقد غسل سيدي محمد بن أبي القاسم يده ورأسه من حناء، وكان بماء في إناء، فأخذ سيدي عبد الحفيظ ما اجتمع من الغسالة في ذلك الإناء وشربه - نفع الله بحسن اعتقاده -.

ولهذا السيد اعتقاد حسن في كل من يتسبب إلى الصلاح، وقد نفعه الله بذلك، فطار صيته وانتشر في البلاد أكثر من أبيه، وهابه الولاة فمن دونهم، وله - كما قيل - دنيا عريضة من المال، وآتاه الله نعماً وحرثاً وغيرهما، يطعم منها الواردين، ويواسي المحتاجين - أعانه الله على ما به تولاه، ورزقه الشكر على ما أولاه -، وتوفي الولي أبوه سيدي محمد الصيد سنة خمسين وألف.

وقد أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل: أنه - منذ عرفه - لم يترك صلاة الجمعة عنده إلا لعذر ظاهر، ولم يزل على ذلك إلى الآن، منذ أزيد من أربعين سنة، يذهب كل يوم جمعة ضحى إلى محل الشيخ المذكور، بالقرية المسماة: بـ «المنشير»، وبينها وبين المدينة ستة أميال، فيصلي هناك الجمعة، ويدرس هناك في مسجد الشيخ، إلى أن يصلي العصر، ويرجع إلى المدينة، لا يترك ذلك دائماً.

لطيفة: أخبرني شيخنا هذا: أن شيخه المذكور قال له: إن لأهل الله مراغة كمرافة الإبل، لا يمر بها أحدٌ منهم، إلا تمرغ بها، وإنني لأرجو أن يجعلك الله مراغة لأولياؤه، ولأجل دعوة هذا الشيخ، لا يدخل أحدٌ هذه المدينة، ممن له انتساب إلى هذا الطريق المبارك، إلا كان إيواؤه إلى هذا الشيخ، إما بنزول عنده، أو بالتردد إليه، وكان عليه السلام يقوم بحوائجهم قدر الإمكان،

ويواسيهم - نفعه الله بقصده الجميل - .

ولقد وجدناه في هذه السنة منقبضاً منزوياً عن أكثر الناس؛ لأجل ما حصل له من التوجع على صهره زوج ابنته، وكان من شأنه أنه هو وأخوه من طلبته، وكان من أنجب طلبته الحنفية، وكانت له المنزلة الرفيعة في البلد وعند العسكر.

وكان الشريف المتولي لطرابلس قبل محمد باشا، المقتول سنة أربعين وألف، قد خلف ولداً صغيراً، وبقي في كفالة خديمه محمد باشا، الذي ولي الإمارة بعده، فلما مات، وأفضت الإمارة إلى عثمان باشا مملوك الشريف المذكور، رفع بضْبَعِي ولد سيده، ورقاه مراقي الرياسة.

فلما تمكنت قهرة الرياسة الممزوجة بحدائث السن من رأسه، منّت نفسه الثورة على مملوك أبيه عثمان باشا، وظن أن المراتب الدنيوية بالاستحقاق، وأن نسبه الرفيع يحصل له به في سوق الدلالة التفّاق، ولم يعلم أن الناس أعوان من واته دولته، وهم عليه إذا خانته أعوان.

وصادف ذلك ما كان من الرعية لولاية هذا الأمير لكثرة ظلم أعوانه، فمالّت أنفس كثيرٍ منهم إلى معاونة الشريف، وشيخ ذلك عندهم تأزّره واعتضاده بولد نُؤير رئيس عرب الناحية الغربية من طرابلس، وكان ذا شهامة وبأسٍ شديد، وقد أظلم الجوينه وبين أمير البلد، فاتفقت كلمته وكلمة الشريف، ومن دان بدينهم من الرعية؛ كأهل تاجورا، وساعدهم على ذلك مفتي الحنفية المذكور، وطائفة قليلة من العسكر.

فلما كاد أمرهم أن يتم، ونمّت على سريرتهم أساريرو وجوهم، وإشاراتُ

أقوالهم، أوحى بذلك إلى الأمير بعض بطانتهم؛ ممن أراد بذلك اتخاذ يد عنده، فأوجس الأمير في نفسه خيفة منهم، وكان ممن لا يُقَعِّع له بالشَّنان، فاحتال في القبض عليهم خفية^(١)، وأظهر التجاهل والغفلة عن أمرهم، وبادر بالخروج إلى ناحية «تاجور» محلّ ربطهم وحلهم.

وأوعز إلى بطانته - بعد تحصين البلد - بالقبض على الشريف والمفتي ومن ساعدهم إثر خروجه، وأظهر للرعية عدم المبالاة بذلك، وقال: قد علمت أنكم برآء مما نسب إليكم، فخدعهم بذلك؛ لئلا يثوروا ثورة واحدة، واستعان على تسكين روعتهم، بالشيخ سيدي عبد الحفيظ، وخضع له وتذلّل، فلما رأت الرعية استكانته لجانب الشيخ، اطمأنوا، ولم يزل كذلك إلى أن فرغ من أمراء الشريف وأتباعه، فكرّر على الرعية بقتل ذريتهم وعوام أتباعهم بما جعلهم عبرة لغيرهم.

فلما خلا له الجو من هذه الطائفة، أخذ يتجسس عن كل من مالههم بكلمة أو إشارة، فربما أشير إليه: أن شيخنا سيدي محمد بن مساهل ممن له في ذلك إشارة من شيخنا، ذلك بأن صهره مفتي الحنفية لا يقطع أمراً دونه، فتفكر له الأمير في باطنه، ولم ييده للناس؛ لوجاهة الشيخ في البلد، بعلمه وورعه، فلما علم الشيخ بذلك، استعفى من الفتوى، فأعفي، وبقي ملازماً لداره ومسجده للتدريس فيه، مستريحاً من التكاليف، مشغلاً بمطالعة التآليف - رضي الله عنه وأرضاه -.

لطيفة أخرى: أخبرني شيخنا ابن مساهل عن بعض مشايخه: أنه قال:

(١) في الأصل: خفية، والصواب ما أثبت.

إذا أذن خلف مسافر، فذلك أمان له حتى يرجع من سفره، وروى في ذلك حديثاً، وقد فعل لنا ذلك ﷺ حين ودعنا خارج داره، فرأينا بركته، والله الحمد.

غريبة: أخبرنا أيضاً: أن شيخه علياً [الخضيرى، ذكر في شرحه على المختصر]: أن الزباد - المسمى في عرف غربنا بالغالية - نجس، وإن كان عرق - حتى يمروره بمحل البول -.. قال: وكان بعض الصالحين لا يتطيب به لذلك، وأظنه الشيخ اللقاني، قال شيخنا: وكنت أتوهم، إلى أن بعث بحضرة الشيخ عبد الحفيظ إلى قط من القطوط التي يستخرج منها الزباد، وكان عند بعض الأتراك، فلما أحضر، أمرنا متولي استخراج الزباد منه بإخراجه بحضرتنا، ففعل، فشهدنا محل اجتماع ذلك منه خارجاً عن محل البول لا يمر به أصلاً، وإنما هو جليدة رقيقة عن يمين المحل أو يساره، يجتمع فيها ذلك العرق، ويشد عليه وتنطوي حتى يؤخذ منها، قال: فحيثذا اطمانت نفوسنا، وأيقنا بطهارته.

غريبة: أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل، سنة أربع وستين، في الرحلة التي قبل هذه: أنهم سمعوا في سنة اثنتين وستين وألف صوتاً هائلاً في ناحية البحر؛ كصوت المدافع الكبار، من قرب الضحى إلى الليل، قال: وظنناه سفناً للمسلمين تلاقت مع بعض سفن النصارى.

وكما سمعنا ذلك الصوت، سمعه أهل هذا الساحل إلى «مسراته»، وسمعه حتى أهل فزارة والإسكندرية، وسمعه من الناحية الغربية أهل جربة، وسوسة، وتونس، وكلُّ يقرُّ أنه قريب منه، وبعد شهر أو شهرين، قدمت مراكب من بر الترك، وأخبروا أن ذلك الصوت لأمرٍ هائل.

وذلك أن جزيرةً من جزائر الترك خرجت في بعض نواحيها حجارةً تطلع من البحر، حتى إذا ارتفعت على الماء، وعلت في الهواء، تصدعت، ويخرج منها نارٌ، ويسمع لها ذلك الصوت، فإذا خرجت النار، وقعت الحجارة على الماء خفيفةً كهيئة الجعابة، ودام ذلك إلى الليل، وارتفع من ذلك الجو دخان كثير، فيه رائحة الكبريت.

وأعجبٌ من هذا: أنهم قالوا: إنه أصبح في ذلك البلد كل ما عندهم من الفضة نحاساً، في تلك الليلة، والله أعلم بغيبه.

وهذه المدينة معروفة بأهل الصدق في الأحوال من المجازيب، وقد أدركنا بها رجلين أو ثلاثة من المجازيب تُوتر عنهم كرامات وحكايات غريبة تدلُّ على صدقهم في مَوَاجِدِهِمْ.

وكانت فيما مضى فيها مزارات كثيرة، تكثر من أكابر الصالحين، ولا يعرف منهم الآن إلا قليل؛ كسيدي سالم المنشاط صاحب المسجد الجامع الذي بأقصى المدينة، وقبره يزار.

وسبب خفاء كثير من قبور الصالحين المدفونين فيها؛ أن البلد قد تداولتها أيدي المسلمين والنصارى مراراً عديدة، وقد استولى عليها النصارى في أيام السلطان أبي عناق، وافتدأها منهم بحمل قناطير من الذهب العَيْن، فعُدَّ ذلك من مآثره، وقد استولى عليها النصارى - أيضاً - في القرن العاشر.

ومما كتبه إليه سيدنا الشيخ عبدالله بن محمد العياشي، لما قدم من المغرب الأقصى ثانياً، وكان قد اجتمع به في السفرة الأولى: أبياتاً منها قوله:

أسيدنا مفتي الورى ابنَ مساهلٍ ومنهلَ فضلٍ فاق كلَّ المناهلِ

عليك سلامُ الله ممن غدت بكم عليه أيادٍ في العصور الأوائلِ
بنوركِ يستهدي إذا الأرضُ أظلمت على أهلها بالجهل أهلُ السواحلِ
فكم قد أنلتَ العرف سائله وكم منتت بلا سؤلٍ وجُدتَ بنائلِ

[٤١٨] محمد بن أحمد الفزاري^(١).

نزيل المدينة الشريفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام -، الشيخ
الناسك، الخاشع العابد الخاضع، المقري الفصيح، البر النصيح، الزاهد
حليف المساجد، الفقيه النبيه، قدم من بلاد فزارة، التي بين أعالي النيل وأرض
السودان، فاستوطن المدينة قريباً من أربعين سنة، وكان من قدماء المجاورين
فيها، ومن أكثرهم زيارةً للأماكن التي تزار، وله مشاركةٌ تامة في فقه مالك،
ومعرفة بعلوم القرآن، وكان يقرئ الأطفال بمؤخر المسجد النبوي، من دون
مشاركة على أجر معلوم، فمن دفع له شيئاً، أخذه.

وتأوي إليه الغرباء، فيكرمهم، ويقوي قلوبهم ويثبتهم، ويحضهم على
آداب المجاورة، ويعاملهم بما يقدر عليه من المعروف، وكانت تحت يده،
خزائن من كتب الوقف، منها: كتب السيد محمد بن إسماعيل المناوي، التي
أوقفها، وبعث بها من الغرب، وكان المترجم يرى النبي ﷺ كثيراً في النوم،
ولقي كثيراً من الأعلام القادمين على المدينة وغيرهم، وانتفع بصحبتهم،
وغلبت عليه العبادة، إلى أن مات بالمدينة - رحمه الله تعالى -.

وأخبر: أنه كان بالمدينة رجل مغربي من أهل العصر، في السنة التي مات

(١) «الأعلام» للزركلي (١١ / ٦).

فيها الولي الصالح محمد بن أحمد العياشي، قال: جاءني ذات يوم وقال: إنني رأيت في النوم أختي، ورأيت رجلاً جالساً، مقطوعاً اليد، يسيل دماً، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الإسلام، قطعوا يدي بـ «سلا»، قال: فلما أخبرني، قلت له: الذي يظهر من رؤياك: أن الرجل الصالح المجاهد الذي كان بسلا قد قتل، قال: وبعد ذلك في آخر العام، قدم الحجاج من الغرب، وأخبروا بموته ﷺ.

[٤١٩] محمد علي بن أحمد بن كمال الدين بن حسين بن محمد
الاسترابادي.

نزيل أصفهان، كان إماماً في العلوم العقلية، خصوصاً الرياضيات، وكان في الفقه والعربية بحراً زاخراً، وغيثاً مدراراً، وله في الفرائض والحساب اليد الطولى، وله فيها مؤلفات سنية.

مولده باستراباذ، في غرة رجب، سنة عشر بعد الألف، وقرأ بخراسان، على السيد أبي القاسم الرازي الفندرشكي، نسبة إلى فندرشك^(١)، قرية باستراباذ، والملا محمد باقر اليزدي، والسيد محمد باقر الشهير بالداماد^(٢)، والسيد قاسم القهبائي، وأخذ عنه كثير من الفضلاء، منهم: ولده شيخنا العلامة محمد شفيع، والملا محمد الباقر المجلسي^(٣) محدث أصفهان ومفتيها. وتوفي بأصفهان في غرة رجب، سنة أربع وتسعين وألف، وبني عليه

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: فندرشك.

(٢) في الأصل: بالرماد.

(٣) في الأصل: المجلسي.

قبة عظيمةٌ بأمرٍ من الشاه، هكذا نقل لي من ترجمته ولده، صاحبنا الفاضل كمال الدين حسين، لما كان مجاوراً بمكة، مع أخيه شيخنا محمد شفيع، سنة أربع ومائة وألف.

[٤٢٠] محمد بن أحمد بن عيسى بن جميل الكلبي المالكي^(١).

شيخ المحيّا النبوي بالأزهر، الإمام العلامة، المفيد الفهامة، كان عالماً جليلاً، حسن الأخلاق، سمح النفس، كثير الإحسان، لا يفتر - خصوصاً ليلة المحيا، بالجامع الأزهر - عن الصلاة على النبي ﷺ وصنوف الخير والعبادة، ذكياً محصلاً، كثير التقيد للفوائد العلمية^(٢).

أخذ عن والده، وبه تخرج، ولازم علماء عصره بالجامع الأزهر، وأجازه كثيرٌ منهم، وشهدوا له بالتقدم في الفضيلة، وصار شيخ المحيا بعد والده، ووالده جلس بعد الشيخ محمد البلقيني، وهو جلس بعد والده القطب الرباني الشيخ صالح، وهو جلس بعد والده شيخ الإسلام والمسلمين شهاب الدين البلقيني، وهو جلس بعد الأستاذ العارف بالله الشيخ نور الدين الشوني، المدفون بمصر بزاوية سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن إذن من النبي ﷺ.

وله وقائع مشهورة مشهودة مع النبي ﷺ، غالب المجالس المعدة للنبي ﷺ، بمصر والروم والشام والحرمين، فهي من طريقه - نفع الله به -، وله صلوات مشهورة مشروحة، ظاهرة النفع لملازمها في الدين والدنيا.

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٣ / ٣٨٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٨).

(٢) وهي العادات الشنيعة التي أنشأها أهل البدع من المتصوفة في بلاد المسلمين، ورسوموا لها مشيخةً وطقوساً ما أنزل بها من سلطان، وليست من الدين في شيء.

وكان المترجم ناظر وقف الإمامين : الشافعي ، والليث بن سعد بالقرافة ، وسار في ذلك بأحسن سيرة ، مع الإحسان لخدمة المكانين ، ولم يزل على أحسن حال ، إلى أن توفي يوم الثلاثاء ، رابع ذي الحجة ، سنة سبع وخمسين وألف ، وصلي عليه في الجامع الأزهر ، في مشهد حافل ، ودفن بالقرافة الكبرى .

ورثاه الشيخ علي العامري ، رئيس العدول بمحكمة باب الشعرية بقوله :

مات قطبُ الأنامِ مفتي البرايا	أحمدُ الزاهدُ الرفيعُ المقامِ
عالمُ الأزهر الذي كان حبراً	عابداً ذا كراً بطول الدوامِ
نسلٌ من كان للأمين شبيهاً	شيخٌ محيياً الرسول خير الأنامِ
فعليه من السلام سلامٌ	ما سقى قبره بسحب الغمامِ
من قضى للجنان قد أرخوه	(مات قطب الوري جنان السلام)

والكلبي نسبة إلى دحية الكلبي ؛ لأنهم من ذريته .

[٤٢١] محمد بن محمد بن سلامة الشافعي الأحمدي البصير ، الشهير

بسيويه^(١) .

كان إماماً عالماً ، نحرياً نحويّاً محققاً ، عارفاً بالعلوم النقلية والعقلية ، لكنه اشتهر بالعربية ؛ لغلبتها عليه ، وكثرة إقرائه لها ، وكان في عصره مرجعاً لحل المشكلات العلمية ، وإذا قرر المسائل ، تظهر للطلبة بأدنى إشارة ، وتنطبع في قلوبهم ، وذلك لأنه جمع الله له بين العلم والولاية ، والتقدير والتحري ،

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٣ / ٣٧٥) .

وكل من قرأ عليه، أو أخذ عنه، نفعه الله، ومن خدمه خدمة ما، أسعده الله ديناً ودنيا، وما بشرَ أحداً بشيء، إلا ناله ألبتة.

وكان عزباً، مقيماً بالجامع الأزهر، لا يخرج منه إلا إذا تعطلت الفسقية المعدلة لقضاء الحاجة، فيخرج منه حيثنذ لقضائها، وملبسه في الصيف والشتاء جبة حمراء، وكان زاهداً في الدنيا، ولا يأخذ من أحد شيئاً إلا إذا اضطر، ومأكله من الشربة المرتبة في الجامع الأزهر لمجاوريه، ظهرأ وعصرأ.

وكان يعتريه في بعض الأحيان سكوت، فلا يقدر أحد أن يتدثه الكلام، حتى يكون هو المبتدي، وعرف ذلك عند غالب الناس، فكانوا يتحاشون ذلك حال جلالة، وكان الغالب عليه الجمال، لا يرى متكدرأ، بل منشرح الصدر، متبلجأ مداعبأ، ولا تذكر الدنيا عنده بحال، ولا يعرفها، ولا يعرف أحوال أهلها، سالم الصدر، لا يظن بالناس إلا الخير، وإذا قرأ عليه أحد درسأ واحداً، سأله عن اسمه واسم أبيه، ولا يزال يذكره، ويسأل عنه إذا غاب، وإذا جاءه بعد مدة، يعرفه بمجرد تكلمه معه، ولا يغيب عنه ذهنه.

وإذا فرغ من الدرس، اشتغل بتلاوة القرآن، ولا يفارق صلاة الجماعة في الصف الأول، في الخمسة الأوقات، بالجامع الأزهر، ويقوم من نصف الليل الآخر، ويستمر يتهجذ حتى يصلي الصبح، وبعدها يجلس لقراءة القرآن عليه بالروايات إلى طلوع الشمس، ثم يذهب إلى فسقية الجامع فيتوضأ، ويجلس للتدريس إلى قبيل الظهر، هذا دأبه طول عمره.

إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته في نصف جمادى الأول، سنة أربع وخمسين وألف، ولم يخلف دينارأ ولا درهماً، إلا الجبة التي عليه،

ففسلت، وقطعت قطعاً كثيرةً، وتقاسمها الناس، وأبقوها عندهم تبركاً بآثاره .
وكان له مشهدٌ حافلٌ، ودفن بتربة المجاورين، ولما مات، سمع الناس
قائلاً يقول وهم في جنازته : مات العلم الخالص لوجه الله، وذهب الناس فيما
عند الناس بعد محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، فضج الناس بالبكاء .
وقال عنه شيخنا محمد البابلي : ما رأينا في شيوخنا أثبت قدماً منه في
الزهد، وجميع ما نحن فيه من بركاته .

وقال لي بعض شيوخنا - وقد تذاكرنا في شأنه - : إنه أمة قد خلت .
قرأ في بدايته على شيوخ كثيرين، منهم : الشهاب أحمد القاسمي،
والشمس محمد الرملي، والنور الزيايدي، وأبو بكر الشنواني .
وعنه أخذ شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، ومحمد المنزلاوي،
ومنصور الطوخي، ومحمد بن عتيق الحمصي الشافعيون، ويحيى الشهاوي،
وشاهين الأرمنائي الحنفيان، وغيرهم، ولم يمت أحدٌ ممن أخذ عنه إلا بخير
وفي خير، وكراماته كثيرة - رحمه الله، ونفع به - .

[٤٢٢] محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف أبي المحاسن
ابن محمد بن يوسف الفاسي القَصْرِي .

الشيخ الإمام العلامة، المحدث الصوفي، المنفرد بعلو الإسناد، المشهور
بالمغرب بين العلماء الأمجاد، ولد ليلة السبت، التاسع والعشرين من رجب،
سنة ثلاث وثلاثين وألف بمدينة القصر الكبير، قصر كتامة بالقطانين منه، ثم
بدار جده الشيخ أبي المحاسن .

وقرأ بفاس على شيوخ كثيرين، من أجلهم : عمُّه علامة المغرب في

عصره غير مدافع، عبد القادر بن علي الفاسي، وأجازه كثير من شيوخه، وتصدر للإقراء والإفتاء بفاس، وألف الكتب المفيدة، منها: «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات»، وهو من أنفَس شروحه المتداولة، مقبولٌ خصوصاً بمصر والحرمين، توفي بفاس سنة عشر ومائة وألف - رحمه الله تعالى -.

[٤٢٣] محمد صاحب الخال بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد ابن عمر بن أحمد بن موسى بن أبي بكر صاحب الخال الأكبر بن محمد ابن عيسى بن سلطان العارفين بالله الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي صاحب «اللحية» بن حسين بن ملكاي بن عقيل بن حسين بن طَلَّه بن علي بن أحمد ابن حسين بن عمر بن أحمد بن جبرائيل بن عبد الرحمن بن حسين بن سليمان ابن حسن بن أبي بكر بن علي بن محمد بن زكريا بن إبراهيم بن محمد بن جبرائيل بن محمد بن سراج الدين بن حامد بن عبدالله بن صالح بن أحمد بن حسين بن زين العابدين بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، الشافعي العقيلي، شيخنا الإمام العلامة، الفقيه المتبحر، قاضي «اللحية» بعد والده، وشيخ الشافعية بالديار اليمنية^(١).

ولد - كما أخبرني من لفظه - عام أربعة عشر وألف باللحية، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، و«الإرشاد»، و«الملحة»، و«الرحبية»، وغيرها من المتون النافعة، وأخذ عن والده، وكرع من مشاربه، وتأدب بآدابه، ولازم العلامة الشهير جمال الدين محمد بن عمر حُشَيْر، والشيخ العارف بالله أبا بكر بن محمد القُمري، والشيخ العالم محمد باوزير الحضرمي، والإمام

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٤).

الجليل محمد بن الطاهر قَحْم .

وقدم للحج سنة أربعين بعد الألف، وأخذ عن أكابر علماء الحرمين، منهم: السيد العارف بالله أحمد الهادي باعلوي، والحافظ المحدث محمد علي بن علان، والشيخ الفقيه محمد بن عبد المنعم الطائفي، وأجازه كثير من شيوخه، وعنه أخذ كثير من الشيوخ؛ كأخيه الولي العلامة أبي بكر بن أحمد، والعلامة إسماعيل بن محمد بن عمر حُشَيْر، وشيخنا الفاضل الدُّهْل ابن علي الحشيري .

كان - رحمه الله تعالى - أعلم أهل قطره - فيما أحسب - بعلم الفقه، متبحراً فيه، متحريراً في الأحكام الشرعية، مع الزهد في الأمور الدنيوية، والقناعة باليسير من الدنيا الدنية، والانعكاف عن الناس، والرضا بالوحشية من الإناس، إلى خلقٍ عظيم، وطبع أرق من النسيم، وجلالة عند الخاص والعام، ونفوذ كلمة عند الأمراء والحكام، وثبت في الأحكام الدينية، والصدق في المقال، وحسن الطوية، وملازمة لقراءة القرآن، والتهجد في الليل والصيام، وبُعد عن الريب، وتنزه عما يشان به .

ولقد حلف لي بالله العظيم: أنه منذ تقلد قضاء اللحية وأعمالها، ما ارتشى، ولا أكل مال وقف، ولا مال يتيم، ولا تَعَمَد حكماً باطلاً، وتالله! إنه لصادق، فقد بلي من أناس كثيرين، فلم يُر فيه ما يزنُّ به، ولا يجد عائبه فيه ما يقول .

وكان الغرباء الوافدون للحج؛ من أهل مليار، وديه محل، وما والى أهل تلك الأقطار، إذا مروا عليه، يضعون عنده - على سبيل الأمانة - جميع ما يخافون عليه من مال، حتى يرجعوا، ويغيب الوافد منهم سنين عديدة،

حتى يئأس من خبره، فيكتب إلى أهل بلده، أو يسأل عنه الوفدين إليه، فإن أخبروا بموته، سأل عمن له من الأهل ثمة، وأرسل إليهم يعرفهم بما له عنده؛ حتى يوكّلوا بقبض ما عنده من الأمانة.

مع شدة الفقر والحاجة، والقناعة باليسير من الرزق؛ بحيث إنه كان في رياضة من حيث لا يشعر، كما شاهدته من أحواله في معاشه، وكان - مع كبره، وضعف قوته - لا يصلي إلا قائماً، وبطيل الوقوف والقراءة؛ بحيث إن الشاب يعجز عن فعل مثله، وكذلك إذا وقف لزيارة جده العارف بالله الشيخ أحمد ابن عمر الزيلعي، يطيل الوقوف؛ بحيث يتعاقب عليه زائرون متعددون، وهو واقف، وقد منّ الله عليّ بصحبته، والأخذ عنه، عام رحلتي لليمن الميمون، سنة أربع وستين وألف، وكتب لي إجازة بمروياته، وحصلت لي بركة دعواته، ورأيت له كرامات خارقة، لا أحصي عدّها.

وبالجملة: هو من أفضل من لقيته باليمن بعلم الحلال والحرام، ومحاسنه تربو على غيرها، وكنت يوماً عنده، فاستشير من بعض عمال الدولة في ولاية شخص عملاً من الأعمال، فلم يرضه لذلك، فقليل له: لو وُلِّي قليلاً حتى يُختبر، فإن وافق، وإلا فالعزل قريب، فقال: لا، الدفع أسهل من الرفع، وهذه من فوائده.

توفي ليلة السبت، لعله سادس وعشري صفر، سنة مائة وألف، باللحية، ودفن بترتهم المعروفة ثمة، عند صاحب القَصَب، وصُلِّي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد صلاة الجمعة، خامس جمادى الأولى من السنة المذكورة - رحمه الله وإيانا -.





الأحمدون^(١)

[٤٢٤] أحمد ابن العلامة الولي محمد بن عبد الرحيم با جابر الجابري،
نسبةً لبني جابر، قبيلة مشهورة بالشعر الشحري^(٢).

الفرد الجامع لأشتات الأدب من شعاب مواده، والبليغ الذي بلغت
سيول بلاغته الرى، فوقفت عند مراده، الأديب الباهر في جمعه وتصنيفه،
الأريب الماهر في ترتيبه وترصيعه، والإمام الذي إذا فاه، انقاد الكلام له
بسلاسل سلاسة تأديته وبيانه، وخضعت له المعاني طائفة تحت علم جنانه
وعلم لسانه، والمشار إليه بالبنان، في البيان بين الأنام، والمنقاد له صعب
القوافي، والمذلل له سبل الكلام:

إذا ارتجل الخطاب بدا خليجٌ بفيه كأنه بحرُ الكلام

(١) ورد في الحاشية: «سبق ذكر بعضها».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٢٧٤)، وذكر وفاته، فقال: «وكانت وفاته ببلدة لاهور
من الديار الهندية في ليلة الثلاثاء، رابع عشر شوال سنة إحدى بعد الألف - رحمه
الله تعالى -»، «نفحة الريحانة» للمحيي (٣ / ٥٠٢) (٢٤٩)، «عقد الجواهر والدرر»
للشلي (١٥).

كلامٌ أم مُدامٌ أم نظامٌ من الياقوت أم حبُّ الغمام
سبق من تقدمه من أئمة الأدب، حتى أذعن له كل من اشتغل ودأب،
فله درّه من متأخري أظهر ما انزوى عن كثير من المتقدمين من نفائس الجواهر،
فهو المشار إليه : ب: كم ترك الأول للآخر!

والفاضل الذي يرجع إليه في هذا الفن إذ كان عماده، والواصل بمقاطيعه
في مراقبي الحسن الحسنى وزياده، والفصيح الذي أضحى قسَّ الفصاحة لديه
باقل، والخريتُ الساحبُ ذيلَ البلاغة على سحبان، فمن ذا يناظره أو يناضل؟!
والسابع في بحار الأدب، بفكره الثاقب الصارم، والفاتح الذي ختمت به رسالة
الأدب، وغير عجيب لأحمد كونه الفاتح الخاتم.

له مؤلفات كثيرة، منها: «الروضة الفائقة في الأشعار الرائقة»، وهو كتاب
صدق اسمه مسماه، وحقق شرف أصله وامتماه، وأودعه جواهر النظم ودرره،
ونفائس لباب الحكم وفقره، وذكر فيه كثيراً من نظمه.

ومما اخترت منه قوله :

قد تعشقتُ غزلاً فيه لي قولٌ ومذهبٌ
طال منهاج غرامي في هوى الطيبي المهدبُ

وهو كقول تقي الدين السروجي :

تفقهت في عشقي لمن قد هويته ولي فيه بالتحريير قولٌ ومذهبٌ
وللعين تنبيهٌ به طال شرحه وللقلب منه صدقٌ ودُّ مهذبُ

ومثل قول بعضهم :

الروضُ والبهجةُ يا سيدي في الخدِّ مجموع له حاوي
وقد غوى سالكٌ منهاجِه فامنن بإرشادك للغاوي

وله:

كتبْتُ على الخدود لفرطِ شوقي سطوراً من دموعٍ مستهلَّة
فلا تعجب لخطِّ فاقَ حسناً وحقُّك إنه خطُّ ابنِ مُقلَّه

وله:

ما هب نشرُ صَبَا لنحوي منهمُ إلا وأحيا المستهامَ عليُّه
فالقلبُ مصرٌ وهو منزلُ يوسفٍ والحسنُ روضتهُ ودمعي نيْلُه

وله:

شادنٌ جاورَ واقتدِر ورمى في القلبِ ذا الكدِر
دَرَّ دمعِي فليَتَّه جاد بالوصلِ وقتِ دَرِّ

وله:

زارني البدر ليلةً وحباني بكل ما
وبجسمٍ أباح لي مثلَ خَزٍّ وأنعمَا

وله:

بروحي بدرٌ في المحاسن مفردٌ إذا ما تشنى للغصون قد انتمى
أجاد بخدِّ إذ أتاني زائراً له مثلُ روضٍ في الربيعِ وأنعمَا

قلت: هو ثقة في استعمال وصف الروض بالنعومة، المفضل عليها نعمة
الخد.

وله مضمناً:

فديتُ من الملاح غزالَ حسنٍ	له قَدْ تَنَسَّى بالرياحِ
وخدٌ رائقٌ يزهو كوردٍ	وثغرٌ زانه حسنُ الأقاحِ
وإن فخرَ النهارِ بضوءِ صبحٍ	فلإني بالثلاثةِ ذو انشراحِ
جبين والمقلّة والثنايا	صباحٌ في صباحٍ في صباحِ

وله:

ومليحٍ بمقلته سباني	وسبى الشمسَ إذ بدتُ بمحيّا
سُلب القلبُ في هوى ناظريه	وضعيفان يغلبان قوياً

وهو من قول ابن نباتة:

ومليحٍ قد أخجل الغصنَ والبد	رَ قواماً رطباً ووجهاً جلياً
غلب الصبر في لقنا ناظريه	وضعيفان يغلبان قوياً

وله:

ريمٌ رمانى من ظبا القلا	سهمَ لحظٍ قد أتى مرسلاً
فالشمسُ تروي عن سنا وجهه	عن نوره عن خدّه المجتلى
وقد روى مكحولٌ عن طرفه	لكنّ ضعفَ الجفنِ قد أعضلا

وله:

بأبي أفدي غزالاً لم يزل باللحظ نائل
أزمري اللون يروي سيف لحظ عن مقاتل

وله:

لو لم يكن من بابل لحظه ما هيم الصب ولا بلبلا
أو لم يكن كالبدر في طلعة ما كان ذا القلب له منزلا

وله:

بي سحر الألحاح أطلق مدمعي والقلب منه مقيد في حبسه
لا غرو إن هملت عيوني إذ رنا فلكل شيء آفة من جنسه

والأصل فيه قول القاضي أمين الدين الطرابلسي :

إن كان شرع هواك أطلق مدمعي فوكيل شوقي عاجز عن حبسه
أو كان منك الطرف أسهر ناظري فلكل شيء آفة من جنسه

وقول الشمس النواجي :

ظبي إذا لمح الغزال بطرفه فالرأي أن ينجو الغزال بنفسه
وتفل بيض الهند سود عيونه ولكل شيء آفة من جنسه

وله مكثفاً:

قد سلب الأغصان من لينها قد غزال فاق ريم الفلا

قالت ملاحُ العصرِ لما انثنى ذا مفردٌ في الحسن بين الملا(ح)

وله:

وبروحي مهفهفُ القدِّ ألمى لیت بالوصلِ لكثيب أعانا
قد خفى الصدر منه نهْدٌ ولكن مذ تبدى وماس بالقدِّ بانا

وله:

بروحي رشيقٌ له قامَةٌ يميلُ بها الريح من لطفه
فلولا جوارحُ الحافظِ لغنى الحمام على عطفه

وله في معناه:

أفديه من رشأ في حسن طلعتَه كأنه البدرُ يسري في غمامته
لولا جوارحُ الحافظِ له صدحت وُرُق الحمام على مَيَّادِ قامته

وله:

إن ماسَ جبِّي أو بدا خدُّه أظهرتُ فيه كلَّ معنى دقيق
فقدَّه لابنِ رشيقٍ روى وخذَّه الزهري روى عن شقيق

وله:

يا صاحٍ إن جزت أعلامَ العقيقِ فردُ دموعَ عيني منها الماء ينسكب
وإن مررت بأردافِ الحبيبِ دجى قف بي عليها وقل لي هذه الكُثْبُ

وله:

تبدى العذارُ بخدِّ الحبيبِ فقلتُ ولم أخش من لائمي

أمولاي سَدَتْ مِلَاحَ الـوَرَى فَأَنْتَ الْمَسْوَدُّ فِي الْعَالَمِ
وله:

أَفْدِيهِ غَضْناً وَبِدْراً إِنْ بَدَا وَمَشَى حَذَارٍ مِنْهُ إِذَا مَا مَاسَ أَوْ سَفَرَا
بَنُورِ شَمْسٍ جَبِينٍ صَادَ كُلُّ فَتَى وَنَمَلٍ زَخْرَفٍ لَيْلٍ هَيِّمَ الشُّعْرَا
وله:

أَفْدِي حَبِيباً عَزِيزَ الْوَصْلِ تَيَّمَنِي فِي كُلِّ لَيْلٍ مِنْهُ مَوْعِدٌ وَنَبَا
بِزَخْرَفِ النَّمْلِ صَادَ الصَّبِّ عَارِضُهُ وَهَامَتِ الشُّعْرَا فِي هَلْ أَتَى وَسَبَا
وله:

بِأَبِي مَلِيحٍ لَمْ أَزَلْ فِي أَسْرِهِ مُذِ ارْتَشَفْتُ سَلَافَةً مِنْ ثَغْرِهِ
وَسَى الْقُلُوبَ بِنَمْلِ عَارِضٍ زَخْرَفٍ مِنْ فَوْقِ شَمْسٍ ضَحَى الْجَبِينِ وَعَصْرِهِ
وله:

وَجَبَةٍ خَالٍ بِخَدِّ الْحَبِيبِ تَلَوْذُ بَعَارِضِهِ السَّائِلِ
تَفَانِي الرِّجَالِ عَلَى حَبِّهَا فَمَا يَحْصِلُونَ عَلَى طَائِلِ
وله:

بِثَغْرِهِ الدَّرُّ شِبْهُهُ وَوَجْتُهُ حَمَالَةُ الْوَرْدِ لَا حَمَالَةُ الْحَطَبِ
رَشَفْتُ رَيْقَتَهُ فَازْدَدْتُ مِنْ عَجَبٍ إِذْ بَانَ لِي جَوْهَرًا قَدْ حُفَّ بِالذَّهَبِ
وله:

إِذَا تَبَسَّمَ مِنْ أَهْوَى فَأَنْشَدَهُ يَا مَطْلَباً لَيْسَ لِي فِي غَيْرِهِ أَرْبُ

وقل لبرق الحمى إن لاح معترضاً لقد حكيتَ ولكن فاتك الشنبُ
وله :

يا شادناً ملكَ الفؤادَ بطلعةٍ شاهدتُ منها البدرَ ليلَ تمامِ
عجباً لثغرك باردٌ في طعمه وله عذارُ من سيفٍ لحظك حامي
وله :

ثغر الذي أهوى له بارقٌ قد لاح للصادرِ والواردِ
مبردٌ في الثغر عنه روى وخدُّه يروي عن الواقدِ
وله في مثله :

هام الفؤادُ بظبي فاقَ كلَّ فتى بنورِ طلعتِه الغراءِ والأدبِ
ثغرُ له عن صحاحِ الجوهرِ روى وحسنُ خدُّ له يروي عن الذهبِ
وأصله من قول ابن الوردي :

وملحٍ إذا النحاةُ رأوه فضَّلوه على بديع الزمانِ
برضابٍ عن المبردِ يروي ونهودِ تروي عن الرمانِ
وله أيضاً :

وربَّ ساقٍ كبدر التَّمْ طلعتُه قد ضَنَّ بالراح لما غاب من عشقا
ولم يزل عفيف الذيلِ يملطنا بالراح واللثمِ حتى زاره فسقا

أخذه من قول الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني :

وساقٍ منع السقيا وقد غاب الذي عشقا
وما زال عفيف الذي لى حتى زاره فسقا

وله :

بالروح أفدي مغن فيه تزايد عشقي
ملكته بشراء فصار مالك رقي

وله مكتفياً :

قال لي في الدوح جبي وبه الأنهار تجري
قم بنا في الروض نغدو بين ريحان ونسر (ين)

أخذه من قول البدر الدماميني :

يقول مصاحبي والروض زاه وقد بسط الربيع بساط زهر
تعال بنا إلى الروض المفدى وقم نسعى إلى ورد ونسر (ين)

وله فيمن أضاف أصحابه برجله :

ضاف أقواماً بقله من غدا في البخل مثله
ما كفاه اللؤم حتى مد للأضياف رجليه

وله :

يا غائبين سرى لنحوي منكم ذاك النسيم وذيله مبلول
فأتى إلي مع الصباح بعرفكم وشفى سقام الصب وهو عليل

أخذه من قول ابن نباته :

يدأوي أسي العشاق من نحو أرضكم نسيم صبا أضحي عليه قبول
بروح ذيالك النسيم إذا سرى طيب يدأوي الناس وهو عليل
وله وأجاد :

يا صاح إن هبَّ النسيم من الحمى وغدا يجزُّ من الحياء ذيو لا
فأشتم أنفاساً مملكة الشدى مهما تأرج بكرة وأصيلا
ولقد تكفل للسقيم بصحة لمّا سرى سحراً وجاء عليلا
لا غرؤ إن أجرى الدموع فإنه ديف حكاني رقة ونحو لا
فهي الرسول من الأجرة ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

قلت : ورأيت بخط بعض الفضلاء . . . (١).

[٤٢٥] السيد السند أحمد بن مكي الحسني الحموي الحنفي (٢).

شهاب علم يهتدي به أهل البصائر في المشكلات ، ويرجع إليه في
المعضلات ، مشهور بمدينة مصر بين العلماء بالتحقيق ، وسعة العلم والتدقيق ،
ولد بمصر ، وبها نشأ ، وأخذ عن كثير من علمائها ؛ كالشهاب الخفاجي ،
والسري الدروري ، وأخيه أحمد ، وحسن الشرنبلالي ، وسلطان المزاحي ،
ومحمد علاء الدين البابلي ، وعلي الشبراملسي ، وغيرهم من شيوخ عصرنا .

(١) جاء في الحاشية : «بعد كلمة «الفضلاء» ثلثا الصفحة بياض بالأصل» .

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٥) ، «الأعلام» للزركلي (١ / ٢٣٩) ، «هدية
العارفين» (١ / ١٦٤) .

واشتهر صيته في الآفاق، وأخذ عنه جمعٌ، وأفاد وأجاد، ودرس بالأزهر،
وألف كتباً عديدةً، منها: «شرح على الأشباه والنظائر لابن نجيم»، ومنها:
«شرح على الملتقى»، و«شرح البسملة»، و«رسالة في الاستعارات»، وغير
ذلك من الرسائل في غالب الفنون.

توفي ليلة الجمعة، سابع وعشري شهر صفر، سنة ألف ومائة وواحد،
ودفن يومها بترية المجاورين - رحمه الله تعالى -.

وله شعرٌ في غاية الرقة والانسجام، منه: قوله يمدح الأستاذ سيدي زين
العابدين بن الأستاذ محمد بن زين العابدين البكري - نفعا الله به -:

ورقيتي خصرٍ بالنحولٍ ممنطقي	قد ريشت بالهدب في أجفائه
غصن على دعصٍ يميل مع الصِّبا	سكرانٌ من خمر الصبا نشوانه
مكحولٌ أطراف الجفون غضيضها	قد خُضِّبت بدم القلوب بنائه
ما السحرُ إلا ما حوته جفونه	والطيبُ إلا ما حوت أردانه
ما الوردُ إلا ما حوته خدوده	وعذاره ريحانه سوسانه
ما الصَّعدةُ السمراءُ تشبه قده	كلاً ولا غصنُ النقا فينائه
سلطانٌ حسنٍ بالجمالٍ متوجُّ	شاكي السلاح سهامه أجفائه
قد حَجَّبَوه بالأسنةِ والطُّبا	كالبدْرِ حُجِّبَ بالغمام عيانه
فهو العزيزُ ومصره قلبُ الشجي	وسوادُ ناظره به إيوانه
مبدولٌ ما فوق اللثامِ لناظرٍ	ممنوعٌ ما تحت الإزار مصانه
قد زارني والليلُ قلَّصَ ذيلهُ	والصبحُ قد طعن الظلامَ سنامه

والورق تبكيه وتندب فقدَه
في منزلٍ عمّ السرورُ رحابَه
والوردُ والمشورُ يعبقُ نشره
وحديثنا قطعُ الرياضِ أظللها
جاذبته هُذبَ الحديثِ مورِّياً
فأباحَ ما تحت اللثامِ لناظري
فلثمته ورشفتُ صَهبا ريقه
وضممتُه وهصرتُ بانهَ قدَه
وغفرتُ ذنبَ الدهرِ مما قد جنى
ومدحتُ قطبَ الوقتِ عارفَ عصره
زينَ العبادِ وزينةَ الدنيا التي

وله أيضاً:

وغضيفُ جفنٍ بالنعاسِ مكحلٍ
لا شيءَ أطيبُ من أقاحي خدّه
ما الدرُّ يشبه لحظّه والدرُّ يشد
قد بانَ عذري مذ أطلَّ عذاره

وله:

تبديّ ذا العذارُ شبيهةً لامٍ
غدثُ كلِّ البرايا منه سكرى

والديكُ صاحٍ وقد علت أحزانه
والعودُ يفصح بالسرور لسانه
والنَّدُ يسطع إذ علاه دخانه
أندى الربيع وما أطلَّ زمانه
عن فرط شوقٍ قد ذكثَ نيرانه
وأباحني الثغرَ النضيدَ جمانه
وشفيتُ قلباً شفني خفقانه
وعففتُ عما ضمّه هميانَه
وشكرتُ مولى عملي إحسانه
مَنْ قد علا الفلكَ الأثيرَ مكانه
شرفتُ به وهو الأخيرُ زمانه

سلبت حشاشةً مهجتي عيناهُ
والورد أخضله الندى خداهُ
بِه لفظه سبحانَ من أنشاهُ
وازدادَ بي وجدي وطاب هواهُ

على ورد به زهتِ الخدودُ
لدى لاميةِ الوردِ شهودُ

وله :

بأبي وغير أبي عذار سائل كالمسك سأل على بياض العاج
أبدأ أدين بحبه وبمدحه فليلخني اللاحى ويهجو الهاجي

وله يرثي شيخه الشهايين : أحمد الخفاجي ، وأحمد الشوري - رحمهما
الله - مضمناً :

مضى الإمامان في فقه وفي أدب الشوري والخفاجي زينة العرب
وكنْتُ أبكي لفقد الفقه منفرداً فصرتُ أبكي لفقد الفقه والأدب

[٤٢٦] مولاي أحمد المعروف بالذهبي ، أبو العباس المنصور بالله
ابن أبي عبدالله المهدي القائم بأمر الله الشريف الحسيني ، سلطان المغرب
وابن سلطانه^(١).

تفرع من جرثومة الفضل والنبوة ، وتدرع جلاباب الشرف والمجد
والفتوة ، فطلع من المغرب بدرَ علا مشرقاً ، وراح لعداته بماء حسامه مُغصّاً
مُشرقاً ، فهو كما قال بعضهم فيه ، لما بلغه من احتفاله بالفضل وتحفيه :

بدرُ علا مشرقه المغرب ، ومُبدع في مجده مغرب ، له مزايا لا تناهي
ولا يعرب عن تبيانها معرب ، لم يزل على سرير الملك سامياً ، وغيث نواله

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٢٢) ، وذكر وفاته فقال : «وتوفي في سنة اثنتي عشرة
بعد الألف» ، «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٦٢) ، «ريحانة الألباء» للخفاجي
(١ / ٢٨٩) (٤٤) ، «الأعلام» للزركلي (١ / ٢٣٥) ، «موسوعة أعلام المغرب نشر
المثاني» (١١٢٤).

هامياً، لا يرفع قصب المجد إلا بدعائم الرماح، ولا يسقي رياض الفضل إلا
بغمام السماح، وليس ليضه أعماد سوى الطلى، ولا لسمره مراكز غير الكلى،
تسعد به الأصحاب والشيع، وتشقى به الروم والصلبان والبسيع.

لا يدانيه في سمو قدره مدان، حتى أنزله عنه منزل سيف ذي وزن من
رأس غمدان، فدجت بعد إشراقها مغاربه، وفلت بعد مضائها مضاربه،
فبكت عليه ممالكه وجنوده، وخفقت قلوب أوليائه كما خفقت بنوده، وهذه
غاية كل ملك ومملوك، ونهاية كل غني وصعلوك

قال العلامة أحمد المقري وقد أطنب الكلام على ترجمة الوزير الكبير
عبد العزيز الفشتالي في كتابه المسمى بـ: «مناهل الصفا في فضائل الشرفا»،
وعهدي به أكمل منه ثمان مجلدات، وهو مقصور على دولته وذويه، وألف
كاتب أسرارته الرئيس أبو عبدالله محمد بن عيسى فيه كتاباً سماه: «الممدود
والمقصود في سناء السلطان المنصور»، وهذه التسمية وحدها مطربة.

ومن شعره قوله:

تبدي وزند الشوق تقدحه النوى	فتوقد أنفاسي لظاه وتُضرمُ
وهشاً لتوديعي فأعرضتُ مشفقاً	على كبدٍ حرّى وقلبٍ يقسمُ
ولولا ثواه بالحشا لأهنتها	ولكنها تعزى إليه فتكرمُ
فأعجب لآساد الشرى كيف أحجمتُ	على أنه ظبي الكناس ويقدمُ

وقوله مورياً:

إن يوماً لناظري قد تبدّى فتملّى من حسنه تكحيلاً

قال جفني لصنوه لا تلاقي إن بيني وبين لقياك ميلا

وقوله في وردة مقلوبة بين يدي محبوبه :

وردة شفعت لي عند مرتهني وافق وقد سجدت للقاتر الحديق
كان خضرتها من فوق حمرتها خال على خده من عنبر عبق

وقوله موريا :

هـ نمر طيب وافى على البشر انطوى
يا حسنه مجتمعاً يحلونا بلا نوى

وقوله موريا بمصانعة الثلاثة : البديع ، والمرة ، والمتهى :

بستان حسك أيتعت زهراته ولكم تبيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصتك بالمرة يشي يا حسن ماته البديع المشتبه

[٤٢٧] أحمد السطحة بن الحبول بن عبد الطاهر بن أبي بكر بن الحبول

نيسر العالم ومثله في المهادين أبي بكر صاحب الخلال الأكبر ابن محمد
ابن عيسى بن أبي الأولياء سلطان الطوقين بالله أحمد بن عمر الزطعي القيلي .
صاحب اللحية (١)

التي قل في شنه لولي لكبير تو لعت بن جميل . حين زده وتعطى
خمت بعه . وقد سله للاحته عنه . وعن سب تعطيه خمت بعه . نون
غيره من أيتعت به على وجه لا آخر كره على لله عنه . ولا له نوه يعرف

(١) نسخة لآلئ لمسي

به يوم القيامة، وأكون أنا وأنتم تحت لوائه.

أحد أولياء الله الكبار، العارفين الأخيار، الذين اشتهروا في سائر الأقطار، بعجاجة الشأن وعلو المقدار، وممن اشتهرت كراماته، وعمت بركاته، وحُمدت صفاته، وعمرت بالخير أوقاته، وعظمت عبارته، وكثرت إشارته.

مولده «اللحيّة»، وبها نشأ، وأُقعد وهو صغير، وأخذ عن الأكابر، الذين ليس لهم في عصره مثابه ومناظر، وعنه أخذ كثيرون من العارفين، والأئمة الصالحين، منهم: الختم الإلهي أحمد بن محمد القشاشي، والولي الشهير المقبول بن أحمد المحجب الزيلعي، وغيرهما.

وكانت وفاته - نفع الله به - نصف ليلة الأحد، ثامن شهر ربيع الثاني، سنة اثنتي عشرة بعد الألف باللحية، ودفن بقرب تربة جده الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي - رحمه الله، ونفعنا به -.

ومن كراماته: أن بعض أكابر السادة جاءه وهو مقعد، وكان يتعلم القرآن وهو صغير قبل البلوغ، فقال له في أذنه لما رأى الأطفال قاموا يتمشوا ويلعبوا بعد انقضاءهم من القراءة: نقيمك يا سطيحة تمشي معهم؟ فقال له مجيباً: إن أقمنا، أقعدناك، فصاح، وخرج هارباً. انتهى.

ومنها: أنه قبل موته بأيام كان يقول لزوجته: إذا مت، فلا تصيحوا، ولا تنوحوا عليّ؛ فإنني متوجه من مكان إلى مكان آخر، وهي تقول له، وكانت أيضاً من أولياء الله: ما يمكن نخالف أهل بلدنا؛ فإننا إذا لم نفعل ذلك، يعيونا، ويقولون: إنك عندنا ممتهن، فقال لها: إن كنتم تفعلوا ذلك، تفتشوا عليّ ما تجدوني.

فلما مات، ناحوا عليه وبكوا، فلما جهزوه، وأتوا به إلى المسجد ليلاً ليصلوا عليه، فبينما هم ينتظرون أمام المسجد ليصلّى عليه، جاء بعض الناس ومسه ليتبرك ببدنه، على عادة أهل اليمن في تسليمهم على الميت عند الصلاة، فلما وضع يده على الساتر الذي يضعوه فوق التابوت، لم يجده في التابوت، فأخبر الناس، فضجوا وتحيروا، وصاروا يفتشوا، ويظنون أنه سقط، حتى جاء بعض أكابر بني الزيلعي، وأمرهم أن يقرؤوا سورة ياسين أربعين مرة، فلما أتموها، وجدوه مكانه. انتهى^(١).

[٤٢٨] أحمد بن إبراهيم الضوي^(٢).

الشيخ العارف بالله، كان مقيماً بـ «قلمة»: قرية بقرب «قليوب»، من شرقية مصر، لا يأوي غالباً إلا الكيمان، وكان بينه وبين النور بن العظمة ما يكون بين الأقران، حتى إنه لم يدخل مصر مدة حياته؛ مهابةً له. وله كراماتٌ كثيرة، وأحوالٌ غريبة:

منها: أنه دخل على زوجة الحمصاني، وقال لها: هل عندك شيء آكله؟ فقالت: ما عندي إلا جبن، فقال: بل عندك لبن ادخرته لزوجك، وكانت ادخرته، ولم يعلم به أحد.

وكان له اطلاع على الخواطر، وما وقف إنسان تجاهه إلا وكاشفه بما عنده.

(١) هذه الحكايات والأباطيل من صناعة أهل الخرافات، ومن تلاعب الشياطين بعقول أهل الجهل.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٧٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٨).

ومنها: أنه وجد رجلاً معه عترة، فقال: بعني هذه العترة، فقال له: أعطيت فيها خمسين نصفاً، فقال: خذ هذا ثمنها، فوضع في كفه خمسة أنصاف، فأعادها له، وقال: أقول لك: خمسين، فما زال يدفعها له بعينها، وهي كل مرة تزيد، إلى أن صارت خمسين نصفاً.

وأخبر الحمصاني: أن ولده كان جالساً في قبة الشافعي ضحوة نهار، وإذا بجمع قادمين ركبناً ومشاة، فلما أشرفوا على القبة، وضعوا سلاحهم ودوابهم بفنائها، ووقفوا تجاه الباب، وعرضوا عليه أن صاحب الترجمة محتضر، وأنه يدفن من الغد، فأشار الإمام بحضور الولد ودفنه، فلما كان الغد، أرسلت الولد إلى «قليوب» لبعض أصحابي، فوجدوه توجه إلى «قلمة»، فتبعه، فوجد أحمد المذكور محمولاً على الأعناق، ولا يدرون أين يدفونه فيه، فبمجرد وصول الولد، وضع، ودفن في المحل الذي وقف فيه.

وكانت وفاته سنة سبع عشرة - بتقديم السين - وألف - رحمه الله تعالى -.

[٤٢٩] أحمد بن معوضة الجربي^(١).

منسوب إلى الجريين، بالقرب من بلاد آل عابس، أقرب إلى شرقي الجهة الذمارية، كان عالماً عاملاً عابداً، ورعاً إلى الغاية، إماماً في الفقه، قرأ عليه السيد العلامة عبدالله بن أحمد المؤيدي، استقر بدمار، ثم دخل صنعاء، واشتهر مقامه، وصير إليه الناس واجباتهم؛ ليصرفها في أربابها، فكان لا يقبل ذلك، ولا يتولى قبضه، بل يتركه عند أربابه، ثم يفعل للمستحقين

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٠٩) (١٠٤).

ورقاً بأيديهم، وكان لا يجعل لنفسه - مع فقره - إلا ما يفعل لرجل من ضعفاء المسلمين.

وعمي في آخر عمره، فتوجه لعبادة ربه بمسجد داود بصنعاء، وله ولدان عالمان، الأكبر منهما محمد بن أحمد، كان على طريقة أبيه، في الورع والتقشف، مبارك العلم، من قرأ عليه، منحه الله، وكان إماماً لمسجد داود، وكان لا يفارق المسجد إلا عند ميته، متواضعاً يقضي حوائجه بنفسه، ولا يسأل أحداً شيئاً، وله من وظيفة المسجد شيء يسير يكتفي به.

والثاني عبد الله بن أحمد، كان عالماً يتوقد ذكاءً، وله في علم الكلام جليله ودقيقه اليد الطولى، وفي الفقه ترجيحات، وهما حريّان بإفراد الترجمة لهما، فإن أمكن، فهو ذكر نعمان، وانتقلاً جميعاً إلى «الروضة» من أعمال صنعاء، واستفاض عند كثير من أهل بيوته رؤية النور من قبورهما.

وكانت وفاة المترجم سنة خمس عشرة بعد الألف، وقبره بجريّة الروض بصنعاء - رحمه الله تعالى -.

[٤٣٠] أحمد شهاب الدين بن علي بن الملا قاسم بن نعمة الله الشيرازي محتداً، المكي مولداً^(١).

قال السيد في «سلافته»: شهابٌ طلع في سماء المكارم بدرأً، وشرح لاقتناء المعالي والمآثر صدرأً، بفلك أعنة المحاسن، وورد من مناهلها عذباً غير آسن، إلى أدبٍ لم يقصر في مداه من غاية، ونظمٍ رفع به للقريض راية.

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٣ / ١٧٩)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٤ / ٢٣١) (٣٠٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٨٢).

منه : قوله مادحاً للوالد، وقد قصده بالديار الهندية، سنة أربع وسبعين
بعد الألف :

سقى الله ربعاً بالأجارع من نجدٍ	وحَيَّا الحَيَّا وادي الأراكة والرَّندِ
مغانٍ بها كان الزمانُ مساعدي	بأفنانٍ بشرٍ من أسرَّته تُبدي
وريمٍ إذا ما لاح ضوءُ جبينه	بفرع حكي ليلَ التباعدِ من هندِ
أرانا محيًّا كالغزالةٍ في الضحى	أو البدرِ في برج التكامل والسعدِ
له مقلَّةٌ وسناءُ ترشُّق أسهماً	تُصيب الحشا قبلَ الجوارح والجلدِ
وثغرٌ إذا ما ضاء في جنح دامسٍ	توهمت دُرّاً قد تنضَّدَ في عقدِ
يدير بها ظلماً كأن مذاقه	جنى الطلعِ أو صِرَفَ السلافِ أو الشهدِ
وتالَعُ جيدٍ ما الغزالةُ إن عطَّتْ	بمنعرج الجرعاء طالبة الوردِ
وصعدةٌ قدْ إن تقل غصن النقا	بقول لها هيهاتَ ما ذاك من نَدْ
وردفٌ تشكى الخصر إعياء ثقله	فناءً به حتى تضاءل عن جهدِ

ومنها :

فلله هاتيك الليالي التي خلت	وعرضت عنها بالقطيعة والبعدِ
وأصبحتُ والأحشاء يذكو لهيئها	أليفَ النوى حلفَ الجوى دائمَ السهدِ
أروح وأغدو واجداً بين أضلعي	لهيبَ جَوَى لم يخلُ يوماً من الوقيدِ
أعزُّ سناني حسرةً وتأسفاً	وأندب عصراً لم أبت خالياً وحدي
وأرسل دمعاً كالغمام إذا همى	فهيئات أن يغني التأسفُ أو يُجدي
إلى الله أشكو جَوَرَ دهر إذا عدا	على المرء حاجاتٍ بالسنة لُدْ

وقائلة والعيش يزعجها النوى
لبس المنى أن تقطع اليد بالسرى
فقلت لها والله ما القصدُ منيةً
ولكن لأقضي شكرَ سالفِ نعمةٍ
لأكرم مولى ألبست يده النوى
مبيد العدا ربّ الندى غوثٍ صارخٍ
ملك غنى دَرّ المكارم والنهى
ملك إذا ما جال في حومةِ الوغى

منها:

به افتخرت آباؤه الصيّد في العلا

ومنها:

فدونكها يا نجل طه خريدةً
تهني بعيد اليمن والسعد والعلا
فلا زلت منصوراً مدى الدهر ناصراً
تحفك أبطالاً إذا شبت الوغى
ويتلوهم من آل خاقان زمرةً
وإن كنت لم أكمل مديحك حقّه
وقد أوجبّ التطفيل ما ليس خافياً

وعبرتها كالطلّ يسقط في الورد
وترحل عن وادي المحصّب للهند
ولا نيل سؤلٍ من عروض ومن نقدٍ
مشيدة الأركان بالأب والجَد
مطارفَ نعماء تجلّ عن الحد
ملاذٍ لأهل الأرض بل غاية القصد
ونيطت به العلياء وهو على المهد
تدرّع جلياب البسالة عن سردٍ

إذا افتخر الأبناء بالحسب العدّ

تميس اختيالاً من مديحك في بُردٍ
ونحر عدوّ لم يزل واغلّ الحقد
كريم المساعي في وعيد وفي وعدٍ
يؤماك نجلاك المؤيد والمهدي
تخوض غمار الموت حاسرة الزند
فذلك عبء لا يقوم به جهدي
عليك من الإخلاص والصدق والودّ

فَلَسْتُ كَشَخْصٍ وَدُّهُ فِي لِسَانِهِ وَفِي طَيِّ أَحْشَاةِ الَّذِي يَبْدِي^(١)
وَدَمٌ رَاقِياً مِنْ أَرْفَعِ الْمَجْدِ رَتَبَةً تَوْمٌ فَنَاهَا الصَّيْدُ طَالِبَةَ الْمَدِّ

وله من قصيدة:

يَا أَخْلَائِي بِجِرْعَاءِ الْحُمَى مَا لَصَافِي وَدُّنَا عَادَ أُجَاجَا
وَلِيَالٍ بِمَنْى قَضَيْتَهَا مَعَ نَدِيمٍ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ دَاجَى
وَمَلِيحٍ كَفَزَالٍ نَاعَسٍ يُخْجَلُ الْأَقْمَارُ حَسْناً وَانْبَاجَا
فَسَعَى فِي شَتَا دَهْرٍ بَنَى بَيْنَنَا مِنْ فَادِحِ الْبَيْنِ رِتَاجَا
فَتَنَاءَوْا وَتَبَدَّلْتُ بِهِمْ فَتَنَةً حَادَتْ عَنِ الْحَقِّ اعْوَجَاجَا

وَمِنْ شِعْرِهِ مَجِيئاً لِلْسَيِّدِ عَلِيِّ صَاحِبِ «السَّلَافَةِ» عَنْ آيَاتِ كِتَابِهَا إِلَيْهِ،
لِغَرَضٍ عَرَضَ:

أَبَا حَسَنِ لَا زَالَ سَعْدُكَ غَالِباً وَجَدُّكَ مَسْعُوداً وَنَجْمُكَ ثَابِتاً^(٢)
وَلَا زَالَتِ الْعِلْيَاءُ تَجْنِي ثَمَارَهَا لَدَيْكَ وَتَحْوِي فِي الْمَعَالِي الْأَطَايَا
أَنَا فِي قَرِيضٍ مِنْكَ قَدْ جَرَّ ذَيْلَهُ عَلَى الْأَطْلَسِ الْأَعْلَى وَفَاقِ الْكَوَاكِبَا
يَشِيرُ إِلَى خِلِّ تَغْيِيرِ وَدُّهِ وَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ التَّصَافِي مُحَارِبَا
أَبَى اللَّهِ أَنْ يَتَنَبَّى عَنَانٌ وَدَادِهِ وَلَوْ مَطَرَتْ سُحُبُ الْغَوَادِي قَوَاضِبَا
وَلَكِنَّهُ يَا مَفْخَرَ الْعَرَبِ امْرُؤٌ يُجَرِّعُ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ مَصَابِنَا

(١) كذا في الأصل، الشطر الثاني غير موزون.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: ثائباً.

فجرّد^(١) عزماً للتجافي عن الورى وأصبح منحاذاً عن الخلق جانباً
ومنها:

فصبراً لهذا الدهر إن صُروفه لعمرك تبدي من قضاها عجايباً
سيصفو شرابٌ مرّ دهرأً مكدرأً ويرضى محبٌ ظلّ حيناً مُغاضباً
فإنّ ضميري لا يزال منازعي بأنك ترقى في المعالي مراتباً
مراتبٌ تسمو للسُّماكين رفعةً تقود بها خيلَ الفخار جنائباً
فذلك عندي عن تقيٍّ مكرمٍ صدوقٍ إذا ما قال لم يُلفَ كاذباً
وما زلتُ أرى قوله في مواطن فألفيته ثبتَ المقالة صائباً
ودم راقباً للمجد أرفع رتبةً تبيدُ الأعادي أو تُنيلُ الرغائباً

[٤٣١] السيد أحمد بن نهشل بن داود بن جعفر بن قاسم بن يحيى
ابن جعفر بن الحسين ابن الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر ابن الإمام القاسم
ابن علي بن عبدالله [بن]^(٢) محمد بن محمد بن القاسم بن إبراهيم^(٣).

كان سيداً جليلاً، عالماً نبيلاً، من تلامذة الإمام يحيى شرف الدين،
وقرأ عليه شيخُ الأئمة الحسن بن شرف الدين الحَمْزي، وكانت وفاته سنة
عشرة وألف، ودفن بقبة الحويت، في الظفير.

وفي هذه القبة جدُّه جعفر بن قاسم، وبجانبه الفقيه مسعود بن محمد

(١) في الأصل: فتجرد، والصواب ما أثبت.

(٢) كلمة [ابن] سقطت من الأصل.

(٣) «طبقات الزيدية الكبرى» (١ / ١٨٧) (٨٤).

الحويت صاحبُ المدرسة، والفقيه ناجي، وبعد ذلك دفن فيها السيد يحيى ابن أحمد بن محمد بن المنتصر - رحمهم الله -، كذا ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

[٤٣٢] أحمد بن صلاح بن حسن بن محمد بن علي بن مهدي بن علي ابن حسن بن عطية بن محمد المؤيد الدوّاري، المعروف بالقصعة^(١).

كان من كبار العلماء الأخيار، زاهداً في الدنيا، كثير الإحسان، لا ينظر إلى الظلمة، ولا يتردد عليهم، وكان كريماً، إذا حضر طعامه بصعدة، أمر رسولاً يأتي بمن في الجامع من الغرباء.

وكان بحراً في العلوم لا يجارى، وصنف كتاباً في أنواع الحديث مبسوطاً، وله كتابات متفرقة، في علوم متعددة، وأمّه جارية هندية؛ لأن والده كان كثير السفر إلى الهند، ومولده بـ «كنبايه».

ومن شيوخه: الحسين المسوري، والسيد محمد بن عز الدين المفتي، مؤلف «الحاشية على الكافية»، قرأ عليه «الحاجية»، وحاشية عليها، والسيد علي ابن الإمام شرف الدين، والسيد فخر الإسلام مظهر بن تاج الدين، توفي ليلة الثلاثاء، ثالث وعشري شوال، سنة ثمان عشرة وألف، وقبره بصعدة.

[٤٣٣] أحمد بن عبد الرحمن الناشري الزبيدي الشافعي.

كان إماماً ورعاً، زاهداً عابداً، توفي يوم الخميس، في شهر رجب، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف.

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١ / ١٤٨) (٥٥).

[٤٣٤] أحمد بن مسعود الحسني .

مترجم في المجموع، الذي أوله رسالة الأشخر.

[٤٣٥] السيد أحمد بن شيخ بن عبدالله بن شيخ العيدروس^(١).

الشيخ العارف بالله، الولي المجذوب، وُلد بـ «تريم»، سنة تسع وأربعين وتسعمائة، وجاء تاريخ مولده: (ولي الله شمس الشموس)، ونشأ بها، وقرأ القرآن، ودخل أرض الهند مرتين، آخرهما سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، واستمر مقيماً بأحمد آباد، عند والده، ولازمه إلى أن توفي، ثم انتقل إلى مدينة «بروج».

وحصل عليه غيبة عن إحساسه، فكانت ترد عليه الواردات العوال، التي لا يحملها إلا فحول الرجال، وكان يظهر عليه آثارها؛ من دهش وانزعاج، وقلق واهتياج، وكان يعتقد أنه أهل الهند اعتقاداً تاماً، وظهرت منه كراماتٌ كثيرة.

وكانت وفاته يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة أربع وعشرين بعد الألف بيندر بروج من الديار الهندية، وقبره معروف يزار، ويلتجأ إليه، ويتبرك به -رحمه الله تعالى-.

[٤٣٦] أحمد بن يحيى بن سالم بن علي بن محمد بن موسى الذويد الصعدي^(٢).

(١) «خلاصة الأثر» للمجبي (١ / ٢١٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١١١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤١).
(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (١ / ٢٣٣) (١١٦).

كان عالماً غريب الصفات، قليل النظر في وقته، جمع أنواعاً من العلم، أما الشرعيات، فكان إمامها على الإطلاق، وأما المعقولات، فكذلك، له «شرح على تلخيص المفتاح» بسط فيه، وله في كل علم قدم راسخة، خصوصاً الطب؛ فإنه بلغ فيه الغاية، وكذلك الرمل ولواحقه، والزيجات، وحل السحر، وقرأ التوراة.

وكان آية من آيات الله، مع مكارم الأخلاق تفضح النسيم العبور لطفاً، وتخجل شميم العبير عَرَفاً، وكان كلفاً بالكتب وتحصيلها، وبعض إخوانه يتعاطى التجارة، ووالدهم إذ ذاك حي، وأثرى، وكثر ماله، وجمع خزائنه من الكتب لم تجتمع في عصره لغيره، توفي يوم الاثنين، خامس عشر جمادى الأولى، سنة ست وعشرين وألف.

[٤٣٧] أحمد ابن الفقيه عبد الرحمن بن سراج باجمال الحضرمي الشافعي^(١).

كان من الفقهاء المحققين المبرزين، والعلماء المتصلعين، قرأ على والده، وتولى الجامع ببلدة «الغرفة»، وأضيفت إليه الأحكام، وقصده الناس بالفتوى، وكانت له اليد الطولى في تحقيق المشكلات، والاطلاع على المسائل العويصات.

وكان غزير العقل، قوي الذهن، كريم النفس، له القريحة الوقادة، والعبارة المنقادة، سريع الحفظ لما يعاينه، وله النظم الرائق، والأجوبة المحققة الواضحة المرضية، جمعها ولده الفقيه محمد، وقد فات منها لطول الوقت

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٢٣٣).

كثيراً^(١)، واختصر «فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن حجر الكبرى» في مجلد،
والنقط فتاوى كثير من المتأخرين.

توفي سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن شرقي ضريح العارف بالله تعالى
عبدالله بن عمر باجمال، ببلدة الغرفة، من حضرموت.

[٤٣٨] أحمد أبو المواهب بن علي بن عبد القدوس ابن الشيخ العارف
الولي المشهور محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله الشناوي القرشي الشافعي
العباسي، الشهير بالحامي الشافعي، وينتهي نسبه إلى سيدي عمر الأشعث،
نلميذ سيدي أحمد البدوي، الفرد الأكمل، والد الكمل، ترجمان القدم
والأزل بالوراثه، ملحق الأواخر بالأوائل، غوث الإغاثة^(٢).

كان - قدس الله سره - إماماً في العلمين: علم الشريعة، والحقيقة،
وشيوخ أكابر أهل الوحدة والطريقة، كنز العلوم والدقائق، ومركز مدار الحقائق،
سبح في أبحر المعارف بيباعه الواسع، وجمع إليه من كل فنٌ بديع شاسع.

ولد في سابع شوال، سنة خمس وسبعين وتسعمائة، بمحلة روح، من
غربة مصر، وأخذ عن القطب الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، وحسن
الدُّنْجِيهِي، وأحمد المعرِّي، وعن الشمس محمد الرملي، والشهاب أحمد بن
قاسم العبادي، وغيرهم من علماء القاهرة.

وأخذ الطريقة الأحمدية عن والده، حتى بلغ الغاية في الطريق، وانتهت

(١) كذا في الأصل.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحببي (١/ ٢٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٩)،
«الأعلام» للزركلي (١/ ١٨١).

إليه في عصره بمصر الرياسة في علم القوم والتحقيق، وفي تلقين الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عنه أكابر، منهم: الشيخ الشمس محمد الشوبري، وأخوه أحمد، وشيخنا سلطان المزاحي، وكمال الدين السوداني، وأبو بكر القعود، والعارف بالله حسن البدوي، ومحمد بن علي الشبراملسي.

ثم توجه إلى مكة، ومكث بها سنين، ووقعت له وقائع مشهورة، ثم استقر بالمدينة، وأخذ بها عن السيد غضنفر بن جعفر البخاري، وصحب بها السيد العارف بالله صبغة الله بن روح الله الحسني، وأخذ عنه طريق الغوثين، وتلقن الذكر، ولبس منه الخرقة، وبه تخرج في التحقيق، وعلوم الطريق، وأرضعه من درّ ضرعه لبان المعاني والبيان، ورياه بعد أن فطمه عن شائبة الغير في حجر حَجْرِهِ، إلى أن فاز بالكشف والعيان.

وقام بعده مقامه للناس، في التربية والتلقين والإلباس، وتمكن حاله، واشتهر مقاله، وصارت له اليد الطولى في الطريق والكرامات، التي لا يحصرها عدّ لبلوغها النهايات، ومن أجلّها: أنه عاهد روحاني، أن لا يؤذوا مريديه بشيء من المخوّفات، وتعهد بعدم الرجعة لمن صدق من مريديه، في إخلاص النيات.

وكان يقول - كما أخبرني شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشيشي -: لو كان الشعراني حياً، ما وسعه إلا اتباعي، وكان يقول: لا يدخل النار من رأيي، أو رأى من رأيي، إلى يوم القيامة^(١)، ونقل عنه أنه قال: عهدنا يحفظ، وإن لم يحفظ، واشتهرت تلامذته وخلفاؤه في كل أرض، وسلمت له أهل عصره،

(١) غفر الله للمصنف ورحمه إذ نقل هذه الأباطيل، وإلا فمن يستطيع أن يدعي هذه الدعوى من أهل العقل والدين.

وأنه لا يتكلم إلا عن إذن الهي، ونفت روعي .

وجمع ما تشتت في طرق القوم، وظفر فيها بما غلا في السوم، فكم له من منة على من سلكها، وكم التقط من الكنوز جواهر ومعادن، وبمعرفته في كل مشكل سبكه، فجزاه الله خيراً بما هو أهله، فكم أتحنف مرديده بكف يشكر بها فضله .

منها: أنه قال: أجزت لكل مسلم تبرأ إلى الله من الشرك الظاهر والباطن؛ كخدع نفسه وهواه، أن يتوب إلى الله، ويلقن الذكر، ويصافح، ويلبس الخرقة، بشرطي هذا، على وفق أهل السنة، من سنة ألف إلى قيام الساعة، بإجازة قوله ﷺ: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، وقوله ﷺ: «من كثر سواد قوم، فهو منهم»، وبإجازة: قوله سبحانه: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] .

ولم يسقط الحكم بوجود العذر، كما ورد: «سيأتي على أمتي زمان، العامل فيه بعشر ما أمر به، مثل أبي بكر وعمر فيكم»؛ إذ المرض لا يسقط الطلب، والميسور لا يسقط المعسور .

ثم قال: وأجزت بلبس الخرقة أيضاً، لتتوير الباطن بزَيِّ القوم؛ لخبر: «من تزيا بزَيِّ قوم، فهو منهم»، فإذا ثبت أنه منهم، يكون له ما لهم، وعليه ما عليهم، فيحسن الظن بالله، ويقوي يقينه لخبر: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»، وخبر: «تعلموا اليقين^(١)؛ فإنني أعلمه»، ثم قال: فعليك بنسبة التوبة، ونسبة الخرقة؛ لخبر يوم القيامة: «ينقطع كل نسب إلا نسبي وحسبي» .

(١) في الأصل: التفتي .

ثم قال: وأصحَّ طرقنا ما أخذه المخبر أحمد بن علي عن والده، وكل
عن الذي بعده، وعبدالله عن جده لأبيه سيدي عمر الأشعث عن سيدي أحمد
البدوي، وهو سيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي علي الشناوي، الثلاثة عن
السيد الشريف عبد السلام بن بشيش - نفع الله بهم -.

ومنها: أنه قال - كما رأيته بخطه -: إذا تحيَّرتُم في الأمور، فعليكم
بزيارة القبور، قال: وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا، ولكنه كلام حقّ،
فقد ردَّ عليّ بصري من سيدي أحمد البدوي، وفتحت لي البلاد إلى قبرس،
ولي مع الحضرة النبوية وقائع لا تحصى.

والحاصل: أنه كان آية من آيات الله، لا تفي عبارة بنعته، وصفة كماله،
فالغاية الاختصار، والأولى الاقتصار.

وله المؤلفات العظيمة، ومن أجلها: شرحه على جواهر الغوث، في
مجلدين ضخمين، سماه: «ضمائر الأسرار الإلهية في شرح الجواهر الغوثية»،
ومن وقف عليه، عرف مكانته في المعارف الذوقية، وفن الدعوة الأسماوية،
وشرح آخر مختصر سماه: «تحلية البصائر بالتمشية على الجواهر»، ومنها:
«التأصيل والتفصيل»، و«السطعات الأحمدية»، و«فوائح الصلوات الأحمدية»
في لوائح مدائح الذات المحمدية»، و«بيعة الإطلاق».

و«رسالة في الوحدة الوجودية التي عليها إجماع أكابر الصوفية»، وكتاب
«خلاصة الاختصاص وما للكامل من الخواص»، و«موجبات الرحمة وموثقات
العصمة»، و«نظم الزورا»، و«مناهج التأصيل»، و«منظومة سماها: «صادحة
الأزل»، و«شرحها»، وغيرها من التصانيف، التي لم ينسج على منوالها،

وتحير الألباب بحسن طلاوتها وإدلالها .

وتلامذته في الحرمين أعظم الناس ، وعليهم المدار في علوم الطريق والإلباس ، ومنهم : السيد سالم بن أحمد شيخان باعلوي ؛ فإنه خريجه ، الذي عليه تعويله ، ومنهم : العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي ، وغيرهما ، وناهيك بهما .

توفي قبيل مغرب يوم الأربعاء ، رابع أو سادس ذي الحجة ، ودفن صبيحة يوم الخميس ، سنة ثمان وعشرين بعد الألف ، ودفن ببقيع الغرقد ، خلف قبة سيدنا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، في جوار شيخه السيد صبغة الله - رحمهما الله تعالى - ، وجاء تاريخه : (خير المنزلين) .

وله الشعر البليغ البطين ، الذي بجودته لجلالته يبين ، جمعه في ديوان كبير .

من ذلك : قوله مخمساً قصيدة العارف بالله الشيخ عبد الهادي السُّودي المدفون بمدينة تعز - نفع الله به - :

كيف يبدو العينُ بالآثرِ وهي تأبى العيبَ كالحَصْرِ
صَحَّ فيها قولٌ معتبرٌ ليس عند الخلق من خَبَرِ
عنكَ يا أغلوطةَ الفِكرِ

صارت الأنباءُ عنكَ عما وشهودُ الكشفِ فيكَ دما
وعليمُ القومِ مصطلما حارت الألبابُ فيكَ وما
ميزت وِرداً من الصَّدَرِ

وحدة عزت مهيمنة جمعت للصدر مرتبة
وجلست للعين تعمية حيرة عمت فأبى فتى
رام عرفاناً ولم يحر
فجلا لاهوته ظللا فبدا ناسوته مثلاً
وعلا إطلاقه أزلا عمت أنباء ذاك على
كلهم في البدو والحضر
فحكى القيوم نزلهم وجلا في العين ريمهم
فبدا عنهم وهم وهم وغدا يسأل بعضهم
عنك بعضاً علّ من ظفر
قصدوا جمعاً به صَدِعُوا فرقوا في الجمع وانقطعوا
وهم عنهم به منعوا فاثنوا والله ما وقعوا
لا على عين ولا أثر
فمحيط كيف يحجبه فأبت عنهم مذاهبه
وضيا الإمكان واجبه بل عظيم القوم مطلبه
شدة التحيير والحصر
إن دون الحق ليس نبا فسوى القيوم منه نبا
وجمال الوجه ما احتجبا كيف حاروا فيك وأعجبا
يا منى سمعي ويا بصري
حكمه ماء بمنعقد وقيام الفرد في عدد

قمت فيهم غير متحدٍ أنت لا تخفى على أحدٍ

غير أعشى الفكر والنظر

أو على رسمي له شبه أو على وسمي به ولهُ

أو على من فرقه عمّة أو على شخص به كمّة

لم يشاهد صورة القمر

فالوجود الحقّ ذا رتبا وعلى التحويل فيه أبا

وعلى التنزيل ما سلبا بالظهور الصرف محتجبا

أنت هذا صحّ في الأثر

فعلى تحقيق ربتهم أنت في إطلاق نسبتهم

وعلى تعيين وجهتهم أنت فيهم ظاهر وبهم

ولهم لولا بقا الأثر

فهم منهم بهم عدم ولهم في علمه قدم

وهم من وجهه الأمم لو تلاشت عنهم ظلم

وانمحوا عن عالم الصور

فهم خلق بيسط وطا وهم حقّ بكشف غطا

فلو أنهلوا هدى وسطا شاهدوا معنك منبسطا

سارياً في سائر القطر

ورأوا والله ما حكموا ويعين الله ما علموا

وبوجه الحقّ قد عصموا ودروا أن الحجاب هموا

عن شهود المنظر النضر

فجلا في العين غايته وحكى للوجه هالته
فأدار البدء غايته وقضى يعقوب حاجته
وانتهى زيد إلى الوطر

وقوله ﷺ مادحاً للسادة آل أبي علوي - نفع الله بهم -، وشارحاً لألفاظ
جدهم الفقيه محمد بن علي المقدم ﷺ في كلماته المشهورة، في قوله:
«لا حاجة لي بمحمد ولا بمحمدة»، وقوله، «والله إني الله» وهو تلخيص مفيد.

تقطعت الأسباب دون جنابكم	فعروثكم وثقى هي المجد والكرم
فكم آية كبرى وكم عصمة بدت	وكم همة عليا بها تُدفع الدهم
جُعِلتم على المجد الأثيل أهلة	بإقليد مجد العز والطول والعصم
فحطت بكم ذات المكارم سرها	ولم تعد بعد الشوح وجها ولا أمم
أقمتم لواء الحمد في كل ذروة	وكنتم ولادة الدين بالعلم والحكم
وخضتم بحاراً أغرقت كل ساحل	فلا دونها مرمى ولا خلفها عصم
وعُدتُم علينا بالجواهر حسبة	ومن دون هذا الجود ما تم من كرم
بذلتم نفوساً للإله كريمة	لأعداء دين الله إذ قام وانحتم
وتمت بكم آياتٌ وحي بها تلت	بأخباركم أحكام رسل مع الأمم
وقد جاء وحي الله عهداً مؤكداً	بتطهير أهل البيت حقاً فذا الكرم
فكلُّ الملا والأنبياء وملائك	لمجد أبيكم كيف كانوا هم الخدم
فأنت وجوه العالمين بلا امترا	وكيف ووحى الله في ذاك قد حكم

محبّ لهم في كلّ وجه أتوا به
فحبّي لهم فخراً إذا أنا أحمد
وقد عهد الآباء أنا نحبّهم
وقمنا بفضل الله ديناً نودهم
ولم لا وهم في الناس في كل موكب
وقد سبقت كل القرون قريشهم
وقدوتهم منى عليّ فحبذا
وعترته للعالمين أولو النهى
وأكبرهم حوزاً وأكثرهم ندَى
بنو العَلَوِي بالله وافوا عليهم
فسادوا النهى من كل فضلٍ قد انتهى
لذا قال لِمَ أفنى ولستُ كمثلكم
وليس يضاف الشيءُ منه لعينه
وليس له وصفُ افتقارٍ ولا غنى
ولا حاجة لي عند طه حميدة
ففي الوجهة الكبرى أتى وجهُ نزلها
فمن كان في الإمكان لم تقض ذاته
فقد حقّ أن الوجهة منه بذاته
وليس لها إلا الموت رتبة

فحبّهم ديني به العهد ملتزم
وكم لي شملٌ من ولاء الدين منتظم
أجبنا بما قد كان في سابق القدم
ولم نعدُ عنهم قط في عهدهم قدم
هم الوجهة في العلياء وجهاً ومختم
على الدرة البيضاء تعبد باللزم
إمامُ الملا من قبل أن يخلق النسم
أثمتنا في الدين في كل مُدْلهم
وأطولهم باعاً عليّ المجد والكرم
بأعظم عهدٍ في المعارف والحكم
مقدمهم من حيث لا حيث وانهم
لتحقيقه في العين بالعين والقدم
وليس يُجامع أو يرافع فما انضم
فقد حاطَ وجه الجمع بالمعهد الأعم
لطيّ جهاتي فيه بالذات واللزم
وفي النزلة الغرا فلا حكمَ للعدم
وجوداً له منه، ولا يقتضى عدم
بواجهه بالذات في رتبة يوم
يقوم بها في العالمين لهم أمم

إذا كانت الأشجارُ فيها تكلم
وفي عمر قال العلي بلسانه
على أن هذا الوجهَ دون تحقيقٍ
ومن كان معلوماً برؤية ممكنٍ
فليس له تغني أحاديثُ قومه
وأقسم لهو الله بالله صادقاً
فمن صحوه المعلوم محو هويه
فليس سوى وجه المحيطانية
فليس لها قلب الحقيقة فهي في
وإقليد حكم الذات ما لواؤه
وأصل أصول الحق في جمع جمعه
وعند استواء الشمس يعدم ظلها
وقد حملت منا الأمانات رتبةً
فرتبة صحو العلم في نحو وهمه
وقد حمل الأمي ابن علينا
ومنك الوفا فيهم لهم عنهم اقتفى
وربتهم عين الوجود عليهم
وواله وذا كل وقت برفعة
وقابل به منك الرضا فهو مرتضى

بآية موسى فالمراد هنا أتم
وفي سمع الله الحديث به استقم
فذا الذكر والاشغال يأتي لمن تأم
تحكم فيه العاد واقتحم الدهم
ولا الآي والإنذار بل صفقة الندم
ولا كان سكراناً ولكن على قدم
فلم يك إلا الله قد قال ما حكم
فواصل تنزيل على العين تحتكم
وجود لها في الطي في أسفل العدم
فلم تخفه تلك التماويه والشيم
فما الفرق إلا حكم مرتبة توم
وتطوى الجهات الست في وجهة الأمم
فوقت بما قال المحيط بها فتم
يقيم على التحقيق مرتبة القدم
بما قال عنه الله فهو على عصم
دواماً على التأيد من فضلك الأعم
أنله بك العليا افتتاحاً ومختتم
تنله من الآباء ما عنه معظم
لما إن له من نيل أنباتك اللمم

وقوله نفع الله به موالياً:

إذا ما اللفظُ لحظَ العين جالت بخال الوجه في دورٍ مسلسل
فقل للأقربِ الأدنى هلمّا وقل لك بعد الأقصى تسلسل
وقوله - رحمه الله تعالى -:

إياك تصحبك في مجلاه أو مسراك بل كن بلا كونٍ واحذر فيه من إشراك
فالفرقُ والجمعُ والأسما له إشراكُ والعينُ للعين تحكي الوجهَ في مرآك
وقوله - قدس سره -:

العرشُ والفرشُ والمشهورُ تمثيلُك والصورُ والطورُ والمنطورُ تحويلُك
والخلقُ بالخلقِ بالتأصيلِ تفصيلُك والعينُ بالعينِ أو بالنفسِ تحوي لك
وقوله ﷺ:

جلا وجودك به المشهود في شاهد حتى أقام بفرض العين لك شاهد
أنت الشهيدُ فما المشهودُ للشاهد شيئاً سواه بما يُيديه من شاهد
ومن فوائده - أمدنا الله بمدده -: مقاله في شرح «الجواهر الغوثية الصغیر»
الذي سماه: «تجلیة البصائر بالتمشية على الجواهر» عند قول الغوث - قدس
سره - في أعمال الدعوة، وترك الحيوانات الجمالية والجلالية . . . إلخ .

أقول: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وفي الشرع اختلاف المطالع في الصوم والفطر مؤثر، فلا يهولنك طوية هذا الأمر؛ فإن الدين يسر، وقد أخذ ﷺ العهد على من لم يصل إلا العصر والصبح فقط، فنظر إليه أبو بكر ﷺ، فقال ﷺ: «سيصلها كلها».

وفي مبادئ الأمر وقعت مسامحة، وحكمه بإيمان الجارية، ومن القواعد
الفقهية: الضرورات تبيح المحظورات، وإذا ضاق الأمر، اتسع، وصح:
«ما شأد الدين أحدٌ إلا غلبه»، و«من شق على أمي، فاشق الله عليهم عليه»،
و«من أم، فليخفف»، و«أفتان أنت يا معاذ؟!»، والسنة مشحونة بالرحمة،
والقياس جار بهذه الحكمة، مما لا مطمع في إحصائه، ولا سبيل إلى استقصائه.

وقد أخذت مرة على نفسي بكد في التجريد بولاية الرياضات، حتى
شق ذلك على والدتي، فرأيت ببركتها واحتراقها عليّ النبي ﷺ في المعاملة،
فلاني أجد على نفسي بحسم مادة النوم، وسمعت منه بعض آية في المعاملة،
وبعضها في النوم اليقظة، قائلاً يقول بأعلى صوته الشريف: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، فأفضت امتثالاً لأمره ﷺ، في الأخذ بالرحمة،
وقطعت الحبل الذي جعلته سبباً لمنع النوم، ونمت مستلقياً، فرأيت ﷺ ثانياً،
وهو يتلو عليّ الآية، وسألته عن أسماء الخلوة، فأقراؤها، وكأنه كتبها في
كفي.

وكنت إذ ذاك مشتغلاً بطريق الخلوة، فعاملت قومي فيها بالرخص،
وكنت أجلس الجَمِّ الغفير منهم في قبة واحدة، ويأكلون المعتاد، ويصومون،
ويفطر بعضهم، ويذكرون فيها، ويخرج بعضهم إلى السبب، وربما سافر
نحو مسافة القصر، وربما يأتي أحد آخر ليلة، ويدرك ما أدركه القوم، ويرى
ما يرون من أنوار وأقمار وشموس، وهو لم يصم يوماً واحداً، ولما تأهبوا
له مشاهداً وشاهداً، ولموصلهم عائداً.

كل ذلك ببركة إذنه ﷺ، وأخذها عنه بالرحمة، التي هي شأنه بإشارة:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وحكم «أنا جليس من

ذكرني»، فلا بدع أن تصب الرحمة العظمى بعطائه الذاتي الذي لا يتوقف على شرط، ولا زوال مانع، فهو الفياض على الدوام، الكريم الذي لا تتعداه الآمال، المعطي لوصفه، لا لتلاوة اسم، ولا لرقم حرف، فلا تزعجه الأذكار، ولا تلحقه الأفكار، وما في الأزل لا يكون بعمل، والوهب الذاتي لا يعلل بعلل.

وكيف يتعدى فيض الرحمت همم الآمال، وهي له من جملة الأمثال، حاش لله أن يتعدى القديم الحادث أو يقارنه، ويخرج من الغيث باعث أو يصادره، هذا مع أن الدعاء ليس إلا فتح باب المكالمة، والفوز من الحق بلبّيك عبدي.

وذلك لا يتوقف على شرط؛ فإن ما في العلم لا يتخلف، والدعاء بما هو كائن تحصيل حاصل، وبما لم يكن محالّ باطل؛ لانقلاب العلم جهلاً، وكيف بما في الأزل يعلّل بالمعلل، لكن إذا جرى على عبد سيما العمل، فهو علامة أنه سعيد الأزل، ومن شعر الصديق الأكبر عليه السلام:

لو لم ترد نيلَ ما أرجو وأطلبه من فيضِ جودك ما علّمتني الطلب
وصح: «من أعطي الدعاء، لم يُحرَم الإجابة»، وقد أجاب الله إبليس وفرعون، وصح: «اتقوا دعوة المظلوم، ولو كافراً»، ونحن لا نقول ببطلان هذه الشروط، لكنها إذا لم تتيسر، فبعضها، قال الله تعالى: ﴿فَاقْبَلُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]، وصح: «إذا أمرتكم بأمر، فاتوا منه ما استطعتم، إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تجتنب معاصيه». وربّ طبع لا يقبل ترك الحيوان، والأطعمة الجلالية، وبلاد لا تقبل

ترك المخيط ولا العراء، فضلاً عن الجبة، فيخاطب كل قوم بحسب مزاجهم، كما ينظر ذلك طبعاً في علاجهم، فإياك وسوء فهم المقلد المحض، فمن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور. انتهى.

ثم قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، و﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، ومفهوم الدين قاضٍ أن العسر غير الدين، وقد حقق الله تعالى على من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وأن عيسى عبدالله، بأن يدخل الجنة على ما كان منه من عمل، وعمن رضي بالدين، فأمن، واخترم، أو عجز عن النطق بالشهادتين؛ كالأخرس، مؤمن.

وفي الطهر: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، ويسوون بين فقيد الماء والتراب، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، وفي صلاة الخوف: كيف يصلي ضارباً ورائحاً ومتضمخاً بالدم ومستدبر القبلة، والعاجز يصلي قاعداً ومستلقياً، فإن لم يستطع، فيوميء، أو يمر الصلاة بقلبه، وفي الزكاة: يزكي الخليطين زكاة الواحد، ولو ذهب، أو نهب، سقطت، والحج يسقط بعد الاستطاعة، والمعضوب يحج عنه غيره.

فإذا شرع التخفيف في أركان الدين، فأولى ما بني عليها. على أنك إذا تأملت، تحققت هذه الشرائط والرياضات الشاقات كلها لنيل أعراض هي حظوظ نفسانية؛ كولاية، وغيرها في سائر الأحوال والمقامات، والتوجه إلى الله تعالى بريء من كل اعتبار، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ

دَائِمُونَ ﴿[المعارج: ٢٣]﴾، وصح أنه ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه، ومن جملة الأحيان: نومه، ومقتضى طبيعته، فعلم أن جميع ما كان عليه ذكرٌ مخصوصٌ؛ لحضوره مع الله تعالى في كل أحواله.

وفي المحمدين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم والإبراهيمي، وليس ذلك المقام إلا رؤية القيومية، وبراءة البشرية عن الأنرية، بحكم: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] الشاملة لكل ميل وصلة ﴿وَحَيَايَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] بمقتضى لوازم الطبيعة ﴿وَمَمَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] بجميع أحكامه ومقتضياته ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ذكراً أو شأناً، واسماً وحكماً، والمحمدي ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ [النمل: ٩١] بلدة بنية الطبيعة الشاملة للحضرات الخمس، وهي التي حرّمها عن ظهورها، وفيها، ولها بل، هي تحولاته وتنزلاته، بل جميعها آياته.

وتأمل ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ إلى ﴿بِأَمْرِ﴾ [الروم: ٢٠-٢٥]، فأبى شيء غيره إلا به، فهو الذي حرّمها، وله كل شيء، فالمحقق ذاكر الله تعالى أبداً حتى بنسيانه قائم بطلانه، دائم الطاعة حتى بعصيانه، لدفع بينوته، وزوال ثبوته ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ [الطلاق: ٤].

قال بعض الأكابر: لو لقيت إبراهيم الأدهمي ﷺ، لأوصلته إلى الله، وهو على كرسية.

وقال السابري ﷺ، حين استقرت به الحقائق: لو درينا، ما جاهدنا، فإياك والانحراف بإجحاف حاق التجريد؛ فإنه - ولو أنتج علوماً - لا يعتد بها؛ شهرتها بضعف الطبيعة، وانحراف القوابل.

ولياك تسمع قول الإمام محمد بن علي الترمذي رحمته الله، وقد وقع له: أنه كبل نفسه، وألقاها من سفينة في الدجلة؛ كرامة وتجاوزاً إلى أعلى مقام. ونحوه عن الشبلي رحمته الله، وفي إلقاء الشيخ بهاء الدين النقشبندي رحمته الله نفسه سبعة أيام كالميت لا يتحرك، حتى فتح عليه.

وسيدي أبو العباس الحُرثي رحمته الله سد خلوته عليه، فجاءه ملك بصحن أرز، وقال: كُلْ، فأبى، فأراد أن يطعمه، فأبى، فقال: إن الله أمرني بوصول هذا الطعام جوفك، فإن أكلت، وإلا شققت بطنك، فتأدب وأكل.

وأخذ الأجددي رحمته الله الاطراح مسجى كالميت، ثلاثة أيام طريقاً. وكل تلك الخرافات ظهرت منهم بمقتضى سكر الأحوال، وغلبة الحال، فلا تتخذ سبباً، ولا تجعل ديدناً، وأنت خير بأن السنة جاءت على معيار الاعتدال، والخطاب بما أمكن، والعمل على ذلك هو الهداية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]. انتهى.

[٤٣٩] أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كُذَّالَة بن مكّي بن يَتَق بن لف بن يحيى بن تَشْت بن تنفر بن حيراي ابن أكنجر بن أنصر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني السوداني، يعرف ببابا^(١).

(١) «خلاصة الأثر» للمحمي (١/ ١٧٠)، «الإعلام بمن حل مراكز وأغمت من الأعلام» (٣٠٢/ ٢) (٢٣٢)، «شجرة النور الزكية» (٢٩٨) (١١٥٧)، «فتح الشكور في معرفة أعيان التكور» (٣١) (٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٠٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٧٧).

قد ترجم نفسه في آخر كتابه «كفاية المحتاج»، فقال: مولدي - كما وجدته بخط والدي رحمه الله - ليلة الأحد، الحادي والعشرين من ذي الحجة، ختام عام ثلاثة وستين وتسعمائة، ونشأت على طلب العلم، فحفظت بعض الأمهات.

وقرأت النحو على عمي أبي بكر الرجل الصالح، والتفسير والحديث، والفقه والأصول، والعربية والبيان، والتصوف، وغيرها على شيخنا العلامة محمد بَغِيْع، ولازمته سنين، وقرأت عليه جميع ما تقدم عني في ترجمته، وأخذت على والدي الحديث سماعاً، والمنطق، وقرأت «الرسالة»، و«مقامات الحريري» تفقهاً على غيرهم، واشتهرت بين الطلبة بالمهارة على كلال وملل في الطلب.

وألفت عدة كتب، تزيد على أربعين تأليفاً؛ «كشروحي على مختصر خليل» من أول الزكاة إلى أثناء النكاح، ممزوجاً محرراً، وحواشي على مواضع منه، والحاشية المسماة: «منن الرب الجليل في تحرير مهمات خليل» تكون في سفرين، و«درر الوشاح بفوائد النكاح»، و«مختصر كتاب الوشاح» للسيوطي، وغيرها.

قال صاحب «الثقة» أبو عبدالله محمد بن يعقوب الأديب المراكشي، في «فهرسته» في ترجمته: كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم، والإدراك التام الحسن، حسن التصانيف، كامل الحظ من العلوم؛ فقهاً وحديثاً وعربيةً وأصليين وتاريخاً، مليحَ الاهتمام لمقاصد الناس، مثابراً على التقيد والمطالعة، مطبوعاً على التأليف.

ألف تأليف مفيدة جامعة، فيها أبحاثٌ عنديات ونقلية، وهي كثيرة؛

كوضعه على «مختصر خليل» من الزكاة إلى أثناء النكاح في سفرين، و«تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف» في كراس، وتعليق على أوائل الألفية سماه: «النكت الوفية على شرح الألفية»، وآخر سماه: «النكت الزكية» لم يكملها، و«نيل الأمل في تفضيل النية على العمل» في شرح حديث: «نية المؤمن أبلغ من عمله»، وآخر سماه: «غاية الأمل في تفضيل النية على العمل».

و«غاية الإجابة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة» في كراستين، وآخر سماه: «النكت المستجادة في مساواتهما في شرط الإفادة»، و«التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس» يريد: بألفاظه العربية، في ورقات، و«جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الظلمة أولى الظلمة» في كراسين، و«شرح الصغرى للسنوسي» في ثلاثة كرايس.

و«نيل الابتهاج بالذيل على الديباج»، و«المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب» تعالى في كراسة، و«ترتيب جامع المعيار» للونشريسي، كتبت منه كرايس، وله مسائل وأسئلة في المشكلات وقفت على بعضها، ومن تأليف المترجم: «إسماع الصم في ثبوت الشرف من الأم».

قلت: وله مختصر سماه: «كفاية المحتاج لذيل الديباج»، وهو مقدار الثلث من الأصل كما ذكره في أوله.

ثم امتحن في طائفة من أهل بيته، بثقافتهم في بلدهم، في محرم، عام اثنين وألف، على يد محمود بن زرقون، لما استولى على بلادهم، وجاء بهم أسارى في القيود، فوصلوا مراکش أول رمضان من العام، واستقروا مع

عياهم في حكم الثفاف، إلى أن انصرم أمر المحنة، فسرحوا يوم الأحد،
الحادي والعشرين لرمضان، عام أربعة وألف، ففرحت قلوب المؤمنين بذلك
- جعلها الله لهم كفارة لذنوبهم -.

ثم ذكر مقروءاته على صاحب الترجمة، وقال: وكان من أوعية العلم
- صان الله مهجته - . انتهى .

قال المترجم، ولم ألق بالغرب أثبت منه، ولا أوثق ولا أصدق،
ولا أعرف بطرق العلم منه - رحمه الله تعالى -: ولما خرجنا من المحنة،
طلبوني للإقراء، فجلست بعد الإبائة بجامع الشرفا بمراكش، من أنه جوامعها،
أقرأ كتباً، وسردها، ثم قال: وازدحم الخلق عليّ، وأعيان طلبتها، ولازموني .

بل قرأ عليّ قضائها؛ كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبي القاسم بن أبي
إبراهيم الغساني، وهو كبير ينيف على ستين، وكذا قاضي مكناسة، الرحلة
المؤلف، صاحبنا أبو العباس ابن القاضي المكناسي، له رحلة للشرق، لقي
فيها الناس، وهو أسنُّ مني، ومفتي مراكش الرجراجي، وغيرهم .

وأفتيت فيها لفظاً وكتباً؛ بحيث لا تتوجه الفتوى فيها - غالباً - إلا إليّ،
وعُينت لي مراراً، فابتهلت إلى الله تعالى أن يصرفها عني، واشتهر اسمي في
البلاد، من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها، وقد قال لي بعض
طلبة الجزائر، لما قدم علينا مراكش: لا نسمع في بلادنا إلا باسمك فقط،
وأنت وأنت . انتهى .

هذا مع قلة التحصيل، وعدم المعرفة، وإنما ذلك كله مصداق قوله ﷺ:
«إن الله لينزع العلم»، وقد ناهزت الآن خمسين سنة، بتاريخ يوم الجمعة،

مستهل صفر، عام اثني عشر وألف. انتهى كلامه - رحمه الله تعالى -.

قلت: ووفاته ببلدة تَنْبُكْتُو، ودفن بتربة أجداده المعروفة هناك، في سابع شعبان، سنة اثنتين وثلاثين وألف، كذا ذكره الشيخ عبد الرحمن ابن العلامة عبد القادر الفاسي، في الكتاب الذي أفرده لترجمة والده - رحمه الله -.

ومن لطائف ما نقله عنه بعض شيوخنا: إذا حضر طالب العلم مجلس الدرس غدوةً، ولم يفطر، نادى مناد من قعر جوفه: الصلاة على الميت الحاضر.

[٤٤٠] الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد، الشهير بابن عبد الغني البنا الدمياطي^(١).

أحد الرجال الجامعين بين الشريعة والحقيقة، ولد بدمياط في ثالث عشر رمضان، سنة ست وثلاثين وألف، ونشأ بها، وحفظ القرآن، ثم ورد إلى مصر، واشتغل في بدايته بالعلم اشتغالاً تاماً مُرضياً، وقرأ بالروايات على الشيخين: الأمين سلطان العلماء في عصره، الشيخ سلطان المزاحي، والشيخ المحقق نور الملة والدين علي الشبراملسي - رحمهما الله تعالى -، ولازمهما في بقية العلوم ملازمةً كليةً سنين عديدة.

وقرأ على الشيخ علي الشبراملسي جميع القرآن، من طريق «الطيبة»، وختم له بالجامع الأزهر ختماً حافلاً، حضره أكابر العلماء، ورؤساء الأمراء، وأخذ عن الشيخ محمد الشوري، وعن الشيخ شهاب الدين القليوبي، وعن

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٧)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٧٣٧)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١ / ١٤١)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٢٤٠).

غالب مشايخ الأزهر في عصره، وأجازوه.

وأفاد وأجاد، وكتب بخطه كتباً جليلاً، منها: «النشر»، و«التحفة»، و«النهاية»، و«تفسير البيضاوي»، وغيرها من الكتب المعتمدة، ودرس وأفتى، واشتهر بدمياط بالعلم والعمل، وألف كتاباً حافلاً سماه: «إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر»، و«متهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات»، لخص فيه ما صح وتواتر من القراءات العشر، حسبما تضمنته الكتب المعتمدة، المعمول عليها في هذا الشأن، على وجه سهلٍ ممكنٍ، ويتيسر معه الوصول إلى دقائق هذا الفن لكل طالبٍ، مع الاختصار الغير مخل، وزاد فيه فوائد وتحريرات، تحصلت له حال قراءته على الشيخين السابقين.

ثم غلبت عليه العبادة، وإيثار الخلوة، وانتقل من دمياط إلى البُغاز المعروف بها، وحج مراتٍ عديدة، وجاور بالمدينة سنة خمس وستين وألف، وأخذ بها الطريق، وتلقين الذكر، ولبس الخرقة، من الختم الإلهي، الشيخ صفى الدين أحمد بن محمد القشاشي، ولازمه مدة.

ثم توجه لليمن، ورحل إلى زَبيد، وأخذ بها عن وحيد دهره الشيخ عبد الباقي بن الزين المزجاجي الزبيدي طريقَ القوم، وتلقن منه الذكر، ولبس الخرقة، ولازمه ملازمةً كليةً، وتخرج به، وانتفع به انتفاعاً عاماً، ثم رجع إلى مصر، ومكث بدمياط مدةً، على خيرٍ وعبادةٍ ورياضةٍ، سالكاً طريقة السلف الصالح، معتزلاً عن الناس.

ثم رجع للمدينة، وجاور بها مدةً، ولازم شيخنا الإمام المحقق برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني - متع الله المسلمين ببقائه -، وشاركته - على شيخنا المذكور - في قراءة: «مواقع النجوم» للشيخ الأكبر، وقرأ عليه

طرفاً من «الفتوحات المكية»، وغيرها من كتب الشيخ الأكبر، وكتب الشيخ القنوي، وحضره في الحديث، وأجازه شيخنا بمروياته، وسمعت شيخنا يشي عليه كثيراً، وهو حري بذلك، وبينه مودة صادقة، ومحبة أكيدة.

وله - حفظه الله - وقائع غريبة، وكرامات عجيبة:

منها: ما أخبرني به، قال: حججت سنة بوالدتي، وكانت سنة مجدبة، وكان معي بغيران، اشتريتهما من مصر، وحججنا عليهما، فلما قضينا الحج، وقصدنا التوجه للمدينة، مات البعيران في المدينة، ولم يكن معنا مال لنشتري به غيرهما، أو نستأجر مع أحد.

فضقت ذرعاً لذلك، وذهبت لشيخنا صفي الدين أحمد القشاشي - قدس الله روحه - فأخبرته بحالي، وقلت له: إني عزمت على المجاورة بالمدينة؛ لعجزني عن السفر، حتى يفرج الله تعالى، فسكت هنيهة، ثم قال: اذهب في هذه الساعة إلى قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، واقرأ ما تيسر من القرآن، وأخبره بحالك من أوله إلى آخره كما أخبرتني، وأنت واقفٌ على قبره الشريف.

فامتثلت أمره، وذهبت على الفور ضحى إلى قبره، وقرأت ما تيسر من القرآن، وأخبرته بحالي، على ما أمرني به شيخنا، ورجعت فوراً قبل الظهر، فدخلت إلى مطهرة باب الرحمة، فتوضأت، ودخلت إلى المسجد، وإذا بوالدتي في المسجد، تقول لي: ها هنا رجل يسأل عنك، فاذهب إليه، فقلت لها: أين هو؟ فقالت: انظره في مؤخر الحرم، فذهبت إليه، فلما أقبلت عليه، رأيته رجلاً ذا لحية بيضاء مهابة، فقال لي: مرحباً بالشيخ أحمد، فقبلت يده، فقال لي: تسافر إلى مصر؟ فقلت: يا سيدي! مع من أسافر؟ فقال: قم معي

حتى أستأجر لك مع رجل .

فذهبت معه إلى أن وصلنا إلى المناخة مَحَطُّ الحاج المصري بالمدينة،
فدخل خباءً لبعض أهل مصر، ودخلت معه، فلما سلم على صاحب الخباء،
قام له، وقبل يده، وبالع في إكرامه، فقال له: مرادي تأخذ الشيخ أحمد
ووالدته معك إلى مصر، وكانت الجمال في تلك السنة عزيزة؛ لكثرة الموت
بها، والكراء متعسر، فامثل أمره، فقال له: كم تحسب عليه؟ فقال: يا سيدي!
مهما تريد، فقال له: كذا، فأجاب بالقبول لذلك .

ودفع غالب الكراء من عنده، وقال: قم اذهب هات والدتك ومتاعك،
فقمتم وهو جالسٌ عنده، وأتيت بهما، وشرط عليه أن أدفع له بقية الكراء
بعد وصولنا، فقبل ذلك، وقرأ له الفاتحة، وأوصاه بي خيراً، وقام من عنده،
فذهبت معه، فلما وصلنا إلى المسجد، قال لي: ادخل فاسبقني، فدخلت
وانتظرت حين حضرت الصلاة، فلم أره .

وكررت الطلب عليه، فلم أجده، فرجعت إلى الرجل الذي استأجر
لي معه، فسألته عنه وأين مكانه؟ فقال: إني لا أعرفه، ولم أره قبل اليوم،
ولكني لما دخل عليّ، حصل لي من الخوف والهيبة منه ما لم يحصل لي قط
في عمري، ثم رجعت وكررت الطلب، فلم تقع عيني عليه، فذهبت لشيخنا
صفي الدين أحمد رحمته الله، فأخبرته بذلك كله، وسألته، عنه فقال: هذه روحانية
السيد حمزة تجسّدت لك ^(١) .

(١) وهذه جراءة عجيبة على مقام الصحابة رضي الله عنهم، نسأل الله سبحانه السلامة، ونعوذ به تعالى
من الخذلان .

ورجعت إلى صاحبي الذي استأجر لي معه، وتوجهت معه صحبة الحج إلى مصر، ورأيت منه من المودة والإكرام وحسن الخلق ما لم أجده من مثله في سفر ولا حضر، كل ذلك ببركته ﷺ، والحمد لله على ذلك.

ثم بعد سنين قدم مكة سنة ألف ومائة وخمس عشرة للحج مع أهله وأولاده، واجتمعتُ به، وعرض له فالج عطله عن الحركة والكلام، وتوجه وهو على هذا الحال إلى المدينة الشريفة، وزاد به الفالج، وأراد أهله أخذه معهم إلى مصر، فلما أتوا بالجمل ليركبوه إياه، لم يقدرُوا على رفعه من الأرض، فأبقوه عند بعض تلامذته.

وتوفي - رحمه الله تعالى - بعد خروج الحاج من المدينة في شهر المحرم سنة ست عشرة ومائة وألف، ودفن بالبقيع - رحمه الله تعالى، ونفعا به - آمين.

[٤٤١] أحمد بن محمد بن أبي اليمن بن أبي السعادات بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني، الشافعي الطبري المكي، إمام المقام الإبراهيمي الشريف^(١).

وُلد يوم السبت، تاسع عشر رمضان، سنة سبع وسبعين - بتقديم السين - وتسعمائة، وحفظ القرآن، وصلى به التراويح مرات بالمقام، وحفظ عدة متون، منها «متن بهجة ابن الوردي» بتمامها، و«الشاطبية» بكمالها، وعرض محفوظاته معنا على المشايخ، سنة تسعين وتسعمائة، وأمّ بالناس مدةً، وكان

(١) «المؤلفين العثمانيين» (١/ ٢٢٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥).

حسن القراءة، طيب النعمة.

ومات في حياة أبيه شاباً، ليلة السبت، ثامن شعبان، سنة اثنتين بعد الألف، ودفن في تربة جماعة الطبريين بالمعلاة، ذكره الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبريين، الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[٤٤٢] أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزي الشافعي الدمشقي^(١).

ذكره في «ذيل الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة»، فقال: الشاب الفاضل، مولده بعد عصر يوم الجمعة، ثالث وعشري رجب، سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، ومات والده وعمره أربعة أشهر وتسعة أيام، ورياه النجم، وقرأ القرآن العظيم، ثم اشتغل بالعلم، وأكب على تحصيله.

وقرأ في الفقه والعربية على القاضي محب الدين الحموي، وفي الفرائض والحساب على محمد التنوري، ومهر في العلوم، وكان منوراً، نظيف الثياب حسنّها، ورعاً متقشفاً، اختطفته المنية، فمات شهيداً في طاعون سنة اثنتين بعد الألف، في ثامن عشر رمضان، وكان عمه أبو الطيب يومئذ بمصر، فلما بلغه موته، قال يرثيه:

إن الخطوب على ممرّ مذاقها	وعلى تعاوّر فتكها وشقاقها
ليست على نسقٍ يلمّ ويغتدي	هذا بذلك في عناء لحاقها
لو كانت الأرزاء قسماً واحداً	كان التأسى منتهى درياقها

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٥) (١٠٢)، ووردت ترجمته ضمن ترجمة والده في «الكواكب السائرة» (٣/ ١٨٠).

لكنها تسعى بأحكام القضا
هذا يزيغُ وذا يريع وذاك ير
ومصيبة جلّى ورزء وقيعة
وبلية ما إن لها من دافع
ورزية كم أورثت نكداً وكم
هي هازمُ اللذاتِ يا ويلاهُ من
بلغته عنها بمصرَ فأظلمت
جانبها فرأيت علماً باذخاً
كانت على تقوى الإله قصيرة
يا أيها النفسُ الرضيةُ فادخلي
وروى فسادَ فشاعَ حسنُ ذكائه
يا طالما سامرتني بمباحثٍ
ولأنتَ هذا الآن ترتعُ في الجنا
وأنا الذي أذري الدموعَ فيغتدى

متفاوتاتِ الخطوِ في استطراقها
شق في الحشا أواه من رشاقها
صدعَ القلوبَ وجدَّ في إحراقها
يُرجى ولا ينحلُّ شدُّ وثاقها
أبدتُ لنا غُصصاً بمر مذاقها
نفسِ الشهابِ لنعيمها لرفاقها
أرجاؤها والشمسُ في آفاقها
وهجرتها لا بغيةً لفراقها
بريضةً تزداد في أخلاقها
في جنةٍ تشتاق من مشتاقها
فغدا شبيهةً ذكاءً في إشراقها
برزتُ لنا تنجائبُ عن أعلاقها
نِ مشاهد الإحسانِ من خلاقها
حرُّ الفؤاد يصونُ عن إغراقها

[٤٤٣] أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن جمال الدين عبدالله

ابن عمر، القطب الشهير، الشيخ الكبير إبراهيم المتبولي الشافعي^(١).

إمام علامة أشهر من أن يُنبه عليه، وأجل من أن يُعرف بالإشارة إليه،
لا يجاذب رداءً فضله، ولا تدور العين في أصحابه على مثله، كبير علماء عصره

(١) «خلاصة الأثر» للمحبى (١/ ٢٧٤).

بلا مدافع، وحامل لوائهم من غير منازع، مبرز في حلبة العلوم الشرعية، حائز قصبات السبق في الفنون العقلية، وسعة اطلاعه على السنة سارت بها الركبان، من قاص ودان.

أخذ عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، وعن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني، والشمس محمد الرملي، وغيرهم، وله «شرح حافل على الجامع الصغير للسيوطي» في مجلدات، و«نيل الاهتداء في فضل الارتداء»، و«مؤلف في عرض الأعمال»، ورأيت شرحه للجامع الصغير مجلداً بالقاهرة ذكر فيه انه شرح الهمزة في ثلاثة عشر مجلداً، والسفر الذي رأيت به كبير، وليس فيه إلا الكلام على حديث: «إنما الأعمال بالنيات»، وكان شيخنا خاتمة المحققين إبراهيم الكوراني شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات»، في نحو سبع كرايس، وأهداني منه نسخة، فذكرت له ما رأيت بالقاهرة، فقال لي: التطويل في مثل هذا إنما هو بأمور خارجة عن معنى الحديث المشروح، أو بأمور ليست من التحقيق في شيء؛ كالاشتغال بجلب الأقوال عن النية، والاسترسال في جلب الفروع الفقهية المتعلقة بذلك، واختلاف الفقهاء في ذلك، وأما تحقيق معنى النية، وزبدة الأقوال المقولة في معناها، وكيفية انطباقها وشمولها لسائر الأعمال، هو ما أودعته في رسالتي المؤلفة في ذلك، ولقد صدق في دعواه.

قال: ولقد أطلعني شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي على رسالة القرافي المسماة بـ: «الأمنية»، فأحكمت مطالعتها، فلم أجد فيها زيادة على ما ذكرت.

قال: وحين أطلعت على رسالتي، حكم بأن رسالتي أتم تحقيقاً، وأوجز لفظاً. انتهى.

توفي يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر سنة ثلاث بعد الألف.

ومن فوائده: أنه سئل عما ورد فيمن مات بطريق مكة أو المدينة ذاهباً أو راجعاً، فأجاب: روى الأزرق في «تاريخ مكة» مرفوعاً: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً، لم يعرض، ولم يحاسب، وكتب له في كل سنة حجة وعمرة، إلى يوم القيامة».

قلت: ولم يذكر المدينة، ولعلها مقيسة على مكة؛ بجامع أنهما يقصدان للزيارة، فليحذر.

[٤٤٤] أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف بن حسين بن يوسف بن موسى الحصكفي الأصل، الحلبي المولد والدار، الشافعي، المعروف بابن المنلا، جده لأبيه كان قاضي قضاة تبريز، وشهرته ملا جامي، وشرح المحرر، وجده لأمه من بني أجا^(١).

مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، ونشأ في كنف أبيه، واشتغل بالعلم، فقرأ على ابن الحنبلي في «مغني اللبيب»، وغيره من كتب النحو، وفي «شرح المفتاح»، وفي المنطق، والقراءات، والحديث، وفي مؤلفاته، وصحب سيدي الشيخ محمد بن علوان الحموي، وهو بحلب، سنة أربع وخمسين، وسمع منه نحو ثلث «البخاري»، وحضر دروسه ومواعيده، وسمع المسلسل بالأولية من البرهان العمادي، وأجاز له، وقرأ في التجويد على إبراهيم الضرير الدمشقي،

(١) «خلاصة الأثر» للمحمي (٢٧٧ / ١)، «نفحة الريحانة» للمحمي (٦٥٥ / ٢) (١٣٨)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢٨٩ / ١) (١٠٤)، «الأعلام» للزركلي (٢٣٥ / ١)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (١٣٥ / ٦) (٩٣٦).

نزىل حلب كثيراً، وأجاز له سنة خمس وستين.

ورحل إلى دمشق رحلتين، وأخذ بها عن البدر الغزي، وحضر دروسه بالشامية، وبحث فيها بحوثاً حسنة مفيدة، أبان فيها عن يد في الفنون طولى، وكلما انتقل من مسألة إلى غيرها، قال لسان حاله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤]؛ كما شهد بذلك السيد في إجازته له، وقرأ على النور السنفي، قطعة من «البخاري»، و«مسلم»، وحضره في دروس من «المحلى»، و«شرح البهجة»، وأجاز له، وقرأ بها: «شرح ملا زاده على هداية الحكمة» على محب الدين التبريزي، مع سماعه عليه في التفسير، وقرأ قطعتين صالحتين من «المطول»، والأصفهاني على أبي الفتح الشبستري، ورحل سنة ثمان وخمسين إلى القسطنطينية، فأخذ «رسالة الإصطربالاب» عن نزىلها غرس الدين الحلبي، واجتمع بالسيد عبد الرحيم العباسي، واستعجاز منه رواية البخاري، فأجاز له، ومدحه بقوله:

لك الشرفُ العالي على قادة الناسِ	ولم لا وأنت الصدرُ من آل عباسِ
حوتَ علوماً أنت فيها مقدّم	وفي نثرها أصبحت ذا قدمٍ راسي
فيا بدرَ أفقِ الفضل يا زاهرَ السنا	ويا عالمَ الدنيا ويا واحدَ الناسِ
إلى بابك العالي أتاك ميمماً	كليمٌ بعضُ عدتَ أنت له آسي
فتى عاري الآداب يا ذا الحجى فما	سواك لعارٍ من سنا الفضل من كاسي
فأقبسه من مشكاة نورك جذوة	وعلله من وِردِ الفضائل بالكاسِ
وسامحه في تقصيره ومدىحه	فمدحك بحرٌ فيه من كل أجناسِ
فلا زلتَ محمودَ المفاخرِ حاوي الـ	مفاخرٍ مخصوصاً بأطيبِ أنفاسِ

مدى الدهر ما احمرَّتْ خدودُ شقائقٍ وما قام غصنُ الورد في خدمة الآسِ
ودرّس وأفاد، وصنّف وأجاد، وله شرحٌ عظيمٌ في أربع مجلدات، على
«مغني اللبيب»، جمع فيه بين حاشيتي الدماميني، والشميني، وشرح شواهد
للسيوطي، وهو المشهور الآن بـ: «الشرح الجديد»، وهو من أنفس شروحه
وأحسنها، ونظم الشعر الحسن.

ومن شعره في ملبّح لابس أسود قوله:

ماسَ في أسودِ اللباسِ حبيبي ورمى القلبَ في ضِرامِ بَعَادِهِ
لم يمس في السواد يوماً ولكن حلَّ في الطرفِ فاكتسى من سوادِهِ
وله مضمناً:

ظبيُّ كساني حلةً وأدار لي كأسَ الرحيقِ على رياضِ الآسِ
وغدا يقولُ عذارُهُ اشربْ يا فتى واجعلْ حديثك كلّهُ في الكاسِ
توفي شهيداً، قتله الفلاحون في قرية باتتنا، من أعمال المعرة ظلماً
وعدواناً، سنة ثلاث بعد الألف، ودفن في الجبل، بالقرب من تربة جده
إسكندر - رحمه الله تعالى -.

[٤٤٥] أحمد بن محمد بن مفلح الحنبلي^(١).

القاضي شهاب الدين، كان رئيس الكتبة بمحكمة قناة العوني بدمشق،
ثم صار قاضياً بها وبغيرها، وكان فاضلاً، محمود السيرة في القضاء، صيّن

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٧) (٩٦).

العرض في طريقه، فقيراً عفيفاً تقياً، مات في عشري ذي الحجة، سنة ست
بعد الألف - رحمه الله تعالى - .

[٤٤٦] أحمد بن محمد المغربي المجذوب .

كان من أكابر الصالحين، وكان غالب إقامته بقصبة البندقانيين : سوق
معروف بمصر، وصحوه أكثر من سُكره، ويتكلم بما لا يفهم له معنى، وكان
أهل الطريق يعظمونه، ويعرفون مكانه .

اجتمع بالخضر^(١) - عليه السلام -، فقال له : اذهب إلى زين العابدين
المنائي، وأقرئه مني السلام؛ فإن قدمه تحت النجوم، وفوق الغمام، وأعطى
سبعين ألف مقام، وسدانة المقام المصطفوي ودار السلام، توفي سنة سبع
- بتقديم السين - بعد الألف . انتهى .

ذكره الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «طبقات الصوفية» .

[٤٤٧] أحمد بن محمد القاضي العلامة شهاب الدين الشوكي، نسبة
إلى شُوَيْكة - مصغراً - : محلةٌ معروفةٌ بدمشق، الحنبلي^(٢) .

كان من أفضل الحنابلة وأذكاهم بدمشق، وله طيب محاورَةٍ، وفيه مزاح
لطيف وتواضع، وكان يرد الزوجة إلى زوجها بعد الطلقات الثلاث، على
مذهب ابن تيمية خفيةً، ثم صار يُظهر أمره، فأنكر عليه شيخ الإسلام أحمد

(١) دعوى رؤية الخضر عليه السلام في اليقظة والمنام، دعوى متكررة عند أهل التصوف،
يجدون فيها وسيلة لإثبات أباطيلهم، وطريقة لنشر خرافاتهم .

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١ / ٢٦٧) (٩٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي
(١ / ٢٨٠) .

ابن أبي الوفا مفتي الحنابلة، وغيره من علمائهم.

قال النجم الغزي في «الذيل»: وكان يحضر مجالسي بجامع دمشق، فذكرت له مرة: أنه لا يجوز أن يرد الرجل زوجته بعد وقوع الطلقات الثلاث، على مذهب أحد من المسلمين، إلا ما كان من رأي ابن تيمية، الذي لا يجوز تقليده فيه؛ لشذوذه، وأن الذي يفتي بمذهب ابن تيمية . . . (١).

[٤٤٨] أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام

يحيى شرف الدين (٢).

وتقدم رفع نسبه، السيد الفاضل، عالم الأدباء، وأديب العلماء، وتحية البيت الذي ارتفع قدره وسما، وذو الخلق الذي تستعير من نشره الأزهار وتعبق، والفضيلة التي تجري الألسن إلى محامدها وتطلق، شهاب الملة الساطع، ويدر الكمال الطالع، وواحد الزمن علماً ونظراً، وحامل لواء المعارف الثقيلة حديثاً وأثراً، ومحقق العلوم العقلية، وجامع الفنون الأدبية.

أما ملكة التعبير، فلا يتناول ابن زيدون أن يزيد عليه؛ في سعة

(١) جاء في الحاشية ما نصه: «بعد هذا بياض ريع صفحة في الأصل»، وفي «ذيل الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» عند البدر الغزي المسمى: «قطف الثمر في الطبقة الأولى من أعيان القرن الحادي عشر» تمة الخبر، والذي جاء فيه: «يجب تعزيره، وأن شبهة خلافه لا تسقط الحد عن جامع المردودة إليه، ولا عنها، وشدت النكير وهو يسمع، وكان من قرب منه من الناس ينظرون إليه، وربما تكلموا بما أخجله»، «قطف الثمر» (١/ ٢٦٧) (٩٧).

(٢) «نفحة الريحانة للمحمي (٣/ ٣٣١) (٢٠٦)، وسماء: أحمد بن الحسين، «البدر الطالع» (١/ ٤٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١١٢)، ووفاته في ١٠٨٠ هـ.

العبارات، وأما مباحث التنقيح، فما سلك الرئيس مسالكه في دقائق الإشارات،
وأما المناظرة، فقد رقى فيها على درج، وأما حسن المحاضرة، فناهيك به،
وكانه أبو الفرج، وأما الترسل، فله على الفاضل فضل، وأما صناعة التجنيس
والترصيع، فبينه وبين العماد ضمير فصل . شعر:

هَذَا أَرَقُّ مُحَاسِنًا وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرُ

وأما تاريخ مَنْ غبر، فهو بحر سعدٍ يبدي أصدافه، وأما حفظ الأثر، فهو
ذو المنزلة التي فاقت، وما اتفقت لأسلافه، مع ما هم عليه من الفضل والجلالة،
والمجد والبسالة، وأما الشعر، فهو أدنى منازل، وأيسر فضائله:

فَقَدْ وَجَدْتُ مَعَانِي الْفَضْلِ بَاهِرَةً فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَوْصَافِهِ فَصِيفِ

ولد بكوكبان، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر العلماء الأعيان؛ كالسيد العلامة
محمد بن إبراهيم بن المفضل، والقاضي المحقق عبد الرحمن بن محمد
الجيبي، قرأ عليه: جميع «شرح الكافية» للرضي، وأجازه إجازاتٍ عديدةً
حافلةً، أشار فيها إلى علو مقداره، وقفتُ عليها.

وله شيوخٌ كثيرون، ومؤلفاتٌ منها: «ترويح المشوق في تلويح البروق»،
وهو كتاب إن نظرت إلى حسن سياقه، هز منك الأعطاف ذلك السياق، أو
إلى بديع اتساقه، ثملت سكرًا من صناعة ذلك الاتساق، أو تأملت عجيب
استطراده، وتصيده الشوارد بقوة استمداده، قلت: سبحان المانع، ما أقوى
ملكة مؤلفه على اقتياد الجوامح، إلى عباراتٍ حلوةٍ، وبلاغةٍ هي من الكمال
في الذروة، ولطائف فقر، وينات فكر، تورث الحليم صبوة، وغرائب مسائل
علمية، ونكاتٍ أدبية، تزهى بفنون حلاها القراطيس، وتجذب بعيون محاسنها

الأرواح، فكانها مغناطيس، وقد قرظ له عليه علماء عصره، ومنهم: السيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل، فقال في مدحه:

ما صبا قلبي لتأليف حوى غرر الحسن كترويح المشوق
كتب الآداب عن آخرها قدره يعلو عليها ويفوق
صاغه شمس المعالي من غدت تستمد الشمس منه في الشروق
سابق طرف علاه نطقث بلسان الحال هيهات اللقوق
دام في منصب علم شامخ ما صبا صب لتلويح البروق

ومن شعره القاضي بأنه إمام فنونه، ومالك أبكاره وعيونه، قوله...^(١).

توفي - رحمه الله - بداره بروضة خاتم، سنة...، وحمل إلى روضة خزيمة... ولهذا اتفقت هذه اللطيفة لبديع الزمان الفقيه حسن بن علي بن جابر الهبّل؛ حيث قال بيتين، وهما:

يا قبر أحمد كم حوى ست مكارمأ ومحامدا
شهدت بذلك خزيمة وكفى خزيمة شاهدا

ورثاه القاضي العلامة محمد بن إبراهيم السحولي، فقال:

جزعي عليك مدى الحياة معي حتى أوارى في الضريح البلقع
ويقُلْ أن تجري عليك حُشاشتي وتفيض بعدك مهجتي في أدمعي

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض نصف صفحة في الأصل، كذلك لم يذكر التاريخ بعد كلمة «سنة»».

ويقولُ فيك إذا هجرتُ مشاربي
ويقول أني لا يمرّ بخاطري
لو أنني وقَّيتُ حقك كان في
ليت المنون تريدُ منا فديةً
أو ليتها طوعي فكنتُ أمرتها
فجع على فجع ولا مثل الذي
لولا التيقن أنني بك لاحقٌ
لقتلت نفسي . . . (١) الوحو
سحقاً ليوم جا بأشأم طالعٍ
ما مثل يوم رحلت نحو خزيمة
قد شيعتك صواهلٌ وذوابلٌ
وأئمةٌ من آل أحمد سلسلوا
فارقتنا كرهاً برغم أنوفنا
ما كنتُ أخشى أن أودَّع مالكي
هذا وداعي لا تلاقي بعده
يا خيرة الأطهار يابن مطهرٍ
يا أحمد المسعود وقت حياته

ومطامعي وهجرت بعدك مضجعي
أحدٌ سواك ولا يمر بمسمعي
ميعادٍ مصرعك المروّع مصرعي
حتى بمثنى أو ثلاث ومربعٍ
ليقال تنزع مهجتي من أضلعي
ألقي لعذرك من فظيع تفجعي
وكرَّعك الخالي سيخلو مربعي
ش العُصم^(٢) في شمّ الشوامخ أربع
ولليلة طلعت بأبخس مطلعٍ
وعلى سريرك رحت خير مشيعٍ
ومناصلٌ مثل البروق اللّمع
لحديث يومك من سلاب الأدمع
وبرغم كم من أضيّد وسَميدعٍ
هذا الوداع ولا أراه موّدعي
إلا إذا ما حان يومُ المفزع
وابن الإمام الحبر يحيى الأذرع
ومماته حقاً وذاكي المنبع

(١) بياض في الأصل .

(٢) في الأصل : الفظم ، ولعل الصواب ما أثبت .

ما قبلَ لحْدِكْ ملحدٌ شمسُ الضحى
 ما متَّ أنتَ وإنما مات التقى
 والعلمُ والعملُ الذي هو صالحٌ
 يا قادرَ الدنيا الدنية قدرها
 لله درُّكْ من إمام عاملٍ
 كم قد رأيتَ بلطفٍ ذهنك مرةً
 من للمعارف والعوارف والمعا
 من للبلاغات التي عرباؤها
 من للعلوم دقيقتها وجليلها
 جمَّت مناقبك التي لم يؤتها
 طابث وطبت ورقتها كل الورى
 طوي البساطُ بساطُ كل فضيلةٍ
 وعليك لا برحت عن عزالي رحمةٍ
 والله ندعوه بجبر مصابنا
 وهو الذي نرجوه يجمع شملنا
 وإلى هنا أرتيك واعلم أنني
 هبطت إليه من المحلّ الأرفع
 حقاً وكلُّ تحرُّجٍ وتورعٍ
 والعلمُ مشفوعٌ بخلقٍ أوسعٍ
 يا داخرَ الحسنى ليومِ المرجعِ
 علّامةٌ ندسُ ذكيّ المعى
 ما لا يرى وسمعت ما لا يُسمع
 لي والمعاني والبيان الأبدعِ
 وصلت إليك عن البطين الأنزعِ
 ولحلُّ مشكلها بفهمٍ مسرعٍ
 أحدٌ سواك ولا دعاها من يعي
 في منظر أبد الزمان ومسمعٍ
 لا يدعيها بعدَ يومك مُدّعي
 تسقي عبيرَ تربيك المتضوّعِ
 بك فهو أولى من أجاب ومن دُعي
 في جنة الفردوس أسنى المطمعِ
 جزعي عليك مدى الحياة معي معي

[٤٤٩] أحمد بن محمد بن علي بن عبد القادر المالكي المدني .

الأديب الماهر، الأريب الباهر، أحد الخطباء بالحرم الشريف النبوي
 - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام -، ومتولي خطة الفتوى على مذهب مالك

بالمدينة المشرفة، أصلُ سلفه من بلاد المغرب، ولأسلافه بالمدينة صيت،
وبيتهم مشهورٌ بالعلم والتقدم في مذهب مالك، إلى أن تشعبت بهم الآراء،
فانتقل بعضهم إلى مذهب الحنفية، وصار اليوم أمثل من فيهم من تمذهب
بمذهب مالك، صاحب الترجمة، وأخوه صاحبنا الخطيب عبد الرحمن.

إلا أن صاحب الترجمة مع ما أُعطي من فرط الذكاء، وجودة القريحة،
ألهاه عن الاشتغال بالعلم الولوعُ بالفلاحة والزراعة، وتثمير المكاسب بالقيام
على ضياعه ورباعه، فيغيب في العوالي أياماً عديدةً، فلا يكاد يرى في المسجد،
إلا أيام الجمعة، أو ما ضاهاها.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، ولتذكر من نظمه، ليستدل به على قدر نبه؛ فإن كلام
المرء ميزان عقله.

فمنه: قوله يمدح النبي ﷺ:

وذا الجوادُ الذي بالمكرمات مُلي	بشراكِ يا عينُ هذا منتهى الأملِ
فاستمطري من ندى إحسانه وسلي	هذا الرسولُ الذي ما خاب سائله
أدنى من القَابِ فضلاً غير منتحل	هذا الذي قد رقى فوق البراقِ إلى
نعمَةٍ للورى يُنجي من الخَطَلِ	هذا الذي قد براه الله جلّ ثنا
هدى سواه طريقاً واضحَ السبيلِ	محمودُ أحمدُ المحمودُ أفضلُ من
ريبِ الطغاة بغاية الزيغ والزَلِ	محمدُ أحمد الماحي ببعثته
مشى على الأرض من حافٍ ومتعلٍ	محمدُ سيد الكونين أكرمُ من
فكلُّ فضل له من سابقِ الأزَلِ	ولا تُعد ولا تُحصى فضائله
إلا الجحودُ بزورِ الإفك والجدلِ	فكم له معجزاتٍ ليس ينكرها

نطقَ الغزالُ وضَبَّ والذراعُ ورا
والجذعُ حنَّ إليه حينَ فارقه
ومنبعُ الماءِ عذباً من أصابعه
وكم أفاد مريضاً لمسُ راحته
وكم شواهد صدقٍ للنبي أتتْ
توراةُ موسى وإنجيلُ ابنِ مريم قد
بأنه خاتمُ الرسل الكرام وخير
وحسبُ طه كلامُ الله معجزةً
يُتلى ويُعجز عنه أن يعارض أو
فيا نبيَّ الهدى إني ببابك لا
وقفتُ بالباب مالي سواه وإن
وليس يأوي الفتى إلا لسادته
يا صاحبَ النجدة العظمى أغثْ دَفْعاً
لا تتركته لأيدي الحادثات ففي
وكنْ له ولأسلافٍ له سلفوا
عليك مني صلاةُ الله يصحبُها
وآلِكَ الطهرِ والصحبِ الكرام ومَن

د الشمس منها ومنها منطلقُ الجميل
حنينَ ثكلى شجتنا لوعة الشكل
أروى به الجيشَ بعد الريِّ بالنَّهْلِ
برءاً أزالَ الذي يشكو من العللِ
كالشمسِ ما إن يراها غيرُ ذي مُقلِ
جاءا بتصديقٍ وحيٍّ في الزبور تُلي
رُ الخلق طراً من الإتيانِ والأوّلِ
وحيٍّ من الله غيرُ مفتعلِ
يؤتى بمثلٍ له والحقُّ فيه جلي
أرجو سواكَ لما ألقى من الوجهِ
كنتُ المسيءَ بما كُلفت من عمل
إن نابِه خطبُ سوءٍ كان في جليلِ
أودى به الحالُ في حلٍ ومرتحلِ
جميل جودك ما يغني عن الجِئِلِ
واشفعْ له ولهم يا أسعدَ الرسلِ
أزكى سلامٍ لدى الإشراقِ والطفَلِ
دانى سبيلَهُم وكلُّ ولي

[٤٥٠] أحمد بن عمر الحُبَيْشي - بالتصغير - الشافعي التعزي .

شيخ الإسلام في اليمن بلا نزاع، وإمام الشافعية من غير دفاع، الذي

أظهر من العلوم فوائدها، وأحكم فرائدها، وأجاد نسق نظامها، وأفاد ملح أحكامها، المحقق لدقائقها وغوامضها، القائم بأحكام سنتها وفرائضها، العالم بمدلولاتها، العامل بمنقولاتها ومعقولاتها، المشار إليه في تصحيحها وتحقيقها، المعول عليه في إيضاح منهاجها وطريقها.

ولد بتعز، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وأخذ عن محمد بن عبد العزيز المفتي، ومحمد القصيعي، والعلامة أحمد القرواني المغربي، والمحقق الملا محمد شريف الكوراني، وآخرين، وأجازه شيوخه، وتصدر للتدريس ببلده، وأخذ عنه خلق لا يحصون، منهم: العلامة عبد العزيز بن محمد المفتي، وانتهت إليه في بلده الرياسة، وهو الآن بها مقيم...^(١)، توفي سنة خمس ومائة وألف بتعز المحروسة.

[٤٥١] أحمد بن إبراهيم المزجاجي الزبيدي، المعروف بالخَيْر - بفتح الخاء المعجمة وكسر التحتية المشددة، وربما أشبعت، وبعده راء - . كان شيخاً صالحاً، حصلت له عناية ربانية جذبتة عن أهله ووطنه، فتركهما، وفرَّ إلى موضع من الجبل، شرقي بلده السلامة، على دون مرحلة منها، فلزم موضعاً لا يخرج عنه، واعتزل الناس ولم يخالطهم نحو تسع سنين، فصار معتقداً يُقصد للزيارة والتبرك، ونقل عنه كثير من الكرامات.

ثم رجع إلى السلامة، وعقب رجوعه احتفر بئراً عند قبر جده، واستمر على حالة مرضية؛ من إثثار الخمول والتقشف، ومحبة أهل العلم والتواضع،

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «مقيم» سطر ونصف بياض بالأصل».

والبعد عما عليه غالب متصوفة الوقت؛ من الدعاوى العريضة التي لا طائل تحتها^(١)، ثم بنى مسجداً عند بثره، وهي خارج القرية من قبلها، ونقل مسكنه إلى هناك، ولم يزل ملازماً لبيته، لا يخرج عنه قط، بل من قصد زيارته، والتماس دعائه، دخل عليه في مكانه، حتى توفي يوم النحر، عام ثمان وثلاثين بعد الألف - رحمه الله تعالى - .

[٤٥٢] السيد أحمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى^(٢).

قال ابن أبي الرجال: كان محققاً في العلوم الشرعية، معقولاتها ومنقولاتها، وصدرأ في العصابة الهاشمية، وأما أصول الفقه، فروى عنه القاضي العلامة أبو القاسم السني: أنه قال: هو عندي بمثابة الفاتحة، ووصفه السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم بالاجتهاد، وناهيك به! ومن شهد له خزيمة فهو حسبه، وكان استقراره بـ «شهادة» إماماً بجامعها ويدرس بالجامع في غالب الأوقات، ومع ذلك، فإنه كان فقير العيش إلى الغاية، وما زاده ذلك إلا كلفاً بالعلم، وحرصاً عليه.

وألّف كتباً منها: «شرح الأساس»، و«شرح الكامل»، وكان ينهى أن تكتب الصلاة على النبي ﷺ بصورة «صلعم» ونحوها، ويأمر بإثبات الترضية على الصحابة إذا ذكروا؛ لأنهم مع الاجتماع معصومون، و«شرح تهذيب

(١) لاحظ قول المصنف رحمه الله في وصف متصوفة عصره.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٣٠٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٨٣) (٨٢)،

«البدر الطالع» (١/ ١١٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧).

المنطق» و«حشَى على المفصل»، و«الفصول اللؤلئية»، وأوائل «المنهاج» لجده، و«نظم الشافية»، ولم يزل بشهارة حتى كانت الفتوحات الإمامية في الأقاليم جميعها، فاقتضى نظر الإمام المؤيد أن يرسله إلى الطويلة، فتوجه إليها، وكان على يديه فتحٌ، وانضاف إليه العساكر من وجوه أصحاب الدولة بكوكبان؛ لأنه جليل القدر نسباً وحسباً.

وكان له سعيٌ صالحٌ، وعزيمةٌ صادقةٌ بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويتولى الخطبة بنفسه، وكان عنده من العلماء أعيانٌ كثيرون، ثم لما اقتضى نظر الإمام المؤيد التوجه إلى مكة المشرفة، بعد دخول الجلالية إليها، وجهه بعسكر كثيف، وبلغ مرحلة الليث، وكان بينه وبين جيوش الجلالية هناك حرب، حصره الشريف زيد بن محسن، وروي عن الشريف زيد: أنه كان يقول: ما رأيت أشجع منه، وكان في الحرب يحث الشريف على الثبات، فثبت ثبات مثله، ولما كانت الدائرة على أصحابهما، وكذلك عادات الحرب، لا تزال دولاً، أبى المترجم الفرار، واستقر في محل يرمي بالبندق:

وَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْخَيْلِ رَجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ

فجاء بعض أهل تهامة فحمله، ثم رجع إلى بلاد تهامة المخلاف السليماني، وتولى أعماله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأزال كثيراً من بدع الجهال، ومن أعظم ذلك: قضية مرجانة، وذلك أنه كان بجهة بيس، أو قريباً منه رجلٌ يدعي أنه امرأة، وتسمّى بمرجانة، وكان الناس يأتون إليه بالحريم، لمداداة الحبل يظنونهم امرأة، ومن عجيب الامتحان: أنه قد يتفق ذلك، فلبث الأمر على اللبس، حتى جاء بعض أشراف تهامة بامرأته إلى محل

المذكور، يريد المداواة، وكانت شريفةً من الطاهرات، فعرفت حقيقة الحال، فدافعت حتى اتصلت بزوجها، وأخبرته بالحقيقة، فعرف السيد، فاستجلى السيد ذلك، فاتضح، فقتله.

وكان من العجائب أن الله تعالى كشف ستره، ورمى به السيل إلى موضع عال، وانتفخ ذكره وكبر.

ومن عنايات السيد مسألة: الختان؛ فإنهم بتهامة، وأطراف الحجاز، يسلخون الجلد عن الذكر والعانة، إلى قريب من السرة، كما يسلخ أديم الكبش، فيفنى بذلك من يفنى، وإنما السلامة مظنونة، ويمقتون من لم يفعل ذلك، وينسبونه إلى الجور في طبعه، فأزال ذلك.

واستقر أياماً، فعرض له مرضٌ اقتضى طلوعه إلى قلعة عمار، فجلس فيها أياماً حتى نقله الله إلى دار كرامته وقت الفجر، يوم الخميس، تاسع شهر رجب، سنة تسع وثلاثين وألف، ودفن عند مسجد عمار بالقبّة التي فيها السيد العلامة أحمد بن المهدي، وولده صلاح الدين.

ووفاة السيد صلاح الدين ووالده في ذي الحجة، عام أربعة وأربعين وألف، وموت السيد أحمد بن المهدي قبل ولده السيد أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، كان من العلماء الأخيار، أهل الهمة في تحصيل العلوم، فضله كلمة إجماع، قال فيه بعض علماء زمنه: إنه منقطع القرن، وإنه رجل اليمن، كان ورعاً لا يأكل إلا من الحلال الطيب، وكان إذا خرج بالعساكر إلى البلاد الشامية، يفعل بالجنود الموائد الواسعة، وتوضع بين يديه قطعةً من خبز الشعير يأكلها - أعاد الله من بركته -.

وله شعر بديع، منه قوله . . . (١).

توفي بصعدة في حدود سنة أربعين بعد الألف، ورثاه أخوه السيد إبراهيم
ابن محمد بقصيدة مطلعها:

صبُّ بأهل الحمى هاجت صبابته ودمعته لا تُرى إلا صُبابته

وأخوه إبراهيم كان زين الوجود، وعين الموجد، ترجمان الشريعة،
متبحراً في العلوم، له شرحٌ على الهداية سماه: «تنقيح الأنظار» في ثلاثة
مجلدات، وله «الروض الحافل شرح الكافل»، وله «كتاب في صناعة خط
المصاحف»، وله «القصص الحق المبين بالبغي على أمير المؤمنين»، وغير
ذلك، وله شعرٌ بديعٌ، وكان والدهما السيد محمد رئيساً من أعيان آل محمد،
مملوءاً بالوقار، وهو الذي فتح «صعدة» للإمام القاسم.

[٤٥٣] أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المَقْرِي التَّلْمِسَانِي
- بكسر أوله وثالثه: بلدٌ بالمغرب بين الجزائر وفاس - الأصل والمولد،
والفاسي الدار، المالكي (٢).

نزىل القاهرة، الشيخ الإمام العلامة، الحافظ السند الفهامة، رحلة الدنيا،
شهاب علم، روض فضله نصير، ماله في سعة الحفظ نظير، جنى من ثمرات
العلوم العقلية والنقلية، فواكه شهدت له بها البرية، إن حاكته الشمس، كانت

(١) ورد في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض ربيع صفحة بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٠٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٨١)، «ريحانة
الألبا» للخفاجي (٢ / ١٧٤) (١٣٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٢٢)، «موسوعة
أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٩٤)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٢٣٧).

سراجاً، أو فاخره البدر، يزيد عليه ابتهاجاً، أما الفضائل، فهو من السابقين في حلبة ميدانها، وأما الفصاحة، فهو من الغر المحجلين يوم رهانها، وأما فقه مالك، فهو أجل سيد مالك، وأما الحديث، فقد بوأه الله فيه تكرمة بين العلّياء والسند، وجد في إرث المجد من غير كلاله عن أكرم أب وجدّ:

مضتِ الدهورُ وما أتيتُ بمثلِهِ ولقد أتى ففخَرُنْ عن نُظرائِهِ
وُلد هو وأبوه وجده وجد جده بمدينة تلمسان، ونشأ بها وقرأ القرآن، وارتحل عنها في زمن الصبا إلى مدينة فاس سنة تسع بعد الألف، ثم رجع إلى بلده آخر عام عشرة بعد الألف، ثم عاود الرجوع إلى فاس سنة ثلاث عشرة بعد الألف.

وقرأ بالروايات على جمع من شيوخ المغرب، ولازم في الفقه والحديث وبقية العلوم النقلية والعقلية شيخه وعمه سعيد بن أحمد المقرئ مفتي تلمسان ستين سنة، وأخذ عن مفتي فاس أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار القيبي الغرناطي، وعن العلامة أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المكناسي، وعن غيرهم من مشايخ عصره، وعلماء قطره، وأجازوه، وتصدر للقراءة وإملاء الحديث النبوي وغيره من العلوم بمدينة فاس، وأخذ عنه جمع من أكابر العلماء، منهم: الشيخ العلامة أحمد بن عمران الفاسي، وعالم المغرب عبد القادر بن محمد الفاسي، وحظي عند ملوك المغرب وكبرائها، واشتهر في الأقطار المغربية، ثم ارتحل من فاس للمشرق أواخر شهر رمضان عام سبعة وعشرين وألف، وقال عند خروجه منها:

قَطْرُ كَأَن نَسِيْمَهُ نَفَحَاتُ كَافُورٍ وَمَسْكِ

وكان زهراً رياضاً دُرّ هوى من نظم سلك

ودخل مصر بعد أن طاف غالب المغرب الأدنى، وأخذ عنه أكابر علمائه في شهر رجب عام ثمانية وعشرين بعد الألف، وحج في تلك السنة بيت الله الحرام، وزار قبر النبي ﷺ، ثم عاد إلى فاس، وتولى الخطابة والإمامة، ثم رجع إلى المشرق، فحج أيضاً، ثم عاد إلى مصر، ثم توجه إلى دمشق الشام في شعبان عام سبعة وثلاثين وألف، فحل من أهلها محل الروح من الجسد، وتنافسوا في خدمته ومدحه ما لم يعهد مثله لأحد، وفرحوا به كما فرح بالعافية أيوب، وكان كل لفظ منه في مسامعهم قميص يوسف في أجفان يعقوب، وآب منها أواخر شوال من العام المذكور إلى القاهرة، وكرر منها الذهاب إلى البلاد الطاهرة.

وتوجه عام تسعة وثلاثين وألف إلى مكة، وجاور بالحرمين، وحصلت له بالمجاورة فيها المسرات، وحج خمس مرات، وأملى فيها دروساً عديدة، ووفد في تلك المجاورة على طيبة المعظمة سبع مرات ميمماً مناهجها السديدة، وأطفأ بعوده إليها ما بالأكباد الحِرار، واستضاء بتلك الأنوار، وألف بحضرته ﷺ ما من الله به عليه في ذلك الجوار، وأملى الحديث النبوي، ثم رجع إلى مصر مفوضاً لله في جميع الأمور، ملازماً خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور، فتلقاه أهلها بصدر رحيب^(١)، ما بين إكرام وترحيب، وألقى بها عصا التسيار، ونفض عن برد همته غبار الأسفار، وأصبح طراز العلوم به مذهباً، ودرّس بالجامع الأزهر فنون العلم وترجع واحتبى :

(١) في الأصل : رجب، والصواب ما أثبت.

وصار فيهم غريب الفضل منفرداً كبيت حسان في ديوان سَخْنُونِ
والعصر إذ ذاك بالأفاضل مشحون من جميع الفنون، وأناخ بها ركائبه،
وقضى منها مآربه حتى أدركه أجله، فتوفي بها يوم السبت خامس وعشري
جمادى الأول، سنة إحدى وأربعين بعد الألف، ودفن بتربة الأثلة قريباً من
تربة المجاورين - سقاه الله رحيق غفرانه بين روح وريحان، وأسكنه فسيح
الجنان -.

وأما مؤلفاته، فمنها: «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر
وزيرها لسان الدين بن الخطيب»، وهو في ثلاث مجلدات ضخام، قال في
آخرها: وكفى أنه لم يوجد مثله في فنه.

ومنها: «أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس
ارتياح وللعقل ارتياض».

ومنها: «فتح المتعال في مدح النعال»، واختصره في كتاب سماه:
«النفحات العنبرية في وصف نعال خير البرية»، وكتاب «الشفاء في بديع الاكتفا»،
و«قطف المعتصر من أفنان المختصر»، و«حاشيتان على شرح أم البراهين
للسنوسي»، وأرجوزة في العقائد بديعة سماها: «إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل
السنة»، وأرجوزة في الوقف الخمس الخالي الوسط، و«روضة الآس العاطرة
الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس»، و«الجنابذ»، المعدة
لسكنى من لقيت من الجهابذ وهو أعم مما قبله، و«أزهار الكمامة في اختيار
العمامة»، ولم يخرج من مسودته، و«الدر الثمين في أسماء الهادي رسول
رب العالمين».

والمقري ضبط على وجهين :

أحدهما : بفتح الميم وسكون القاف ، وعلى هذا الوجه سمى ابن مرزوق كتابه الذي ألفه في التعريف بالشيخ محمد بن أحمد المقري جداً صاحب الترجمة بـ «النور البدري في التعريف بالفقيه المقري» .

والوجه الثاني ، وهو الذي عليه الأكثرون : أنه بفتح الميم وتشديد القاف ، وهم لغتان في البلدة التي نسب إليها ، وهي مَقْرَة من قرى زاب أفريقية .
ومن شعره قوله مادحاً للأمير منجك :

كرر حديثك يا نديمي	عن حسن معهدنا القديم
واذكر ليالي أنسنا	بالغرب في ظل النعيم
ومواسم العمر التي	راقثت بمرآها الوسيم
أيام أنجزت السعو	دُ وعود مطلوبٍ عظيم
ورسائل الأجاب في	عنوانها برْدُ السقيم
لم أقض واجب حقها	جهلاً بمربعها السليم
لا دَرَّ دُرُّ البينِ كُـم	للبين من مَرَعَى وخيم
وسقائك يا مغنى الغرام	مضاعفُ الغيث العميم
أرضي التي غادرتها	من أجل زمزم والحطيم
ونأيتُ لا عن جفوة	عن أفقها غير الذميم
وأدلتُ عن دعة لها	حركاتٍ وخُـدٍ أو رَسيم
وأثار تذكُّارُ الخليـ	لٍ بها جوى قلبي الكلیم

يا قلبُ لا تشكُ^(١) الجَفا
واصبرْ على حكم القضا
فالحال منتقلٌ وقس
والدهر ألوانٌ وكم
فغدا يمزقُ شمله
والدهرُ يوقظ غافلاً
ويُصيرُ الندبَ الكريـ
ويُزيل أنوارَ النها
يا من لناءٍ أعددتـ
يهفو إلى بانِ الحمى
حيرانَ حالفه السها
ويدُّ النوى عبثت به
ورجا يخلص شجوه
وحدا الركاب بجَلْقِ
فانزاحتِ الظلماءُ عنـ
حيثُ التقديس^(٢) ضامنٌ
حيثُ الرياضُ السندسُ

إلا لمولاك الرحيم
وذاك أمرٌ من حكيم
حال الرضيع على الفطيم
قصر المدى بالمستديم
ويقده قَدْ الأديم
من هجمة الغر المتيم
مَ مؤملاً باب اللثيم
ربظلمة الليل البهيم
هُ عزيمة الشوق المقيم
ويهيم في ريم الصَّريم
دُ فليله ليلُ السليم
لعبَ التكاسلِ بالغريم
من باعث العظم الرميم
ميلاً لمنهجها القويم
هُ وأجفلت مثل الظليم
نُججاً وحسبك من زعيم
يَّة تستفزُّ نهى الحلیم

(١) في الأصل: تشكو، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل.

والوُرق يُطرب لحنها
وربى البطاح تميّسُ في
والروح قلّده الندى
والجوُّ ذاك عَرفه
المنجكي المرتقي
فهو الأميرُ ابنُ الأميرِ
خُلِقَ كما شاء الكما
يُسلي غريبَ الدار عن
وينيف سؤدده على
فابنُ العميدِ مقصرٌ
وأبو فراسٍ لا يُجا
يا ناظمَ الكلمِ التي
من للحسامِ الحاجرِي
واليكها عذراءُ تُبـ
لم ينتج الإبداعُ منـ
فاسلم ودم متحرياً

ومنه قوله :

يا شفيعَ العصاةِ أنت رجائي
وإذا كنت حاضراً في فؤادي

في الجنكِ بالصوتِ الرخيمِ
حُلِلَ من الوشي الرقيمِ
والزهر بالدرّ النظيمِ
كثناءِ ذي القدرِ الجسيمِ
في ذروة الحَسَبِ الصميمِ
سرِّ والكريمِ ابنُ الكريمِ
لُ ورقةٌ مثلُ النسيمِ
أهلٍ وعن خِلِّ حميمِ
من ينتمي لزكيِّ خيمِ
عن شأوه وابنُ العديمِ
ريه بيتٍ أو قسيمِ
أربث على الدرّ اليتيمِ
يَ بمثلِ نظمك أو تميمِ
لدي العذرَ عن وسمِ بريمِ
طَقَّها من الشكْلِ العقيمِ
صَوْنَ الصراطِ المستقيمِ

كيف يخشى الرجاء عندك خيئة
غيبَةُ الجسمِ عنك ليست بغيبة

ليس بالعيش في البلاد انتفاعٌ أطيّب العيش ما يكون بطيئه

ولما أراد السفر إلى المشرق خاطبه بعض أهل المغرب بقوله:

أمفتي الغرب حقاً قد سمعنا بأنك قد سئمت به إقامة
وأنك قد عزمت على ارتحالٍ لشرقٍ قد سموت به علامة
لقد زعزت منا كل قلبٍ أقم بالله لا تقم القيامة

ومن شعره قوله:

تركتُ رسومَ عزِّي في بلادي وصرت بمصر منسيَّ الرسومِ
ونفسي رُضْتُها بالذلِّ فيها وقلتُ لها عن العلياء قومي
ولي عزمٌ كحدِّ السيفِ ماضٍ ولكنَّ الليالي من خصومي

وقوله:

وبي ولها إذا الكاسات دارت محادثةٌ تحلُّ حُبَّ الهمومِ
ألدُّ من المدامة للندامي وبثُّ هوى أرقَّ من النسيمِ

وكتب وهو بمصر لشيخ الإسلام عبد الرحمن العمادي مفتي دمشق
كتاباً منه قوله:

يا حادي الأظعان نحو الشام أبلغ تحياتي لتلك الفئامِ
وابدأ بمفتيها العمادي الرضى وأم به^(١) شمل الهنا في الشامِ

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وأُمِّ به.

فأجابه بقوله :

إلى أهالي مصر أهدي السلام مبتدئاً بالمقريّ الهمام
من ضاع نشر العلم من عرّفه ولم يضع منه الوفا للذمام
أهدي تحف التحية، إلى حضرته العلية، وذاته ذات الفضائل السنية
الأحمدية، التي من صحبتها، لم يزل موصولاً بطرائف الصلات والعوائد،
الأوحدية الجامعة التي لها منها عليها شواهد :

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحدٍ
فيا من جذب قلوب أهل عصره إلى عصره، وأعجز عن وصف فضله
كل بليغ، ولو وصل إلى النثرة بنثره، أو إلى الشعرى بشعره، ومن زرع
حب حبه في القلوب فاستوى على سوقه، وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من
حر شوقه، وظهرت شمس فضله من الجانب الغربي فبهرت بالشروق، وأصبح
كل صب وهو إلى بهجتها مشوق، زار الشام، ثم ما سلم حتى ودّع، بعد أن
فرع بروضها أفنانَ الفنون فأبدع، وأسهم لكل من أهلها بنصيب من وداده،
فكان أوفرهم سهماً هذا المحب الذي رفع بمحبته سماك عماده، وعلق لمحبته
شغاف فؤاده، فإنه دليّ، من قلبه فتدلّى وفاز من حبه بالسهم المعلّى، أدام الله
لك البقاء، وأحسن لنا بك الملتقى، ومنّ علينا منك بنعمة قرب اللقاء، آمين
بمنه ويمنه .

هذا وقد وصل من ذلك الخل الوفي كتاب كريم، وهو اللطف الخفي،
بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفي، جاء به البشير ذو الفضل الأسنى
السني، الخل الأعز الأجل التاج المحاسني، مشتملاً على عقود الجواهر،

بل النجوم الزواهر، بل الآيات البواهر، تكاد تقطر البلاغة من حواشيه، ويشهد بالوصول إلى طرفها الأعلى لموشيه، فليت شعري فبأي لسان أثني على فصوله الحسان، العالية البيان، الغالية الأثمان، التي هي أنفس من قلائد العقيان، وأبدع من مقامات بديع الزمان، فطففت أرتعُ من معانيها في أمتع رياض، وأقطع أن منشئها به اعتياضاً لهذا الدهر عن عياض . شعر:

ليت الكواكب تدنو لي فانظّمها عقود مدح فلا أرضى لكم كلمي
ولا سيما فصل التعزية والتسلية، المشتمل على عقيد التخلية، بل عقود التحلية، لتلميذكم الولد إبراهيم؛ فإنه له كرقية السليم، بعد أن كاد يهيم، فجاء والله درة في أحسن المحالّ، ووقع الموقع حتى كأن الولد أنشط من عقال:

وإذا الشيء أتى في وقته زاد في العين جمالاً لجمال

فجزاكم الله عنا أحسن الجزاء، ثم أحسن جميل العزاء، فيمن ذكرتم من كريمي الأصل والفرع، وأبقى منكم ما كثأ في الأرض من به للناس أعمُ النفع، وأما مصيبة من كان وليي وسمي ومنجدي، الشهيد السعيد عبد الرحمن المرشدي، فإنها وإن أصابت منا ومنكم الأخوين، فقد عمتّ العربيين، بل طمّث الثقلين، ولقد عد مصاب في الإسلام ثلّة، وفقد به في حرم الله من كان يدعى للملّة، ولم يبق بعده الآن من يدعى إذا يحاس الحيس واستحق أن ينشد في حقه وإن لم يقس به قيس:

وما كان قيسٌ هُلكهُ هلكَ واحدٍ ولكنه ببيان قوم تهذّما

فالله تعالى يرفع درجاته في عليين، ويبقي وجودكم للإسلام والمسلمين،

وتلامذتكم الأولاد، يرجون من بركة أدعيتكم الإمداد، ويهدون أكرم التحية، إلى حضرتمكم العلية، ونبلغكم دعاء صاحب السعادة، أدام الله إسعادكم وإسعاده، ونحن في صحبته الشهية، في رياض فنون أدبية، أبهاها لمعات محاضرة في ذكر شمائلكم الجميلة، تنور المجالس، وأشهاها نسمات محاورة بنشر فضائلكم الجميلة تعطر المجالس، وسلام جملة الأصحاب من أهل الشام، وعامة الخواص والعوام، والدعاء على الدوام، من المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي، مفتي الحنفية بدمشق المحمية.

ومن شعر صاحب الترجمة قوله :

محاسنُ الشام جَلَّتْ	عن أن تُقاس بِحَدٍّ
لولا حمى الشرعِ قلنا	ولم نجاوِزْ لحَدٍّ
كانها معجَزاتٌ	مقرونَةٌ بالتحَدِّي

وتبعه النجم الغزي فقال :

محاسنُ الشام جَلَّتْ	عن أن تحد بِحَدٍّ
عن حسنِها فحدَّثْ	وعن سواها فعَدَّ
والله لولا فناها	لقلتُ جنة خلد

وتبعهما عبد الباقي الحنبلي البعلبي، فقال :

محاسنُ الشام قالتْ	كلُّ المدائن جُندي
فلا تَقْسني بغيري	واتركْ لثوم ^(١) التعَدِّي

(١) كذا في الأصل.

ومثله لصاحبنا علي البجع :

محاسنُ الشَّامِ نادات أنا الفريدةُ وحدي
وكلُّ حسنٍ لغيري فإنما هو بعدي

ومن شعر صاحب الترجمة أيضاً قوله :

أما دمشقُ فخضرةٌ لعبتْ بألْبَابِ الخلائقِ
هي بهجةُ الدنيا التي منها بديعُ الحسنِ رائقُ
منها الصالحةُ فاخرتُ بذوي الحقِّ القائقِ
والروضَةُ الغناء حَيَّةٌ يَتَّ بالورودِ وبالشقائقِ
والنهرُ صافٍ والنسيبُ هم اللَّذَنُ للأشواقِ شائقِ
والطيرُ بالعيْدانِ أبداً حدى في الغنا أحلى الطرائقِ
ولآلي الأغصانِ حَلَّتْ جيدَ ظبيِّ راحِ فائقِ
ومراودُ الأمطارِ قد كحلت بها حديقَ الحدائقِ
لا زال مغناها مـصـو ناً آمناً كلَّ البوائقِ

... (١).

[٤٥٤] أحمد الزجاجة .

نزىل المدينة الشريفة، كان سخياً جليلاً، صاحب زاوية، وخلق حسن،
يسير بقافلة إلى المدينة كل عام للحج، توفي في شوال، سنة اثنتين وأربعين
وآلف - رحمه الله تعالى - .

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاث صفحات بياض» .

[٤٥٥] السيد أحمد بن الهادي بن علي بن مهدي بن محمد بن الهادي
ابن محمد بن حسن بن أبي الفتح بن مدافع بن محمد بن عبدالله بن محمد
ابن الإمام الناصر أبي الفتح الديلمي المدافعي^(١).

كان عالماً بالفقه وفنونه، قرأ على القاضي عامر بن محمد الذماري،
وكان القاضي يشني عليه، واشتهر على السنة الفقهاء تسميته بالباقر؛ لبقره في
العلم، وقد كان يضرب به المثل، وكانت له خصالٌ حميدةٌ، وخرج للجهاد
بالبلاذ الصنعانية.

وكان له تلامذةٌ رحلوا إليه، منهم: الفقيه محمد بن الهادي بن أبي
الرجال، وتخرج به، ووقف عند الهجرة اليحيوية مدةً، وعلق كل منهما بصاحبه
لعلاقة الفقه، حتى إنه أخبرني الفقيه محمد الحسن، من ملازمي خدمة السيد:
أنه لما وصل السيد هجرة سناع، تمنى الانقطاع إلى العلم، والسكون في تلك
الهجرة، بشرط كان الفقيه من بني الهادي عنده.

واتفق أنه أُمليت في حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم
مسألةٌ في الطمأنينة بعد تكبيرة الإحرام، في سجود السهو، هل تثبت أولاً؟
فقال الإمام: هذه مسألةٌ كان الفقهاء يختبرون فقه الرجل بها، ولما وصل
المرجع إلى شهارة، رصده الطلب في هذه المسألة، ففعل ما هو الصواب،
فعرفوا، ففقه.

توفي في شهر ربيع الثاني، سنة اثنتين وأربعين وألف - رحمه الله تعالى -.

[٤٥٦] أحمد بن موسى بن مُقبل بن سُهَيْل، العلامة شهابُ الدين.

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٢٥) (١١٤).

كان شيخاً معمرأً، حضر بيعة الإمام الحسن بن علي، وكان يلي قبض الزكوات بصعدة، وعمله أكثر من علمه، كان وافر العقل إلى الغاية، فهو مصداق قول الفقهاء: أزهّد الناس أعقلهم، وكان من شيوخ الطريقة، يداخل الأعمال، وغذاؤه خبزٌ قفار بغير إدام، يُدخله في كمه، ولا يزال ينزع نفسه إلى الأكل، فيمنعها، ويقول لها: الصدقة أفضل، فإذا تمكن منها، تصدق بقوته، وقد يؤثر الأكل لمصالحه.

وكان عالماً بالطب، ومن عالجه، فعلى يديه الشفاء، وله مسائل أوردها على الإمام القاسم، وكان بنو الإمام الهادي بالصيغة يرونه أباً لهم.

وانفقت له غريبة: وهو أنه كان ليلةً في مضجعه، وليس عنده شكٌ في صحة عمارة البيت الذي هو فيه، فرأى أمير المؤمنين علياً - كرم الله وجهه - يقول له: قم؛ فإن بيتك سيخرب، فاستيقظ، واستعاذ بالله من شر تلك الرؤيا، وعاد إلى نومه، وظن أن ذلك عبارة عن أمر دينه، فرأى أمير المؤمنين ثانياً يناجيه بمثل ذلك، فاستعاذ أيضاً، ثم نام فرأى أمير المؤمنين جذب بيده حتى لم يستيقظ إلا وهو قائم، فخرج من المكان، ثم انهدم سريعاً.

توفي بصعدة، سنة خمس وأربعين وألف، ودفن بموضع، ثم نقله ولده يحيى إلى محل آخر، بعد سبعة أشهر، فوجده على صفته، لم يتغير منه شيء.

[٤٥٧] أحمد بن عامر بن محمد الذماري الصباحي.

كان من أهل العلم بالفروع، والثبات في الأصول، مقداماً رأساً، صادقاً بالحق، جواداً متلاًفاً، له - مع علمه بمعالم الدين - علمٌ بمعالم الرمي بالبندق، فكان يضرب به المثل، وله في البسالة آثار، وحسبه أنه لما غزا الأروام هجرة

شوكان، ووقع في أيديهم، وكتفوه، خرج من بينهم هرباً، مع وجود أهل النجدة فيهم والقوة، وتولى القضاء للسيد الحسن بن القاسم، توفي قبل والده، بعد أن طلع من الحمى، ليلة الأحد، من شهر رجب، سنة خمس وأربعين وألف، ودفن بقبة التهامي بعاشر.

[٤٥٨] أحمد بن عيسى المرشدي المكي الحنفي^(١).

رب البراعة والبلاغة، ومالكُ أزمّة الصناعة والصياغة، مَنْ أَلَقَتْ إِلَيْهِ الفصاحة مقاليدها، وصغرت جهابذها وصناديدها، واعترف له لتقدمه الأقران، وشهد له بالفضل القاصي والدان.

ولد بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره، وكان يضرب بحذقه المثل، ومعرفته بالفقه وأبوابه، أشهرُ من نار على جبل، فهو صدر الشريعة، المتسّم في ذروتها الرفيعة، ومجمع بحري المنطوق والمفهوم، ومنبع نهري المنثور والمنظوم، وكان قد ولي القضاء بمكة المشرفة، فنال من أمله ما طمح إليه نظره واستشرفه.

ولما حصل أخوه شيخ الإسلام عبد الرحمن، في قبضة الشريف أحمد ابن عبد المطلب، ومُنِيَ منه بذلك الفادح الذي قهر به وغلب، حصل هو أيضاً في القبض والأسر، وأردف معه على ذلك الأدهم بالقسر، حتى جرع أخوه تلك الكأس، وأنعم عليه بالخلاص بعد اليأس، فراش الدهرُ حاله، وأعاد منها ما غيره وأحاله.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٦٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤ / ٦٨) (٢٧٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٩٢).

ولم يزل فارغ البال، من شواغل النكد والبلبال، إلى أن انقضت أيامه،
وتنبه له من دواعي المنون نيامه، فتوفي سحر يوم الأحد، رابع ذي الحجة،
سنة سبع - بتقديم السين - وأربعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة - رحمه الله - .
وقد وقفت له على شعر وإنشا، بهما طراز المجد موسى .

فمن شعره قوله بمدح الشريف مسعود بن إدريس :

منتهى سور الأربعة

عوجاً قليلاً كذا عن أيمن الوادي واستوقفا العيس لا يحدو بها الحادي
وعرّجا على ربع صحبت به شرخ الشبية في أكناف أجباد
واستعطفا جيرة بالشعب قد نزلوا أعلى الكتيب فهم غي وإرشادي
وسائلا عن فؤادي تبليغا أملي إن التعلل يشفي غلة الصادي
واستشفعا تشفعا تسألکم فعسى بقدر الله إسعافي وإسعادي
واحملاني وحطا عن قلوبكما في سرح مردي الأعادي الضيغم العادي
مسعود عين العلا المسعود طالعه قلب الكتية صدر الحفل والنادي
رأس الملوك يمين الملك ساعده زند المعالي جبين الجحفل البادي
شهم السراة الأولى سارت عوارفهم شرقاً وغرباً بأغوار وأنجاد
ترد غمار العلا في سوحه وترخ أيدي الركائب من وخد وآساد
فلا مناخ لنا في غير ساحته وجود كفيه فيها رائح غادي
يعشوشب العز في أكناف غفوته يا حبذا الشعب في الدنيا لمرتاد
ويجتني ثمر الآمال يانعة من روض معروفه من قبل ميعاد
فأي سوح يرجى بعد ساحته وأي قصيد لمقصود وقصّاد

ليهنِ ذا الملكَ إن ألَبت حُلَّتْه
لبسُها فكسوت الفخر مرسلها
علوت بيتاً ففاخرت النجوم علأ
ولحت بدرأ بأفق الملك تحسده
وصنت مكة إذ طهرت حوزتها
قد غرَّ بعضهم الإهمال يحسبه
فدنتهم عن حمى البيت الحرام وهم
كأنهم عند رفع الزند أيدهم
وما ارعوا فشهدت السيف محتسباً
غادرتهم جزراً من كل منجدل
وأثمر السدر من أجسامهم ثمراً
سعت سعيأ حيثأ من خمائله
فهم بمكة من داع ومبتهل
وعاد كل عصي مصلحأ وغدت
وقاد كل قصي ذلة وهلا
نفى لذيد الكرى عنهم تذكرهم
أباح سرحك أن يرعى منازلهم
من كل أبيض قد صلت مضاربته
وكل أسمر نظام الطلا وله

تحيي مآثر آباء وأجداد
مشهراً يبهر المصبوغ بالجمادي
والشهب فخرأ بأسباب وأوتاد
شمسُ النهار وهذا حرها بادي
من ثلثة أهلِ تثليث وأنجاد
عفواً فعاد لإتلاف وإفساد
من السلاسل في أطواق أجياد
يدعون حباً لمولانا يامداد
يا برد حرهم في حر أكباد
كان أثوابه مجت بفرصاد
حلوا بأفواه أجدات وألحاد
نور الأمان لأرواح بأجساد
ومن محب ومن مثن ومن فادي
أيائنا بالهنأ أيام أعياد
وكان من قبل صعباً غير منقاد
وقائعاً لك بين الخرج والوادي
مهملاً كل معوج ومُنَاد
لما ترقى خطيباً منبر الهادي
إلى العدا طفرة النظام مباد

وصان وسمك في حاش مخالطه
أسكنت قلبهم رعباً تذكّره
أقبلتهم كل مِرقالٍ وسابحة
من كل شهمٍ إلى العلياء منتسب
فهاك يابن رسول الله مدحة من
فأحكمت فيك نظماً كلّهُ غرر
أضحت قوافيه والآمالُ يُسرّحها
يرويهِ عني الثريا وهي هازئة
وتستحث مطاي الزهر إن ركدت
وتوقظ الركب ميلاً من خُمارِ كرمي
أمّتك تشفع إدلالاً لمنشئها
وأسبل الصفح سترًا إن بدا خللٌ
وقل تقرب إلينا تستعز بنا
لا زلت يا عزّ آل البيت في دعة
مسعودُ جدّ سعيد الفال طالعه
بحقّ طه وسبطيه وأمّهما
صلّى عليهم إله العرش ما سجعت

عن ربّ غز وتنضاه بأحشاد
يُنسي الشفوق الموالى ذكرَ أولادٍ
يُسرغنَ عدوّاً إلى الأعدا بأطوادٍ
بسادةٍ قادةٍ للخيل أجوادٍ
أورت قريحته من بعد إخمادٍ
ما أحرزت مثله أقبالُ بغدادٍ
روضُ البديع لإرصادٍ بمرصادٍ
بالأصمعي وما يروي وحمّادٍ
كانها إبلٌ يحدو بها الحادي
والليل من طول تدآب السرى هادي
فاقبل تدلّلها يا نسل أمجادٍ
تهتك به ستبر أعداء وحسادٍ
ما حقّ مثلك أن يُقصى بإبعادٍ
تحفّ منهم بأنصارٍ وأنجادٍ
سعدُ السعود ملفّى كلّ إسعادٍ
والمرتضى والمثنى الطهر والهادي
قُمريةٌ أو شدا في أيكّة شادي

وكتب إلى الفاضل محمد بن حسن دراز يستدعيه :

رقّ النسيم وذيل الغيم منسدلٌ على الوجود وظرف الدهر قد طُرفا

فاغنم معاقرة الآدابِ واغنن بها
عن المدامِ وخذ من صفوها طُرفاً
وله أيضاً يصف بركة:

ألا انظر إلى هذا الصفاء لبركة
لئن غبتَ عن عيني وكدّرتَ مشربي
تقول لمن غاب عنها من الصَّحْبِ
تأملْ تجدُ تِمثالَ شَخِصِكَ في قلبي

ومثله قول الإمام علي الطبري:

وبركة ماء قد صفا سلسيلها
تُخالُ إذا ما لاح رونقُ حسنِها
ومن حولها روضٌ تكلَّلَ بالزهر
كبدِرِ سماءٍ حُفَّ بالأنجم الزُّهرِ
وله في الفوارة:

وفوارة من مروة قام ماؤها
بدالي لما أن وردتُ صفاءها
كبزبوز إبريقٍ وليس له عُرْوَةٌ
ولا غرو أن يبدُ الصفاءُ من المَرْوَةِ
ومثله قول الفخر الخاتوني:

ألا مل إلى روضٍ به بركةٌ زهتُ
إذا ما أتاها زائرٌ قام ماؤها
بفوارةٍ فيها كفصّ من الماسِ
فأجلَسَه منها على العين والراسِ

والأصل في ذلك قول ابن المعتز:

وقاذفة بالماء في وسطِ جنةٍ
إذا انبعثت بالماء ردتَه منصلاً
قد التحفتِ كما من الظل سَجَسَجا
وعاد عليها ذلك النصل هوْدَجا
كأن لها قلباً على الجوّ مُخرَجا
فزخرَها بين الرياض ودَبَجا
لدى روضة جاد السحابُ ربوعها

على نرجس غَضٌ يلاحظ سوسناً وآسٍ ربيعيٍّ يناغي بنفسجا
 كأن غصونُ الأقحوان زمردٌ تعمَّم بالكافور ثم تتوجا
 ونوارُ نسرين كأن نسيمه من المسك في جو السماء تارجا

وكتب الفخر الخاتوني إلى صاحب الترجمة، وقد سقط، فانزعجت

رجله :

مولاي إن تألم لعارض سقطه حلف الزمان بمثله لا يغلط
 فلذاتك العليا بمثلك أسوة الشمسُ تكسفُ والكواكبُ تسقطُ

ومن شعر صاحب الترجمة قوله :

فيروزجُ أم وشامُ الغادةِ الرودِ يبدو على سلكٍ درّ فيه منضودِ
 وقامةٌ أو قضيبٌ في كتيبِ نقا عليه بدرٌ بدا في جُنج تجعيدِ
 وظيبةٌ أم مهاةٌ ما أرى فلقد وقفتُ في اللبس من لحظٍ ومن جيدِ
 يا ظيبةٌ ما رأينا قبلها أسداً يُراع بالبيض من أجفانها السودِ
 بل يا مهاة على البيض الصفاح بال لحاظ أرعت بها أسدَ الشرى سُودي
 جردت لحظك لَمّا أن تجرد في حُبك قلبي أتجريد لتجريدِ
 جالَ الوشاحُ بخصرٍ لا شبيه له وهل يشبه معدومٌ بموجودِ
 أشكو من الحبِّ شكوى الخضرِ من كفلِ كِلا النحيلين يشكو ضعفَ مجهودِ
 قالت وقد أسقمتُ جسمي لواحظها عديتنا بسقامٍ منك مشهودِ
 ومذ تنهدتُ أبدت لي نواهدَها كي ما تقابلَ تنهيداً بتنهيدِ
 فقلتُ رفقا بصبِّ صب أدمعه حتى جرت فوق خديهِ بأخدودِ

يَحْنُ إِنْ نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَى فَنَنِ
وَبِرْتَجِي عَوْدَ أَيَّامِ اللَّقَا طَمَعاً
نَعَمْ مَتَى وَصَلْتُ ذَاتُ الْوِشَاحِ يُعْذُ
كَمْ بَثٌّ بِالْوَهْمِ أَحْسُو خَمَرَ رِيْقَتِهَا
صَهْبَاءُ مَا مَسَّهَا دَنْ لَا نَزَلْتُ
قَوْلَ الْمَعْزُ بِخَمْرِ الدَّنِّ قَدْ عَصَرْتُ
صَهْبَاءُ لَوْ فَتَدَ الْلَا حِي لِيُوتَمَّهَا
صَهْبَاءُ أَرْقُ مِنَ الشُّكُوى وَأَعْذَبُ مِنَ
صَهْبَاءُ تَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ سُورَتُهَا
الضَّيْعُ الشُّهُمُ مِنَ لَازَتْ بِعَقْوَتِهِ
وَالْحَاتِمُ الْجُودِ وَالْأَيَّامُ مَخْفَقَةٌ
وَالْمَجْتَبَى الْحَمْدَ مِنْ غَرَسِ الْجَمِيلِ وَلَنْ
مَهْذَبِ الْخَلْقِ مَأْمُونِ الْبُؤَادِرِ مَشْ
أَغْرَ تَهْتَشُّ لِلْجُدُوى شِمَائِلُهُ
تَأْوِي إِلَيْهِ شِكَاةُ الدَّهْرِ وَاثْقَةٌ
فِيَسْتَعِزُّ بِهِ مِنْ مَسِّهِ صَرَعُ
وَتَجْتَدِيهِ بَنُو الْآمَالِ مَدْرَكَةٌ
يَا آلَ مَسْعُودِ آلَ الْمَجْدِ إِنَّكُمْ
لَا مَجْدَ لِلْمَجْدِ لَوْلَاكُمْ وَلَا كَرَمٌ

بِالرَّقْمَتَيْنِ وَإِنْ أَشْجَى بِتَغْرِيدِ
وَهَلْ زَمَانٌ مَضَى يَوْمًا بِمَرْدُودِ
وَحُسْنُ ظَنِّي فِيهَا غَيْرُ مَجْهُودِ
لَمَّا جَفَّتْنِي وَعَاقُ الطَّيْفِ تَسْهِيدِ
بِالْعَصْرِ كَلًّا وَلَا شَيْثَ بِعَنْقُودِ
مِنْ الثَّرِيَا وَهَبَهُ غَيْرَ مَرْدُودِ
صَهَاءُ بَاءً بِالْإِثْمِ مِنْ جَهْلِ بِتَفْنِيدِ
عِذَارِ الْحَبِيبِ بِتَرْجِيْعِ وَتَرْدِيدِ
فَعَلَ السَّخِي بِشَهْوَانِ بْنِ مَسْعُودِ
شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الشُّوشِ الصَّنَادِيدِ
رَأَى الْكَرَامَ فَهَذَا حَاتِمُ الْجُودِ
يَشِينُ وَجْهَ عَطَاهُ بِالْمَوَاعِيدِ
كُورِ الْأَنَاءِ صَحِيحِ الرَّأْيِ مَحْمُودِ
مِثْلَ اهْتِشَاشِ رَقِيقِ الْقَلْبِ لِلْغَيْدِ
مِنْهُ بِتَفْصِيلِ حَكْمٍ مِنْهُ مَقْصُودِ
مِنْ الْخُطُوبِ وَمِنْ أَخْدَانِهَا السُّودِ
مَا تَرْتَجِيهِ بِلَا مَنْ وَتَنْكِيدِ
مَجْدٌ لَهُ وَهُوَ مَجْدٌ غَيْرُ مَحْدُودِ
لِلْمَكْرَمَاتِ وَلَا حَمْدٌ لِتَحْمِيدِ

ولا علاء لمن لم تلاحظوه ومن
ففضلكم بهر الأعدا وأحمدكم
عَفَفْتُمْ وعَفِيفُ الدين عندكم
وسعدكم سعدُ أهل الأرض قاطبةً
فابقوا وسائط عقد الملك تنضدكم
مهنأ بكم العيد السعيد نعم
ثم الصلاة على المختار ما افتخرت
والآل والصحب ما غنت بمدحته
يُلَحَظُ ينلُ فوق ما يرجو بتسديد
منه المحامدُ لا تُحصلى بتعديد
من يعف عن قدرة عن كل مردود
قضى له الله في الدنيا بتخليد
يدُ الخلافة فيها أي تنضيد
لولاكم ما حظي عبدٌ بتعييد
غلب الرفاق بشهوان بن مسعود
صوادحُ الفضل في أفنان تمجيد

[٤٥٩] أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري، الشهير بمصر

بالوارث^(١).

فرع شجرة الصديق، وفخر آل بيت عتيق، جمع نسبة الأصالة من كل
جهة وصاله، وذكر السخاوي في «الضوء اللامع» جده الشيخ بدر الدين، وذكر
فيه اتصال نسبه، وأمه بنت الشيخ أبي الحسن البكري، فالشمس البكري خاله،
وأم جده لأمه، شريفة النسب، وله من جهة والده إلى سيدي يوسف العجمي
انتساب.

قد انتهت إليه الرياسة في علم التفسير، مع ما انضم إليه من علم البلاغة
النضير، واشتهرت أحاديث فضائله، فأصبحت رونق السير والأسمار، وظهرت
أعلام علمه، فلا تخفى إلا على أكمه لا يعرف الشموس والأقمار، وكان من

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٧).

الأدب في مرتبة سنامه وكاهله، تحوم الآراء حول موارده فترتوي من مناهله، وله مؤلفات منها: «أجوبة على أسئلة العز بن عبد السلام التفسيرية»، وفسر بعض سور من المفصل، وله رسائل في التفسير، واختصر «المواهب اللدنية»، وكتب على «متن التهذيب في المنطق»، ونظم عقيدة لها حسن أسلوب، توفي سنة ثمان وأربعين وألف.

وله نظم ونثر كما انتظمت الأنوار بعدما انتشرت عليها الأمطار، أو كما انتظمت الأطوار بعدما انتشرت من تشتت المآرب والأوطار.

فمن ذلك قوله:

وإنني لصبٌّ بالقوافي ومدحها	ويبلغ بي حدَّ السرور بليغها
وأطيب أوقاتي من الدهر ليلة	تريغُ القوافي خاطري وأريغها
وكم بلغت بي همتي بُعدَ غاية	يعزُّ على الشعري العبورِ طلوعها
فما سرني الأكل أسيفه ^(١)	بمسمع واعٍ أو معانٍ أصوغها

وله فيمن اسمه بدر:

سمَّوه بدراً وذاك لما	أن فاق في حسنه ونمّا
فأجمع الناسُ مذ رأوه	بأنه اسمٌ على مسمّى

وله:

وكم لله من نعمٍ	يعمُّ الكونَ ماطرهما
-----------------	----------------------

(١) كذا في الأصل.

تَذْكُرْنَا أَوَائِلُهَا بِمَا تَوْتِي أَوَاخِرُهَا

وله:

رمت حالَ الوصلِ إنني لا أرى للوصلِ أخـِرُ
فحـرمت الوصلِ رأساً زاد بي الوجدُ فـحاذِرُ

وله:

ماذا تقولين فيمن شَفَّه سقمُ من فرط حبكِ حتى صار حيرانا
قد لان في الحب حتى صار مكتئباً والعشقُ أضرمَ فيه اليومَ نيرانا
هل يشتفي منكِ بالثغر الرحيقِ إذا وتركيه على الأذنين أزمانا

[٤٦٠] السيد أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن أحمد
ابن محمد بن القاسم بن يحيى ابن الأمير داود بن المبرجم بن يحيى بن عبدالله
ابن القاسم بن سليمان بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن القاسم الحراري،
نسبة إلى حرارة: قرية بالبون، ابن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن سلامة
الشرفي^(١).

كان خاتمة المحققين في العلوم، فصيحاً بليغاً، زكي الفهم، له عناية
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جليل القدر في صدور العامة والخاصة،
وكان من أصحاب الإمام القاسم، وتولى له، ثم صحب الإمام المؤيد، وانتقل
في أيامه من شهارة إلى مَعْمَرَة، من بلاد هَنُومَ، وكان مقصوداً بالنذور، وكان

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٧٩) (٨١)، «البدر الطالع» (١/ ١١٩)، «الأعلام»
للزركلي (١/ ٢٣٨).

من التقشف والورع بمكان عظيم .

وصنف : «شرح الأساس الكبير» ، و«شرحه الصغير» ، وشرح الأزهار
وسماه : «ضياء الأبصار» ، وله رسائل كثيرة ، و«شرح البسامة» في أربع مجلدات
كبار ، وتمم البسامة أيضاً .

وله أشعارٌ ، منها : ما كتبه إلى صنوه السيد الحسن بن محمد الشرفي ،
وذلك أن السيد الحسن نزل إلى الشرف ، وتزوج فيه ، ولم يرجع لما هو بصدده ،
فكتب إليه يحثه على الرجوع :

أيا صاحِ كم بين امرئ ذي شهامةٍ	له هممٌ تعلو على الكوكب العالي
عشيقٍ حسانِ المعالي متيمٍ	بأبكارها صَبَّ بها غير مكسالٍ
ترى حلقَ التدريس جنةً روحه	يقطفُ من حافاتها الثمرَ الحالي
يحكم عقلاً قد أنار على هوى	خذولٍ غرورٍ للمطيعين قتالٍ
وآخرَ أعشاهُ امرؤ القيس إذ عشى	بعشق هوى نفسٍ لرباتٍ أحجالٍ
فقالَ يمينَ الله أبرحُ قاعداً	ولو قَطَّعُوا رأسي هناكِ وأوصالي

توفي ثلث الليل الأخير ، من ليلة الأربعاء ، ثالث وعشري ذي القعدة ،
عام خمس[ة] وخمسين وألف بمعمرة ، من جبل هَنُومَ ، ومولده سنة خمس
وسبعين وتسعمائة .

[٤٦١] أحمد بن يحيى بن حنش .

كان فاضلاً تقياً صالحاً ، مرضي الحال ، ولي القضاء للإمام أحمد بن
الحسن ، وكان له عنده مقام رفيع ، وفوض إليه أعمالاً ، وكان أهلاً لذلك ،

وتولى للإمام المؤيد «تريم»، و«الشحر»، وحضر فتح «عدن» مع السيد أحمد ابن الحسن بأمر من الإمام المتوكل.

ثم سكن القاضي بظفار، ونقله الله إلى جواره في مشاهد سلفه، ودفن بالقرب من المشهد المنصوري، وكان مولده في شهر شعبان، سنة سبع وألف، في شهر شوال، وتوفي وقت الظهر، من يوم الخميس، سادس عشر ربيع الآخر، سنة ست وخمسين وألف - رحمه الله تعالى -.

[٤٦٢] أحمد بن يحيى بن أحمد بن حابس^(١).

عالمٌ كبيرٌ، وإمامٌ شهيرٌ، تولى القضاء بصعدة بعد موت أبيه، وولي الخطابة بجامع الهادي والإمامة، ونشر العلوم للطالبيين، منظومها ومعلومها، وكان من صغره سريع البادرة، يلتهب ذكاءً، مع كثرة العبادة، والانقطاع عن الناس، وآوى إلى كهفه بجهة واصل.

و«شرح تكملة الأحكام» شرحاً معروفاً بالفائدة، وعمره ثمان عشرة سنة، وهو الذي ينقل عنه شيخ الشيوخ السيد محمد المفتي، ويسميه: الشارح المحقق، و«شرح شافية ابن الحاجب»، ولم يتمه، وكان إماماً في العربية، ورحل إلى الإمام القاسم، وجرى بينهما محاورات.

من جملتها: جواب الإمام على العلامة ابن الصلاح الشافعي بتعديل الصحبة جميعاً، وهو الذي نقله القاضي شمس الدين في «شرحه على الكافل»، و«التكميل» كتاب جامع حافل في الفقه، كمل شرح ابن مفتاح بفوائد

(١) طبقات نزيهة الكبرى (١/ ٢٣٤) (١١٧)، «البر الطالع» (١/ ١٢٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٧٠).

وضوابط وتقريرات، وهذا الكتاب مغني على سواه.

وله كتاب «المقصد الحسن والمسلک الواضح السنن»، وكتاب «سلوة الخاطر» لا يستغني عنه فقيه، سيما من علقت به أمراس القضاء، وولاية الأحكام، جمع فيه غرائب، وأبتدأه بطبقات الدعاة من آل محمد، وأدخل فيه شطراً من المساحة، وما يحتاج إليه المتتدية من معرفة الطالع والغارب، وقد علق به الفضلاء، وصار عمدتهم، وله «شرح على الثلاثين مسألة» جمع فيه فأوعى، وكان يضرب به المثل في سعة الصدر، والاحتمال والإغضاء. توفي قبيل فجر يوم الاثنين، رابع عشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وألف، ودفن عند قبور سلفه - رحمهم الله تعالى -.

[٤٦٣] أحمد بن أحمد الخطيب الشويري الحنفي^(١).

شهاب الملة والدين، وحجة المناظرين، وشيخ الإسلام والمسلمين، وبقية الفقهاء المحققين، وخاتمة العلماء العاملين، ولد ببغداد، وقرأ القرآن، ورحل مع أخيه الشيخ محمد إلى الشيخ أحمد بن علي الشناوي، وأخذاب «مُنية روح» عنه علوم الطريق، وبه تخرج في علوم القوم - نفع الله بهم -.

ثم قدم مصر، وجاور بالجامع الأزهر سنين، وروى الفقه وغيره عن عالم مصر علي بن غانم المقدسي، وعبدالله النحيري، وعمر بن نجيم صاحب «النهر»، وأخبرني شيخنا علامة العصر أحمد البشيشي: أنه أخبره: أنه سمع جميع «صحيح البخاري» على شيخ الإسلام الشمس محمد المحبي الحنفي، وكان إذا فاتته سماعُ درسٍ منه، يذهب إليه لبيته يقرؤه عليه،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١٧٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٨).

وأجازه كثير من شيوخه .

وتصدر للإقراء والتدريس ، وعم نفعه لأهل عصره ؛ بحيث إن جميع علماء الحنفية من أهل مصر والشام ، ما منهم إلا وأخذ عنه ، وكان يلقب بمصر بأبي حنيفة الصغير ، وتقدم أن أخاه محمداً كان يلقب بالشافعي الصغير ، فله درهما من أخوين نجيين !

وكان رحمه الله مشهوراً بالخير والصلاح والبركة لمن قرأ عليه ، منعكفاً في بيته ، معتزلاً عن جميع الناس ، جامعاً بين الشريعة والحقيقة ، معتقداً للصوفية - نفع الله بهم - ، وجيهاً مهاباً ، لا يتردد إلى أحد ، مجللاً عند جميع الناس معتقداً ، كثير البكاء والخشية من - الله سبحانه وتعالى - ، وكان صاحب أحوال وكرامات .

منها : ما أخبرني به شيخنا شاهين الأرمنائي : أن العلامة سري الدين الدروري ، كان ينتقصه ، وينكر فضله ، وينكت عليه في مجالسه ، فبلغه ذلك ، فقال لبعض أصحابه : قل له : يقول لك أحمد الشويري : المشاهد بيتنا ، فبلغه ذلك ، فضحك منه ، وقال : ما معنى هذه الكلمة ؟ ولم يفهم مراده منها ، فاتفق أنهما ماتا في شهر واحد ، فكانت جنازة صاحب الترجمة حافلة ، لم يُر في عصره مثلها ؛ بحيث إن وزير مصر وقاضيهما ، وجميع علمائها وأمرائها ، وخواصها وعوامها ومن فيها من الغرباء ، اجتمعوا في مشهده ، وحصل عليه جزعٌ كبيرٌ ، وكان مشهداً عظيماً من مشاهد الأولياء ، ولكثرة الناس فيها ، لم يسعهم الصلاة عليه في الجامع الأزهر ؛ كعادة أهل مصر ، بل صلوا عليه خارج مصر ، بسبيل المؤمنين ، وكانت جنازة العلامة سري الدين كجنازة عوام الناس .

توفي - رحمه الله تعالى - عام ستة وستين بعد الألف، وعمره ثلاث وتسعون سنة، وصلى عليه بالرميلة، إماماً بالناس، صنوه شيخ الإسلام الشمس محمد الشوبري الشافعي - رحمهما الله تعالى -، ودفن بتربة السيدة سوكينة، بقرب محلة طيلون.

[٤٦٤] أحمد بن محمد الأسدي الشافعي المكي^(١).

كان إماماً عالماً، وأديباً بارعاً جامعاً، جمع بين علوم جمة: فقه، وعربية، ولغة، وغير ذلك، وكان عارفاً بمذهب الإمام الشافعي، كثير الاطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة.

مولده عصر يوم الخميس، حادي عشر ذي القعدة، سنة تسع وعشرين وألف، خامس عشر درجة في الميزان بمكة، وبها نشأ.

ولازم في العلوم الشرعية - الفقه والتفسير والحديث - الشيخ العلامة المسند الرحلة، محمد علي بن علان الصديقي المكي، وكان شديد المحبة له من بين طلبته؛ لحذقه ونجابته، وقرأ على شيوخ كثيرين في فنون، وأجازوه. وتصدر للإقراء بالمسجد الحرام، وانتفع به طلبة العلم، ونظم «شذور الذهب» لابن هشام في أرجوزة عذبة الألفاظ، سهلة المعاني، سماها: «قلائد النحور بنظم الشذور»، وقفت عليها عند ولده الفاضل محمد - أيده الله، وبارك فيه -، ثم لم يزل ملازماً للعبادة والإفادة، حتى اخترمته المنية، وهو شاب، سنة ست وستين وألف بمكة، ودفن بالشبيكة.

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٣٢٥)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٤/ ٢٠٧) (٣٠٠)،

«عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٨).

وله أشعار كثيرة، منها: قوله متغزلاً:

دع الملامة يعلو فوقها الحَبَبُ	رضايه وثناياه لنا أربُ
تَرَهْ فؤادك من راح الكؤوس وخذْ	راحاً من الشجر عنها يعجز العنبُ
شتد بين حلالِ طيبٍ وحرا	مِ حامضٍ يزدرية العقل والأدبُ
إذا تغزلتُ في خمر وفي قدح	فما مررتُ إلا بالشجر والشنبُ
هـ در مدام بستُ أروشفها	من في غزالٍ إلى الأتراك يتسبُ
مهتدٍ للخط زنجي السوائف لم	تحوما قد حواه العجم والعربُ
ليأخني وردٌ خدٌ لو يشاهده الـ	وردُ النصي لا ستولى به النصبُ
قولوا لمن قال أن البدر مكسبُ	سناً من الشمس هذا باطلٌ كذبُ
قالت مباسمه للبرق حين سرى	لقد حكيتَ ولكن فاتك الشنبُ
وبتُ أشدو على الغصن الرطيب لنا	يني وبينك يا وُزقَ الحمى نسبُ
أفديه من رشا نفسٌ به تلقَتْ	من أجل شلعاتٍ في الخدين تلتهبُ
يقول لما رأى دمعي جرى ذعباً	يا مطلباً ليس لي في غيره أربُ
بكتُ يدا عاذلي عمَّن أعوده	بالناس من نافثٍ أو غاسقٍ يقبُ
إن المحرمَ سلواتي لطلعتنه	قل لشعبانٍ عني إنني رجبُ
كيف السلو وعيني كلما نظرتُ	لوامعَ البرق قالت زالت الحجبُ
لم كيف أخلص والقلب الكيب غدا	عليه طيراً وفي أجفاته حنبُ
يا عاذلي لا تُطل بل إن رحمتَ فسا	غلني على وصي لامتك الوصبُ
هذي دموعي جرت من طول هجرته	وما جرى في سيل الحب محتسبُ

وقوله - عفا الله عنه - في مليح اسمه بلال :

ومليح تكامل الحسن فيه لشقاء المحب سمي بلالا
كلما رام منه نيل وصال لا تراه يجيب إلا بلالا

وقوله - رحمه الله - مادحاً شيخه الإمام العلامة علي بن عبد القادر

الطبري الشافعي الحسيني ، ومستجيزه :

من أين للبدر جزء من محياك أم للصباح نصيب من ثناياك
والبدر يزريه ما يعلوه من كلف والصبح يكفيه أن يدعى بأناك
وهل حوى الكأس ما يحويه ثغرك من نفائس لم ينلها غير سواك
قد عزّه عند ما يعلوه من حبب قول الذي قال إلا خلية فاك
أنت البريئة من نقص شأن به حاشاك من وصمة حاشاك حاشاك
كل المحاسن في مرآك قد جمعت فجل من بجلي الحسن حلاك
من علم الظبي أن يرنو بناظره وعلم الغصن أن يهتز إلاك
والبيض عن لحظك الفتان راوية والسمر تنقل ما يمليه عطفاك
يا كعبة الحسن بل يا ركن كعبته تبارك الله من أنشا وسواك
رقي لصب فقير من تصبره بحق من بكنوز الحسن أغناك
مُنّي عليه بوصل بات يرقبه فطرفه ساهر مذ صار يهواك
أقسمت بالميم من طائي مبسمها أو نون حاجب ذاك الناظر الشاكي
أن لا مليح سواها فهي واحدة وما لها في المها شبه ولا حاكي

أملَى العَذُولُ سُلُويَ وَهُوَ مُؤْتَفَكُ
كَيْفَ السُّلُوِّ وَقَلْبِي مَا لَهُ شُغْلُ
نَعَمْ بِحَضْرَةِ ذِي الْآلَاءِ قَدَوْتَنَا
الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ النَحْرِيرِ سَيِّدَنَا
عَلِيِّ بْنِ الْإِمَامِ الْبَحْرِ مَنْ خُتِمَتْ
مِنْ حُلٍّ فَوْقَ الثَّرِيَا مَنْزِلًا وَسَمًا
حَامِي حَمَى الدِّينَ بِالْهِنْدِيِّ مِنْ لِسَنِ

ومنها:

قَالَتْ لِهَمَّتِهِ الْجُوزَاءُ حِينَ رَمَتْ
سَرَتْ مَعَانِيهِ فِي الْآفَاقِ سَاطِعَةً
مَنْ ذَا يَحَاكِهُ فِي عِلْمٍ وَفِي كَرَمٍ
هَتَّتِ أُمَّ الْقُرَى بِالْحَبْرِ إِذْ طَلَعَتْ
لَقَدْ فَخَرَتْ عَلَى الْأَقْطَارِ قَاطِبَةً

ومنها:

يَا أَيُّهَا الْحَبْرُ يَا بَحَرَ الْعُلُومِ وَيَا
إِلَيْكَ نَظْمًا غَدَا كَالدَّرِّ مُنْتَظِمًا
قَصْدِي بِهِ دَمَتْ فِي عَزٍّ وَفِي دَعَا
بِكُلِّ مَا لَكُمْ حَقًّا رَوَايَتُهُ

وَعَنْكَ شَيْعَ هَجَرِي بَعْدَ إِمْلَاكِ
إِلَّا التَّفَكُّرُ فِي تَحْقِيقِ مَعْنَاكِ
رَبِّ الْمَكَارِمِ مَوْلَانَا وَمَوْلَاكِ
الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ فِي فَهْمٍ وَإِدْرَاكِ
بِهِ الْفَضَائِلِ عَبْدِ الْقَادِرِ الزَّاكِي
عَلَى السَّمَاكِ مَخْلَأً فَوْقَ إِدْرَاكِ
عَنْ شُبْهَةٍ يَفْتَرِيهَا كُلُّ أَفَّاكِ

أَطْنَابُهَا فَوْقَهَا أَبْعَدَتْ مِرْمَاكِ
فَقَالَ بِدْرِ الدَّجَى لِلَّهِ مَسْرَاكِ
هِيَاهُ مَا شَرَفُ الْمُحَكِّيِّ كَالْحَاكِ
شُمُوسُ أَنْوَارِهِ فِي أَفْقٍ مَسْعَاكِ
بِمَنْ بِهِ اللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ أَوْلَاكِ

رَحَبَ الْعَطَاءِ وَرَبَّ السَّائِلِ الشَّاكِي
لَكِنَّهُ فَاقَهُ فِي حَسَنِ أَسْلَاكِ
إِجَازَةً مِنْكَ يَا ذَا النَّائِلِ الزَّاكِي
فَجَذُّهَا مِنْعَمًا مِنْ غَيْرِ إِمْسَاكِ

ثم الصلاة على أزكى الورى حَسَباً محمد خير أَوْاهِ ونَسَاكِ
والآلِ والصحبِ والأُتباعِ ما رُويت من أين للبدرِ جزءٌ من محياكِ

[٤٦٥] أحمد بن محمد علي الجوهري المكي^(١).

قال في «السلافة»: جوهري الشر والنظام، أزهرى السجاياء العظام، حلّى بعقود نظمه عواطل الأجياد، وسبق بجواد فكره الصافنات الجياد، وتضلع من فنون العلوم، واطلع على خفايا المنطوق والمفهوم.

مولده بمكة، وبها نشأ وترعرع، ورحل إلى الهند في عنفوان عمره، وابتداء حاله وأمره، فقطن بها خمساً وعشرين سنة، وعاد إلى مكة - شرفها الله -، فأنكر تقلب أمورها، فانتقل منها إلى فارس، فطنب بها خيامه، ولم يتم له مرامه، فرجع إلى الهند، ولم يزل بها حتى دعاه أجله فلبى، وقضى من الحياة نجبا، فتوفي ليلة الأربعاء، لثمان بقين من جمادى الآخر، سنة تسع وتسعين بعد الألف.

ومن رقيق شعره:

ما شئتُ برقاً سرى في جنحٍ معتكِ إلا تذكرتُ برقَ المبسمِ العطرِ
ولا صبوتُ إلى خِلٍّ أسامرُه إلا بكيتُ زمانَ اللهو والسمرِ
شلتُ يدُ النوى ما كان ضائرَه لو غادرتنا نقضي العيشَ بالوطرِ
في خلصةٍ من ليالي الوصلِ مسرعةٍ كأنما هي بين الوهنِ والسحرِ

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٣٢٧)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٤/ ١٥٧) (٢٩١)،

«سلافة العصر» لابن معصوم (١٩٢).

لا نرغب النجم من فقد النديم ولا
وأهيف القد ساقينا براحتيه
منعمين وشمل الأنس منتظم
فما انتهينا لأمر قد ألم بنا
لا در در زمان راح مختلساً
غزال أنس إن تحلى في حلى بشر
وغصن بان تشنى في نقا كفل
كان ليلي نهار بعد فرقته
يا ليت شعري هل حالت محاسنه
فإن تكن في جنان الخلد مبتهجاً
وإن تأنست بالحوار الحسان فلا

وقوله:

كيف أسلو من مهجتي بيديه
إن طلبت الشفاء من شفتيه
إن حلف السهاد عين رآته
كلما رمت سلوة قال قلبي
لست وحدي سيما في هواه

وله مقاطيع سماها: لآلي الجوهرى، منها قوله:

كيف يرجو العرفان بالله من قد قيدته الذنوب طول حياته

نستعجل الخطو من خوف ومن حذر
كأنه صنم في هيكل البشر
يربو على نظم عقد فاخر الدر
إلا وبدل ذاك الصفو بالكدر
من بيننا قمراً ناهيك من قمر
ويدر حسن تجلى في دجى شعر
لا غصن بان تشنى في نقا سدر
مما أقاسي به من شدة السهر
وهل تغير ما باللحظ من حور
فاذكر معنى الأمانى ضائع النظر
تنسى الليالي مرت مع القصر

وفؤادي وإن رحلت لديه
جاد لي بالسقام من جفنيه
وجنة ورد وجنتي خديه
لا تلمني على العكوف عليه
كل أهل الغرام تصبو إليه

لا لعمرى أم كيف يُشرق قلبٌ
صور الكائنات في مرآة
وقوله:

إذا مضت الأوقات في غير طاعة
ولم تك محزوناً فذا أعظم الخطبِ
علامة موت القلب أن لا ترى به
حراكاً إلى تقوى وميلاً عن الذنبِ
وقوله:

إن حزت علماً فاتخذ حرفةً
تصنّ ماء الوجه لا ييذلُ
ولا تُهنه أن تُرى سائلاً
فشأنُ أهل العلم أن يُسألوا
وقوله:

جانبِ اللهو والبطالة واحذر
من هوى النفس إن أردت السعادة
واعبدِ الله ما استطعت بصدقٍ
مطلبُ العارفين صدقُ العبادة
وقوله:

فل للذي يبتغي دليلاً
من غير طولٍ على المهيمِنُ
ما ذرةً في الوجود إلا
فيها دليلٌ عليه بيّن
ومنها في الغزل قوله:

ولقد سقتنا البابلية إذ رأث
أنا نحدثها لننشر حسنّها
خمرأ إذا رأتها العيون ما ذهبت
منا العقول ولم تفارق دَنّها
وقوله:

لما بدا البدر يجلو
دجى الظلام وأسفر

ذَكَرْتُ وَجْهَ حَبِيبِي وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يَذْكَرُ

وقوله:

وَأَسْمَحُ النَّاسَ كَفًّا مَنْ لَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ
وَأَعَذِبُ الشَّعْرَ بِيَتٍّ يَرُوِيهِ عَذْبُ الْمُقَبَّلِ

وقوله:

لَا تَعَذِّلُونِي فِي وَقْتِ السَّمَاعِ إِذَا طَرَبْتُ وَجَدًا فَخَيْرُ النَّاسِ مِنْ عَذْرَا
حَتَّى الْجَمَادُ إِذَا غَنَتْ لَهُ طَرَبٌ أَمَا تَرَى الْعُودَ طَوْرًا يَقْطَعُ الْوَتْرَا

[٤٦٦] أحمد بن عبد الله بن أبي اللطف البري المدني الحنفي الخطيب^(١).

أحد أعيان المدينة الشريفة، ورؤسائها المشهورين فيها بالبراعة وحسن العبارة من بين علمائها، رئيس الخطباء، وجمال الأدباء، الآخذ من العلوم بطرف كبير، مع بديع الشعر الرائق، والثر الفائق، وحفظ أحاسن المحاسن من أخبار المتقدمين، ولطائف المتأخرين.

وُلد - كما أخبرني الثقة من أصحابنا، نقلًا عنه - سنة أربع عشرة بعد الألف، بطيبة الطيبة، وبها نشأ، وقرأ القرآن بالروايات، وأخذ عن علمائها، ورحل إلى مكة، وأخذ بها عن جمع، وأجازوه، منهم: الشيخ العلامة عبد الملك العصامي، صاحب التصانيف الفائقة المفيدة، التي منها «شرح الشذور»، وغيره، ومنهم: العلامة عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، «شارح عقود

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٦٢) (٣٢٢)،

«سلافة العصر» لابن معصوم (٢٥٨).

الجمان في المعاني والبيان» للسيوطي، وعنه أروي مصنفاتهما ومروياتهما
إجازة منه عامة.

ولما رحلت إلى المدينة الشريفة سنة ثلاث وثمانين وألف، اجتمعت
به كثيراً، وكان - رحمه الله - بديع المحاضرة، عالماً بوضع كل شيء من فنون
المحاضرة في موضعه، ويتولى الخطبة في المحافل الكبيرة فيجيد، وهو من
بني عم الخطيب أحمد المالكي، إلا أنه تمذهب بمذهب أبي حنيفة، وصار
رئيس الحنفية بالمدينة في عصره - رحمه الله -، وكان بينه وبين شيخنا الشيخ
محمد مرزا بن محمد الدمشقي ثم المدني مودة أكيدة، وكان يوم الجمعة
- غالباً - يأتيه إلى بيته، ويتذاكر بديع الفوائد، وفرائد القلائد، وكنت - في
الغالب - أحضر معهما؛ لما كان بيني وبين الشيخ محمد مرزا من المحبة
والمودة الأكيدة - رحمه الله تعالى -.

وله أشعارٌ حسانٌ، ونثرٌ أحسن، لا سيما خطبته التي كان ينشئها حال
مباشرته للخطابة بالمسجد النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام -؛
فإنها فائقة بليغة.

ولما وصل القاضي الفاضل تاج الدين المالكي المكي للمدينة الشريفة،
سنة أربع وخمسين وألف، مدح أهلها بهذه الأبيات:

يا ساكني طيبة فخرأ فقد	طابت فروع منكم والأصول
وآية الأنصار فيكم سرت	كأنما المقصود منها الشمول
تصفون محض الود من جاءكم	فما عسى مادحكم أن يقول
وليهنكم ما قد خصصتم به	فيا لها خصيصة لا تزول

وفزتم في سوحه بالحلول
يسود كل الناس جار الرسول

جاورتم المختار خير الورى
وسدتم الناس ولا بدع أن

فأجابه صاحب الترجمة :

في مفرق العلياء جرؤوا الذبول
تچار في دزك مداه العقول
جيد المعاني حلية لا تزول
ومنهم التاج إمام النقول
سمادع غر كرام فحول
ولطفها يخجل منه الشمول

أعظم بأهل الركن من سادة
جيران بيت الله من قدرهم
بمكة حلوا فحلوا بها
من مثلهم والفضل حقاً لهم
رئيس هذا العصر من جلّة
أخلاقه كالروض من لطفها

ومنها :

طابت فروع منكم والأصول
لكنني بالإذن منكم أقول
حتى شهدتم وصفكم لا يحول
والآن أنتم في جوار الرسول
فسدتم الناس وحق المقول

أكرم به إذ قال من أجلنا
وآية الأنصار فيكم سرث
يا نخبة الأنصار منكم لنا
وأنتم جيران ذاك الحمى
جمعتم فضلاً إلى فضلكم

ومنها :

يوليكم الحسنى وحسن القبول
تترى وعمر في سرور يطول

فالله رب العرش سبحانه
حتى توافوا القصد في نعمة

ودولة الإفضال تسمو بكم وتزدهي طوراً وطوراً تصون
ما غدت ورقاء في روضة غنا وغنت حين طاب الدخول

ومن لطيف ما اتفق للمترجم: أنه حضر خطبة بعض أعيان العلماء من
أهل مكة، فأعجب لخطبته، وقال له: ما رأيت في الحرمين أخطب منك،
فأجابه بديهاً، متمثلاً بقول يحيى بن سلامة الحصكفي:

إنني لأستحيي من الله كلما رأوني خطيباً واعظاً فوق منبر
ولست برياً بينهم فأفيدهم ألا إنما يشفي المواعظ من بري

ومن لطيف ما اتفق لصاحب الترجمة مع تاج الدين المذكور: أنه رأى في
العام الذي زار فيه التاج، كأنه في مجلس الدرس بالروضة النبوية، وإذا بالقاضي
داخل من باب السلامة^(١)، وهو قاصد الحضرة الشريفة، فلما قضى الوطر
من التحية والزيارة، جاء بفضلته إلى المجلس، وقعد، بعد تلقيه وتقيل
يديه، وأشار باستمرار القراءة، فألقى صاحب الترجمة الكراريس من يده،
وأنشد:

أمولاي تاج الدين لا زلت ذا علماً على الهام والأوهام ليست لذا فطن
إذا كنتم في مجلس كان أهله بأجمعهم خرساً وأنت لك اللسن

ثم انتبه وهو حافظ البيتين، ثم لم تكن عشرة أيام من هذه الرؤية، حتى
وصل القاضي، فكان دخوله المسجد الشريف من باب السلام، وصاحب
الترجمة في مجلس درسه، على الصفة التي كانت في الرؤيا، ثم لم ينشب أن

(١) كذا في الأصل.

تفضل وجاء إلى المجلس، فلتقاه في الموضع الذي جلس فيه، وأشار باستمرار القراءة، جرياً على عادته في التفضل والإحسان والجبر، فألقى الكراريس، وأنشده البيتين، ثم أخبره الرؤيا، ففضى العجب واستبشر، ثم بعد قيامه من المجلس، أنشده قوله معتذراً متشكراً:

لئن كان قدري مثل ما قلتَ عندما تواضعت إذ طبقتَ كتبك في الوسنُ
فقد صحَّ بالأحرى اتصافُك بالذي وصفتَ به المملوكُ من ظنك الحسنُ
لأنِّي وإن أحرزت ذاك فلإنني لديك أخا صمتٍ وأنت لك اللسنُ

ولم يزل - رحمه الله - يقرئ ويدرس بالمسجد الحرام النبوي، في فنون شتى، حتى توفي في رابع عشر شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وتسعين وألف، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع الغرقد - سقى الله ضريحه صيب الرحمة والرضوان، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان -.

ورثاه جمعٌ، منهم: الأديب البارع، أحمد بن إبراهيم ابن الشيخ العلامة عبد الرحمن الخياري الشافعي - رحمه الله - بقوله:

فَجَأَ الْأَنَامَ جَمِيعَهُم خَطْبُ الْمَ بِهِم عَجِيبُ
وَمَصِيبَةٌ قَدْ أَوْجَبَتْ لِلطُّفْلِ فِيهَا أَنْ يَشِيبُ
وَرَزِيَّةٌ عَظُمَتْ بِدَا رَ الْمِصْطَفَى طَهُ الْحَيْبُ
فَقَدْ الْأَنَامُ الْحَافِظَ الـ عِلَامَةَ الشَّهْمِ الْأَرِيبُ
فَهَامَةُ الْعَصْرِ الْمُلِيبِ نُّ بوعظه القلبَ الصَّليبُ
كَنَزُ الْحَقِيقَةِ مَجْمَعُ الـ بِحَرِينِ ذُو الرَّأْيِ الْمَصِيبُ

بدرٌ لليلِ المشكلا
 شمسُ المعارفِ والعوا
 بحرٌ مفيضٌ للعلو
 فلفقد هذا البحرِ يا
 تبكي عليك مجالسُ الثـ
 وكذا المنابرُ والمحا
 وبكتك خلانُ الوفا
 وعلومُ آدابِ بكت
 وكذاك ربعُ الفضلِ مذ
 نفديك أنفُسنا ولو
 كلُّ يعزي نفسه
 فلَهولِ هذا الخطبِ جيـ
 والصبرُ يُخمد دائماً
 مولاي فاهنَ بجنة الـ
 اختارك المولى لدا
 مذ قيلَ لي ما ضبطُ هـ
 فأجبتُهُ متأوهاً
 زل أولُ الأعدادِ من
 واسمع فقد وافى لنا
 ت إذا اذلَّهُم على الأريب
 رف قد توارث للمغيب
 م فَبَرُّ ناديه خصب
 عين امطري دمعاً صيب
 تَدريس لو يُغني النحيب
 فلُ والبعيدُ مع القريب
 وبكاكِ ولدانُ وشيب
 إذا ما لداعيتها مُجيب
 فارقتَه مثلَ الغريب
 يُجدي الفِدا فُدي الحبيب
 إذ في جنابك قد أُصيب
 شُ الهَمُّ منهزمٌ رغب
 إلا عليك هو المعيب
 فردوس والمأوى الرحيب
 ر الخلد كي فيها تطيب
 ذا الأمرِ والخطبِ العجيب
 بلسان محزون كئيب
 تاريخه تكنِ المصيب
 تاريخه (مات الخطيب)

وخلف المترجم - رحمه الله تعالى - ولدين فاضلين، أكبرهما الخطيب عبد البر، والثاني الخطيب إبراهيم، ولهما أشعار حسنة، والحمد لله وحده.

[٤٦٧] السيد أحمد بن محمد بن صلاح القطايري.

كان من أجلاء العلماء، وفي العربية إلماماً محققاً، وعمر كبيراً، اتصل لولاً بالإمام القاسم. وكان من المناضلين عن منصبه، والقاتلين معه، وله قصيدة جواب على السيد العلامة عبد الله بن علي بن الحسين، المتعارض هو والإمام القاسم.

فمن جواب السيد أحمد المترجم له قوله :

وتقول في الأشعار أحدث قاسم	سواء وما حدثت بقولة قاسم
إلا الحروب المصدمات على العدا	الناقمات بكل عاد ظالم
من جرّع الأعداء سمّاً نافعاً	في كل خط مصرم متلاحم
بأسنة عند اللقاء وصوارم	وردّة حربٍ مقلمين بقاصم
وينادق تحكي الرعود قواصفاً	ورصاصها حتف العدو اللاحم
وشوارب كالشهب تهوي في الهوا	رصدًا يحافظ خطفه من راحم
يحملن كلّ فتى هزبر أزوع	ثبت الجنان لدى الوقائع باسم
سل عنه ذات السود أو أمافهم	وثلا وذا مدعٍ ودار مرّازم
تخبرك عن نبأ يقين أنها	سقت العدا بها كؤوس علاقم

وهي طويلة ختمها بقوله :

والله يرعى للشرائع حقّه ويديم بهجته بعز دائم

ما دام فهو حتوفُ كلِّ معاند وسحاكُ أفندةٍ وسحقُ حلاقمِ
واللهُ يختم بالرضا أعمالنا والمؤمنين وتوبةً للنادمِ
ثم الصلاةُ على النبي وآله ما غردت في الأيَّك وُرق حمائمِ

وله مرثيةٌ في الإمام القاسم، جمع فيها الرثاء، والتهنئة بقيام ولده الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وكان في أيامه من عيون أهل بيته، وتولى جهة آنس، ثم استقر ببلاده، وأعمالها منوطةً به، إلى دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وأخذ منها بشرط صالح، واتفق أنه زار السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال إلى رعاقة، فقال السيد - رحمه الله -:

فأهلاً بأقدامِ حَبَّتني زيارةً وما كنتُ أهلاً للنهوض إلى عندي
ولا غروا إن زار العظيمُ محقِّراً فقد ينهضُ المولى إلى ساحة العبدِ

فأجابه المترجم بقوله:

بل أنتمُ النفرُ المستوجبون لأن نمشي إليكم ولو مشينا على الخدِّ
لأنكم من سُلالاتِ النبي وقد حزتمُ بفضلكم مجداً إلى مجد

توفي في شهر ربيع الأول، سنة ست وتسعين وألف، في وادي قراصي، من بلاد أبي الحطاب، وقبره بصرح المسجد، بقرية آل يعيش، مشهور مزور - رحمه الله -.

[٤٦٨] شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي نسبةً إلى قليبوب: قرية بشرقية مصر الشافعي^(١).

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١٧٥)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٩٢).

الشيخ الإمام، العالم العامل، شيخ الإسلام، ومرجع العلماء الأعلام، في مشكلات المسائل العلمية العظام، وعالم الجامع الأزهر، الذي أشرق بنوره وأزهر، والقائم بأعباء تبليغ العلم النافع، وبثه بقلمه ولسانه، والمرشد الداعي على بصيرة إلى الله في سره وإعلانه، والقانع من الدنيا باليسير، والزاهد عن الكثير، الذي اشتهرت مناقبه وفضائله، وعمت في الخافقين فواضله.

أخذ الفقه والحديث عن العلامة الشمس محمد الرملي، ولازمه ثلاث سنين، وهو منقطع ببيته، ولازم العلامة النور الزيادي، وسالماً الشبيري، وعلياً الحلبي، وأحمد بن خليل السبكي، والشيخ محمد بن الطحان، وغيرهم من مشاهير الشيوخ، وعنه: شيخنا منصور الطوخي، وإبراهيم البرماوي، وشيخنا شعبان الفيومي، وغيرهم من أكابر الشيوخ.

وكان - رحمه الله تعالى^(١) - مهاباً، لا يستطيع أحد أن يتكلم بين يديه، إلا وهو مطرق رأسه؛ وجلاً منه وخوفاً، لا يتردد إلى أحد من الكبراء، ويحب الفقراء، ولا يقبل من أحد صدقة مطلقاً، بل كان في غالب أوقاته يرى متصداً، وليس له وظائف ولا معاليم، ومع ذلك كان في أرغد عيش، وأطيب نعيم.

وكان متقشفاً، ملازماً للطاعات، وصنوف العبادات، ولا يترك الدرس في غالب الأوقات، جامعاً للعلوم الشرعية، متضلّعاً من العلوم العقلية، وأما معرفته بالحساب والميقات والرمل، فأشهر من نار على جبل، وإمامته في العلوم الحرفية، والأوقاف، والزايجة السنية، وغير ذلك من الفنون العلمية، والمعارف الخفية، مشهورة عند البرية.

(١) في الأصل: .

وكان في الطب ماهراً خبيراً، وبفنونه عارفاً بصيراً، واتفق أنه دخل على والدي - رحمه الله -، وكان من أعز أصحابه، يعود في مرض موته، فدخل عليه الطبيب، وهو عنده، فأمره أن يحتقن، وذهب الطبيب من عنده، فقال له: اصبر أياماً، ولا تحتقن اليوم، ثم لما خرج من عنده، نادى جماعة والدي حاضرين، وقال لهم: لا تعالجوه بشيء، ولا تمنعوه عن شيء؛ فإنه يموت في الساعة الثالثة، من الليلة الثانية، فكان كما قال، وتوفي إلى رحمة الملك المتعال.

وكان حسن التقرير، ويبالغ في تفهيم الطلبة، ويكرر لهم تصوير المسائل، والناس في درسه كأن على رؤوسهم الطير، وألف مؤلفات كثيرة عمَّ نفعها، وعظم عند أهل الفضل وقعتها، منها: «حاشية على شرح المنهاج» للجلال المحلي، و«حاشية على شرح التحرير» لشيخ الإسلام، و«حاشية على شرح أبي شجاع» لابن قاسم الغزي والخطيب الشربيني، و«حاشية على شرح الأزهري»، و«حاشية على شرح الشيخ خالد على الآجرومية»، و«حاشية على شرح إيساغوجي» لشيخ الإسلام، و«رسالة في معرفة القبلة بغير آلة»، و«كتاب في الطب جامع»، و«مناسك الحج»، وغير ذلك من الرسائل والتحريرات المفيدة.

توفي بمصر، سابع عشري شوال، سنة تسع وستين وألف، ودفن بترية المجاورين - رحمه الله -.

[٤٦٩] أحمد بن محمد المدني ابن يونس المدعو عبد النبي، الملقب نفسه: القشاشي، ابن الشيخ الكبير أحمد بن علي بن محمد بن يوسف بن

حسن بن ياسين الدجاني - بتخفيف الجيم -؛ نسبة إلى دجانة: قرية من قرى بيت المقدس^(١).

الشيخ الإمام، مقتدى الأعلام، الأستاذ الكبير، العارف الشهير، ذو التصرف التام في العالمين، ومرشد السالكين، وإمام الحرمين، وغوث زمانه، وقطب أوانه، كان - روح الله روحه - من المصطفين الذين أورثوا الكتاب، إذا تكلم في الحقائق، أيدها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

حامل راية الهداية لسبل الولاية، بكف العناية، لأهل البداية والنهاية، الباذل لطلاب الإفادات موائد التوضيح والبيان، والناشر لهم من ذخيرة التنقيح ومعونة التلقين الطراز المعلم بجواهر التبيان، ناظورة ديوان المعارف في فك رموزها، وإزاحة إشكالاتها، والواقف من مقاصد مواقفها ومواقف مقاصدها على عين الإصابة من نتائج أشكالاتها.

شيخ المشايخ الأعلام، والآية الماثورة بأقلام الألسنة وألسنة الأقلام، ملحق الأصاغر بالأكابر، ووارث أعلاق السيادة كابراً عن كابر، مسند الدنيا على الإطلاق، وبركة الوقت المنتجع إليها من أعماق الآفاق، وشيخ الشيوخ العارفين بالله في زمانه، وفريد وقته في علوم الشريعة والحقيقة وأصول الطريقة في أوانه.

الذي انتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله سبحانه وتعالى، وظهرت بركة أنفاسه على خلق من العصاة فتابوا، ووصل به خلق

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠٢)،

«موسوعة أعلام المغرب نشر المثنائي» (١٤٩٢)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٢٣٩).

إلى الله، وصار له أصحابه كالنجوم، وأقعد في آخر عمره، ولم يخل بشيء من أوراده على العموم، وكان جده الشيخ أحمد الدجاني، شريفاً حسيني النسب؛ فإنه كما وجد في وثائق القضاة ببلده: أحمد ابن السيد الشريف علاء الدين علي ابن السيد الحسيب النسيب محمد بن يوسف بن حسن بن ياسين البدري، نسبةً إلى السيد بدر الولي المشهور، المدفون بزاويته، بوادي النصور، ظاهر القدس الشريف، وله ذريةٌ لا يحصون كثرةً.

قال صاحب «أنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»: ومناقبهم لا تحصى، وذكر منهم جماعة، وساق نسب السيد بدر، فقال: بدر بن محمد بن يوسف ابن بدر بن يعقوب بن مظفر بن سالم بن محمد بن محمد بن زيد بن علي ابن الحسن بن العريض الأكبر بن زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

إلا أن الشيخ الدجاني، كان يخفي نسبه؛ اكتفاءً بنسب التقوى، المقتضي للتصل عن أسباب الفخر والجاه في الدنيا، فتبعته على ذلك ذريته.

وكانت والدته الشيخ محمد المدني من ذرية سيدنا تميم الداري، وهم كثيرون ببيت المقدس، ووالدة صاحب الترجمة من بيت الأنصاري، ولهذا كان يكتب بخطه تارة: أحمد المدني الأنصاري، وتارة: سبط الأنصار، وجده الشيخ يونس هو الذي خرج من القدس، وسكن المدينة، وجد أبيه الشيخ أحمد الدجاني مشهوراً في القدس، يستنجد به.

ولد عليه السلام بالمدينة، في ثاني عشر ربيع الأول، سنة إحدى وتسعين - بتقديم التاء - وتسعمائة بالمدينة، وبها نشأ، وحفظ القرآن، ورباه والده، وأقرأه بعض المقدمات الفقهية على مذهب الإمام مالك؛ لأن والده تمذهب

بمذهب شيخه الشيخ محمد بن عيسى التلمساني، وكان من كبار العلماء الأولياء بالمدينة، ورحل به والده إلى اليمن سنة إحدى عشرة بعد الألف؛ فأخذ عن أكثر علمائه وأوليائه، خصوصاً شيوخ والده الموجودون إذ ذاك؛ كالشيخ الأمين بن الصديقي المرواحي، والسيد محمد الغرب، والشيخ أحمد السطيحة الزيلعي، والسيد علي القيع، والشيخ علي بن مطير، ومكث عند والده مدة.

ثم حدث له وارد مزعج، فخرج سائحاً من اليمن حتى وصل إلى مكة، فمكث بها مدة، وصحب فيها جماعة من الأكابر؛ كالسيد أبي الغيث شجر، والشيخ سلطان المجذوب، وعاد إلى المدينة، وصحب بها الشيخ أحمد بن الفضل بن عبد النافع ابن الشيخ الكبير محمد بن عراق، والشيخ الولي عمر بن القطب بدر الدين العادلي، والشيخ شهاب الدين الملكائي، وغيرهم.

ثم لازم خدمة الشيخ الكبير أحمد بن علي الشناوي، الشهير بالخامي الشافعي الصوفي، وتمذهب بمذهبه، وسلك طريقته، وقرأ عليه كتباً في مشربه، وأخذ عنه الحديث والأصول، وكتب الفقه، و«الجواهر» للشيخ محمد الغوث وغيره، ولا زال ملازماً له، حتى اختص به، وزوجه ابنته واستخلفه، ثم أخذ عن رفيق شيخه في الإرادة السيد أسعد البلخي، ولازمه حتى مات، وورث أحواله.

ثم صحب خلقاً يطول تعداد أسمائهم، وكان جملة من أخذ عنهم في طريق الله نحو مائة شيخ، منهم: الشيخ عبد الحليم الكجراتي، خاتمة أصحاب الغوث مؤلف «الجواهر الخمس»، ومنهم: العلامة الملا شيخ الكردي، قرأ عليه في العربية وغيرها.

ولم يزل على كماله، وقوة حاله، حتى انتفع الناس به، على اختلاف طبقاتهم، وانتشر صيته، وكثرت أتباعه في أقطار الأرض، وشهد له أولياء وقته بأنه الإمام المفرد؛ كالشيخ أيوب الخلوتي؛ فإنه كتب إليه كتاباً يقول في بعضها: إني لأعلم أن لكل وقت صمداً يصمد إليه في الأمور، وإنك والله صمد هذا الوقت، ثم ساق الكلام على هذا النمط، إلى آخر الكتاب.

قال شيخنا الملا إبراهيم: فلما قرأ الشيخ الكتاب، أمرني بكتب الجواب؛ كما هو عادته معي آخر أمره، فقلت: يا سيدي! إن هذا لا أقدر أن أجيب عليه، إنما يجيب عليه أنت، ولكن إذا كتب سيدي الجواب، فليطلعني عليه، قال: وإنما امتنعت عن الجواب؛ لأن المرء لا يخبر أحد عن حاله إلا نفسه، وهذا عارفٌ يكاتب عارفاً، ويصفه بالصمدانية، التي هي القطبانية العظمى، فمن أين لمثلي أن يجيب عن ذلك بنفي أو إثبات؟

قال: فلما كتب الجواب، وأطلعني، وجدته قد افتتحه بقوله: الحمد لله على ذلك كذلك، فقلت في نفسي: هذه البغية، فلا أعظم من شهادة هذا العارف له بالقطبانية، وتصديقه هو له في ذلك بحمد الله على ذلك، والإقرار أنه كذلك.

ومنهم: المولى العارف بالله مقبول المحجب الزيلعي، والسيد عبدالله بن شيخ العيدروس؛ بحيث إنه أخذ عنه في أيام زيارته المدينة، ومنهم: السيد العلامة الولي بركات التونسي، والسيد عبد الخالق الهندي.

بل أخذ عنه كبار الشيوخ؛ كالسيد العارف بالله عبد الرحمن المغربي الإدريسي، والشيخ عيسى الجعفري المغربي، والشيخ مهنا بن عوض بامزروع، والسيد عبدالله بلفقيه، وجماعة من علماء السادة بني علوي، ومن فقهاء اليمن

من بني جعمان وغيرهم .

ومنهم : نتيجة الجلّ، وزبدة الكلّ، شيخنا العارف الصمداني، والعالم الرباني، وخليفته الروحاني، إبراهيم بن حسن الكوراني الشهراني - مع الله بحياته القاصي والداني -؛ فإنه به تخرج، ويعلموه انتفع، ولازمه مدة حياته، وصار خليفته في التربية والإرشاد بعد مماته .

وكان رحمه الله إمام القائلين بوحدة الوجود، التي عليها محققو أهل الكشف والشهود، حافظاً للمراتب الشرعية، متضلّعاً من أذواق السنة النبوية، كثير النوافل والصيام، كامل العقل والوقار والاحتشام، وصل - نفع الله به - إلى مقام الختمية في عصره .

فقد قال - فيما أخبرني به إجازة شيخنا إبراهيم المذكور، وسماعاً شيخنا حسن العجمي -، قال : وجدت بخطه - قدس الله سره - على هامش رسالة السيد العارف بالله سالم بن أحمد شيخان باعلوي المسماة بـ : «شق الجيب في معرفة رجال الغيب» عند قوله : والختم، وهو واحد لا في كل زمان، يختم الله به الولاية الخاصة، وهو الشيخ الأكبر . انتهى ما نصه الذي يتحقق وجدانه : أن الختمية الخاصة مرتبة إلهية، ينزل بها كل واحد لها حسب وقته وزمانه، غير منقطعة أبد الآباد، إلى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول : الله الله، بعدم خلو المراتب الإلهية عن القائمين بها، حتى يصير القائم بها كالصفر الحافظ لمرتبة العدد فيما قبله وبعده، بأنفاسه تتم المصالح، وتقضى الحاجات، لو أنهم ألف ألف في عديدهم، عادوا إلى واحد فرد بلا صمد، وقد تحققنا بذلك حقاً، ونزلناه منازلهم وصدقاً؛ ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم : ٣٦] .

وممن رأيت من مشايخي، من أهل الختمية المذكورة، سنداً متصلاً منا إليهم، من غير انقطاع بإذن الله تعالى، سادسهم كلهم لا رجماً بالغيب، وربّه... (١)، ثم قال بعدها: قاله عبد الجميع أحمد بن محمد المدني، ومثله عليه السلام لا يتكلم بمثل هذا الكلام، إلا عن إذن إلهي، ونفث روعي.

وكانت وفاته بالمدينة، يوم الاثنين، تاسع عشر ذي الحجة، سنة إحدى وسبعين - بتقديم السنين - مريضاً بالحصر، ودفن بالبقيع الفرقد، شرقي قبة السيدة حليلة السعدية - رضي الله عنها، ونفع به -.

كذا أخبرني شيخنا إبراهيم الكوراني، إلا أنه عبّر عن الوفاة بالعرس، فقال: عرسه كان يوم كذا إلى آخره، وسألته عن ذلك، فقال: إن هذا اصطلاح مشايخ الهند، وقد صدقوا؛ فإن اجتماع العارف بربه، وخروجه من سجن الطينة الدنيوية، إلى فضاء الأرواح القدسية، خير أيامه وأسعدها وألذها، فتسميته عرساً أنسب. انتهى.

وله ديوان شعرٍ سافر المحيا، لمن طاف به وحيًا.

فمن شعره قوله:

إليك أخا وجدٍ فإن مصابنا	بعين بها كأس المدامة أوأها
تحسّست ضيعَ الراح حتى أدارها	بمثيلة وجد داؤها عين أدواها
فلما ترقّت خمره الحب وانتشت	وهزّت بها عظمي سناها فأبداها
مهللة تغشى أسرة وجهها	بواعث نور العشق تهباً بمأتاها
الأحسّ لعشاق الجمال بنابلٍ	نزير يسير فضله من ضمناها

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «وربه» بياض يسع كلمة».

شرباً طهوراً من لدنها مداره
فما بلغوا المعشار من سؤر كاسها
فلما بدت بالوجد شوقاً لهم
أقاموا به يبغونه وهو منهم الـ
فأبقتهم صرعى الغرام بدرها
فعيشهم العيش الرغيد وحبذا
على كل حال بالنوال مفيضة
فدونكم أهل الغرامة وارغبوا
وأنتم لها كل البواعث حيثما
فاسمكم اسم المليحة أنتم

وقوله ﷺ:

أضاءت لنا بالرقمتين على نجد
وذكرتني العهد القديم ورامه
وكأس مُدام أدهقته كريمة
فلما تحسّى القوم كأس غرامها
فهم فتية صرف الغرام قوامهم
فساروا بها نحو الإضاءة يبتغوا
أذلاً لسلطان المليحة صبوة
فلما اجتلوا للإسم جال بوسمه

بكلتا يديها نحلة ما تمنّاها
وما برحوا طول الدوام أسارها
وقد تغشتهم بالنور في حي أضواها
مشيئة ما شاؤوه والكل مسعاها
مدى الدهر لا يحين إلا بمحياها
النعيم المقيم المستمر بمأواها
بإمدادها والكل في بعضها تاه
فأنتم لها عين المراد ومرعاها
تولّت فواخر الستر فالكشف يأبأها
حجاب عليكم ما تبدى محياها

لوامع أنوار فهيّجن بي وجدي
وأوقات أنس ما برحت بها أسدي
تسمت بأسمائها الرباب معاً هندی
غدو لها يشدون بالعلم الفرد
بمشهدا الأهنى لدى صفوة الجند
خلاصاً إليها والبنود لهم تهدي
وذلّ الهوى مستعذب الصدر والورد
فأبدى مسماه بزینب والدّعدي

وجار وما جار في الدور سائرٌ إليه به حيث ابتداءً إلى العود
وقوله:

يا قرّة العين إن العين فيك جلت مخضّر العيان بمسموعٍ ومبصوّرٍ
فامنع قواك على علم بذاك فذا الغيثُ شاهدنا في كل منظوّرٍ
هذي صلاةٌ الذي دامت صلاتهم مذ حافظوا بدوام النفخ في الصور

وقوله:

وفي مهجتي من نار وجدك فارضٌ يقسّمُ مرآةَ الصبابة للكل
يُعشّقني فيه إليه بوجهه بوحى وتكليفٍ على ملة الرسل
ويدعو إلى صرف اللقاء بموت ما تراءاه وهمي مذ تَعَيّنَ بالشكل
فهل من سبيلٍ والكفاح مصرحٌ بوجهٍ محيّا طالعِ البدر في نزلٍ
ففي الفرقِ تعذيبٌ عذوبةً مائه مجاذبةُ الأسماء في شاخصِ الظلّ
وإني ذا المجذوبُ والكلُّ جاذبٌ وقبّلُتنا الشطرُ الحرام مع الكلّ

وقوله:

لا تُعزّ عَقْلُكَ لغيرك فتري من بعدُ تندم
إنما العقلُ ضياءٌ يهدي للتي هي أقوم

وذكر الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: أن سبب تلقيب جده يونس
بعبد النبي أنه كان يجمع الفقراء، ويأتي بهم إلى المسجد، ويدفع لهم الأجرة؛
ليصلوا على النبي ﷺ يومهم، فسمي لذلك عبد النبي، وكان يبيع بالمدينة
القشاشة، وهي سقطُ المتاع من الأشياء التي تُسترخص من أي نوع؛ من نعال،

وخرق، ومحابر، وإبر، وغير ذلك مما يحتاج إليه الفقراء، فسمي لذلك:
القُشاشي - بضم القاف وتخفيف الشين -.

أخبرنا شيخنا الملا إبراهيم: أنه قدم رجل من اليمن، يقال له: القُشاشي
- بفتح القاف والشين المعجمة المشددة -، فجاء إلى الشيخ، وقال: يا سيدي!
أنت منا - يعني: في النسبة -، فقال: لا، نحن قُشاشتنا سماوية، وأنت
قُشاشتكم أرضية، يشير - رحمه الله تعالى - إلى الرفع والخفة في الأولى،
وإلى النصب والثقل في الأخرى، ويشير أيضاً، إلى: أن نسبتنا اكتسبناها من
الفرار إلى الله، والتعلق به، وهضم النفس، ونسبتكم اكتسبتموها من الأسباب
الدنيوية، والاستكثار منها.

لأن القُشاش في العرف: هو التاجر الذي يبيع أصنافاً كثيرة، من التجارة
المطلوبة لكل أحد، بخلاف القُشاشة المتقدمة، فلا يشتريها إلا الفقراء،
ولا يشتغل بيعها، سيما إن كان ذلك عن اختيار، لا عن ضرورة، إلا من ذلت
نفسه، وقصد بذلك نفع الفقراء؛ كهذا الشيخ.

وكانت طريقة أسلافه في السلوك قادرية، ومذهبهم في الفروع مالكية،
فنشأ المترجم سالكاً على طريقتهم، متمذهباً بمذهبهم، إلى أن اتصل بالأستاذ
الشيخ أحمد بن علي الشناوي، فاقتضت محبته له، وشدة اتباعه له، واقتداؤه
به في سائر تقلباته؛ كما هو شأن murid الصادق، مع شيخه الحاذق إلى أن
تمذهب بمذهب شيخه في الفروع أيضاً، وكان الشناوي شافعيًا.

وكان الشيخ يقول: تشفّعت بالشيخ، وهو كلامٌ بليغٌ موجّهٌ كما ترى،
أن يحتمل التشفع به إلى الله تعالى؛ لأن شيخ murid شفيعه، أو تصيره شافعيًا
بسببه، وكلاهما حاصل.

وكان الشيخ أولاً قد قرأ في المذهب المالكي عدة مؤلفات، فلما انتقل إلى مذهب الشافعي، وقرأ كتب أصحابه، صار يفتي في المذهبيين .
وقد أخبرني شيخنا الملا إبراهيم عنه : أنه قال : قرأت «المقدمة العشماوية» في مذهب مالك على النبي في المنام كلها .

ورأيت بخط صاحبنا الشيخ حسن بن علي العجمي، في رسالة له :
أن الشيخ أخبر أنه قرأ على النبي ﷺ في النوم القرآن كله من أوله إلى آخره، وهذه منقبة عظيمة لهذا الإمام؛ فإن المشايخ قديماً وحديثاً كانوا يتباهون بقراءة آية، أو سورة، أو بعضها على النبي ﷺ في النوم، وينقلون ذلك مسلسلاً بأسانيدهم، وهم يروون ذلك من أجل المفاخر، وإن كثرت فيه الوسائط، فكيف بمن قرأ القرآن كله على رسول الله ﷺ! (١)

ولا يذهبن بك الوهم الكاسد، والتخيل الفاسد، إلى أن الشيخ انتقل عن مذهبه، ومذهب أسلافه المالكي إلى مذهب الشافعي؛ لهوى نفس، أو تحصيل رئاسة، أو ولاية منصب؛ كما هو شأن كثير من أرباب النفوس في هذه الأزمنة، خصوصاً مذهب الحنفية؛ فقد كثر المنتقلون إليه في هذه الأزمنة لأغراض فاسدة، حداهم على ذلك وجوه الملك والرياسة في أهل ذلك المذهب، وهذا شأن من لا خلاق له ولا دين، وإنما الحامل للشيخ على

(١) يكثر في دعاوى المتصوفة وأدعياء الطريق، أخبار المنامات وما وقع لهم فيها، فلا يستطيع أحد نفي أو إثبات ما يقع في المنام، ولهم في ذلك قصص وخرافات ملئوا بها كراماتهم وخوارقهم، ومن ذلك رؤيا الأنبياء والصالحين والكشوف الغيبية، وما يدعونونه من مراتب ومقامات، نسأل الله سبحانه السلامة في الدين والعقل، ونبرأ إليه عز وجل من كل زيف وكذب .

التمذهب بمذهب الشافعي: ما ذكرنا أولاً من إقتدائه بالشيخ الشناوي، وسلوكه على يديه في الحقائق.

وكان ذلك في زمن تعطشه إلى موارد الحقيقة، في عنفوان إقباله على السلوك بكليته، فوجد عند الشيخ الشناوي رحمه الله منهلاً بارداً، وماءً معيناً، وزلاً صافياً، لا يظماً من شرب منه أبداً، ولا يروى منه مع تتابع السقي مُجدداً.

فاستولت بذلك عليه روحانية الشيخ، وغاب كله في كله، فلم يبق له حيثُ مذهبٌ ولا رأيٌ إلا مذهبه ورأيه في مصادره وموارده، حتى في العادات، فضلاً عن العبادات؛ بحيث لو أن الشيخ انحرف طبعه ومزاجه عن أكل طعامٍ ما، أو فاكهةٍ ما، لما وجد المريد في حال اتحاده بالشيخ مساعاً لذلك، وغُصَّ ريقه عند تناوله.

وفي هذه الحال، وتمكنها من المريد، يتهاى سريان جميع ما أودع الله من المعارف في قلب الشيخ إلى قلب المريد، بسهولةٍ من غير تكلفٍ ولا تعملٍ، ويتخلق جنين المعرفة في قلب المريد ويتكون، ولا يزال مع شدة الاتصال ينمو، إلى أن يصير بشراً سوياً، فيكمل خلقه وولادته وخطامه، في الأمر الذي قدر الله، فإذا بلغ أشده، فحيثُ يتمكن انفصاله عن الشيخ، وتمايزه عنه؛ كانفصال الولد الحسي عن والده، مع أن أصله منه، ومبدأ نشأته منه.

ولولا شدة الاتصال الكائن بين الأبوين، في مبدأ نشأة الولد، وتمازج مائهما في حال لا يمكن في الحس أن يقع أكثر منها اتصالاً، تكون الولد وتخلق من النطفة، فلو وقع أدنى انفصال بين النطفتين يتمكن معه من دخول ريحٍ بينهما، لفسدت النطفة، واستحالت إلى شيء آخر.

فكذلك الولادة المعنوية، ما لم تمازج الأسرار الأسرار، والقلوب

القلوب، وتتحد الأوصاف بالأوصاف، وتغيب الأرواح في الأرواح، حتى لا يبقى تمايز إلا في الأشباح، لا يتخلق جنين المعرفة في باطن المريد، فإن فارقه بعد تخلقه أيضاً قبل تمام الولادة، وإكمال التربية، قلما يكون منه شيء.

إلا أن هذه الولادة المعنوية، قد تكون على نعت توالد أهل الجنة؛ كما ورد في الحديث: «إن الرجل ليشتهي الولد في الجنة، يكون حملة وولادته، ومبلغه مبلغ الرجال في ساعة واحدة»، ف كذلك أيضاً هذه الولادة المعنوية، عند قوة الاستعداد من الجانبين، قد يحصل ذلك في آن واحد، ويقدر ضعفه يطول الأمر، ولقد أشار بعض العارفين بقوله: إن العقبات السبع التي ذكرها صاحب «المنهاج»، من الناس من قطعها في ساعة، ومن الناس من قطعها في سبعين يوماً.

وإيضاح عذر المترجم في الانتقال إلى مذهب شيخه: أن الإنسان إذا صار إلى هذه الحال، لا يمكنه أن يكون له مذهب، ولشيخه مذهب، في الشريعة والحقيقة معاً، ظاهراً وباطناً.

قلت: إن هذا يقتضي أن كل من اقتدى بشيخ في المعارف والحقائق، يلزمه أن ينتقل إلى مذهبه في الفروع، وإلا، لم يُفتح له، مع أن الواقع خلاف ذلك، فقد اقتدى علماء أكابر محققون من المالكية، بأئمة شافعية، وبالعكس، وحصل لهم النفع التام، مع بقاء كل واحد على مذهبه في الفروع.

فنقول: لم نذكر ذلك إيداناً بأنه ضرب لازب؛ بحيث لا يصح الاقتداء إلا مع ذلك، وإنما ذكرناه إظهاراً لعذر من انتقل، وإيضاحاً لبيان سببه، وأنه لم يكن عن هوى نفس، وإنما هو لأرجحية ذلك المذهب عنده، بما استولى عليه من صحبة شيخه، وامتزاج روحانيته بروحانيته، حتى صار الراجع عند

الشيخ راجحاً عند المريد.

والإنسان لا يجوز له من المذاهب إلا ما اعتقد أرجحيته؛ كما هو مقرر عند الأصوليين، وأسباب الترجيح كثيرة، فقد يكون هذا أحدها، يئد أن المريد إن قويت في عارضته علوم الديانة، وسبقت له من الله هدايته، وتشعنت نورانيته، بحيث يكاد زيتة يضيء، ولو لم تمسسه نار، فأقل اتصال بالشيخ يكفيه في توقد مصباح قلبه؛ كما ذكرنا فيمن قطع العقبات في ساعة واحدة.

فإذا نور الله بصيرته، وأتحف بمفاتيح الهداية سريره، أدرك بعين قلبه، وإنسان عين بصيرته، توافق المذاهب في الأصل، وأنه لا اختلاف بينها في نفس الأمر، وإن كان يظنه ضعيف البصر، فلقصوره، ولا يضره مخالفة شيخه في المذهب؛ إذ لا يراه خلافاً؛ كما هو في نفس الأمر ليس بخلاف، ولو كان في نفس الأمر خلافاً، لضره، ولو اعتقد هو عدم الخلاف في المرافقة في الديانة، والعقيدة شرطاً في الاتصال الحقيقي، وما ليس بخلاف حقيقي، فلا تضر المخالفة فيه، بل هو كالمخالفة في الخلق والألوان لا عبرة فيه؛ إذ اللطيفة التي كان بها الإنسان إنساناً تتحد، وإن تغايرت الأجسام، نعم، إذا كان المريد من المتوسمة الذين غلب على قلوبهم حب التعصب؛ بحيث يعتقد خطأ أهل مذهب شيخه في أشياء يفعلها، ويرى أن شيخه لم يصادف في فعلها، وأنه أخطأ فيها الصواب، فهذا يضره مخالفة شيخه في المذهب؛ لأن اعتقاد المخالفة يضر، ولو لم تكن مخالفة في نفس الأمر؛ كما أن اعتقاد الموافقة لا ينفع، إذا لم تكن موافقة في نفس الأمر؛ فمتى ينتفع المريد بشيخ يعتقد خطأه، وعدم إصابته في فروع من الديانة؟!

وإذا شاهد بنور العلم، أو بصفاء البصيرة، اتفاق المذاهب في أصلها،

وأنها دينٌ واحدٌ من ربِّ واحدٍ، على لسان رسولٍ واحدٍ، للإنسانِ واحدٍ؛ لأن الإنسانَ واحدٌ من حيث التكليف، إذ لم يكلف إنسانٌ بما لم يكلف به إنسانٌ آخر، والخلاف بين أهل المذاهب إنما هو في الصورة، فلا يرى بينه وبين شيخه اختلاف، ولو اختلفت المذاهب، بل يرى بينها كل الموافقة، فهذا لا يلزمه الانتقال، ولذلك لا يأمره الشيخ مريدَه بالانتقال إلى مذهب؛ لأن المذاهب شيءٌ واحدٌ.

وقد ألف في اتفاق المذاهب علماء من أهل الظاهر والباطن، وأجل تأليفٍ في ذلك جمعٌ بين كلام أهل الظاهر والباطن كتاب «الميزان» لسيدى الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمته الله؛ فقد بينَ أولاً اتفاق المذاهب، من حيث الحقيقة، وذكر ما بنيت عليه من مقاصد الشريعة، من طريق الكشف، ثم تتبَّع الفروع التي وقع فيها الخلاف بين أرباب المذاهب، فترزها على تلك المذاهب كلها جاريةً على نهجٍ واحدٍ.

وسأضرب لك مثلاً واضحاً لذلك، لم أرَ من ذكره، ويتضح لك به اتفاق المذاهب كل الوضوح، وذلك مثل قومٍ نبعت لهم عين ماء زلال، من حضرة في جبل، فاجتمعوا للورود منها، وكان كل واحدٍ يتناول منها على قدر حاجته، من غير واسطة، وذلك مثل الهدى الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ومثل الصحابة الذين تلقوه منه بلا واسطة.

ثم تكاثر الناس، بعد ما سمعوا بتلك العين، ولم يقدروا على أن يتناولوا كلهم من العين، بلا واسطة، فاتخذت لماء العين بركةٌ عظيمةٌ يجتمع فيها الماء، فيتناول الناس من جوانب تلك البركة، ولا يصلون إلى العين، وذلك مثل ما اجتمع من دلائل الكتاب والسنة، في زمان التابعين وتابعيهم، حتى

دونت السُّنة، وُجِّمعت من حملتها المتفرقين في البلاد من الصحابة وتابعيهم، وصار الناس يأخذون الأحكام من الكتاب والسنة، فمن صح عنه حديثٌ، عمل به، ومن فهم آيةً من كتاب الله، اقتدى بها.

ثم تكاثر الناس تكاثراً أكثر من الأول، وفيهم أعجميٌّ وعربيٌّ، وذكيٌّ وبلیدٌ، وصغيرٌ وكبيرٌ، وحرٌّ وعبدٌ فوق الازدحام العظيم على البركة المذكورة، وليس كل الناس يقدر على تناول منها، ولا جميعهم يحسن السباحة فيها؛ لعمقها وعظمتها وسعة جوانبها، فصار بعض الناس ممن لا يحسن تناول منها، [و] لا يقدر على العوم فيها، يقع في وسطها فيهلك، وبعضهم يقف على جانبها، حتى يموت عطشاً، ولا يصل إليه إلا بالة المتناولين.

فلما رأى أهلها ذلك، اتخذوا لماء البركة المستمد من ماء العين مشارب من تحت الأرض، وخدُّوا له أخاديد، ودرجوه بلطيف صنعهم، وحسن احتيالهم، حتى أجروه على وجه الأرض، وجعلوه أنهاراً عظيمةً، من عين يمين البركة ويسارها، ذاهبةً في عامر الأرض وغامرها، طولاً وعرضاً، وقسموا تلك الأنهار جداول عظيمةً كثيرةً، تستمد من الأنهار المستمدة من البركة المستمدة من العين، فعظم النفع بذلك لكل أحدٍ من قويٍّ وضعيفٍ.

فصار كل واحدٍ يتناول حاجته، على حسب قوته، فإن كان المحتاج إلى تناول الماء واستعماله ضعيفاً جداً، تناول من الجدول الصغير الجاري على وجه الأرض، فيغترف بيديه، أو يكرع بفيه، وذلك مثل العامي الذي لم يفقه شيئاً من العلم، فيتناول من العالم العارف بمذهبه المقلد لإمامه، وهو مثل الجدول المستمد من النهر العظيم، الذي هو الإمام المجتهد المستمد من البركة العظيمة، التي هي مثل دلائل الكتاب والسُّنة، المستمدة من العين

الحدارة الغزيرة العذبة الباردة الصافية، التي هي مثل النبوة التي أوتيتها سيدنا ومولانا ﷺ.

وإن كان المحتاج لتناول الماء واستعماله له فضلٌ قوة، وعنده آلة يقدر بها على تناول من النهر، تناول منه من غير احتياج إلى الجدول، وذلك مثل من له فقهٌ في الدين، وقدرةٌ على فهم كلام الأئمة المجتهدين؛ كالعلماء المقلدين لأئمتهم، من أهل كل مذهب، العارفين بنصوص أهل مذهبهم، المتفقهين فيها، فيأخذون الأحكام من نصوص الأئمة المجتهدين؛ وأقوالهم، من غير احتياج إلى تقليد مقلد آخر؛ لقدرة أخذهم على فهم كلام الإمام المجتهد، الذي قلده هو وغيره.

وإن كان هذا المحتاج لتناول الماء قد تمهّر وتدرّب، ولطف ذكاؤه، وحسن استعداده، وقويت عارضته، وجمع من كل الآلات التي يحتاج إليها الغواصون في البحار العظيمة لاستخراج الدرر النفيسة، حتى حصلت لهم ملكةٌ تامةٌ، وقدرةٌ نافذةٌ على أن يتناول من أصل البركة، من غير احتياج إلى جدول ولا نهر، فهذا يسوغ له الأخذ من ماء البركة قبل انقسامه إلى أنهار وجدول، وهذا مثل المجتهد الذي كملت فيه أوصاف الاجتهاد التي ذكرها الأصوليون، وذكروا أنه لا يجوز له أن يقلد غيره، بل يأخذ أحكام دينه من دلائل الكتاب والسنة، على حسب ما أداه إليه اجتهاده، وافق ذلك قول مجتهد آخر أو خالف.

وليس بعد هذه الرتبة رتبة، على نزاعٍ في بقاء أحدٍ من أهلها في هذه الأعصار؛ إذ لا يجترئ أحدٌ أن يقول اليوم: أخذت الأحكام من رسول الله ﷺ،

وكرعت من أصل العين، من غير احتياج إلى الماء المجتمع في البركة العظيمة، التي هي مثل الكتاب والسنة، ومن قال ذلك، وهو سالم العقل والإدراك، ضربنا - معشر المسلمين - الذي فيه عيناه، وإن كان في عقله خللٌ، صفعنا قفاه، بالإعراض عنه وتركناه.

نعم، إن قال عارفٌ محققٌ ذو كشفٍ صحيح، وذوقٍ صريح: أنا قد من الله عليّ بمشاهدة نبع الماء من أصل العين، وشاهدت دخول جريته الصافية في البركة، فاستقيت منه على بصيرةٍ أنه ماء العين، لم يخالطه غيره من ماء مطرٍ أو غيره، ولا دنسته الأيدي، فيسلم له حاله؛ إذ لم يأت بما يخالف كتاباً ولا سنةً، وإنما ادعى أنه أخذهما من أصلهما بلا واسطة.

وذلك مثل ما قال الشيخ محيي الدين رحمته الله: أنه صحح أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ من طريق الكشف، وإن لم تصح عند أهل الصناعة الحديثية، ومثل من يقول من العارفين: إنه سمع القرآن، أو آياتٍ منه من النبي ﷺ، فيسلم له ذلك، ولو ادعى مدعٍ أنه سمع قرآنًا غير هذا، أو حديثاً مخالفاً لما ثبت بوجهٍ صحيح، لضرب بذلك وجه صاحبه، وعُدَّ من مثالبه لا من مناقبه.

فقد استبان لك مما قررنا في هذا المثال، وقريباً من المنال: أنه لا اختلاف بين أرباب المذاهب في الحقيقة، وأنه ماءٌ واحدٌ، من بركةٍ واحدةٍ، من عينٍ واحدةٍ، وإن اختلفت مجاريه، وكثرت جداوله وأنهاره، وتغيرت بعض أوصافه؛ لاختلاف محالِّه؛ فإن الماء عند المحققين لا لون له، وإنما لونه لون إنائه، ولون حصباء نهره، وطعمه ورائحته لا يختلفان باختلاف الأواني، إلا أن يكون في أرضه عفونةٌ، أو في إنائه دسومةٌ ودهنيةٌ، فيغتفر من ذلك

الشيء القليل؛ لأن الماء لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه، وذلك ما يقع في آراء بعض المجتهدين مخالفة بعض ظواهر الكتاب والسنة؛ مما يظن به ضعف نظر في المجتهدين في تلك المسألة، وذلك في بعض الصور النادرة، فلا يضر ذلك، وله أجرٌ واحدٌ، ولا يخرج ذلك عن كون قوله ديناً؛ بخلاف ما خالف صريح الكتاب والسنة، أو خرق إجماع الأمة، فهذا مثل التغير الفاحش المخرج عن خلقية الماء، فيلغى، ولا يعتبر، ولا يعد ديناً، فليتأمل.

والأقسام التي ذكرنا في المثال؛ من مجتهدٍ ومقلدٍ، وعامي، يمكن أن يزداد فيها، وتنقسم إلى أكثر من ذلك؛ بحسب المجتهد والمقلد الذي له قدرة على الترجيح، وغير ذلك من أقسام المقلدين، إلى أن يصل إلى العامي الصرف، الذي لا يفهم إلا ما يشوبه به مع المبالغة في التبين.

فيقسم المثل إلى ذلك بعد الجداول إلى مذهبٍ صغيرةٍ، ثم إلى الغرب، والأداة، إلى أن يصل إلى صاحب الآنية التي ليس فيها إلا قدر ما يشبه، ولكن اقتصرنا على الأقسام الثلاثة؛ إثارة للاختصار.

وقد أطلت الكلام في هذه المسألة، ولا بأس بذلك؛ لأنها من غرر المسائل، وقد ساق إليها ذكر انتقال الشيخ المترجم إلى مذهب شيخه الشناوي. وكان سبب اتصال المترجم بشيخه الشناوي - على ما أخبرنا به شيخنا إبراهيم الكوراني، عن حكاية الشيخ له -: أنه كان بمكة في بعض سياحاته، بعد ما لقي مشايخ كثيرين بمكة واليمن والمدينة، فرأى في المنام - وهو بمكة - الشيخ الشناوي كأنه واقفٌ، وذكره يسيل منياً قد تلطخت به رجلاه وثيابه، فلما استيقظ من النوم، قال: علمت من الرؤيا: أن الشيخ الشناوي

واصل إلى مقام تربية المريدين، وأنه ذكرٌ مستعدٌ للولادة، ولكنه لم يجد مريداً يتلقن منه علومه، فذهبت ضائعة، كما أن الفحل الذكر إذا لم يجد أنثى تقبل الولادة، ذهب منيه ضائعاً.

فانظر - رحمك الله - إلى لطف هذا التعبير، وخفاء مدركه، الذي لا يشك عاقلٌ في صدقه، بعد وضوح معناه، فلو أن أحداً من ضعفاء العقول أمثالنا، هو الذي رأى هذه الرؤيا، لعدّها من أضغاث الأحلام، أو أولها على حمق المريبي وسفهه، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده.

قال الشيخ رحمه الله: فلما أصبحت، وظهر لي تأويل الرؤيا، عزمت على السفر إلى المدينة المشرفة، وكان الشيخ الشناوي إذ ذاك ساكناً بالمدينة، قال: فلما دخلت المدينة، كان أول من لقيت الشيخ الشناوي، فصافحني، وأخذ بيدي، وقال: مرحباً بمن جاء يقتبس منا علومنا - أو كلاماً هذا معناه -، فذهب بي إلى محل زاويته، وكاشفني بجميع أحوالي، وتيقنت صدق رؤيائي، فلزمته من ذلك الوقت، ولم أفارقه إلى أن مات.

ولم يزل حال الشيخ المترجم يترقى عند الشيخ الشناوي، حتى صار عنده أخص أصحابه، وزوجه ابنته، وصار هو الخليفة من بعده؛ كما وقع لشيخنا الملا إبراهيم الكوراني مع شيخه المترجم؛ إذ زوجه ابنته، وصار خليفته.

وكان الشيخ المترجم - مع لقائه لمشايخ كثيرين - لا ينتسب آخرأ إلا إلى الشيخ الشناوي؛ لأن كماله على يده، وهو الذي رقاہ إلى منصة العرفان، وبلغه مبلغ الرجال، وأفاض عليه المعارف فيضاً، ولم يخلف الشيخ الشناوي أحداً من أصحابه يساوي المترجم في مقامه، ولا يحاكيه في مرامه.

فهو - من لدن وفاة شيخه - إمامٌ عارفٌ، سالكٌ مسلكه، يربي المريدين، ويرشد المرادين، ويترقى في مقامات اليقين، ويؤم أولياء الله المتقين، إلى أن حاز الصديقية العظمى، والقبطانية التي هي المقام الأسمى، والله أعلم، ثم مكث فيه .

وأخبرنا شيخنا الملا إبراهيم: أن المترجم رأى الشيخ محيي الدين في منامه، وألبسه، وزوجه أخته، وهي رؤيةٌ حسنةٌ، تدل على وصلة بينه وبين الشيخ محيي الدين في عالم الأرواح، وللباشه إياه إشارةٌ إلى قيامه مقامه، وظهوره بحاله في شرح الحقائق العرفانية، فإننا لم نر ولم نسمع - في وقتنا هذا - بعارفٍ له لسان الشيخ محيي الدين في الحقائق، كأنه ينطق بلسانه، إلا المترجم، فهو محيي طريقه، ومبين إشكالاتها، ومبرز خباياها .

وأما تزويجه أخته، فهو إشارةٌ إلى ما مُنحه المترجم من التكلم في مسألة وحدة الصفات، وتأليفه فيها، وشرحه لها، واستدلّاه عليها بما لم يتهيأ مثله لأحدٍ قبله، فقد كانت هذه المسألة إنما توجد في كلام العارفين المتقدمين إشارةً ورمزاً، وإدراجاً في كلام آخر، ولم يفرد لها أحدٌ بالكلام، ولا يبين عورها، وصيرها عرضةً للقول أو الرد، إلا المترجم، فله بها مزيد اختصاص .

وقد علم أن وحدة الصفات هي أخت وحدة الوجود، التي لم يأت أحدٌ من المتقدمين والمتأخرين فيها بما أتى به الشيخ محيي الدين، حتى صار إمام كل قائلٍ بها، ومتبوع كل مصدقٍ بها، فأكثر فيها التأليف، وشرح وأوضح، ورمز وأشار، واستدل ودل، وضرب الأمثال، وأزاح الإشكال، فكل متكلم فيها إلى آخر الدهر عيالٌ على كلامه فيها، فهو أحق به، وأهلها، وإليه تنسب دون غيره ممن له فيها كلام .

حتى صار إذا قال المترسمون في أحدٍ يريدون صفته بالقول بها، فيقولون: فلان يقول بمذهب ابن عربي، أو يتحل مذهب الحاتمي في الوجود، فإذا فهمت ذلك، فمعنى تزويج الشيخ محيي الدين أخته من المترجم: تمكينه من التصرف في وحدة الصفات، وهي أخت وحدة الوجود، التي هي علم الشيخ، وأصل معارفه، وأدقها وأرقها، والتمكين من الشيء: الإذن في التصرف فيه على وجهٍ سائغٍ شرعاً، إذا كان ممن هو أهل لمن هو أهل وكفء، [و]هو معنى التزويج.

وإظهار ذلك في عالم المثل على صورة التزويج، دون الهبة والعطية والبيع، إعلاماً بشدة الاتصال والإيلاف لذلك الأمر، والاعتباط به، وحصول النتيجة؛ كما هو شأن الزوجة، وإعلاماً بأنه أيضاً كفء؛ إذ التزويج لا يكون إلا من الكفء، بخلاف البيع والهبة، وإعلاماً أيضاً بكرامة هذه المسألة، وأنها ليست مما يباع ويوهب؛ لحريتها وكرامتها على أهلها، إلى غير ذلك من الأسرار، التي يدركها كل ذي ذوقٍ سليم، وفوق كل من ذوي العلم عليم.

وكان المترجم له تصرفٌ تامٌّ بعلم الأسرار والحروف وأسرارها، ويعلم الدوائر والأوراق وطبائع الأشياء، كل ذلك له فيه التصرف التام، وبفن الدعوات وأسرارها، كل ذلك يتصرف فيه تصرف ما هو؛ بحيث لا يتقيد بما يذكره أهل الفن، من الشروط والقيود لذلك، بل يزيد تارةً، ويُقص أخرى، ويعتبر ما لم يعتبروا، ويلغي ما اعتبروا.

وكان كتاب «الجواهر الخمس» الذي هو من أسرار أصل سلسلته نصب عينية، مع حاشية شيخه الشناوي عليه، وله أيضاً كلامٌ كثيرٌ، وتقاييد حسنة

في ذلك، إلا أنها متفرقة في أيدي أصحابه لم تدون، ومع ذلك، فكان - لقوة كلامه، وتصرفه في المقامات - لا يرى هذا العلم هو الغاية؛ كما يراه من المتقدمين والمتأخرين من أربابه؛ كالبوني، والبسطامي، وغيرهما.

أخبرنا شيخنا الملا إبراهيم، قال: كان شيخنا المترجم يقول: نحن لا ننكر على أصحاب هذه العلوم الجادين فيها، الباحثين عنها، المشتغلين بها كل الاشتغال، من حيث إنها جزء من أجزاء الكمال، إنما ننكر عليهم، من حيث ادعائهم أنها عين الكمال، وهو أمر وراء ذلك، لا يتقيد صاحبه بعلم ولا عمل ولا حال ولا مقام؛ لأن له كل علم وعمل، وحال ومقام.

قال شيخنا الملا إبراهيم: وكان الشيخ الصفي المترجم، إذا جرى ذكر أرباب المقامات والأحوال، ربما يشير إلى نفسه، ويقول: نحن لا مقام لنا؛ لأننا من أهل يثرب، وقد قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَتَأَهَّلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وما ذاك إلا أن لهم المقامات، فليس لهم مقام مخصوص، وكذلك كان النبي ﷺ وكُمّل أصحابه، ليس لهم مقام مخصوص يستولي عليهم دون غيره من المقامات، بل يتصرفون في كل مقام بما يوافق مراد الحق، ويعطون كل ذي حق حقه.

فهم ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧]، ولم يقل - سبحانه وتعالى -: لا بيع لهم ولا تجارة، بل كان لهم بيع وتجارة، وضياح ومزارع، ولكنهم يتصرفون في كل ذلك تصرف من لم يغب عن شهود الله في كل ذلك، فيؤدون منه الحق الذي عليهم، ويتناولون منه الحق الذي لهم، كل ذلك بأمر الله، هذا هو مقام العارفين الكمل من أهل الله.

ولعل جاهلاً بإشارات العارفين يقول : إن حمل قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿يَا أَهْلَ يَرْبٍ﴾ [الأحزاب: ١٣] الآية، على هذا المعنى، إحالة لكلام الله تعالى عن ظاهره، وتحريفٌ له عن مواضعه، وذلك لجهله بمذهب العارفين في إشاراتهم بالآيات والأحاديث؛ فإنهم لا ينفون المعاني الظاهرة للآية، بل يشتونها، ويقرّون بها، ويستخرجون - بما أعطاهم الله تعالى من الفهم والنور - معانيً آخر تشير إليها الآية إشارة خفية، يقتبسها العارف منها، وهذا المقدار من الدلالة لا ينكره إلا جاهل .

والشيخ رحمه الله أشار بذلك إلى أنه من العارفين، الذين استولوا على سائر المقامات، ولم يستول عليهم مقام، وأنه في ذلك من خلفاء كمل الصحابة، الذين لهم قدم صدق في الوراثة المحمدية، وهذا المقام - الذي هو كناية عن سائر المقامات - إنما يكون لقطب الوقت، فكان الشيخ أشار بالقطبانية لنفسه، ولم يفهم ذلك إلا خواص أصحابه رحمه الله .

وما رأينا كلام أحدٍ من عارفي زماننا، بل ومن قبله يساوي كلام الشيخ في مزج الحقائق بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية، حتى لا يكاد كلامٌ له يخلو من آية أو حديث، فكان كتب الحديث جمعت له جمعاً، فهو يأخذ منها ما شاء متى شاء، مع زيادة عزو الحديث لراويه ومخرجه، وذلك قلما يوجد في غيره من أهل الحقائق، وإن أتوا بحديث، أطلقوه بلا نسبة؛ إذ ليس ذلك من وظيفتهم .

والشيخ رحمه الله كما أخبر عن نفسه، لا مقام له، ولا وظائف مخصوصة، ولا اصطلاح مفرد، بل له كل المقامات والاصطلاحات والوظائف، والتصرف التام في غالب علوم الشريعة .

وكذلك كان ﷺ في هيئته المحسوسة، وأحواله الظاهرة، ليس على نمط الفقهاء المدرسين أهل المناصب، ولا على نمط الزهاد المتقشفين، يلبس الطيب ويأكله، ولا يأتي أبواب الأمراء، ولا يرغب في معرفتهم، وإن أتوا إلى بابه، لا يمنعهم من الدخول عليه، وإذا دخلوا عليه، لا ينهرهم، ولا يعبس في وجوههم، بل ينزلهم منازلهم التي أنزلهم الله فيها، ويكرم كريمهم؛ كما أمر بذلك ﷺ، ويقدم إليهم من الطعام ما حضر، ومع ذلك، فلا يُخليهم من نصيحة برفق، ووعظ بلين، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإرشاد من جهالة، وإنقاذ من ضلالة، فلا يخرجون من عنده حتى يظهر عليهم أثر الخير، والميل إليه، والحب له، وتصغر عندهم نفوسهم؛ لما يشاهدون من عظمة وعزة من اعتز بعزة الله وعظمته، وهذا لعمري خلقُ الكَمَل العارفين.

ولم يكن ﷺ منقبضاً عن الناس، منزوياً عنهم، بل كان يجالسهم، ويكالمهم، ويتصرف فيما احتاج إليه من أموره الدنيوية، ويحسن القيام بأوقاف زاويته؛ بتولية من هو أهل، وصرف غيره، والأمر بإصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه، وإيصال الحقوق إلى أربابها، وذلك كله لا يشغله عن الله طرفه عين، فلا تكاد تسمع منه كلامين متناسيين، لم يتخللهما ذكر الله، أو دلالة عليه، أو وعظ، أو دعاء بخير، أو إرشاد مسترشد.

قال الشيخ عيسى الثعالبي المغربي نزيل مكة: ما رأيت مثل شيخنا الصفي القشاشي، ما دخلت عليه قط، فأخرج إلا والدنيا بين عيني أحقر من كل حقير، ونفسي أذل من كل ذليل، ولو تكرر دخولي عليه مرات، وهذا شأن الذين إذا رُؤوا، ذكر الله.

وأما مكاشفته بالأخبار عما في ضمائر أصحابه، وإشارته إليه في أثناء كلامه، فبحرٌ لا ساحل له.

قال شيخنا إبراهيم الكوراني - قدس الله سره - في كتابه «الأمم»: شاهدت له من ذلك ما لا أحصيه.

منها: أنه تكلم يوماً على خاطري، فقلت في نفسي: هلا كان هذا قبل هذا الوقت؟ فالتفت إليّ وقال: قل: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَنْتُكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ١٦]، ففهمت أن التأخير كان بإذن الله تعالى.

ومنها: أن بعض المجاورين طلب أن أكتب له كتاباً إلى بعض أهل الشام، لغرض دينوي، فكتبته من غير استئذان الشيخ - قدس الله سره -، ثم دخلت عليه، فقال منكراً عليّ: هذا ثلّم، فلم أتحقق الإشارة، وحصل لي القلق إلى الليل، وأردت أن أكتب جواب مكاتيب أهل الشام في الليل، ومع القلق، فتأملت في أمري، فإذا أنا لم أحدث شيئاً لا يرضاه، إلا كتابة هذا الكتاب بغير إذنه، فأحرقته بالسراج، فسكن القلق، فلما أصبحت، دخلت عليه، فتبسم في وجهي، وقال: عافية، فعلمت أنه المشار إليه بالثلّم.

ومنها: أن بعض الفقراء قال لي: اطلب من الشيخ ما هو كذا، وعين له شيئاً، فقلت له: أنا لا أبتدئ بطلب هذا منه، فقال: بل اطلب؛ فقد قال بعضهم: إن مثل هذا يطلب، فدخلت عليه، وهو في مجلس الدرس، وأنا في هذا الخاطر، فالتفت إليّ وقال: إن كان فيه نصيبٌ ما يفوت، ثم التفت إلى الجماعة يقرر لهم.

قال: وأمثال هذه الوقائع يطول ذكرها.

ولقد أخبرنا الملا إبراهيم : أن الشيخ كان - مع تمكنه من الحقائق - إذا أراد أحدٌ من أصحابه أن يقرأ عليه شيئاً من المواضع المشككة في «الفتوحات» أو غيرها، لا يأذن له حتى ينصرف الناس، ويخلو المكان، إلا من خواص أصحابه، ويأمر بغلق الأبواب، وهذه صفة العارفين؛ فقد كان الجنيد رحمه الله لا يتكلم في الحقائق إلا مع خواص أصحابه، ويقول: علمنا هذا إنما هو خاص الخاص.

وشاهدُ ذلك: قوله عليه السلام: «خاطبوا الناس بما يفهمون» الحديث، وقول أبي هريرة رضي الله عنه: «ملأت من النبي صلى الله عليه وسلم وعاءين، أما أحدهما، فما أنا أبته إليكم، وأما الآخر، فلو بثته، لقطع مني هذا البلعوم، وليس هذا الوعاء المدخر إلا علوم الحقائق، التي هي خاصة.

وقد أخطأ من زعم أنه علم الحدثان، إذ لا يكون ذلك وعاء يقابل به الوعاء الذي يبيته في الناس من علوم الشريعة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما ذكر لأصحابه من أمور الكائنات أشياء قليلة؛ لعدم تعلق علم ولا عمل بذلك، بخلاف علوم الحقائق، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كالشيخ مع مريديه، يأمرهم بالتكاليف والأحكام العامة لسائر المؤمنين، ويخص من شاء منهم بما شاء من الحقائق والمعارف، ويأمر البعض بقيام الليل، ويترك البعض، وينهى البعض عن سرد الصوم، ويقرّ عليه آخر، كل ذلك منه صلى الله عليه وسلم لطف تربية، وحسن تغذية بالأعمال والمعارف.

ومما ينسب لعلي بن الحسين عليهما السلام:

يا رَبِّ جوهرِ علمٍ لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبدُ الوثنا

ولاستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وأخبرنا شيخنا الملا إبراهيم، قال: أخبرني شيخنا الصفي القشاشي، عن شيخه الشناوي: أنه كان ذات يومٍ في خلوته مستلقياً، إذ رأى وزعاً، يمشي على الحائط، فأراد أن يضربه، وغلب عليه شهود الحقيقة، وأنه خلق من خلق الله، موجودٌ بإيجاده، ومصرفٌ بتصرفه، إلى غير ذلك مما تقتضيه الحقيقة، ثم تذكر أمر الشرع بقتله، وأنه لا ينبغي إهمال الأمر الشرعي نظراً إلى الحقيقة، فتردد في الشهودين، حتى غلب عليه امثال أمر الشرع، فأخذ حجراً، فرماه به، فأخطأه، ففر، فضحك الشيخ وقهقه، وقال: الحمد لله الذي جمع بين الأمرين: امثال الشرع بضربه، وعدم قتله المنافي بظاهره لحكمة الله في إيجاده وتصويره، وإحيائه وتصريفه فيما خلق له.

قال شيخنا الصفي إثر حكايته لذلك: أما إنه لو كنت أنا ذاك، لما توقفت، ولشدخت رأسه بالحجر من دون رمي؛ لأن ذلك هو عين الحكمة التي اقتضتها الحقيقة فإن كل ما أمر الشرع بفعله، فذلك هو عين الحكمة، الموافقة لمراد الله تعالى في ذلك الفعل؛ كذبح كل حيوان أبيح أكله، وقتل العدو الكافر، فلا يمنع من ذلك شهود الحقيقة؛ لأن ذلك هو عين الحق، الذي هو مقتضى الحقيقة ببيان الحق على لسان المشرع ﷺ.

وهذا - كما ترى - غاية في التحقيق، يدل على علو شأن هذا الشيخ، وكمال شهوده، حتى لا تغلب عليه حقيقة ولا شريعة، بل انطوت عنده الحقيقة في الشريعة، والشريعة في الحقيقة، فصار الكل شيئاً واحداً، فما من شريعة إلا وهي حقيقة؛ إذ هي مراد الحق، وما من حقيقة إلا وهي ^(١) شريعة لإرشاد

(١) في الأصل: وهو.

الشارع إلى مشاهدته، ومن غلب عليه وصفٌ، كان بحكمه، ومن غلب على الأوصاف، كان بحكم الحق في كل وصف.

وأخبرنا شيخنا الملا إبراهيم - قدس سره -: أنه كان في أول أمره يتعانى شهود الصلوات في الحرم النبوي؛ اغتناماً لفضل الصلاة فيه، وكانت نفسه لا تطيب أن تفوته الصلاة فيه، ومنزله كان خارج المدينة، فربما أغلقت دونه الأبواب، داخلاً أو خارجاً، فتحصل له المشقة في ذلك، فقال له الشيخ القشاشي يوماً: لا تكلف نفسك ما تتضرر منه، وصل هنا في مسجدنا، وإنا لنرجو من الله أن يحصل لك من الثواب ما يحصل لمن صلى في الحرم الشريف، فمن ذلك اليوم طابت نفسي، ولا أبالي إن تعذر عليّ الوصول إلى الحرم.

قلت: ربما سمع هذا قاصرٌ من المتفقهين، فيبادر إلى إنكاره، فيقول: كيف صح له التسوية بين مسجد محلّة، والمسجد النبوي، مع أن الصلاة فيه خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، وهل هذا إلا تشريع؟

فأقول: ليس في هذا ما ينكر، أما من جهة الحكم الظاهر، فقد ورد أن نية المؤمن خيرٌ من عمله، وأن الله تعالى يعطي العبد على قدر نيته، وورد أن من نوى أن يعمل صالحاً، فعِيق عنه بعائق، كُتب له أجره، كما ورد أنه يُكتب للمريض والمسافر أجر ما كان يعمل في الصحة والحضر، ويُكتب للنائم إذا نوى القيام، فغلبته عيناه أجر قيامه، فكَذلك هذا لما كانت بنية الصلاة في المسجد النبوي، ولازم ذلك حتى عِيق عنه في بعض الأوقات، بما يحصل له من المشاق، التي يرخص الشارع لأجلها في ترك كثيرٍ من المأمورات، فلا بُد في قولنا: إنه يحصل له أجر من صلى في المسجد لأجل نيته، سيّما

مع امثال أمر شيخه، وعمارة مسجده، والصلاة بمن فيه من الفقراء، وعمارته بالذكر والقراءة، والصلاة مع الشيخ، وفضلاء أصحابه؛ فإن في هذه القربات، إذا خلصت فيها النية، ما ينجر به ما فات من التضعيف، قرب قرينة وحسنة نفوت ألف حسنة أو تساويها؛ لما حفت به من الأوصاف الجميلة، والفوائد الكثيرة؛ كهذه الصلاة التي يصلّيها في مسجد الشيخ، بحضور قلب وسكون وتؤدة، مع جماعة فيهم الشيخ، فيسري من بركته في صلاة الحاضرين؛ فإن من تحقق بحالته، لم يخل حاضروه منها، وقد ورد: من صلى مع مغفور، له غفر له.

ولو ذهب إلى المسجد، لم يصل إليه حتى يتعب؛ لبعده وتشوش فكره بالرجوع، وتخيل غلق الأبواب دونه، سيما إن أبطأ الإمام شيئاً ما، فبمجرد فراغه من الصلاة، يقوم بسرعة من غير جلوسٍ لذكرٍ ودعاء، فلا يبعد أن تكون الصلاة الأولى مساوية لألف صلاة من أمثال هذه في غير الحرم.

هذا مع أن مسجد الشيخ داخل في حدود ما بين المصلى والحجرة، كما في بعض الأحاديث: «ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة» على قول بعض العلماء: أن المراد بالمصلى: مصلى العيد، فكان بعض السلف يرغب في سكنى الناحية التي بين المسجد النبوي ومصلى العيد، ويقول: إنه روضة من رياض الجنة.

وأما توجيه ما ذكر الشيخ من حيث الباطن، فإن شرف الأمكنة ليس لذاتها، إنما هو لما اشتملت عليه، وأودعه الله تعالى فيها، وشرف المسجد النبوي؛ لمجاورته لقبره ﷺ، وبيته، وصلاته فيه مدة حياته، وغير ذلك، فإذا أكرم الله تعالى ولياً من أوليائه بحضور روحانيته ﷺ لديه، وشهوده من

محلّه دائماً، وإن كان بعيداً عن مسجده؛ لأن الأمانة بالنسبة إلى الأرواح مستوية، فلا يبعد أن يكون لذلك المكان الذي حضرت فيه روحانيته ﷺ، وحصلت مشاهدته على الدوام، ما كان حاصلاً لمسجده من الفضل بالنسبة إلى ذلك الشخص الذي أكرمه الله بذلك، ولا يلزم من ذلك مشاركة ذلك المكان للمسجد النبوي في الفضل؛ لأن حصول ذلك الفضل للمسجد النبوي عامٌّ في الأزمان والأشخاص، وهذا خاصٌّ بهذا الشخص، والزمن الذي هو فيه.

ولا شك أن الشيخ رحمه الله كان من أهل هذا الشهود، فيكون لمسجده من الفضل بالنسبة إليه، وإلى خواص أصحابه القائمين فيه، المجدين به حباً وولاءً، مثل ما كان للمسجد النبوي بحضوره ﷺ بروحانيته فيه^(١)، سيما مع قرب المكان جداً؛ بحيث لا يكاد يغيب عن خيال المصلي شهود الروضة والحجرة، وما هناك من الآثار، حتى كأنه فيه، وإن كان من أهل الكشف، كشف له عن حقيقته حتى يراه وكأنه فيه، وإن بلغ إلى رتبة الأبدال، أمكن أن يكون فيه، مع أنه في محله، فكم من بعيد الدار وهو قريب!

وهذه المراتب الشريفة ليست بعيدة من حال الشيخ، فإذا أتحف بذلك، وصارت صلاته كمن صلى في الحرم النبوي، فلا بُد أن يُتحف الله بذلك جميع من صلى معه ببركته، سيما إن كان هو إمامهم، وارتبطت صلاتهم بصلاته.

وأما تأليفه - قدس الله سره - فكثيرة تقارب السبعين: والذي تعلق بالي

(١) وهذه دعوى باطلة وافتراء عظيم من صنع الشيطان الرجيم.

منها: «شرحه على حكم ابن عطاء الله»، وهو في غاية الجودة، لولا صعوبة كلامه على القاصرين من أمثالنا؛ لدقة مغزاه فيه، ورقة منحاه، وغلبة الإشارة إلى حضور الوجود المطلق على كلامه، وانفرد من دون الشروح بخصيص[ة] لا يعادله فيها غيره، ومأثرة لا يشارك فيها، وهي ختمه ﷺ كل حكمة بحديث يناسبها، وهذا مما يدل على سعة اطلاع الشيخ، وحفظه للأحاديث النبوية، وفهمه لها؛ بحيث يدرك المناسبة بين الحديث والحكمة، في بعض الحكم من وجه خفي، لا يكاد يتفطن له، وهذا شأن فطن العارفين وأفهامهم.

وكان والده سيدي الشيخ محمد بن عبد النبي، كتب على «الحكم» شرحاً كبيراً، فأراد الشيخ اختصاره، فطلب منه السيد محمد بن علوي عندما ورد المدينة الشريفة، سنة سبع وأربعين وألف، أن يبتكر شرحاً غير مختصر من الذي قبله؛ لأن ذلك أجدر بإبداع الفوائد التي يفتح الله فيها، فقبل إشارته.

ومنها: «حاشيته على المواهب اللدنية للقسطلاني» مفيدة مع صغرها.
ومنها: كتاب «بستان العابدين»، ذكر فيه أوراداً كثيرة، بأدلتها وفضائلها، وفضائل آيات من القرآن وسور، وهو غاية في بابه.

ومنها: كتاب «السمط المجيد»، ذكر فيه طرق رواياته وأسانيده من مشايخه، وأكثر في طريق القوم، فقد استوفى غالب طرقهم، وساق أسانيده إلى أصحابه، ثم أسانيدهم إلى منتهاها، مع ذكر شيء من حكاياتهم ومآثرهم.
ومنها: رسائله الثلاث في مسألة الكسب التي انتصر فيها لقول إمام الحرمين، والصغرى منها أتمها تحقيقاً، وأكثرها تدقيقاً.

ومنها: «شرح عقائد النسفي»، ذكر فيها نحو ورقتين، من فتوح ذكر هو الله من المكاشفات له - نفع الله به - .

ومنها: لرسالة المسماة: «ضوء الهالة في ذكر هو والجلالة» .

ومنها: شرحه لرسالة السيد سالم شيخان، التي سماها: «منقذة الموهوم، من مزلة الوهوم»، وهي صغيرة جداً، موجزة لفظاً، كبيرة قدراً.

ومنها: حاشية سماها: «الإفاضة الرحمانية على الكمالات الإنسانية» للشيخ عبد الكريم الجيلي، وهو كتابٌ جليلٌ، نبهه القدر، جعل صاحبه الحقيقة المحمدية هي مظهر الكمالات الإلهية بأسرها، ومنها تفرعت إلى غيرها من المظاهر، ثم أخذ يفصل ذلك شيئاً فشيئاً، ولكنه قد يغلب عليه فيه شهود الحقيقة، فلا يعطي الشريعة حقها، وللشيخ فيه تعقبات ظاهرة عليه، ظهر فيها علو مقامه، وتمكنه من الشريعة والحقيقة، وهذه الحاشية مفيدة جداً.

ومنها: «شرح عقيدة ابن خفيف خفيف»، وكتاب «النصوص»، و«الكثر الأسنى والصلاة والسلام على الذات المكملة الحسنی»، و«عقيدة منظومة»، و«حاشية على الإنسان الكامل» .

ومنها: رسالة «نفحة اليقين وزلفة التمكين للموقنين»، وهي التي حقق القول فيها على كون الحقائق مجعولة أو غير مجعولة، على مذهب العارفين، أهل الكشف الصحيح .

ومنها: «رسالة في الذكر باسم الجلالة مفرداً»، وهي مسألة كثر فيها البحث بين المتأخرين، فأجاز ذلك العارفون عن آخرهم، ومنع بعض المترسمة،

محتجاً بظواهر لا تجزي، وهي مفيدة، مع صغر حجمها.

وله رحمه الله «ديوان شعر»، أكثره على لسان أهل الحقائق، ونظمه فيه عذب المذاق، وإن كان يوجد فيه ما يستضعف عند أهل الأدب، وقد أوردنا نبذةً منه في صدر الترجمة.

وإنما لقب نفسه بصفي الدين، مع أن المشتهر في اصطلاح أهل المشرق تلقب أحمد بشهاب الدين؛ لأنه كان يكره هذا اللقب، ويقول: إن أحمد أشرف الأسماء، فكيف يلقب بالشهاب، الذي هو للعذاب، وما ألطف مناسبتة لهذا الاسم الشريف، وإشارات العارفين واستنباطاتهم لها على هذا الأسلوب عند من فهم ذلك، والله سبحانه يجعلنا من أهل الفهم عنه وعنهم بمنه وكرمه، آمين.

[٤٧٠] أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد ابن حبيب الله بن رفيع الله بن خواجه يوسف بن السلطان شهاب الدين علي المعروف بفروخ شاه الكابلي بن خواجه نصير الدين بن خواجه محمود بن خواجه سليمان بن خواجه مسعود بن خواجه عبدالله بن خواجه واعظ أصغر ابن خواجه واعظ أكبر بن خواجه أبي الفتح بن إسحاق بن إبراهيم بن ناصر ابن عبدالله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمه الله الفاروقي السرهندي الحنفي^(١).

أحد مشاهير أكابر أهل الطريقة بالديار الهندية، وله بها المكانة العظمى، خصوصاً عند ملوكها، والمنزلة العلية عند خاصة الناس وعامتهم، أخذ طريق

(١) «هدية العارفين» (١/١٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/١٤٢).

النقشبندية، والقادرية، والجشنية عن الخواجه محمد باقي، وعن الشاه ابن الشاه إسكندر، وعن عبد الرحمن البدخشي الشهير بجامي مرزا، وأجازوه، وتصدر للإقراء والإفادة، وتربية المريدين، وأخذ عنه خلق لا يحصون.

وله مؤلفات كثيرة، ومكاتب شهيرة كتبها لتلامذته في البلدان البعيدة، وغالبها باللغة الفارسية، ولما وصلت إلى الحرمين، ووقف عليها مشايخ عصرنا، أنكر جماعة منهم عليه أشياء منها، ومنهم: شيخنا العلامة السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني الموسوي، ألف في تكفيره عشر رسائل.

ووافقه - على ما سمعت - من الثقات في بعضها، شيخنا خاتمة المحققين إبراهيم الكردي، وجماعة، ثم تنازع في شأنها علماء الحرمين، وخطأ بعضهم بعضاً، وكان شيخنا علامة العصر أحمد البشيشي مجاوراً تلك السنة بمكة، فسأل جماعة ممن يعرف الفارسية أن يعرف له المنكر على صاحب المكاتب، فعرفها له جماعة، منهم: شيخنا محمد بيك الهندي، نزيل الداودية بمكة، فلما وقف عليه شيخنا أحمد، أول ما فيها، ولم ينكره، فوقع بينه وبين شيخنا محمد البرزنجي كلام طويل.

وألّف شيخنا أحمد رسالة في الاعتذار عنه، ومنع تكفيره وتكفير أمثاله في شطحاتهم، فلما وقف عليها شيخنا السيد محمد البرزنجي، شرحها، وسمى الشرح: «الناشرة الناجرة للفرقة الناصرة للكلمات الفاجرة»، وتكلم فيها كلاماً طويلاً على المترجم، وعلى شيخنا المعتذر عنه.

وكتب علماء الحرمين خطوطهم، بعضهم على رسالة شيخنا أحمد؛

بأن كلامه هو الحق، وبعضهم على رسالة شيخنا السيد محمد؛ بأن كلامه هو الحق؛ بحيث إن بعضهم عادى الآخر، وطال كلام الفضلاء في ذلك. انتهى.

والحق أن ترك التكلم في ذلك هو اللائق بالأدب، والأسلم للعاقل الوقوف مع الحد، ولكن الوقوف على الحد عسير جداً، والله الموفق.

توفي المترجم في تاسع وعشري صفر، سنة إحدى وثلاثين وألف، وقد أفرد أحواله وكراماته بعض تلامذته، وذكر أن كثيراً من الناس نالوا من أثر صحبتة الفوز العظيم، وصاروا من أهل الكشف والذوق، وملأ الأرض ذكرهم شرقاً وغرباً، وكان يخبر بالأمور قبل وقوعها^(١)، فتقع كما يخبر، وكم من مريضٍ عليلٍ أيس الناس منه، فبمجرد أن يأتوا به إليه يبرأ من وقته، وربما خطر ببال أحدٍ في مجلسه شيء، فيبينه له، وذكر المترجم له كثيراً من وقائعه الغريبة - نفع الله به -.

قلت: وقدم مرة حفيده إلى مكة حاجاً، وحصلت له بمكة الحظوة العظيمة، والكرامات الكثيرة، وانتفع به خلق من المريدين - نفع الله به -.

[٤٧١] أحمد شهاب الدين بن خليل بن إبراهيم بن ناصر الدين السبكي الشافعي^(٢).

نزىل المدرسة الباسطية بمصر، وقَفَ المرحوم القاضي عبد الباسط، وخطبها وإمامها، كان إماماً فاضلاً، إذا جمعت الفضائل، فهو منتهى الجموع،

(١) سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٢٢).

وعاملاً كاملاً، كثر الجئة غير مقطوع ولا ممنوع، لم يمض له وقت في غير العبادة، ولا ساعة في غير الاستفادة والإفادة، بوجه أبلج وضاح، يلوح من غرته نور السداد والصلاح، كانت له مهارة في علم الحديث، والعلوم النظرية، وفقهه يتكلف فيه.

واتفق لتلميذه شيخنا سلطان بن أحمد المزاحي معه: أنه حضر عنده يوماً في صلاة الجمعة، في الباسطية، وكان من عادة المترجم أن يقدم ولده للخطبة، ويصلي الجمعة بنفسه، فلما فرغ ولده من الخطبة، تقدم المترجم إماماً على عاداته للجمعة، فأمسك بيده شيخنا سلطان، وقال له: يا سيدي! تقيدوا أن من شرط إمام الجمعة: أن يكون خطيباً، أو سمع الخطبة، وكان صاحب الترجمة ثقیل السمع، فقدم ولده حيثئذ للصلاة بدله، وقال لشيخنا سلطان: جزاك الله خيراً.

مولده بمصر، وبها نشأ، وإن مشايخه^(١) شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفوي المقدسي الشافعي، نزيل جامع الحاكم، والواعظ بالجامع الأزهر، تلميذ الشيخ محمد عراق، وهو الذي رباه من صغره، وزوجه بنته، واستمر ملازماً له، إلى حين وفاته، ثم بعد وفاته أخذ عن شيخ الإسلام محمد الرملي، وحج مرات برأ وبحراً، وجاور بالحرمين.

وله من المؤلفات: «حاشية على الشفا للقاضي عياض»، وشرح على منظومة الجلال السيوطي التي تتعلق بالبرزخ سماه: «فتح المقيت في شرح التثبيت عند التبييت»، وهو قولان، وشرح آخر سماه: «فتح الغفور بشرح

(١) كذا في الأصل.

منظومة القيور»، وهو مزج، وله شرح على منظومة ابن العماد في النجاسات المعقوفة عليها سماه: «فتح الميعن بشرح منظومة ابن عماد الدين»، ورسالة سماها: «هدية الإخوان في مسائل السلام والاستئذان»، وله: «مناسك حج كبير، وآخر صغير»، وله: «الفتاوى» التي جمعها من خط شيخه شيخ الإسلام الشمس محمد الرملي في مجلد ضخم.

توفي في ثالث وعشري جمادى الآخرة، سنة اثنين وثلاثين وألف، عن ثلاث وتسعين سنة، ودفن بقسقية أحدثها بجوار الإيوان الصغير الغربي من المدرسة المذكورة، وقبره ظاهر يزار - رحمه الله تعالى -.

[٤٧٢] السيد أحمد بن الهادي بن هارون الهدوي.

كان سيداً سرياً، زكي القلب، ثابت الجنان، له فراسة صادقة، ينبغي أن يقال فيه: إنه من المحدثين بهذه الأمة، وله في العربية مسكة حسنة، وفي الفقه، واشتغل بأمور الإسلام العامة؛ فإنه كان من أهل الكمال والرياسة، ينوب في مقامات لا ينوب غيره فيها، ولو توفر على العلوم مع سعة ذكائه، أنسى الأوائل.

وكان جزل الطباع، مسدد الرأي، ليس فيه ولا في رأيه رعونة، واستفاد التجارب، ومن المشهور عنه في التروي: إذا شربت عيراً، سهرت ليلة، يريد: أنه لا يقدم على الأمور جزافاً، وكان الإمام المؤيد بالله يرفع مقامه، ويعده للمهمات الكبيرة، وولي صعدة شهوراً بالنيابة عن السيد محمد بن الحسن ابن القاسم بأمر الإمام، ووجهه الإمام في غزوة نجران، وجعله نائباً عن السيد محمد بن الحسن، ولكنه لم يكن له بدٌّ من توجه السيد محمد بن الحسن

بنفسه ؛ لأن النصاب من العسكر ما اجتمع عند تجهز السيد، فاقتضى توجهه بنفسه .

ولي المترجم مدينة ذمار، عن أمر الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وليت مدة عاملاً ببلاد خولان، وسكن جيدان، وحضرته علماء لم يدخل في العمل إلا بهم، منهم: القاضي محمد بن الهادي بن أبي الرجال ولي القضاء، ومنهم: القاضي محمد بن علي بن جعفر ولي قبض بيوت الأموال، وكانت الأعمال - إذ ذاك - علوية نبوية، تترين بها التواريخ.

وذكر الإمام المؤيد بالله: أنه لما ألحَّ على السيد في هذا العمل، واستدناه، رأى ليلة وصول السيد إلى حضرته قائلاً يقول له:

بشراك يا بَن الطهرِ من هاشمٍ بماجدٍ دولتهُ تُحمدُ
يا أحمدَ المنصورَ بن هاشم بورك من في اسمه أحمد

وكان هذا السيد لا يعرف أحدٌ كنه ما عنده من العلم؛ لذكائه؛ فإنه إذا توسط في المسألة مع أي عالم، فهم المقاصد والمتفرعات على البحث، فيملئها أخذاً لها من كلام معارضه، وكان له في تعبير الرؤيا حظ.

فمن عجيب تأويله الرؤيا: أنه عرض عليه الفقيه محمد بن الهادي بن أبي الرجال رؤيا، فقال له: هذا الرائي في بيته خشبة انكسرت، فليتفقدوها، فعزم الفقيه، فوجد الخشبة انكسرت، فأخبر السيد بذلك، فقال السيد ينبغي أن أصلح الخشبة أنا؛ لأنني الذي عبرت الرؤيا.

ومن عجيب ما اتفق من وصفه بالفراصة: أنه كان القاضي العلامة الحسن بن أحمد الحيمي، وزير السيد أحمد بن الحسن بن القاسم، عند دخوله

بالجنود إلى بوصان وديار الشام، وكان السيد أحمد بن الحسن يعول على رأي القاضي، وحق له أن يفعل؛ فإن القاضي كان عذيقها المرجب، وجذيلها المحكك، فرأى القاضي في النوم أنه والسيد أحمد بن الحسن تحت ثوب واحد، فأراد أن يعرض بالرؤيا، فقال للسيد أحمد: رجل رأى أنه وآخر، فقال له السيد: رأيت أنك والسيد أحمد بن الحسن بن القاسم تحت ثوب واحد، فقال القاضي: والله! ما غادرت منها شيئاً، وتعجب القاضي، فقال له السيد: لا تعجب، هذه رؤيا قد كنت رأيته لنفسي، أنا وسيدي الحسن ابن الإمام القاسم، وأولها لي شيعي أحمد بن موسى سهيل بهذا التأويل، وكان مكاني من الحسن مكانك من أبيه.

وله من هذا القليل شيء كثير.

توفي بصنعاء سنة إحدى وسبعين وألف، ودفن بخزيمة، وقبره بها مشهورٌ - رحمه الله وإيانا -.

[٤٧٣] أحمد بن عبدالله بن أحمد ابن الشيخ العلامة عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ المكي الشافعي، تلميذ العلامة الشهاب أحمد بن حجر^(١). كان من أعيان الأفاضل وصدور الأماثل، ولد بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، و«الإرشاد»، و«ألفية العراقي»، و«ألفية ابن مالك»، و«جمع الجوامع» للتاج السبكي، وغيرها، واشتغل بالعلم على أكابر الشيوخ المكيين، فأخذ عن الشيخ عبدالله باقشير عدة علوم؛ كالفقه والأصول، والعربية، والعروض، والمعاني والبيان.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٨).

وتفقه بالشيخ عبد العزيز الزمزمي، ولازمه مدة حياته، وجلس للتدريس بالمسجد الحرام بعد وفاته، وأخذ عن الشيخ علي بن الجمال، ولازم شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي عدة سنين، وكان معيد درسه بالمسجد الحرام الأمين حتى برع، وفاق أقرانه، وأجازه كل من هؤلاء الشيوخ المذكورين.

وأخذ الطريق والتصوف عن السيد العارف بالله سالم بن أحمد شيخان، وتلقن منه الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عن السيد المحقق محمد ابن علوي، وعن السيد صاحب الأحوال عبد الرحمن الإدريسي المغربي، وعن السيد العارف عبد الواحد الغرب، صاحب القنفذة، وانتفع به، وأخذ عن جماعة.

وكانت الفتاوى ترد عليه، فيجيب عنها بأحسن جواب، وأعذب خطاب، وكان باذلاً نفسه لإصلاح ذات البين، وإذا تصدر في قضية، تمت على أحسن الأحوال، وذلك يدل على حسن نيته، وطيب طويته.

توفي بمكة ليلة الاثنين، سادس عشر شهر محرم الحرام، افتتاح سنة سبع وسبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة - رحمه الله تعالى - .

ومن شعره: قوله مجيباً للفاضل محمد الدرا دمشقي عن قصيدة أرسلها إليه:

أم نسيت في رقة الجريال	أعقود من النظام الغالي
أفأظ صوناً له عن التمثال	أم غرام مستودع في حشا الألف
من ولكن بمحض الأزجال	أم عقار في أخذه اللب والحس

أَمْنَعُ اللَّحْظَ وَالْمَسَامَعَ وَاللِّمَمَ سَنَ وَحَلَّ اللِّسَانَ عَنْ اعْتِقَالِ
هُوَ ثَوْبُ الْبَشِيرِ وَافَى عَلَى حَيْدِ سَنَ تَرْجَ لِسَاعَةِ الْإِتِّصَالِ

ومنها:

أَذَكَّرْنَا أَسْجَاعَهُ مَفْصِحَاتِ سَاجَعَاتِ الْحَمَامِ فِي الْأَصَالِ
فَوْحَقُّ الْهَوَى وَطِيبِ وَصَالِ لَمْ تَرْغِهِ يَدُ النَّوَى بِمِطَالِ

ومنها:

وَصَحَابِ عَهْدَتُهُمْ كَنْجُومِ قَارَنْتَ بِدَرِّهَا بِأَفْقِ الْكَمَالِ

ومنها:

مَا رَأَيْنَا إِلَّا الْكَمَالَ وَهَلْ يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ نَفْسِ أَهْلِ الْكَمَالِ
وَلَقَدْ صَدَقَ الْفُؤَادُ وَلَكِنْ سَمِعُهُ عَنْكَ أَجْمَلُ الْأَفْعَالِ
فَحَظَّنَا بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَبِالْفِعْلِ لَمْ وَلَا رَيْبَ فِي صِفَا الْأَحْوَالِ
وَأَمَّا لَمَيَّا تَذْهَبُ بِاللَّبِّ بِ ذَهَابِ الْغُيُوسِ فِي الْأَجَالِ

ومنها:

فَكَأَنَّ الْأَلَى تَقْدِمَ عَصْرِ لَهُمْ إِذْ أَتَيْتَ سَاعَةَ حَالِ
فَلَبِقَ فِي مَخْتِدِ الْمَفَاخِرِ مَوْلَى شَأْنُهُ الْوَصْلُ عِنْدَ قَطْعِ الْمَوَالِ
نَاعِمَ الْبَالِ فِي مَرَابِعِ أَنْسِ أَسْعَدَتْهَا يَدُ الْهِنَا بِوَصَالِ
أَخَذْنَا فِي الْفَخَارِ أَكْمَلَ حَظِّ مَا تَبَدَّتْ طَوَالِعُ الْإِقْبَالِ

وقوله مستغيثاً بالنبي ﷺ في مرض حصل له:

يا صاحبي حَقَّقْ ما مِيعادي وانطلقا لأخْصِبِ الوهادِ
ومنها:

ولاحظاني في السرعة فلإنني^(١) نِضُوْهُ هَوَى مَقْرَحِ الأَكْبَادِ
قد ترك الجفن مفازة فلا يضوي إليه وافد الرقاد
وضلَّ شَرخَ العمر في بياضٍ أَشْرَقَ مِنْ أَشْعَةِ الأفْوادِ
فعرَّجا بمسرح السَّرب الذي ليس له مرعى سوى فؤادي
وخَفَضَما عليكما وخَلِيَّما دمعي السفِيحَ رائِحاً وغادي
ومنها:

يرملُ في جرعاتها يعسِفُها لا يعتريه وهنُ الوَخَّادِ
ويجعل الهبا عقيقاً أحمرأ من النجيع الأحمر الفِرْصادِ
ويترك القاعَ لهم أعقَّةً يكرع منها كلُّ صبِّ صادي
وزفرة قد غُرست بمهجتي وطلُعُها في لَمَّتِي بادي
تتابعثُ حتى يُخال أنني من فَرَقٍ لِمَنْجِدِ أنادي
أذابتِ القلبَ سوى ما أحرزوا لما أتوا من وسط السوادِ
ومنها:

وعاذل يعبثُ بي لو أنه يُجديهِ ما خَطَّ بلا مدادِ

(١) كذا في الأصل.

يَنَّمُقُ الْعَذْلَ يَخَالُ أَنَّهُ
كَأَنَّمَا يَرْقُمُ فِي كَوْنِهَا
لَا يَقْبَلُ التَّعْنِيفَ فِي الْهُوَى سِوَى
وَاحِرٍ قَلْبَاهُ وَبَرْدَ الْمُشْتَهَى
زَادُوا الْعَيُونَ عَنْ وَرْدِ هَائِمٍ
مَا حَنَّ طَرْفَ جَادٍ إِذْ قَدْ ضَنَّ نَوَى
يَمَازِجُ التَّشْكِيكِ بِاعْتِقَادِ
أَفْرَغَ فِي الْفَوَادِ مِنْ وَدَادِ
مَنْ يَقْتَنِي غَيْرَ هَوَى سَعَادِ
هِيَهَاتَ كَيْفَ مَجْمَعُ الْأَضْدَادِ
زَادَتْ عَلَى الْأَنْوَاءِ لِلْوَرَادِ
عُ الطَّرْفِ أَنْ يَحْمِي عَنِ الْمِبْرَادِ

ومنها:

هِيَهَاتَ لَمْ يَبْرَحْ يَرُومُ نَظْرَةً
مَنْ حَضَرَ الْمُخْتَارِ طَهْ أَصْلٍ مَبِ
مَنْ نَوَّرَ ذِي الْعَرْشِ الرَّفِيعِ كُنْهَهُ
فِي قَوْلٍ لَوْلَاكَ إِشَارَةً وَلَا
يُدْرِيهِ مَنْ يَرَى الشُّؤُونَ جُمُعَتِ
فَأَدَمُ...^(١) وَغَيْرُهُ لَهُ
وَذَاكَ مَعْنَى أَنَّهُ أَصْلُ الْوَجُودِ
فَاعْجَبْ لَهُ خَتَمًا نَبِيًّا أَوَّلًا
الْوَاضِحُ الْحَقُّ الصَّحِيحُ حَسْبَمَا
وَبَعْدَ أَنْ زَانَ جَمَالَ وَجْهِهِ
مَنْ حَضَرَ الْإِسْعَادَ وَالْإِمْدَادِ
نَى الْكَوْنِ فِي التَّعْيِينِ وَالْإِبْجَادِ
تَوَاتَرٌ قَدْ جَاءَ بِالْأَحَادِ
جَفَاءً لِلْمَرِيدِ فِي الْمَرَادِ
فِي مَفْرَدٍ مَجْتَمِعِ الْإِفْرَادِ
فَرَعٌ عَلَى مَعْنَى جَلَى الرَّادِ
دَ أَوَّلُ فِي الْبَسْطِ بِالْأَعْدَادِ
قَدْ جَاءَ بِالتَّحْقِيقِ فِي الْإِسْنَادِ
حَرَّرَهُ أُنْمَةً الْإِرْشَادِ
وَجُودَنَا جَاءَ الْكَمَالِ هَادِي

(١) كلمة غير واضحة في الأصل وسكت هكذا: الاما.

فقام بالتوحيد داعياً له
ومهد الشرع القويم للورى
وشئت شمل الكفر بانتظامنا
ومنها:

وراقب المدعون بالمرصاد
مبين الميعاد والإيعاد
في سلكه كالعقد في الأجياد

فابتهج الكون نضارة به
وخفقت ألوية النصر على
وزمزم الرعد على مسرى الصبا
وأضحك الروض بكاؤها على
وأحيت الأنوا موات الجذب من
وتنجت من صلبه أئمة
من مظهر الزهراء ذات الفخر
من حيدر علي الطهر أمير
ومنها:

وصدحت في دوحها الشوادي
سكون ربح الكفر والأعادي
وشقت السحب ظبا الغوادي
مسرة التناج والإيلاد
مرتع التلال والوهاد
قادوا إلى الإيمان والرشاد
في حضائر التقديس والإسعاد
ر المؤمنين سيد الأمجاد

قد أعرضوا عمّا به الناس عنوا
تزهّدوا وذاك من صفاتهم
قد شرفوا على الورى فحبّهم
ومنها:

وصرفوا الوجه إلى المعاد
ذاتاً وهل يخفى شميم الجادي
نص الكتاب عن حصى التعداد

يا سيد الرسل ويا ختام من

قد خُصّصوا بوافر الأيادي

يا خيرَ مبعوثٍ علىَ ظَهرِ الثرى
يا من هو الأولى بكل مؤمنٍ

ومنها:

أخنتُ عليَ حوبةَ جنيتها
وعرضتني هدفاً لأسهم الـ
وأخلقت صبري وجدَّ مطمعي
وضاقَ ذرعي فذريعتي إلى

ومنها:

فحلَّ عقدي يا ملاذي مثلما
وأطلقَ القيدَ المحيطَ علني
فأنت كهفُ الملحفين في الورى
وأنت مقصودي وأنت موئلي
وأنت بابُ الله كلُّ من أتى

ومنها:

فمن دنا من سوحه ملتماً
وعَمَّه الفضلُ فقال شاكراً

وقوله:

صلى عليك الله ما تلالأت

بسيه أخفيت الأيادي
من نفسه من سائر العبادِ

قد جرعتني غصصَ البعادِ
إعراضٍ لا أخلو من العوادي
في أن أرى في هذه النوادي
رحابك الفيحاء شوقَ حادي

حللتَ عقدَ العسر بالإنقاذِ
في سوحكم أنفكُ عن قيادي
وغيرهم من زمر القُصَّادِ
وعمدتي في السهل والشدادِ
من غيره يُسام بالإبعادِ

بإداره العفو إلى المرادِ
قد كثرت ذخائرُ الفؤادِ

صفاتك البيضُ على السوادِ

وهي عروض قصيدة الفتح بن النحاس، التي مطلعها:

قد نفدت ذخائر الفؤاد فكم أرى الدمع للسهادِ
وقوله متغزلاً... (١).

[٤٧٤] أحمد بن محمد بن مكّي بن ولي الدين الحنفي المدني.

الفاضل الكامل الأريب، الشاعر المجيد اللبيب، النجيب ابن النجيب،
الذي له في كل علم سهم مصيب.

ولد بالمدينة في شهر ذي الحجة، سنة تسع وخمسين بعد الألف، وبها
نشأ، وربى في حجر والده، وتأدب بأدابه، وأخذ عن الخطيب الفاضل أحمد
البري، وغيره من علماء المدينة، ولما رحلتُ للمدينة، عام ثلاثة وثمانين بعد
الألف، اجتمعت به، وحصل بيني وبينه مودة أكيدة، ومحبة شديدة.

وكان بعض الناس عدلني، على قصيدة غزلية، نظمها لغرضٍ عرض،
فبلغه ذلك، فأتى إلى منزلي ذلك اليوم ليروحني، فلم يجدني، فكتب إلي
- حفظه الله ورعاه، ومن كل سوء وقاه - قصيدة منها:

أتيتُك من شوقي إليك مسلماً وقد صار قلبي في ودادك ذا شغلٍ
فمن سوء حظي ما تملّيتُ ساعة بمرآك يا ربّ الفصاحة والنُّبلِ
فلا عتبَ إلا عليه فإنه (٢)

(١) جاء في الحاشية: «بعد ذلك ثلاث صفحات وثمان يياض».

(٢) الشطر الأول هكذا في الأصل، وهو غير مستقيم موزون.

فيا من له لطفُ أرقُّ من الصِّبَا
فلا تستمعُ قولاً لوأشٍ وناصحٍ
فما أنت في حبِّ الجاذرِ أولاً
بذا قد قضى شرعُ الغرامِ بأهله
إذا ما رنا من يشبه الطَّيِّبَ لفتةً
وأظهر ورداً في شقائق خدِّه
وفاح شدّاً خالٍ من المسك عمّه
وأبسمَ عن دُرِّ تنظّمٍ في طلاءٍ
فأئيّ فؤاد ليس يصبو لحسّه
أيا أيها العُدَّالُ إن بني الهوى
ففي معركِ الأحداقِ والمهجِ انظُّروا
تبارك من حبِّ الجميلِ وأهله
إليك أخا الإفضالِ سارت شقاشقُ
فكنْ فاتحاً بابَ الرضا لقبولها
ودمتَ قريرَ العينِ في حفظِ ربنا
وصلّى إلهُ العرشِ ربي مسلماً
وأصحابه والآلِ ما لاح بارقُ

فأجبه بقولي :

لقد ساءني ما قد لقيتَ من العذلِ
ولا ترعوي عن حبِّ ذي الأعينِ النُّجْلِ
أشاع الهوى أسرارَه يا أخا الفضلِ
فنصبرُ في حكم الحسانِ على القتلِ
وماس كغصن فوق دِعْصٍ من الرملِ
وسار يجرُّ الذيلَ تيهاً على مهلِ
محاسنُ أوصافٍ تجلُّ عن المثلِ
ألدُّ وأحلى رشفها من جنى النحلِ
ويشتاقُ من ذاك الغزالِ إلى الوصلِ
رأوا اللومَ في حبِّ الحسانِ من الجهلِ
ولوموا ولجُّوا بعد ذلك في العذلِ
ومن خلق الإنسانَ في أحسنِ الشكلِ
مداعبةً ترويك بالجدِّ والهزلِ
وأصلحَ معانيها من القولِ والفعلِ
ونسَمِعُ ما تروي ونكتب ما تُملي
على المصطفى خيرِ الورى خاتمِ الرسلِ
وغرد قمرئِي على فننِ الأثلِ

أيا أحمدًا حاز المحامدَ كلّها ويا فاضلاً من دونه كلُّ ذي فضلِ

ويا ماجداً يسمو على كل ماجدٍ
ويا بنَ كريمِ الطبعِ مكّي الذي
على كل حالٍ لستُ محصٍ ثناءه
بنفسي أفدي منك لفظاً كلؤلؤ
بعثت بخودٍ يُخجل البدرَ حسنُها
سلافية الألفاظ شمسية السنا
فأفرشتها خدي وأوسدتُها يدي
وبِثُّ أعاطيها ثنائي منظماً
وقبلتها ألفاً وألفاً وضِعْفَها
فلا زلت يا قسَّ الفصاحة محسناً
وقد زرت عبداً صادقاً في وداده
ولكن حظي العتاب وإنه
وأعلمتني أن قد شفقت علي من
أبتك حالي يا أخا الودِّ والصفاء
رمانِي زماني بالصباة والهوى
وقد كان ظني الوصل من فاتني الذي
فعاملني من غير ذنب بهجرةٍ
فمن أجل ذا قد ضاق صدري بما أرى
على أنني لا أرتضي الذلَّ في الهوى

ويا من غدا في اللطف ممتنع المثلِ
ترفع شأناً عن مقاربة البخلِ
ولكنَّ بعض القول يكفي عن الكلِّ
وشعراً رقيقاً صار ذكره لي نقلي
عقيلة أترابٍ بها صرتُ ذا شغلٍ
مُدامية الألمي بحال الشجي تملي
وصيرتها مني بمنزلة الخللِ
عليك وجادت عند ذلك بالوصلِ
فحيّاك ربُّ العرش يا ذاكي الأصلِ
ودمتَ قريرَ العين مجتمعَ الشملِ
وشأن الموالي هكذا يا مُنى السؤلِ
على جمعِ شملي بالأحبة ذو بُخلِ
مقالة عذالٍ وليسوا أولي عدلِ
ودهري أشكو وهو مني في حلِّ
وذلك تقديرُ الذي جلَّ عن مثلِ
تحكّم في بعض هواه وفي كلّي
فيا سيدي هل يستحقُّ الجفا مثلي
ولم أتجرّع بعد ذا غصصَ العذلِ
وإن كان أولى لي التحمُّلُ للذلِّ

ولكن أمرت العبدَ يصبرُ للقضا فصبراً على أحكام ذي الأعين النُّجَلِ
ودم راقياً أوج الفضائل باقياً وتخدمك العلياءُ في الجدِّ والهزلِ
وقابل جوابي بالقبول تكرماً فلاني مقرُّ بالقصور مع الجهلِ
وحسنُ اختامي بالصلاة مسلماً على أحمدٍ خيرِ الخلاق والرسلِ
كذلك على الآلِ الكرامِ وصحبهِ نجوم الهدى ما حنَّ صبُّ إلى الأهلِ

قولي: وإن كان أولى لي التحملُ للذل، أشير إلى قول لسان الدين ابن الخطيب التلمساني الأندلسي:

أيا ربة الخال التي سلبتُ نسكي على أي حال أنتِ لا بد لي عنكِ
فلما يندُّ وهو أليقُ بالهوى وإما يعزُّ وهو أليقُ بالملكِ

وكتب إلى والده الأستاذ الشيخ محمد البكري من مصر، في صدر كتاب:

أهدي التحايا والسلام الأسنى لبيد حار الصفاتِ الحُسنِ
العالمِ التحريرِ عينِ الكرمِ ما والماجدِ العظيمِ فخرِ العُظَمَا
من قد سما بالفضل والآدابِ في رتبة تعلو على السحابِ
حاكمِ شرعِ المصطفى بالحقِّ أكرم به صديق آلِ الصديقِ
مكي أفتدي عالي الجنبِ وسيد الأجاب والأصحابِ
أبقاه ربي مع دوام الصلحة وزاده من المزيد منحه
مع أهله وجملة الأولاد ما سعت السحبُ على البلادِ

والله يا إنسانَ عَيْنِ البَاصِرِ
أذْكَرُكُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَنٍ
لأنَّكُمْ مَلَكَتُمْو فؤَادِي
أَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ بِالْمَخْتَارِ
وَأَلَهُ وَصَحْبَهُ وَشِيعَتَهُ
أَنْ يَجْمَعَ الشَّمْلَ بَكُمْ فِي طَيِّبَةٍ
دَمْتُمْ مَدَى أَيَّامِكُمْ فِي عَافِيَةٍ
وَإِنِّي مُحِبُّكُمْ مُحَمَّدٌ
سَبْطُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى
صَلَّى عَلَيْهِ بِالسَّلَامِ رَبِّي
مَا حَادِيَ الرِّكْبِ بِمَدْحِي غَنَى

فَأَجَابَ عَنْ وَالِدِهِ بِقَوْلِهِ :

أَقْبَلَ الْأَرْضَ الَّتِي ثَرَاهَا
أَرْضاً سَمَتْ قَدْرًا عَلَى السَّمَاءِ
شَمْسُ الضُّحَى تَشْتَاقُ مِنْهَا لِلْقُبْلِ
مَنْ سَوَّحَهَا سَالَتْ يَنَابِيعُ الْكَرَمِ
بَيْنَ يَدَي سَلَالَةِ الصَّدِيقِ
السَّيِّدِ الْبَرِّ الْهَمَامِ الْعَالِمِ
قَطْبِ الْوُجُودِ الْوَارِثِ الْمُحَمَّدِيِّ

مَا غَبِثْتُ سُوءَةً عَنْ خَاطِرِي
بِالْمَنْقِبَاتِ الْغُرِّ وَالْفِعْلِ الْحَسَنِ
بِالْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ فِي وَدَادِي
وَجَدْنَا الصَّدِيقَ ثَانِي الْغَارِ
وَكُلُّ شَخْصٍ تَابَعَ لُسُنَّتِهِ
عِنْدَ مَقَامٍ قَدْ شَمَمْنَا طَيِّبَةٍ
دِيَارُ مَنْ يَشْنَأُ هَوَاكُمُ عَافِيَةٍ
نَجَلُ أَبِي بَكْرٍ وَرَبِّي يَشْهَدُ
مَخْتَارِ رَبِّ الْعَرْشِ مِنْ أُمِّ الْقُرَى
مَعَ آلِهِ أَهْلِ التَّقَى وَالصَّحْبِ
أَهْدَى التَّحَايَا وَالسَّلَامِ الْأَسْنَى

فِيهِ جَلَا أَبْصَارِ مَنْ رَأَاهَا
وَزَا حَمَتِ مَنَاقِبِ الْأَفْلَاكِ
وَتَبْتَغِيهَا عَوْضًا عَنْ الْحَمْلِ
فَأَخْجَلْتُ وَسَمِيَّ هَطَّالِ الدَّيَمِ
إِمَامِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالتَّحْقِيقِ
مَنْ حُبُّهُ فَرَضٌ عَلَيَّ لِأَزَمِ
شَمْسِ الشُّهُودِ ذِي الْكَمَالِ الْأَوْحِدِ

من امتطى من ذروة المجد القمم	وخصه المولى بأعظم النعم
لا زال في حفظ الإله الباري	مبلغ الآمال والأوطار
ونسأل الإله جمع الشمل	في روضة المختار خير الرسل
صلّى عليه ربنا وسلّم	وآله وصحبه أهل الحمى
ما غردت سواجع الحِمَام	واخضلت الأغصان بالغمام

وكتب مجيأ لبعض أصحابه، عن أبيات أرسلها إليه :

هدت لآلي لفظكم للعيان	فقلدت سمعي عقود الجمان
وحركت للقلب أشجائه	كأنها الصبيان بنت اللتان
تفوق عقود الدرّ في جيد ذات	الحسن من قاعتها غصن يان
كأنها روض أريض بلدا	منه شذا الترجس والأقحوان
فأنت يا مولاي من معشر	كأنوا بلا ريب جمال الزمان
لا غرو إن قلت علا مؤدد	وأنت ربّ الفضل والطيلان
قد زرت قبر الهاشمي المصطفى	فلتهتك البشري ونيل الأماني
لا زلت يا مولاي في عزّة	دون علاك الشمس والفرقدان
شف السمع نظماً غداً	شبه اللاكي مثقياً باللسان

ومن شعره قوله :

في طية كان لنا صاحب	تظنه النفس شقيقاً لها
منحّه صفوة ودّ الإخاء	وخلّته يمنح أمثالها

فقابل الودَّ بهجرٍ بلا
وكم عقودٍ للوفا بيننا
فقلتُ يا نفسُ دعيه فذا
وله من أبيات :

إياك والبغي أن ترضى به أبداً
وكنْ بنفسك مشغولاً تهذبها
ولا تكنِ بمساوي الناس مشغلاً
قد قال واصفهم حقاً أخو فطنٍ
الناسُ أحلامهم شتى وإنْ جُبِلوا
للخير والشرِّ أهلٌ وكلُّوا بهما
واتركْ هوى النفسِ تنجو من الأعادي
فالنفسُ أعدى عدو ذاتٍ إفسادٍ
وراقبِ الله في خافٍ وفي بادٍ
ممن يجيدُ فصيحَ النطقِ بالضادِ
على تشابه أرواحٍ وأجسادِ
كلُّ له من دواعي نفسه هادي

وكتب إليّ من المدينة، في صدر كتابٍ قوله :

بعثتُ على نُجُبِ النسيم سلامي
فوجدي بهم أضنى فؤادي وبعدهم
ترقرق عيناى الدموع وتسكبا
أخلاي من جيرانِ مكة حُبُّكم
ألا إن أعوام الوصال كساعة
لكم عندي الودُّ الأكيدُ أصونه
فلا زلتُم في صحبةٍ وسلامةٍ
إلى أهلٍ ودِّي من أعزِّ كرامٍ
غدا ناحلاً جسمي بفرطِ مقامٍ
ولولا الدُّما قلنا كسحُ غمامٍ
مقيمٌ بقلبٍ قد مُلِيَ بكلامٍ
وساعة أيام البعاد كعامٍ
ونشرُ ثناء عند كلِّ مقامٍ
مدى الدهر في العليا كبدرٍ تمامٍ

[٤٧٥] القاضي أحمد بن سعد الدين بن حسين بن محمد بن علي بن محمد بن غانم بن يوسف بن الهادي بن علي بن عبد العزيز بن عبد الواحد ابن عبد الحميد الأصغر بن عبد الحميد الأكبر المشوري^(١).

ذكره تلميذه القاضي أحمد بن أبي الرجال في تاريخه «مجمع البحور»، وأطال في ترجمته، فقال: شيخ الشيوخ، وأستاذ أهل الرسوخ، العلامة الذي تعطف له أعناق التحقيق، وتكشف بساحاته أنوار التدقيق، يَسِّر الله له العلم فصار جماعة، وهياً له أسبابه فهو أستاذ الجماعة.

أما الحديث، فهو الحاكم المستدرك، وأما التفسير، فهو محمود الرواية والدراية المدرِك، وأما علوم المعقول، فهو المطلق التصرف فيها، فهي بين مقيد ومعقول، وأما الكتابة، فهو المعتقد لمعادها الوثير، وهو قاضيهما الفاضل الأثير فيها وابن الأثير، رسائله المثل السائر في الأطراف، وأمرها ونواهيها الفلك الدائر القاطع لدائر أهل الخلاف، مقتبسة من أنوار الكتاب، ناطقة بالحكمة وفصل الخطاب، فكم من مرفوعٍ بالباطل خفضته، ومخفضٍ بعوامل النصب رفعته.

نظر في العلوم الإسلامية، فاستخلص الزبد من لبنه، وأسس قواعدها بجواهر الشرع لا بأجرة ولَبِنه، ومع ذلك يقوم الليل إلا قليلاً، ويقطع أيامه صلاةً وتلاوةً وتسييحاً وتكبيراً وتهليلاً، وقد ظهرت عليه آثاره، وزهرت على جبينه أنواره.

(١) «خلاصة الأثر» للمحمي (٢٠٤ / ١)، «نفحة الريحانة» للمحمي (٥٢٩ / ٣) (٢٥٥)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١٢١ / ١) (٤٨)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣٠٩ / ١) (٢٤)، «البدر الطالع» (٥٨ / ١)، «طبيب السمر» للحيمي (٤١٨ / ٢).

كان من خواص الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وأكبر وزرائه، وعمدته عليه في سائر شؤونه وآرائه، بل هو كان المدبر لمملكته، والمقوي لشوكته، ثم من بعد صار عند أخيه الإمام المتوكل على الله تعالى أعظم الوزراء، فهو عُذيقها المرجَّب، وجُذيلها المحكَّك.

مولده في ثاني شعبان، سنة سبع وألف، ورباه والده، وأقرأه العلوم النافعة، ثم لازم عدة من الشيوخ الجللة، حتى سبق في العلوم، وتخرج به علماء كملاء، ولم يزل على سيرة حسنة، وحالة مستحسنة، حتى توفي بـ «شهادة»، يوم الثلاثاء، سادس عشر محرم، سنة تسع وسبعين وألف، وقبره بجوار الإمام القاسم والمؤيد بالله - رحمهم الله -، ورثاه القاضي أحمد بن أبي الرجال بقصيدةٍ مطلعها:

رويدكُما فالصبر لا أستطيعهُ	تمنَّعَ قلبي وكان يطيعهُ
وقد كنتُ جَلْدًا يَألف الصبر خاطري	يقولون لي رحبُ الجنانِ وسيعهُ
فها أنا يرثي لي عدوي من الأسى	فؤادي ثوى بالجحيم طلوعهُ
وذاب فؤادي بالدموع نجيعهُ	فهذا فؤادي في عيوني جميعهُ
يحق لمثلي ما لقيتُ وإنه	ليخفى على غيري فليست أذيعهُ
فلولا دموعُ العين أبدتُ سرائري	كتمتُ ولكن ضرَّ سري دموعهُ
وهل ينبغي لي أن أرى متبسماً	وقد هُدَّ من حصن الكمال منيعهُ
وقد كان بحرًا لا يجفُّ عبابه	وقد كان بدرًا لا يزال سطوعهُ
يترجم عن آي الكتاب بمنطق	يزيد على نظم البديع بديعهُ
فيظهر من سرِّ الكتاب عجائباً	إذا ما رآها الألمعي تروعه

ووالله ما أغرقتُ في وصف حاله وذلك أدنى الوصل كيف رفيعه

منها:

وتوفيق ربِّ لم يفارقه ساعةً	إذا نام فالتوفيقُ ذاك ضجيعه
تنوح عليه الصالحاتُ جميعها	نُواحَ ذليل هذ منه منيعه
وتبكي عليه المَكْرَماتُ لأنها	صنيعته فليكن فيه صنيعة
وتبكي محارِبُ بها كان باكياً	وكان بها جنحَ الظلام ركوعه
وتبكيه أعوادُ المنابر كلُّها	فما منبرٌ إلا بكته فروعه
لعمري لم أسمع خطابةً خاطبٍ	تشابهه ألفاظه وخشوعه
دعوني وشأني فالبكاءُ بعضُ حقّه	ولم يقض حقاً من تفيض دموعه
وما أنا والسلوان لو كان مُسعدي	وأملكه ملكاً لكنك أنت أيعه
ولكنَّ لي عند الحوادث أسوةً	إذا ذكرت في الخطب هان قطيعه
مما تُصفي الدين والآل بعده	ولي أملٌ أن النبيَّ شفيعه
عليه سلامُ الله ما عقب الضحى	ظلاماً وما وافى بليل هزيعه

[٤٧٦] أحمد بن صالح العنسى^(١).

كان من أجلاء العلماء وخيارهم، وأهل الالتفات إلى الله، والحلم الكثير، والعقل الراجح، وشاهد ذلك: زهده في هذه العاجلة، وكان من خواص السيد العلامة الحسين بن الإمام القاسم، وعية سره، وقرينه في قراءته على الشيخ لطف الله بن الغياث.

(١) طبقات الزيدية الكبرى، (١/١٤٧) (٥٣).

ثم انقطع للعبادة ببئر العزب، غربي صنعاء، واشتغل بجليل الكلام ودقيقه، وتذكر قول قاضي القضاة: إن الفقه قد يقرؤه أهله لمقاصد، وأما علوم التوحيد، فليست إلا لله، و«شرح كتاب الرياضة».

توفي في شهر صفر، سنة تسع وستين وألف، ودفن بخزيمة، قريباً من قبر السيد محمد المفتي - رحمهم الله تعالى -.

[٤٧٧] أحمد بن تاج الدين بن محمد بن أحمد الكفرسوسي الأصل، المدني المنشأ والمولد^(١).

رئيس المؤذنين بالمسجد الحرام النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام -، ممن نشأ في حجر النباهة، ورضع ثدي الوجاهة، من لدن صباه إلى كبره، كان فاضلاً مفتياً، في علوم كثيرة، ومهر في علم الحساب، والميقات والتنجيم، وانفرد بمعرفة علم السيميا، والزيارج، والحدثان، بطرق متعددة، فنال بذلك وجاهة عند الأمراء، وأرباب المناصب، ذا فهم ثاقب، وحذق عجيب.

أخذ العلوم المذكورة، والأزياج والحرف والتقويم، وأكثر الرياضات عن والده، وعن الرئيس عبد السلام الزمزمي المكي، وأخذ علوم الحديث عن محمد بن علان، والطريق عن محمد القشاشي.

ذكر الشيخ عبد الله العياشي: أنه أخبره: أنه رأى في صغره في المنام: أنه دخل بستاناً، وقيل له: هذا بستان العلوم، فرأى فيه أشجاراً كثيرة، كل شجرة تنسب إلى علم من العلوم.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٩).

قال : فإذا شجرة لقيتني ، وأنا داخل من باب البستان ، شجرة علم النحو ، فإذا ساقها الكلام ، كأنه مكتوبٌ مستطيلاً مرتفعاً في الهواء ، وتفرعت من ذلك الساق أغصانٌ ثلاثة ، أحدها : اسمٌ ، وثانيها : فعلٌ ، وثالثها : حرفٌ ، كأنها مكتوبةٌ أيضاً على هيئة الساق المتقدم ، ثم تفرع ساق الاسم إلى فروع كثيرة ، من معربٍ ومبني ، ومعرفةٍ ونكرةٍ ، ومشتقٍ وجامدٍ ، إلى غير ذلك ، وكل فرعٍ ينقسم إلى فروع آخر العلوم ، وهلم جرأً ، ثم الفعل كذلك ، ثم الحرف ، إلى أن كمل فن النحو كله ، وكذا أشجار سائر العلوم .

قال : وبقيت صورة ذلك منقوشةً في خاطري ، وإنني أشاهدها الآن ، قال : ولما استيقظت ، قصصت الرؤيا على والدي ، فاستبشر بها ، قال : ولم أزل من ذلك الوقت يختلج في خاطري تصنيف كتابٍ جامعٍ للعلوم التي رأيت في الرؤيا ، أسميه بالاسم الذي ذكر لي في الرؤيا ، وأرتبه على ترتيب ما رأيت .

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ ، ونظمٌ ونثرٌ حسنٌ ، منها : «شرحٌ حسنٌ على مئة الحساب» لابن غازي ، وهو حافلٌ ، وتذكرةٌ جمع فيها فوائد كثيرة ، وسماها : «السفينة» ، قال : لأن السفينة تحمل أصناف المتاع ، من دنيٍّ وسنيٍّ .

توفي بمكة ، يوم الأحد ، سادس عشر شعبان ، سنة ثمانين بعد الألف ، ودفن بالمعلاة .

ولما قدم المدينة الشيخ عبدالله العياشي ، كتب إليه هذه الأبيات ، يطلب منه عارية بعض الكتب ، وكانت عنده خزانة كتبٍ كثيرة ، وهي قوله :

شهاب الدين مولانا ابن تاجه فنعم التاج أنجب في نتاجه

شهابٌ من سما العلوم يهوي
فكم من معضل قد حار فيه
وكم من مهمه كانت سلوكاً
وكم علمٍ وحلم في حياء
له ذهنٌ توقد من ذكاء
غدا فرداً فسدَّ مسدَّ جمعٍ
عليك به إذا ما رمت علماً
فنورُ علومه في ليلٍ جهلٍ
قد احتجنا لكتبٍ منك تأتي
وعذراً في التخلفِ عن لقاءكم
وللمعذور وقت... (١) لا
أيا من قد تفرد في علاه
عليك تحيةً مني فقابلْ

لأحراق الجلالة باحتجاجة
أساةُ الكلم زال لدى علاجة
به العلماء خيم في فجاجة
ولين القول رُكب في مزاجة
فكلُّ العلم يُقبس من سراجة
لمن قد أمه في نيل حاجة
ودغ عنك المعاند في لجاجة
يضيء لمن قد توغل في إدلاجة
ومثلك أنت يوتر في احتياجة
وذلك للحشا أقصى ابتهاجة
يطبق المرء ذاك مع انزعاجة
بخلقٍ كالصباح لدى انبلاجة
ثنائي بالقبول على اعوجاجة

[٤٧٨] أحمد بن صلاح بن الهادي.

ذو المكارم السائرة، والمحاسن الظاهرة، وله من بديع النظم ما يفوق
الرياض البهية؛ كالأبيات الرائية، التي يعاتب بها العلامة الناصر بن عبد الحفيظ
المهلاً الشرفي، من تأخر المعاهدة، وأولها:

أما وجيشٍ غرامٍ حلَّ ناصره ما ملتُ عن صدقٍ وُدٍّ ملَّ ناصره

(١) كلمة غير واضحة في الأصل رسمت على شكل قبله من دون فقط.

ولا صرمتُ جبال الودِّ مقتفياً آثارَ من حل بالسلوان خاطره
ولا تناسيتُ عهداً لم يحل أبداً ولا يحل وإن بانَّت مظاهره
وذاك من شيمتي لكنَّ من عجبني لناصرٍ عجزت عني مصادره
وهي طويلةٌ.

وأول جواب الناصر: قوله في خلال نزول الغيث، واستمر أياماً:

وافى النظام فما درُّ يناظره ولا يدانيه زهرُ الروض ناضره
أزرى بمفتر زهر الروض باكره في تاسع الشهر شهر الخير ماطره
تراكم السحب فانهلت مواطره عمَّ البلاد ويتلو ذاك عاشره
ويوم حادي أتى في ليلة مطرٍ ثم استمر إلى أن جاء باكره
فاهتزت الأرضُ من وكافه وريت وأنبت كلَّ زوج فاح ناشره
هذي الحدائقُ من أعنابنا رويت لله أحلام من فاقت مساطره
ومنها:

هذا وعاتبت فيه من صداقته صدقٌ ومن هو صافي الودِّ عامره
دلَّ العتابُ على صافي ودادكم والخِلُّ كالماء تبدو لي ضمائره
وهي طويلةٌ رائعةٌ بديعةٌ، ولولا خوف الإطالة، لأوردت من مجراته
الدائرة بين أهل مودته شيئاً كثيراً.

ومن شعره: ما كتبه إلى شيخنا الحسين بن الناصر المهلا:

إليك اشتياقي لا إلى الربع والمغنى شديدٌ وحقُّ الحقِّ ربي الذي أغنى

وأقنى ومن للكون كان مكوناً ومن هو حيّ دائمٌ قطُّ لا يفنى
بأنى على العهد الذي قد عهدته قديماً مقيماً ما تدوم وما دمنا
أخي عمدتي خليّ خليلي الذي حوت خلائقه الحُسنى إلى يُمنها يُمننا
إليك سلامي وهو لم يكن نافعي إذا لم أقبل بعده كفك اليمنى
وإنى لأرجو أن أراك بحضرتي وأشهد يوماً باللسنا وجهك الأسنى
ومنها :

فهاك حسين مثل ما قد رقمته^(١)
وأبلغ أباك البحر عني تحيةً فرادى وكرّزها على سمعه مثنى
وقل إن شوقي أيّ شوقٍ غدا له وفرط التياغي بالأعنة لا يُثنى

[٤٧٩] أحمد نظام الدين الأمير ابن الأمير محمد معصوم بن نظام الدين
أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن صدر الدين محمد بن غياث
الدين منصور، وأمه الشريفة فاطمة بنت السيد العلامة نصير الدين إبراهيم
ابن سلام الله بن مسعود بن صدر الدين محمد بن غياث الدين منصور، وتقدم
رفع بقية النسب، في ترجمة جده أحمد نظام الدين بن إبراهيم، وأم فاطمة
بنت سلطان بن إبراهيم مرزا الحسيني الصفوي الموسوي^(٢).

قال ولده السيد علي في كتاب «سلافة العصر في محاسن أخبار أهل

(١) جاء في الحاشية: «لم تذكر الشطرة الثانية بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/٣٤٩)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٤/١٧٨) (٢٩٥)،

«سلافة العصر» (١٠)، «البدر الطالع» (١/٩٨)، «نسمة السحر» للصنعاني

(١/٣٢٧) (٢٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/٥٠٥)، «الأعلام» للزركلي (١/٢٣٩).

العصر: ناشر علم وعلم، وشاهر سيف وقلم، وراقي ربي نجد، من سامي
علا ومجد، إمام بن إمام، وهمام بن همام، وكفى شاهداً على هذا المرام،
قول بعض أجداده الكرام: ليس في نسبنا إلا ذو فضل وحلم، حتى تقف على
باب مدينة العلم.

وهذا فرع طاب أصله، ومبرز أحرز فضله، طلع في الدهر غرة، ملأ
العيون قرة، فألقت إليه الرياسة قيادها، وأقامت به السيادة منادها، فأصبح
ومرتبته العليا، وعبدته الدهر، وأمتته الدنيا، إلى علم بهرت حجته كالبحر
زخرت لجته قذف دُرّاً، فكشف ضرّاً، وناهيك بمعرق أصل، وذو منطق
فصل، وأنا متى نعتُ حسبه، فإنما أنعتُ مجدي، ومتى وصفتُ نسبه، فإنما
أصف أبي وجدي، بيد أن أقول، وإن رغم كل أبي: شعر:

هذا أبي حين يُعزى سيدٌ لأبٍ هيهاتَ ما للورى يا دهرُ مثلُ أبي

مولده ومنشؤه الطائف بالحجاز، والقطر الذي هو موطن الشرف على
الحقيقة وسواه المجاز، سنة سبع وعشرين بعد الألف، وربي في حجر الحجر،
وغذي بدرّ زمزم، فغرد طائرُ يمنه على فنن سعدة وزمزم، ولما ضاع أرجُ
ذكره نشرًا، وتهلل محيّا الوجود بفضله بشرًا، وغار صيته وأنجد، وأذعن
لمجده كل همام أمجد، عشقت أوصافه الأسماع، وتطابق على نبلة العيانُ
والسماع، فاستهدها مولانا السلطان إلى حضرته الشريفة، واستدعاه إلى سده
الوريفة، فدخل الديار الهندية عام خمسة وخمسين وألف، فأملكه من عامه
ابنته، وأمكنه من إنعامه جنته.

وهناك امتد في الدنيا باعُه، وعمرت بإقباله رباعُه، وقصده الغادي

والرائع، وخدمته القرائح بالمدائح، فهو يتجلى مع محتده الطاهر، ومفخره
الباهر الظاهر، بفضلٍ تنى عليه الخناصر، وتثنى عليه العناصر، وأدبٍ تشهد
به الأقلام، وتشحذ به أسنة الإقدام.

قلت: قد ذكر - في كتابه المذكور - كثيراً من مدائح الشعراء فيه، وجملته
كافية من شعره، وقطعاً بديعةً من نثره، ومراده بالسلطان الذي استدعاه إليه،
وزوجه بنته، وضمه إليه: شاهنشاه عبدالله بن محمد قطب شاه، ملك حيدر
آباد، وما والاها من البلاد، وقد انتهت إليه؛ بسبب تقربه إلى السلطان، بتلك
الأرض الرياسة، ووفد إليه، وقصده الناس من أقصى البلاد النائية، وساس
أحسن سياسة، حتى أدرك السلطان أجله، فتولى الملك بعده - في قصةٍ يطول
شرحها - أبو الحسن قريب الملك المذكور، وصهره على ابنته الأخرى، فالزم
صاحب الترجمة بيته إلى أن وافاه أجله، ولقي ما عمله، فكانت سنة وفاته
سنة ست وثمانين بعد الألف، بحيدر آباد.

ومما اخترته من شعره: قوله:

مثير غرام المستهام ووجده	ويضى سرى من غور سُلج ونجده
وبات بأعلى الرقمتين التهابه	فظل كنياً من تذكر عهده
يحن إلى نحو اللوى وطويلع	ويانات نجد والحجاز ورنده
وضال بذات الضال مزح غصونه	تقباه طليي يمس يبرده
يغار إذا ما قست بانيدر وجهه	ويغضب إذا شبت ورداً يحده
كثير التجني ذو قوام مهفهب	صيح المحيا لير يوفي يوعده
مليح تسمى بأملاحة مفرداً	كشمي الفحي كثير في يرح محده

ثناياه برقُ والصباحُ جبينه
فمن وصله سكنى الجنان وطيبها
تراءى لنا بالجميل كالظبي تالعا
روى حسنه أهل الغرام وكلهم
يُعنعن علمَ السحر هاروت لحظه
مضاء اليمانيات دون لحاظه
إذا ما نضاعن وجهه البدر حجبَه
ورأي محيا قاصراً عنه كل من
هو الحسن بل حسن الورى منه مُجتلئ
وما تفعل الراح العتيقة بعض ما
وقوله في مליح اعتل طرفه :

يا جوهرأ فردأ علا
وعلام طرفك ذا المريـ
عهدي به مما يصيـ
ها قلبي المعمود نصـ
فاجعله ياكل المُنـى
فاسلم مدى الأيام يا
فمذ اعتللت أخا المها
ونحيل جسمي مذ ونيـ

وأما الثريا فقد أنيطت بعقده
ولكن لظى النيران من نار صده
أسارى الهوى من حكمه بعض جنده
يتيه إذا ما شاهدوا ليل جعده
ويروي عن الرمان كاعب نهده
وقفل الردينيات من دون بعده
صبا كل ذي نسك ملازم زهده
أراد له نعتاً بتوصيف حده
وكلهم يعزى لجوهر فردِه
بمبسمه بالمحتسي صفو وده

من أين جاءك ذا العرَض
ض أعله هذا المرض
ب فكيف صار هو العرَض
ب للنوائب يرتكض
بدلاً لما بك أو عَوْض
ذا الحسن ما برق ومَض
في الطرف ما طرفي غَمَض
تَ وحق عينك ما نهَض

أنت المرادُ وليس لي في غير وصفك من غرض

[٤٨٠] أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن الحسن المعروف بأبي الرجال بن سرح بن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن أمير المؤمنين أبي حفص عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (١).

قد أفرد ترجمته في مؤلف أخوه محمد بن صالح، قال فيه: كان مجده كلمة إجماع، وفضله موصول السند بلا إعضال ولا انقطاع، جمع خصال الكمال، وكمال الخصال، على جلالة قدر، ونباهة شأن، وعلو كلمة، مع صدق اللهجة، وطهارة المهجة، قلما قعد في محفل، إلا وكان به صدراً، وقلما برز في ليل مشكلات الأمور، إلا وأضاء به بدرأ، وله في العلم اليد الطولى، والسابقة الأولى، فقد جنى أزهاره وأثماره، وأفنى فيه أصائله وأسحاره، وحقق دقائق الفنون، ودقق معلومها والمظنون:

ما زال يسبق حتى قال حاسده له طريقاً إلى العلياء مختصراً
جمع أشتات المحامد، وقيد أوابد الفوائد، ونقد الصحيح من أقوال العلماء وزيف الفاسد، يغرف من بحر لا تكدره الدلاء، ويملي من سبب تنقاصر عنه الأنواء، مع عبادة وزهادة، وعناية بالمسلمين وسعادة، اختص

(١) «خلاصة الأثر» للمجيب (١/ ٢٢٠)، «البدر الطالع» (١/ ٥٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٣٧) (٥٢)، «هدية العارفين» (١/ ١٦٢)، «طيب السم» للحمي (١/ ٤٤٣).

بها من العزيز الرحيم، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وكان أحسن الناس خلقاً، وأسهلهم جانباً، وأكرمهم
نفساً، صدقاته وأياديه تفيض على الأقارب والأباعد، صاحب حمية على
الإسلام، وحماية من كل معاند، فكم له من يدٍ في نصرة الحق، والتكلم
بالصدق وإن شق! وكم حل بفطنته الوقادة من مشكل، وكم جلى بحميد سعيه
من خطب معضل:

قاضي إذا اشتبه الأمرانِ عَنَّْ له رأيي يفرِّقُ بين الماء واللين
القائلُ الصدقَ فيه ما يضر به الواحدُ الحاليتين السرِّ والعلنِ
وكان - رحمه الله تعالى - عذب الفكاهة، كريم السجية، حلو الحديث،
حافظاً للأنسَاب والتاريخ، قديمها والحديث، إذا رويت له قصةً أو نكتةً من
الماجريات، أتى لها بأمثالٍ من حفظه، ونظائرٍ تعجب سامعه، ويحقق كم ترك
الأولُ للآخر، محبوباً عند كل أحد، وإن لم يخل فاضل من حسد.

وكان محمود السيرة، ماضي الكلمة، شديد العزيمة، نافذ الفهم في
الأمر والبصيرة، واسع الأخلاق، قلت ذلك والنقاد بصير، ولا ينبيك مثل
خير، وكان لكمال مجده يعدُّ في العلماء، ويعد من القادات الرؤساء، وفي
أكابر الوزراء، أو أعيان الكتاب للإنشاء، مع أن أرباب الآداب لهم منه أوفر
نصيب، وله اصطبار على مجاحمة الأمور الكبيرة، ومصاولة الأمور الخطيرة.

واختص بالإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان عية سره،
وزيره في نهيه وأمره، وكان يعتمد عليه في الخطابة والكتابة، ويستعين به
فيما يرد من السؤالات من الأقطار، لما تحقق منه الإصابة، فنصح له ولرسوله

ولإمامه، ونال من السعادة غاية سؤله ومتهمى مراده، وحفظه وذكاؤه ما لا يختلف فيه اثنان، وأما بلاغته، فقد عرفت في خطبه ورسائله، وفتاويه ومحاوراته، وعلى الجملة: فخلاتقه غرر وحجول، وطرائقه مما يَغْرُض شرح محاسنها ويطول:

عَقَمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ كَمِثْلِهِ إِنْ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقُمُ

ولو استوعبت صفاته، لطال المجرى وتوسّع، وإن كان ذلك ذكر نعمان الذي هو المسك الذي ما كررته يتضوّع، ولكني أميل إلى الاختصار، وأجنح إلى الاقتصاد والاقصار.

مولده ليلة الجمعة، إحدى ليالي شعبان، سنة تسع وعشرين وألف، بالشبّط من بلاد ذَرَى، من جهات الأهنوم.

وقرأ على مشايخ أجلاء، وسبق في العلوم وجلّى، وأكثر الترحال إلى جهة اليمن ومدنه، ولازم حضرة الإمام المتوكل على الله، وكان مقامه مثابة للعلماء الشاسعين، فضلاً عن الأدنين.

فمن أجل شيوخه: الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، أقام بحضرته في «شهادة» مدة للقراءة عليه، وعلى غيره، ولازم مجلسه، وكان إذا غاب، عاتبه، فسمع عليه: «مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم»، و«أمالى المؤيد بالله»، و«أمالى أبي طالب»، و«تذكرة الفقه» للعلامة الحسن بن محمد النحوي، وكتاب «الثمرات» للعلامة يوسف بن أحمد، و«ذخائر القربى»، و«المدخل في أصول الفقه»، وغير ذلك.

ثم الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، لازمه من عام أربعة

وخمسين إلى أن فارق الدنيا، وقرأ عليه عدة كتب، منها: كتاب «الأحكام للإمام الهادي»، و«شرح التجريد» للمؤيد بالله، و«أصول الأحكام» للإمام أحمد بن سليمان، و«البحر» ثلاث مرات، و«الثمرات» للفتية يوسف، و«الغيث» للإمام المهدي، و«البيان» لابن مظفر، و«شرح الأئمار» لابن بهران، و«شرح الفتح».

وسمع عليه من «الكشاف» من سورة الروم إلى آخره، مع إحضار جميع الحواشي الموجودة في اليمن، وفي بعضها يحضر «تفسير البيضاوي» وحواشيه أيضاً، وقرأ عليه «البخاري» مرتين، آخرهما إلى البيع، و«صحيح مسلم» بقراءة إبراهيم بن الحسن بن سعيد العيزري، وسمع عليه «سلاح المؤمن» في الأدعية، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية، وكثيراً من «إغاثة اللهفان» له، في منزل الكتب الذي كان له بدرب الأمير، المعروف ببيت القابعي.

وسمع عليه كتاب ابن القيم في «الرد على المنجمين» بمحروس الدامغ بضوران، وكتاب الإمام يحيى شرف الدين، في «سد الأبواب إلا باب علي كرم - الله وجهه -»، و«الفصول اللؤلئية» وكثيراً من «المنهل الصافي»، و«نهج البلاغة» مرات، و«أمالى أبي طالب»، و«سلسلة الإبريز»، و«أمالى أحمد بن عيسى»، وكتاب «العلم» للقاضي جعفر، و«سيرة ابن هشام»، وكثيراً من «مغني اللبيب» في النحو، وكتاب الإمام المنصور بالله، الذي صنفه في «الفرق بين الإمامية والزيدية»، و«التحذير من الانخداع»، و«التفصيل في التفصيل»، وغير ذلك من الكتب.

ثم السيد العلامة المحقق صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، قرأ عليه: «الخيصي»، و«شرح التلخيص» للسعد،

و«المعيار» للإمام المهدي، مع إملاء «المنهاج»، و«القسطاس»، ومن تفسير «جامع البيان» جميع تفسير الزهراوين بطهران من ناحية الحرجة، و«كتاب ابن هبة الله في الناسخ والمنسوخ»، و«القصص الحق المبين في النعي على أمير المؤمنين»، وغير ذلك.

ثم العلامة السيد عز الدين بن ذريب.

ثم السيد المتأله الرباني المحقق جمال الدين الهادي بن عبد النبي بن حطّبة، وطالما أنهله وعله من معين علومه، وكان ذكياً فريداً.

ثم السيد عضد الخلافة محمد بن الحسن بن القاسم، سمع عليه كتاب «ينابيع النصيحة» للأمير الحسين، بمدينة «أب»، وحضر عنده في «التذكرة»، و«أصول الأحكام»، وفي عدة كتب، في فنون.

ومن شيوخه: محمد بن عز الدين المفتي، والقاضي العلامة أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد المِسْوَري، لازمه سنين، وقرأ عليه كتباً كثيرة يطول ذكرها.

ومنهم: العلامة إبراهيم بن يحيى الشحري، المعروف بالسحولي.

ومنهم: أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل، وأخوه حافظ المذهب، عبد القادر بن سعيد الهبل.

ومنهم: الإمام العلامة محمد بن الهادي بن محمد بن علي بن محمد ابن سليمان بن أبي الرجال، وكان هو المتولي تربيته، واشتهر على لسان أهل عصره بأنه من الأبدال، وكان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، وقرأ عليه كتباً كثيرة أيضاً.

ومن شيوخه في العربية: محمد بن يحيى الكلبي القضاعي، ومحمد ابن جعفر، ومحمد بن الحاج أحمد دعيش العشمي، والسيد عز الدين بن علي العبالي، والقاضي العلامة محمد بن عبدالله بن المهلا النيساي، قرأ عليه كتباً منها: قصيدة الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش، وتخميسها للسيد العلامة صالح بن عبدالله بن مُفلّ القاسمي، وأول القصيدة وتخميسها:

إن رمتَ أشرفَ ما تعلو بمطلبه وتكسبَ الحمدَ من مكنونِ مكسبه
وفيك للمجد نهجٌ غير مشتبهِ فاجهد لكل الذي يرضى الإلهُ به
وحبلُ عمرك بالآمال موصولُ

ومنهم: العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، قرأ عليه في علوم القراءة، وكتب له إجازةً، قال في أولها:

سألني يا بنَ أبي الرجال يا سامياً في رتبِ الكمالِ
وأنتَ في هذا السؤال عندي كسائلٍ كيف طريقُ نجدِ
أهلُ طويلُ ذاك أم قصيرُ تعلّلاً وهو بها خيرُ
وقرأ في علوم القراءات أيضاً على محمد بن صالح الأصابي، وعلي الحرازي، وعلى سعيد السريحي.

ومن شيوخه: محمد بن عيسى شجاع الشَّقِيقِي - بضم الشين المعجمة بعدها قافان بينهما تحتية بصيغة التصغير - من أهل المخلاف السليماني، والعلامة حسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي، قرأ عليهما بصعدة، وأخذ «حزب النووي» عن الرئيس أحمد بن عامر الجماعي.

وأما شيوخه في الفقه، فكثيرون، منهم: العلامة محمد بن صالح بن عبدالله بن حنش، والعلامة الحسين بن محمد البشاري، والحسين بن علي الشركاني، وأحمد بن صالح الغوري، والسيد العلامة محمد بن يحيى الظفيري الغُرباني، والعلامة إبراهيم بن الحسن الفيزري، وأحمد بن صالح الحري الشرفي، ومحمد بن عبدالله الأنسي، من علماء مسطح، والحسين بن يحيى السحوللي، والسيد العلامة محمد بن الهادي بن حجاج الجبوري، وشرف الإسلام الحسن بن أحمد الحيمي، وكان لا يفارقه، والعلامة الحسن بن يحيى ابن أحمد بن حابس، قرأ عليه علوم العربية.

ومن شيوخه: الوجيه محمد بن أحمد الزبيدي، من ساكني صنعاء. ومنهم: أستاذ العصر عبد الرحمن بن محمد الحيمي، كان لا يفارقه أيام إقامته بصنعاء، وقرأ عليه كتباً حافلة.

ومنهم: العلامة أحمد بن صالح العنسي، تلميذ الشيخ لطف الله بن الغياث الظفيري.

ومنهم: العلامة جمال الدين علي بن محمد بن سلامة.

وقرأ بمدينة أب، على العلامة عبد القادر الجعشني.

ومنهم: العلامة الفاضل علي بن صلاح القلاصي.

ومنهم: العلامة محمد بن إسماعيل البخاري، قرأ عليه بمدينة «أب» أيضاً كتباً عديدة، وكتب له إجازة حافلة، وقرأ على السيد العلامة الحسن بن شمس الدين الحجاج، خال الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان سيداً جليل القدر، متعففاً متقللاً من الدنيا، محله محطُّ رجال الفضلاء من الغرباء وغيرهم.

وأخذ عن العلامة أحمد بن أحمد الشامي المغربي القيرواني، وكان من أعجب الأسباب أن المترجم حج عام ثلاثة وخمسين، وحج تلك السنة الشيخ المذكور، فاتفق بين منى والمزدلفة، قال المترجم: فرأيت ينظر إلي كثيراً، ويسمع مني شيئاً كنت أذكر به من أدعية الحج، وتوهم أنني من المغرب، وأنا نظرت، فقطعت أنه يودّني وأودّه، ثم رجعت إلى صنعاء، فلم نلبث بها إلا شهوراً، حتى ورد إليها، وسكن مسجد عقيل، وحف به الفضلاء، فأخذت عنه، وقرأت عليه «شفاء القاضي عياض»، وكتباً أخرى.

ومنهم: العلامة علي بن محمد بن مرجان الشافعي، قرأ عليه بتغز: «تيسير الربيع».

ومنهم: العلامة أحمد بن محمد القلعي، نسبة إلى قلعة مصر، قدم صنعاء، قرأ عليه «ألفية الحافظ العراقي في علوم الحديث».

وأخذ بمكة عن خاتمة الحفاظ، شيخنا محمد بن علاء الدين البابلي القاهري، وعن العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي، والشيخ العلامة إبراهيم بن حسين ييري مفتي مكة، وأجازوه.

وله التصانيف النفيسة في فنون العلوم، نظاماً ونثراً.

منها: «الموازن الرجيحة للبراهين الصريحة شرح العقيدة الصحيحة» للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

ومنها: تاريخه الذي لم يسبق إليه، وسماه: «مجمع البحور ومطالع البدور».

ومنها: «الهدية إلى من تحب والهداية إلى ما يحب».

ومنها: «تذكرة القلوب التي في الصدور في حياة الأجسام التي في القبور» .
ومنها: «الجواب الشافي للصدى إلى عبد العزيز الضمدي» .
ومنها: «بغية الطالب وسؤله في سبب نزول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾»
[المائدة: ٥٥] .

ومنها: «إعلام الموالى بكلام ساداته الأعلام الموالى» .
ومنها: كتاب «مجالس التفهم» .
ومنها: «إنباء الأبناء بطريقة تبلغهم الحسنى» جامع نسب آل أبي الرجال .
ومنها: «مجاز من أراد الحقيقة» .
ومنها: «الوجه الأوجه في حكم الزوج الذي ضيع الزوجة» .
ومنها: «تيسير الشريعة لوارد الشريعة» .
ومنها: «تيسير الأعلام بتراجم تراجمة التفسير الأعلام» .
ومنها: «حاشية على الأزهار» .
وله رسائل مشتملة على علوم أكثرها لم يسمها .
وله النظم الذي يزري بسلك الدر، والثر الذي يهزأ بالنجوم الزهر،
وقد قلدت جيداً هذه الترجمة من عقود نظمه، ما يروق في العيون النواظر،
وفوق الرياض النواضر، ولم يمدح أحداً من أهل زمانه، وإنما شعره في
الإلهيات، والوسائل والنبويات والإخوانيات .

فمنه قوله :

بنور توحيدى وإشراقه أعود من ظلمة ليل الرموس

بحسن ظني عدتُ من خيبة ما بعدها والله في البؤس بوس

وقوله:

ولم أر كالخمول أراح قلبي وصير لي من الأعداء ألفا
وقد كانت أحبائي قليلاً وقد صاروا مع الإعراض ألفا
أقاموا السوق في ثلبي ونقصي وأخفوا في العلا ما ليس يخفي
كأعربة على جملٍ صحيح يطلب فيه جرحاً وهو معفى
وقد طلبوا منازعتي وإنني ألقى زحفهم في القي زحفا
كأكلبة على ميتٍ خبيث ترى أصواتها يرجفن رجفا
ويأبى ذاك لي نسبٌ صميم شمختُ به على الأعداء أنفا
وتجربتي فقد جربتُ دهري وقد ذقتُ المرئق والمصفى
فما الأعمارُ توجب ذي البلايا فكم قبسٍ لطول الليل يطفى
ولي نفسٌ إلى العلياء تسمو ولكن مركبي في الدهر عجفا
أطالبها تحوزُ مدى المعالي فتخطفُ هامة العيوقِ خطفا
فتشكو رِكةً من ضعف مرعى فعدتُ أسومها هوناً وخسفا
إذا لم تسفف^(١) الدنيا بسؤلٍ فلذ بالصبر تُخمَ إذاً وتكفى

وقوله:

أنا أكرمُ الكرماء غيرَ مدافع أعطي الذخائرَ والنفوسَ تبرُّعا

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: تُسفف.

أو ما ترى عُمرِي النَفِيسَ ذَهَبُهُ حتى غدا في التَّرهاتِ موزَّعا
أعطيته من غير مسألة ولا لي شاكر هذا الضلال لمن وعى
يا ربِّ وفقني لحفظِ ودائعي يا من يجيب أخا الهموم إذا دعا

توفي - رحمه الله - ليلة الثلاثاء، خامس شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وتسعين وألف، بصنعاء، وعمره اثنان وستون سنة وسبعة أشهر، وقبره بروضة حاتم، شرقي داره - رحمه الله تعالى -، ورثاه جماعة من الفضلاء بقصائد طنانة، ذكرها المترجم له^(١).

[٤٨١] أحمد المهدي لدين الله بن الحسن بن القاسم^(٢).

وبقية نسبه مذكورٌ في ترجمة جده القاسم، العلم الشهير، والملك الكبير، الذي ألقت إليه الرياسة زمامها، وصيرته المحامد في محراب الأماجد إمامها، وخيمت مضارب النبلاء بأعتابه، وأناخت ركائب الفضلاء برحابه، واتفقت القلوب على وده، وقام الإجماع على طلوع كوكب سعده.

قطب منطقة فلک الشرف الأسنى، ونقطة مركز دارة السؤدد العظمى، خلاصة الفروع الطاهرة العلوية، ونتيجة الأصول المقدسة النبوية، وبدر أفق السعادة، وشمس فلک السيادة، ذو الرياسة المتأصلة، والسيادة المتأثلة، الذي عمت أياديه كل حاضر وغائب، وجلا بهباته دياجي الغياهب.

كان هو ووالده وأخوه محمد أعيان عصرهم، وأئمة مصرهم، إذا ركبوا،

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سبعة أثمان صفحة بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٠)، «البدر الطالع» (١/ ٤٣)، «الأعلام» للزركلي

(١/ ١١٢).

زائوا المواكب هيبةً، وإن جلسوا، كان صدور المجالس، وصاحب الترجمة من بينهم متقلب في النعم، مختال بين الخول والخدم، معقود عليه الخناصر، وكان يقال: إنه سيف آل القاسم الأكابر، ذو جودٍ ونوال، وإجابة للسؤال، ومحاسن ومفاخر، ومكارم ومآثر، وفعل خير موصوف، وميل إلى جهات البر والمعروف.

ولي الإمامة بعد عمه الإمام إسماعيل المتوكل، ولقب نفسه بالمهدي لدين الله، فقام بأمرها أحسن قيام، وانتظم به الأمر أحسن انتظام، وكان مهابةً عند الخاص والعام، وفي أثناء دعوته، دعا ابن عمه السيد القاسم ابن الإمام محمد المؤيد، وخطب له على منابر الشرفين والأهنوم وشهارة وظُلُيمة وحجة وأكثر التهايم، وبعد أمورٍ كثيرةٍ يطول شرحها، حصل الاتفاق على إمامة صاحب الترجمة، واجتماع كلمة اليمن إليه، ومن حيثئذٍ نفذت كلمته، وعمت سطوته وهيئته، وأطاعته الأئمة القاسميون، وصاروا إليه من كل حدب ينسلون، ووفدت إليه قبائل العرب الأعيان؛ كحاشد وبكيل وقحطان.

وقام بأعباء الإمامة، وسلك طريق العدل والاستقامة، وتعهد أحوال الفضلاء، وعم برد ظل عدله المَلَأَ، وسار سيرة الأئمة الهادين؛ من تفقد الضعفاء والمساكين، وأمنت السبل، ووفدت السُّفَار، من سائر الأقطار.

وكان - مع اشتغاله بأمور الرعايا - منهمكاً على مطالعة كتب العلم والأدب، وله ميل إلى الفنون العلمية، ومحاضرةٍ بديعةٍ سنّيةٍ، وله أشعارٌ حسانٌ، تتعطر بها الأردن، ومُدح، ووُفد إليه، وأثنى جميع الناس عليه، وألف الأدباء في سيره وأحواله مؤلفات، وبالجملة: فإنه كان من الآيات.

ولم يزل عليّ المقام، في أنسٍ ونظامٍ، حتى وافاه الحِمَام، في ثاني
وعشري جمادى الثاني، سنة اثنتين وتسعين بعد الألف، بالغراس التي اختطها
صاحب الترجمة، شرقي صنعاء، وبها دفن، وقبره فيها مشهورٌ مزورٌ - رحمه الله
وليانا - آمين .

[٤٨٢] أحمد بن لطف الله السنانيكي الرومي، المولوي الصديقي
الحنفي، الشهير بالمنجم^(١).

أحد الأذكياء المشهورين، والعلماء المحققين، له المهارة التامة في
العلوم الرياضية، حلو المداعبة، عذب المصاحبة، حسن الخلق، كثير
المحاسن، وله أيضاً مهارةٌ بالنحو والبيان، والأصول والمنطق، وله اليد الطولى
في النحو، وحل الأزياج، والمعرفة التامة بالأدب والشعر والتاريخ .

قرأ العلوم ببلاده، وأخذ عن شيوخ كثيرين، منهم: السيد خليل
الموسوي، وبه تخرج في علوم المادة، ومنهم: شيخ الإسلام يحيى المنقاري،
ومن في طبقتة، وكانت له الوجاهة، والرياسة العظيمة، والقبول التام عند
السلطان محمد سلطان الروم، وصار رئيس المنجمين عنده، ولم يزل على
ذلك، حتى خلع السلطان محمد، فتغير حاله، وصودر بمال كثير .

ثم قدم القاهرة، ومكث بها سنين، واجتمعت به فيها، ثم جاور
الحرمين، ولم يزل مدةً بمكة، ومدةً بالمدينة، ومدةً بالطائف، وهو مكبٌّ
على العلم وإفادته، وصحبته بمكة مدةً، ونعم الرجلُ كان .

حتى توفي يوم الأحد، تاسع وعشري رمضان، سنة ألف ومائة وثلاث

(١) «هدية العارفين» (١ / ١٦٧)، «الأعلام» للزركلي (١ / ١٩١).

عشرة، وصُلِّي عليه عصرها بالمسجد الحرام، وقد جاوز السبعين سنة - رحمه الله تعالى -.

وله مؤلفات كثيرة، منها: تاريخ حافل، و«حاشية على حاشية شرح الاستعلاات للزيتري»، ورسائل مفيدة في البيان، ورسالة في آداب المطالعة، وآثار كثيرة في فنون تدل على تمكنه - رحمه الله تعالى -^(١).

[٤٨٣] أحمد بن أبي بكر الشَّفي الخزرجي المالكي، الشهير بقُعود، الحنفي^(٢).

كان إماماً عالماً كبيراً، ماهراً في فنون شتى، ناظماً ناثراً، قرأ على النجم الغيطي، والناصر اللقاني، ومَن في طبقتهما، وعنه: ولده أبو بكر، والشهاب الخفاجي، وكثير، وله مؤلفات كثيرة، نظماً ونثراً، منها: «منظومة في النحو»، و«منظومة في الزحافات والعلل العروضية»، وتذكرة جمع فيها من لقيه من الشيوخ ومن عصره، وكثيراً من نظمه البليغ.

وسبب شهرته بقُعود: أنه حج صحبة الأستاذ الشيخ محمد بن الحسن البكري، أركبه قعوداً كان الشيخ يركبه لأجل المنادمة في الطريق، فاتفق لما وصلا إلى المدينة، بعد تمام الحج، أن الجمال جاءهما وأخبرهما أن القعود مات، فتعب المترجم حيثُذ، فقال له الشيخ: لا تنعب، تركبك أحسن منه، فلم يله، وذهب وهو متغير الحال إلى النبي ﷺ، وذكر ذلك تجله الضريح،

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة وثلاث يياض بالأصل».

(٢) «ريحلة الألباء للخفاجي (١٣٣ / ٢) (١١٩)، خلاصة الأثر للمحيي (١ / ١٥٩)، «لفت النظر» للجيلاني (٥٩٢).

فما رجع إلا والجمال رجع متعجباً إلى الشيخ يخبره أن القعود حي، فأخبره بذلك، فسرّه، فاشتهر من ذلك الحين بقعود.

توفي سنة سبع بعد الألف.

ومن شعره مخاطباً للأستاذ محمد البكري من أبيات:

أحن إليكم كلّ يوم و ليلة ولا غرو أن حنّ القعود إلى البكري

[٤٨٤] أحمد بن أبي بكر بن سالم بن أحمد بن شيخان باعلوي^(١).

ورفع بقية نسبه في ترجمة ابن عمه محمد الشهاب، المقدّم في العلوم الشرعية على أقرانه، المنفرد بالفنون الأدبية في زمانه، لا يشق له غبار، ولا يجري معه غيره في مضمار، إلى مكارم شيم وأخلاق، هي من أنفس الذخائر أعلاق، وصفاء باطن وظاهر، وناهيك بفرع ينتهي إلى ذلك الأصل الطاهر.

وُلد - كما أخبرني من لفظه - في شهر رجب، سنة تسع وأربعين وألف بمكة، وبها نشأ في حجر الفضل والمجد، وانتشق عَرَفَ خزامى تهامة، وشَمِيمَ عَرَارِ نجد، وتربى في كنف والده، وجمع بين خالد المجد وتالده، وحفظ القرآن العظيم، و«الإرشاد»، وبعض «المنهج»، و«ألفية الحافظ العراقي» في أصول الحديث، و«ألفية ابن مالك»، وغير ذلك من الرسائل.

ولازم أباه، وأخذ عنه الطريق المسلسل سندها الفاخر، من كابر عن كابر، ولبس منه الخرق الشريفة، وتلقن الذكر والمصافحة والمشابكة، ولازم

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/١٦٣)، «الأعلام» للزركلي (١/١٠٥).

الشيخ عبدالله بن سعيد باقشير في دروسه، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ علي بن جمال، والشيخ أحمد بن عبد الرؤوف، وعبدالله ابن الطاهر العباسي.

وحضر دروس العلامة عيسى المغربي، وأخذ عن العارف بالله عبد الرحمن المغربي، وألبسه الخرقة الأنيقة، ثم لازم محمد بن محمد بن سليمان المغربي ملازمة تامة، وأتقن عدة فنون، منها: الحديث والفقه، والأصول والعربية، وعلم الفرائض والحساب والميقات، والمعاني والبيان والعروض، وأمره شيخه محمد بن سليمان بالتدريس، فجلس بالحرم الشريف للنفع العام، وأخذ عن أحمد البشيشي لما قدم مكة في حجته الأولى، وأجازه بمروياته.

وكانت له همّة تراحم الأفلاك، وتراغم بعلو قدرها الأملاك، ونثر وإنشاءً وجيز المعاني، يغني عن الروضة والأغاني، ونظم رفع به إلى القريض راية، إلى أدب لم يقصر في مداه عن غاية، وهدي وسنة ساد، وصلاح أسس بنيانه وشاد، وأدب حلّى به عواطل الأجياد.

وصنف عدة رسائل وتعاليق، واختصر تاريخ القطبي المسمى: «البرق اليماني»، وزاد فيه زيادات، ولكن لم تطل مدته، ومن ثم لم تتسع ترجمته، ولم يزل يكتب ويجمع، ويقرأ ويسمع، على صراط مستقيم، وسنن قويم، إلى أن دعاه داعي المنون وناداه، فأجابه ولباه، فانتقل إلى رحمة الله يوم الجمعة، سابع عشر ربيع الثاني، سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن بالمعلاة، بالحوطة عند قبور سلفه - رحمهم الله -.

ورثاه صاحبنا الشيخ علي السنجاري بقصيدة تكتب من ديوانه.

وكتب لصاحبنا سراج الدين عمر بن سليم إلى اليمن، يخبره بوفاة أخيه
سالم بقوله:

رَمَضَانُ وَأَيُّمَارِ مَضَانٍ وَأَنَا فِيهِ مَسْنِي مَرَضَانِ
فَقَدْ رُؤِيَ السَّرَاجُ مَضِيئاً وَعَزَايَ فِي سَالِمِ الشَّيْخَانِ

ومن شعره: قوله في مليح بكري:

يَا غَزَالاً مَرَعَاهُ وَسَطَ فَوَادِي وَحَبِيباً مَا زَالَ دَمْعِي يَزْرِي
أَنْتَ أَوْلَى الْمِلَاحِ بِالْمَلِكِ حَقّاً بِنُصُوصِ السَّمَاعِ إِذْ أَنْتَ بَكْرِي

وقوله مقتبساً في مليح اسمه مبارك:

بِي مَرْسَلِ الْأَلْحَازِ مَعَ فِتْرَتِهَا مَقِيدِ الْأَوْصَافِ وَهُوَ مَطْلَقُ
يَا أُمَّةَ الْعَشْقِ هَلُمُّوا إِنَّهُ مَبَارَكُ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا

وقوله:

عَشَقْتَهُ كَالْبَدْرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ وَغُرَّتْهُ تَهْدِي لِسَبِيلِ الْمَرَامِ
ذُو وَجْنَةٍ يَقْطُرُ مَاءَ الْحَيَا مِنْهَا وَشَعْرٌ كَقَتَامِ الظَّلَامِ
وَنُغْرُهُ الْأَشْنَبُ فِي نَظْمِهِ كَعَقْدِ دُرٍّ مُحْكَمِ الْإِنْتِظَامِ
أَلْحَازُهُ الْمَرْضَى لَهَا بَاتِرٌ يَفْعَلُ مَا لَيْسَ لِحَدِّ الْحَسَامِ
وَرِيْقُهُ خَمْرٌ وَلَكِنْ لَنَا دُونَ احْتِسَاها رَشْقُ تِلْكَ السَّهَامِ
وَقَدْهُ الْمَائِسُ غَصْنًا حَكِي فِي لَيْنِهِ وَفِي اعْتِدَالِ الْقَوَامِ
قَلْبِي عَلَيْهِ غَدَا طَائِرًا يَصْدَحُ سَكْرًا مِنْ حُمَيَّا الْغَرَامِ

نبئني حسنٍ قد أتى مرسلًا لأمة العشق بشرع الهيام
 ما قلتُ فيه انتهت عشقتني إلا وقال القلبُ وعدي بالحمام
 يا عاذلي في حبٍّ من لو بدا في جنح ليل لأنار القتام
 ونك أطرخ لومي فلومي عنى فلست ممن ينشي بالملام
 يحلُّ في شرع الهوى أنني أسلو وحيي صالح في الأنام
 إذا بدا والبدرُ في تمِّه تستر البدرُ بلُخف الغمام
 أو إن خطا للظبي في خيسه لفر منه خجلًا مستهام
 وإن رآه ملكٌ قال لي تالله ما ذا بشرى يا غلام
 يا بدرَ تمَّ قد غدا فائقاً بدر الدجى بدوام التمام
 قد فتت الحبُّ حصى مهجتي وشاهدي فيه عدول السقام
 وواصل السهدُ لقما مقلتي من بعد ما قاطع طيب المنام
 حتى كأنني راصدٌ أو فتى موكلٌ بعد زهر الظلام
 إذا كتمتُ الحبَّ أفشاه من عيني دمعٌ هامل الانسجام
 فبالذي أنبت وردَ الحيا بخذك القاني الجني الكمام
 إلا أبخت الصبَّ رشف الطلا من ثغرك الأشهى البديع الختام
 لا زلت في أوج البها ترتقي وتولي الخير لنا والسلام

[٤٨٥] أحمد أبو العباس شهاب الدين بن سليمان ابن الشيخ العارف بالله
 القطب الرباني خليل القشيري، القاطن بناحية سنّج، المعروف الآن بصنبل،
 بإقليم الأشمونين، وهو ابن محمد مزيد القرشي بن محمد بن الحسين بن

هيسى بن زيد بن الحسين غضارة ابن الإمام زيد ابن الإمام زين العابدين
ابن الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب
-كرم الله وجهه -، من «بحر الأنساب» للسيد محمد بن أحمد النسابة . انتهى .

هكذا نقل لي هذا النسب، بخط بعض أصحابنا المكين، وأظن أن فيه
حذفاً، هذا و خليل المذكور، خلف ذرية الآن بصنيل، قال المترجم : وذكر
لي بعض المشايخ : أن خليل المذكور من أولاد سيدي موسى أخي إبراهيم
الدسوقي - نفعا الله به -، والله سبحانه وتعالى أعلم .

صاحبنا الشيخ الفاضل الجليل المتقشف، المالكي المذهب، الدسوقي
الطريقة والمشرّب .

وُلد سنة اثنتي عشرة بعد الألف تقريباً، وقرأ على العلامة علي الأجهوري،
والشيخ العارف بالله علي المصري، صاحب «تحفة الأكياس في حسن الظن
بالناس»، وأخذ عن الشهاب أحمد السحيمي - بسين مهملة -، وعن الشيخ
عبدالله المناوي، وعن الشيخ حجازي، وعن محمد بن عبد الخالق المتزلاوي،
وعن حسن الشرنبلالي، وعن شيخنا محمد بن أبي بكر المرابط، ويحيى بن
محمد الشاوي المغربيين، حين قدما مصر، وعن كثيرين .

وقدم مكة، وأخذ بها عن الأستاذ العارف بالله السيد عبد الرحمن بن
أحمد المغربي الإدريسي، وألبسه طاقية بيضاء، وهي الكوفية بلغة المكين،
ورجع مصر، فصار يلبسها، ويحضر بها الدروس، فقال له بعض الطلبة في
درس شيخنا سلطان : أنت أبو طاقية، فكني بذلك، واشتهر في مصر بأبي
طاقية .

وكان قبل حامل الذكر؛ لتجرده وانقطاعه إلى الله سبحانه، واشتغاله بطاعته ﷺ، حتى قدم إلى مصر حسين باشا بن جانبلاط، فاعتنى به، وبالع في تعظيمه، وعين له ما يكفيه من المعاليم بمعاشه، وقويت عنده كلمته، وسبب ذلك: أنه قدم إلى مصر رسولاً من السلطان إلى متوليها إذ ذاك إبراهيم باشا، فاجتمع به، وبشره أنه يتولى مصر عن قريب، فرجع حسين باشا إلى الروم، فما كان بعد أشهر حتى تولى مصر، بدل إبراهيم باشا المذكور، وكان من أمر الله ما كان.

ومن فوائده المجربة لمنع الإصابة من العين: أن يكتب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ إلى: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥١] حروف مقطعة، وتعلق على الرأس.

قلت: ومن المجرب في ذلك: تعليق خشب المخيط، بشرط أن يقطع يوم السبت قبل طلوع الشمس، قال السخاوي: وكان الشيخ ولي الدين العراقي لا يفارق رأسه، واقتضت أثره. انتهى.

[٤٨٦] أحمد بن أبي بكر بن سالم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن عبد الرحمن السقاف رحمته الله (١).

ذو المناقب المشهورة، والكرامات الماثورة، سلالة السلف الصالح، وخلاصة الخلف الراجح، متبع السنة النبوية، ومقتفي الآثار المحمدية، له مقامات عالية، وأحوال سامية.

ولد بقرية «عينات»، ونشأ بها، وتربى بوالده، واشتغل عليه، وأمره والده

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦١).

بالسفر إلى «تريم»؛ لزيارة من فيها، وللأخذ عن العارف بالله تعالى أحمد بن علوي، وكذا إخوانه، أمرهم أبوهم الشيخ أبو بكر بالأخذ عن الشيخ أحمد بن علوي، ولما سئل عنهم، أثنى عليهم خيراً، وقال: أزهدهم أحمد، وناهيك بشهادة هذا السيد الجليل، التي هي أوفى دليل؛ لتقدمه على إخوانه، وانفراده على أهل زمانه.

وحج بيت الله الحرام، وزار جده عليه - أفضل الصلاة والسلام -، ثم حج ثانية، ولقي من أكابر العارفين، وحصل له من الحرمين، ما نال بسببه سعادة الدارين، ولزم الطاعة والعبادة، وسلك ما يوصله لنيل السعادة، ودخل بندر عدن المحروس؛ لزيارة من به من بني العيدروس، فزار قبر الشيخ أبي بكر المذكور، وحصل له عنده مزيد فتح ونور، ثم قصد زيارة شمس الدين الشيخ أحمد بن عمر العيدروس إلى داره؛ ليوفيه حق جواره، فخرج الشيخ أحمد للقاءه، ولما رأى كل منهما صاحبه وقت لقائه، ولم يكن بينهما مصاحبة، ولم يكلم أحدهما صاحبه، ولما سئل صاحب الترجمة عن ذلك، فقال: حال بيننا نور، منعنا أن نتكلم بلسان المقال، ورجع كل منهما إلى محله.

ورحل صاحب الترجمة من عدن إلى بندر الشَّحْر، فرآه طيب النشر، فطنب به خيامه، وعزم فيه على الإقامة، وطارَ اسْمُهُ في الأقطار، وشاع اسمه فملاً الديار، وقصده الناس من كل البلاد، وعم نفعه وبركته الحاضر والباد، وظهر منه بمجيئه كراماتٌ ظاهرة، ونالوا بسببه أحوالاً باهرة.

منها: أنه لما دخل مكة المشرفة، أتى لزيارة السيد إدريس بن حسن ابن أبي نمي، فقال له: ستلي أمر الحجاز بعد أخيك أبي طالب، فكان الأمر كذلك.

ومنها: ما ذكرها شيخنا محمد الشلي، نقلاً عن السيد محمد بن علوي: أنه أخبره: أن الشيخ أبا بكر الشهير بالقعود المصري، حصل بينه وبين صاحب الترجمة محبةً شديدةً، ومودةً أكيدةً، ولما سافر من مكة، خرج القعود معه للمواعدة، ولما رجع، فقد خاتمه، وكان فيه وَفْقٌ عظيمٌ، وكان له معرفةٌ تامةٌ بعلم الأوفاق والأسماء، فتعب لفقده تعباً شديداً، ونام تلك الليلة في غاية التعب لذلك، فرأى صاحب الترجمة في نومه، وهو يقول له: تعبت لأجل الخاتم، هذا خاتمك، وألبسه إياه، فلما أصبح، وجد الخاتم في يده، ففرح فرحاً شديداً.

ومنها: أن بعض آل كثير قتل قاتل أبيه، وخاف من السلطان عمر بن مراد بإخراجه من دار الشيخ، فهجم العسكر الدار، وفتشوا جميع المنازل، فلم يظفروا به، ثم أخرجه ليلاً، والعسكر محيطةً بالدار^(١).

ولأهل حضرموت والشحر ودوعن والسواحل ومقدشوه، فيه اعتقادٌ عظيم، وله عندهم قدرٌ جسيم، ويأتون بالأنذار الكثيرة، والأموال الغزيرة، وظهر لكثيرٍ منهم عظيم الكرامات، وخوارق العادات، وانتفع بصحبته جمعٌ كثيرٌ، وجمٌ غفير، من جميع الأقاليم، ولبس منه خرقة التصوف كثيرون.

وكان - رحمه الله - ملجأً للوافدين، ونهراً عذباً للواردين، وكان بداراً منيراً أينما طلع سطع، وغيثاً غزيراً كيفما وقع نفع، جبله الله تعالى على مكارم الأخلاق، وسلامة الصدر، وطيب الأعراق، ولم يزل على تلك الصفات، إلى أن تمت مدته ومات، وكان انتقاله سنة عشرين وألف، ببندر الشحر،

(١) يظهر أن هناك نقصاً في سياق الحكاية، والله أعلم.

وازدحم الناس على جنازته، وتربته من التراب المشهورة، وبالقُرآن والدعاء معمورة - رحمه الله تعالى، ونفعنا به -.

[٤٨٧] أحمد بن أبي العنايات أحمد بن عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن مكية النابلسي، الشهير بالعناياتي^(١).

نزىل دمشق، وشاعرها المشهور^(٢)، اتفق أنه اجتمع في بعض الأيام بعالم الديار القدسية، الشيخ عبد الله بن جماعة، بمكان له يعرف بالطالبية، خارج بيت المقدس، فانقضض على خوانه طيرٌ من اليراع، وأكل مما فيه، بحيث لم ينفر، ولم يبرح يأكل، حتى شبع وطار، فارتجل في الحال هذه الأبيات، مخاطباً بها شيخ الإسلام المذكور، ولمَح إلى قصة الفخر الرازي مع ابن عُنين الشاعر المشهور، لما انقضضت عليه حمامةٌ، وأجارها خيفةً من الجراح، وهي مثبتةٌ في «تاريخ ابن خلكان»، وغيره، وهي قوله:

إن كانت الورقاء في مجلس الرازي سفت خيفةً من جراح
فهذه جاءت بلا خيفة مجيء من جاء يروم استماخ
أدامك الله لهذا الورى غوثاً وغيثاً للنجا والنجاح

ومما كتبه على جدار مسجد البضعة الطاهرة السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، الكائن بقرية زاوية، بالقرب

(١) «خلاصة الأثر» للمحبى (١/ ١٦٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢)، «ريحانة الألباء» للخفاجي (١/ ١٧)، «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٨٠)، (١٠٣)، «معادن الذهب» للمرضي (٦٥) (١١).

(٢) جاء في الحاشية: «ذكر بالأصل أنه مكرر، وقد وجد في البيانين اختلاف».

من حَجِّيرَا، من ضواحي دمشق:

يا آلَ بيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ وطاب لي فيكمُ المديحُ
حُبِّي بكم من أَلَسْتُ قِذْمًا ما عشتُ أو ضُمْنِي ضريحُ
يا درةَ الطاهرينَ عبْدُ ملقَى على بابكم طريحُ
يا صفوةَ المصطفين عطفًا فعبُدْكم ودُّه صحيحُ
صَلَّى إلهي عليكم ما سَحَّ سحابٌ وهبَّ ريحُ

[٤٨٨] أحمد بن أبي بكر بن عبدالله الشلي^(١).

قال حفيده شيخنا الإمام محمد الشلي في «مشرعه الروي»: وهو جدي الأدنى، ومحل مجدي الأسنى، إمام أهل زمانه، الفائق على نظرائه وأقرانه، عمدة المعلمين، وهداية المتعلمين، وإرشاد الغاوين، أحد من تُشدُّ الرحال إلى لقاءه، ويُستشَقُّ أَرَجُ الفضل من تلقائه.

ولد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل الفضائل، وجد فيه فلم يترك مقالاً لقائل، وصحب من أكابر عصره كثيرين، وأخذ عن جماعة عارفين، منهم: الإمام أحمد بن علوي باحجدب، والشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمن، والقاضي محمد بن حسن، وتلميذه الفقيه علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الرحمن السقاف، وأدرك المحدث محمد بن علي صاحب «الغرر»، وأخاه القاضي أحمد شريف.

وحج بيت الله الحرام، وزار جده - عليه أفضل الصلاة والسلام -، وأخذ

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٨)، «عقد الجواهر والدر» للشلي (٣٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١٥٨/١).

بالحرمين عن جماعة من العارفين، ولبس خرقة التصوف من والده، وغيره من مشايخه، وكان كثير السؤال، عما يقع له من أمور الدين من الإشكال، كثير التحري في أمور العبادة، كثير المداومة على عمل البر والسعادة، مع المداومة على الأوراد والأذكار، وكثرة القيام في الأسحار، وتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار.

وأخذ عنه جماعة كثيرون، منهم: سيدي الوالد، وشيخنا عبدالله بن سهل بافضل، وآخرون كثيرون، كرعوا من معين فضله سلسيلة، وأوضح لهم برهان العلم ودليله، وكان عالماً بالفقه، ولكن غلب عليه علم التصوف، والاشتغال بكتاب الله، وسنة رسوله.

وكان كثير الخوف والبكاء من خشية الله، وأثنى عليه مشايخه وأكابر عصره، والفوز بالخير والفلاح، وكان زاهداً في الدنيا، قانعاً منها بالكفاف، متدرعاً ثوب التقوى والعفاف، وحصلت له - رحمه الله - بشارات، من أكابر السادات، بنيل كمال السعادات، ولاحت عليه إشارات، وظهرت منه كرامات، لكن عند الضرورات.

منها: أن السيد الجليل عمر بن أحمد منفر، لما حفر بئر المشهورة تحت تريم، اعترضت دون الماء صخرة عظيمة، فتعب لذلك، فلما علم صاحب الترجمة بأنه قصد وجه رب العالمين، وأن فيها نفعاً للمسلمين، كتب في حجارة صغيرة، ورمى بها على تلك الصخرة الكبيرة، فانهالت كالتراب، ونبع الماء كالعباب.

ومنها: أنه لما سافر للحج، في طريق الشط، حصل للركب الذي هو فيه عطش شديد، ومحل الماء عنهم بعيد، فأخذ سيدي الجد قربة، وتواری

بجبل صغير، ورجع بعد زمنٍ يسير، والقربة مملوءة ماءً فراتاً.
وغير ذلك، وكان يقال: إنه يعلم الاسم الأعظم، والله تعالى أعلم.
ولم يزل يزداد من المغانم، حتى وافاه الأجل اللازم، فتوفاه الله
- رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنات النعيم مثواه -.

وكانت وفاته في رجب الأصب، سنة أربع وألف، ودفن بمقبرة زنبل،
بقرب تربة والده وجده، وعظمت مصيبة أصحابه لفقده - أنزل الله عليه وعلى
سلفه من رحمته سلسيلاً، وسقاهم في الجنة كأساً مزاجها زنجيلاً -.

[٤٨٩] السيد أحمد بن أبي بكر بن عمر بن عبدالله بن علوي الشيخ
عبدالله العيدروس^(١).

أحد الأولياء الصالحين، والسادة الكاملين، كان ورعاً زاهداً عابداً، له
سيرة مرضية، وطريقة زكية، صحب أباه، وعميه: أحمد، وعلياً، وغيرهم من
الأكابر، وسلك طريق القوم، بالصلاة والصوم.

وكان معظماً عند الملوك والأكابر، وأرباب السيوف والمحابر، راضياً
بالقضاء والقدر، قائماً بإكرام من ورد وصدر، يُلْتَجأ إليه في الملمات، ويُنتفع
به عند نزول المصيبات، ولم يزل حتى ناداه منادي الوفاة، فأجابه ولباه،
فكانت وفاته سنة أربع بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل - رحمه الله
عز وجل -.

[٤٩٠] أحمد بن أبي العافية.

وبنو أبي العافية هم الذين كانوا ملوك المغرب الأقصى، فمما يمازج

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣).

برقته النسيم، امتزاج الماء بالراح، ويدخل من أبواب خروق المسامع على
القلوب بلا استئذان، فترتاح به الأرواح. قوله... (١).

ومما يجري من قوله رقة مع الماء، ويكاد يمتزج بالهواء، ويأخذ بمجامع
الأنف. قوله... (٢).

[٤٩١] أحمد أبو عمر الدمشقي المجذوب.

سلطان المجاذيب بدمشق؛ لأنه كان لا يفوت الصلاة والصوم في
أوقاته، وله كشفٌ وحالٌ، قال الشيخ محمد الباقلاني: لما تقرر قضاء الشام،
دفعاً ثانية، على المولى عبد الوهاب أفندي، فرح به أهل الشام، من الخاص
والعام، إلا هو بمفرده، تفرد بسببه وتغضه، وقال: إن أهل الشام اجتمعوا على
الضلالة، وهو لا مبارك عليهم، ولا يبقى إلا واحداً^(٣) وعشرين يوماً، وكان
كذلك، فعزل المولى المذكور بعد أحد وعشرين يوماً، وجاء المولى أحمد
الأباضي، وذلك في ذي الحجة، سنة سبع بعد الألف.

[٤٩٢] أحمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن علي بن عمر الأنصاري الخلي^(٤).

لقبوا بذلك؛ لكرامة صدرت من بعض أسلافهم، بقلب الماء خلاً، كذا
قيل، وبنو أبي الخل، بنواحي المهجم، بيتٌ شهيرٌ كبيرٌ باليمن، مشهورٌ بالعلم

(١) ورد في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض بالأصل أربعة أسطر».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض بالأصل ثلاثة أسطر».

(٣) في الأصل: إحدى، والصواب ما أثبت.

(٤) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤ / ٢٣٥) (٣٠٧).

والعمل والخير، وأصل بلدهم مأرب، بلد السد، الذي كان فيه سيل العرم.
قال الأهدل: وشهرة الخل تغني عن ضبطه، وقيل: إن فيهم ثلاث
خصال لا تخلو منهم: العلم، والخط، والاسم الأعظم.

الشافعي، الشاب الفاضل، الأديب الكامل، اللوذعي الأريب، الذي
جمع الله له المناقب، فاختر منها وانتقى، ورأى أن أحسنها وأكرمها العلم
والتقى، فصرف أوقاته في العبادة، ولم تمض له ساعة في غير الإفادة
والاستفادة، مع شرف نسب، وكرم حسب، وطيب محاورة تسك الأذهان،
ويحتسي حماها فكر كل لبيب بأفواه الأذان.

مولده سنة أربع وخمسين وألف، بثغر جدة، ونشأ بمكة، وروى الفنون
العلمية عن جمع، منهم: الشيخ الفقيه عبدالله بن محمد الطاهر الشهير بعباسي،
والعلامة المفضن عيسى بن محمد الجعفري، وغيرهما.

وتلقن الذكر، ولبس الخرقة، عن جمع من السادة العلويين وغيرهم،
منهم: السيد الجليل أحمد الهندوان، والسيد العارف علي بن عمر باعمر،
والسيد الكامل عبد الرحمن بن محمد العيدروس، وجماعة آخرون، منهم
ومن غيرهم، لم أذكرهم لكثرتهم، واشتغل بملازمة المولى الكبير، العارف
الشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل الخلي.

اجتمعت به في جُدَّة، وحصل بيني وبينه مودة أكيدة، فرأيت فيه لطف
شيم ليس للرياض أخلاق كما لها، ولا للبدر ولو تكلف أن يحكي كمالها،
وهو الآن - حفظه الله - في جبهتها غرة، وفي سماء كمالها الزاهية زهرة.
وأنشدت له شعراً، تهزّ له الفصاحة أعطافها، ثم أوقفني - حفظه الله -

على ديوان شعره، فجنيت من ورده وزهره، منه: قوله مادحاً للسيد
العارف بالله عبد الرحمن بن أحمد الإدريسي - نفع الله به -:

حَيَّا الحَيَّا مراتعاً بنجدٍ	قد طاب فيها صَدْرِي وورْدِي
مراتعاً كنتُ سَميراً للذُّمِّي	بها وتربَّ ناهداتِ النهْدِي
من كل هيفاءِ القوامِ غادةٍ	ييسم فوها عن لآلي عقدِ
إذا انشَى بالذلِّ لونَ قَدِّها	فأين منه عَذَبَاتُ الرنْدِ
ثقيلةُ الرَّدْفِ هُضيمَةُ الحشا	يحكيهما تجلُّدي ووَجْدِي
ضعيفةُ الطرفِ ولكنَّ فعلُهُ	في القلبِ أبلاني بضعفِ الجهدِ
كثيرةُ الخُلْفِ فما لصِبِّها	مطلٌ وعيدٌ ونجَازٌ وعدِ
مِالةُ العطفِ لغيرِ عاشقِ	ملولةُ الإلفِ لغيرِ الصَّدِّ
ريانةُ الجسمِ يظل شارِقاً	دملُجُها منها بماءِ الزنْدِ

ومنها:

لها محيياً كالصباحِ أبلجٌ	من فوقه ليلٌ أثيثٌ جعدِ
وناظرٌ أجرى دموعَ ناظري	وقفاً على عاملِ ذاكِ القَدِّ
وحاجبٌ حجب عن جفني الكرى	كأنه موكَّل بالردِّ
شكوتُ ما ألقى لقاسي قلبِها	هيهاتَ هل تعطفُ من صلدِ
يا قلبها إن كنتَ صخرأً إنني الـ	خنساءُ فارحم لوعتي وسهدي
أما وأيام الصُّبا إن لم تعدْ	كما عهدتُ وتقي بوعدِي
خلصتُ من حبي لها بمدح مَنْ	أحيا مآثرَ العُلا والمجدِ

قطبِ الوجودِ الندبِ نجلِ أحمدِ
ابنِ النبيِّ وكفى مفتخرأ
كان من شمس النهار حلةً
ومنها:

مرشدٍ من ضلِّ سبيلِ الرشدِ
لو لم يكن ملجأ كلِّ وفدِ
عليه فالناظرُ كالمستجدي

ربُّ المكرمات التي تعاظمت
غيثٌ إذا ضنت غيوثُ عامنا
يلقاك بالبشر إذا أتيتَه
كم قد لوى بؤساً وأولى نعماً
ومنها:

بين الورى عن حصرها بالعدِّ
غيوثٌ إذا عدَّت خيول الجهدِ
وتنشئ عنه بخيرِ رفدِ
وفك عانٍ من ثقیلِ القدِّ

مولاي والكنزُ الذي ادخرته
أشكو إليك وإليك المشتكى
ما لي سواك عدةٌ تكشفُها
وإن أفرز منك بما أملتُه
فانظر إليَّ نظرة أنجوبها
وهاك عذراً لك قد جلوتها
حسناً لم ترض سواك كفؤها
سائرة على ممرٍ دهرها
أرجو بها مولاي منك دعوةً
دمت لنا ما أومضَ البرق وما

إذا فجا الكربُ لحلَّ العقدِ
حوادثاً قد ضاق عنها جهدي
فإن ردّدتني فمن ذا يجدي
فما أنا قد فزتُ منك وحدي
فما أخافُ وأنالُ قصدي
خاطرةً من البها في بُردِ
لأنها قد أمنت من ضدِّ
تعلن بالشكر لكم والحمدِ
يخفي بها نحس ويئذو سعدي
حيّا الحيا مراتعاً بنجد

والخلي: منسوب لبني أبي الخَلّ، وهم بيت علمٍ وصلاحٍ، شهرٌ منهم جماعةٌ بذلك، وأصلهم من مأرب، البلد الذي ينسب إليه السُد، فيقال: سد مأرب، وهو الذي أرسل الله عليه سيلَ العَرم، فأخربه، وهي جهةٌ متسعةٌ، خرج منها جماعةٌ من العلماء والصالحين.

وأصل جدّهم من هنالك، وسكن موضعاً بناحية الوادي سُرْدُد، وتديّره، وأولد هناك، حتى صارت قريةً كبيرةً تعرف ببيت أبي الخَل، ذكر الجندي جماعةٌ منهم «في تاريخه»، وأثنى وقال: سمعت الثقة يقول في سنة عشرين وتسعمائة: إن فيهم من حفظه كتاب الله تعالى ثلاثمائة وثلاثة وستين رجلاً، ذكره السرجي في «طبقاته».

[٤٩٣] أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي النقشبندي المكي^(١).

كان واسطة عقد أهل الفتوة، ورابطة عقد الصفوة، جامعاً لأشتات الفرائد، ناظماً من درر الفوائد للنحور القلائد، صحب العارف بالله تاج الدين الهندي النقشبندي، وأخذ الطريق عنه، وانتهى ريتاً بشرب الرحيق منه.

وله التأليف الغزيرة الجمّة، الكاشفة بالدلالة لكل مشكلةٍ وغُمّةٍ، منها: «شرح على حكم ابن عطاء الله» لم يتم، و«شرح على أبيات الشيخ أبي مدين» التي مطلعها:

ما لذة العيش إلا صحبةُ الفقرا هم السلاطينُ والسادات والأُمرا
و«شرح على قصيدة العارف بالله أحمد ابن بنت الميلى» التي أولها:

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٦٩)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١٥٧ / ١).

من ذاقَ طعمَ شرابِ القومِ يدرِيهِ ومن ذَرَأَهُ غِذاءَ الروحِ يشْرِيه

وشرح على قصيدة الشهرزوري التي مطلعها:

لمعت نارُهُم وقد عسعسَ الليـ لُ وملَّ الحادي وحارَ الدليلُ

وهو عزيز الوجود، وله «رسالةٌ مفيدةٌ في طريق السادة النقشبندية» جمع فيها ما يحتاج إليه من الآداب واللوازم، وذكر فيها جملة مشايخ الطريق، أولي الصدق والتحقيق، بدأ منهم بشيخه الكامل العارف الواصل تاج الدين المذكور، وقد وشح رسالته المذكورة، السيد السند العارف الأمجد، سالم بن أحمد شيخان باعلوي بقواءات، ورشحها بمقالات، ونظم صاحب الترجمة نسبه المتصل بالصدیق الأكبر، في أبيات كقلائد العقيان، في أعناق الخرد الحسان، وهي قوله:

أيا سائلي عن نسبتي كيف حالها	جُدودي إلى الصديقَ عشرون فاعدي
مباركُ شاه حاوي المجد بعده	أبو بكر المأمون نجلُ محمد
ووالده قد جاء يكنى باسمه	وطاهر حَسَنَوْنَه الذي هو مهتدي
وعلان ثان جاء ثم حسنيهم	عفيفُ أتى فيهم ويونسُ ذو اليد
ويوسفُ إسحاقُ وعمرانُ قد أتى	وزيدُ به كلُّ الخلائق تفتدي
ومن بعده حاوي الفخار محمدُ	ووالده الصديق ذخري ومنجدي

توفي بمكة، سحر ليلة الاثنين، سادس عشر شعبان، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، ودفن صبح ليلته، بالمعلاة، بالقرب من تربة السيدة خديجة الكبرى عليها السلام، وقبره هناك معروف.

[٤٩٤] أحمد بن إبراهيم المزجاجي الزبيدي، المعروف بالخَيْر - بفتح
الخاء المعجمة وكسر التحتية المشددة، وربما أشبعت، وبعده راء - .

كان شيخاً صالحاً، حصلت له عنايةٌ بعد ذلك ربانيةً جذبتَه عن أهله
وطنه، فتركهما، وفرَّ إلى موضع من الجبل، شرقي بلده السلامة، على دون
مرحلة منها، فلزم موضعاً لا يخرج عنه، واعتزل الناس ولم يخالطهم نحو
تسع سنين، فصار معتقداً يُقصد للزيارة والتبرك، ونقل عنه كثيرٌ من الكرامات.
ثم رجع إلى السلامة، وعقب رجوعه احتفر بئراً عند قبر جده، واستمر
على حالةٍ مرضيةٍ؛ من إثارة الخمول والتقصيف، ومحبة أهل العلم والتواضع،
والبعد عما عليه غالب متصوفة الوقت؛ من الدعاوى العريضة التي لا طائل
تحتها، ثم بنى عنده مسجداً عند بئره، وهي خارج القرية من قبليها، ونقل
مسكنه إلى هناك، ولم يزل ملازماً لبيته، لا يخرج عنه قط، بل من قصد
زيارته، والتماس دعائه، دخل عليه في مكانه، حتى توفي يوم النحر، عام
ثمان وثلاثين بعد الألف - رحمه الله تعالى - .

[٤٩٥] أحمد أبو العباس بن علي بن محمد بن إبراهيم مطير الحكمي
اليمني الشافعي^(١).

أحد علماء بني مطير الأكابر، الذين ورثوا العلم كابراً عن كابر، وبرعوا
في سائر العلوم، وكرعوا من مشارب الفهوم، واشتغلوا بطاعة الحي القيوم،
أخذ العلم عن والده، وتمتع منه بطريقه وتالده، وأغناه عن التردد على غيره،
وجنى من ثمرات خيره.

(١) «الأعلام» للزركلي (١ / ١٨١).

وألف المؤلفات المفيدة، منها: «تسهيل الصعاب في علم الفرائض والحساب»، و«الروض الأنيق في النحو واللغة والتصريف»، وكانت وفاته ببلدهم عبس الحَضَن، من المخلاف السليماني باليمن، سنة خمس وسبعين بعد الألف.

ومن شعره قوله :

جددْ عهدك بالوادي وبالسندِ	بين العقيق وبين السفح من أحدٍ
ديارَ مَنْ حبُّهم فرضٌ أدين به	ومن لهم منزلٌ قد شيد في خلدي
حيثُ النبوةُ حطَّت رحلها وثوت	ومهبطُ الوحي والأملاك بالرشدِ
مُهاجرٌ لرسول الله رحمتِه	محمدٍ أحمد المبعوث من أددٍ
اختصه الله بالإرشاد مؤتمناً	فهو الوسيلة بين الله والعُبد
ما كان من قبله علمٌ لأمتِه	ولا لهُ كان بالإيمان ثم هُدي
فلا يُلمُّ بنا أمرٌ نراع به	إلا سألنا به من ربِّنا الأحدِ
تفريج كربٍ وكشف الضرِّ في عَجَلٍ	وعادةُ الله فينا أجملُ الأودِ
يا خالقَ الخلقِ يا من لا شريك له	يا مالكَ الملك بالآزالِ والأبدِ
يا ملجئي في الورى كلها أبداً	يا منجدي من تخوفاتٍ ومن كمدِ
إليك أرفعُ كفي ضارعاً خجلاً	وأخلص الدين إذ أدعوك يا سندي

إلى أن قال :

وأخفض الرأسَ منقاداً به وجلاً	مستغفراً لذنوب جمَّةِ العددِ
مستسقياً لك غيثاً مطبقاً غداً	سحاً هنيئاً مريئاً مصلحَ البلدِ

عاماً دريراً مريعاً غيرَ منقطع
تحيا به الأرضُ والأحياءُ كلُّهم

ومنها:

يا مفزعي يا ملاذي يا إلهي يا
يا عالمَ السرِّ مثلَ الجهرِ يا أملي
يا فردُ يا حيُّ يا قيومُ يا صمد
مطالبِي منك لا تحصى وعلمُكها
فأتنا كلَّ ما نرجو ونطلبه
وآتِ داعيكِ بي في كلِّ حادثة
فأحمدُ بن عليٍّ قد دعاكَ وقد
وكلِّ آلٍ مطيرٍ لست تهملُهم
وأبقِ منهم لهذا الدينِ مُطَّلِعاً
هم حافظو السنَةِ البيضاءِ تعرفهم
والحاملون كتابَ الله تعصُّمهم

ومنها:

واحفظ بحفظهم مَنْ كان يصحبُهم
واقِرْ صَلَاتَكَ بالتسليم لا بَرِحَا
رسولك المجتبي الداعي إليك انا
وَعُمَّ آلَا وَأَصْحَابَا وتابعهم

ولا مضرٌّ ولا مؤذٍ ولا نكدٍ
واغفرْ لنا كلَّ ذنبٍ وامحُهِ وجُدِ

مولايَ يا موثلي هبْ لي ومدَّ يدي
ارحمْ بجودك ضعفي واشدِّدْ عَضْدي
يا ذا الجلالِ وذا الإكرامِ يا أحد
أحصى وجودُكَ تعطيه على الأبد
واقبلْ دُعانا سريعاً واحيناً وزِدِ
تنوُّبه سؤْلَه في الخير أن تَرِدِ
عوْدَتَه الخيرَ فضلاً منك لم يبدِ
فهم عبيدُكَ فارحَمهم وعُدِ وجُدِ
يسمو بهم وانصرنهم نصرَ متجدِ
أسفارُ صدقِ صحاحِ المتن والسند
آيَاتُه عن تأويلِ وعن أوْدِ

من أهل ودهم من شر ذي الحسدِ
على نبيك في يومٍ وكلِّ غدِ
لييك لبيك آمناً بلا جحدِ
بهديهم مقتد بالبرِّ والرشدِ

وله سؤالٌ في حديث اختلاف الفرق إلى ثلاثٍ وسبعين، وجَّهه إلى السيد العلامة محمد بن الحسن بن النسم، وأجابه بجوابٍ حافلٍ، ولما وقف على السؤال والجواب القاضي العلامة علي بن محمد العنسي الصنعاني، قال:

تجارى مطير إذ أراد بجهله مجارة بحر في العلوم خطير
فما المطر الوكاف كالبحر إن طما فكيف إذا حقرت به بمطير

[٤٩٦] أحمد أبو الوفا بن محمد أبي الغواير العجل العجيل، ورفع

نسبه إلى سيدي الفقيه أحمد بن موسى العجيل، في ترجمة والده^(١).

كان - نفع الله به - من أعيان الأئمة الصوفية الأبرار، وأكابر علماء اليمن الأخيار، منبعاً للعلوم النقليّة والوهبية الدقيقة والرقيقة، وجامعاً بين الشريعة والحقيقة، عارفاً بالله، دالاً عليه، ومحجّة لمن أراد الوصول إليه، زاهداً ناسكاً، عالماً عاملاً، متواضعاً كاملاً، عظم عند جميع الناس قدره، وبُعْد في الأقطار ذكره.

فكانت تأتبه النذور من سائر البلاد، وتعتقده عامة الناس والعلماء والأمجاد، وكراماته اشتهرت باليمن، فلا تحتاج لبيان، وعمت خوارقه جميع الناس بالعيان، وبالجملّة: فمسافته وفصائله عدد الرمال، وإن أطيل في ترجمته المقال.

وُلد ليلة السبت، غرة شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة - نفع الله به - ببيت الفقيه ابن عجيل، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وتمتع به من

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/٣٤٦).

طريف والده وتالده، فأغنائه عن كثير من الأقران، وأجازه بمروياته المعروفة عند علماء الزمان.

ورأيت بخط والده - نفع الله به - ما نصه : كان عزم سيدي الولد أحمد أبي الوفا إلى مدينة زنبل، ليلة الخميس، ثاني عشر شهر رجب، سنة أربع بعد الألف من الهجرة، ودخوله إليها يوم الخميس المذكور، وشرع في القراءة على مشايخه فيه، واستمر على ذلك إلى الآن، مسدداً موفقاً، جعله الله من أهل الكمال المحمدي بمنه، بتاريخ يوم السبت، في شهر الحجة، سنة ست بعد الألف. انتهى ما وجدته.

وأخذ عن أكابر العلماء والأعيان، العلوم الدينية العلية الشأن، فروى الحديث - كما رأيته بخطه نفع الله به - في إجازة كتبها لبعض طلبته، بالإجازة العامة، عن السيد العارف بالله الطاهر الأهلل، وقرأ بعض «صحيح مسلم» على الشيخ المحدث الصديق بن محمد الخاص السراج الحنفي، وأجازه بباقيه.

وأخذ بمكة عن العلامة علي بن جار الله بن ظهيرة المكي الحنفي، وعن الشيخ الصالح الزين بن الصديق المزجاجي الحنفي بزيد، وعن الشيخ المتقن خاتمة المحدثين حميد بن عبدالله السندي الفاروقي بالمدينة، وتكرر زيارته لبيت الله الحرام، وأخذ عن به في عصره من العلماء الأعلام، ولازم العارف بالله تاج الدين بن الهندي النقشبندي، وأخذ عنه طريق النقشبندية، وله الأسانيد العلية، في غالب طرق الصوفية.

وانتهت إليه في بلده الرياسة، وجمع بين شرف النفس والنفاسة، وعنه أخذ جمع من الأمجاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، وممن أخذ عنه : ولده سيدي موسى، ولم يزل - نفع الله به - نفعاً للعباد في جميع البلاد، حتى دعاه

ربه للقاء، فأجابه ولباه، وكانت وفاته بعد صلاة العشاء، رابع عشر شعبان، سنة أربع وسبعين بعد الألف، وجاء تاريخ موته: (شيخ أجل مكمل)، ودفن خارج قبة والده المشهورة، ببيت الفقيه ابن عجيل - نفع الله بالجميع -.

[٤٩٧] أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد العجمي الشافعي الأشعري الأزهري الوفاي^(١).

مولده في ثالث عشر رجب، سنة أربع عشرة وألف، وكان ابتداء طلبه العلم الشريف سنة سبع وعشرين وألف، ولقي ولي الله بالاتفاق علياً نور الدين الزيادي بمنزله مرتين: مرة يوم عيد الفطر، ومرة يوم عيد الأضحى، صحبة والده، وحل نظره عليه، ودعا له بدعواتٍ صالحةٍ ظهرت بركتها، وعاد نفعها وثمرتها عليه.

وأخذ عن فهامة العصر، ونادرة الدهر، الحسن بن علي ابن العلامة إبراهيم الحلبي، ولازمه نحو عشرين عاماً، وقرأ عليه شروحه للأزهرية والآجرومية، وبسملة شيخ الإسلام، وحضر دروسه بالمدرسة الصالحية في «مختصر المزني»، وجامع الأزهر في تقسيم شرحي المنهاج والمنهج، وشرح البهجة الكبير، وجملة من شرح التوضيح، ومن أول تفسير القاضي البيضاوي، مع حاشيتي شيخ الإسلام زكريا، وشيخ زاده، وغيرهما، وجملة من سيرته التي سماها: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، وجملة من «صحيح البخاري»، ومن «الجامع الصغير»، ومن «معراج النجم الغيبي»، ومن حاشيته

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢).

التي وضعها عليه، و«شرح الورقات» للمحقق المحلي، وغير ذلك، وأجازوه بجميع مروياته ومؤلفاته.

وسمع الكثير على الشمس محمد الشويري، من دروسه بالمدرسة الصالحية، في «مختصر المزني»، ولازمه سنين عديدة، بدروسه بالجامع الأزهر، في شروح المنهاج والمنهج، مع ما يتعلق بذلك من الحواشي والتحريرات، وسمع منه جملة من «المواهب اللدنية»، ومما كتبه بطررها من الفوائد السنية، وجملة كثيرة من «صحيح البخاري»، وأجازته بالإفتاء والتدريس، ورواية ما سمعه منه، أو قرأه عليه، أو قرئ عليه بحضوره، وبجميع ما يجوز له وعنه روايته، وكتب له ذلك بخط يده، وصورة إجازته: ...^(١).

[٤٩٨] أحمد بن أحمد الدواخلي الشافعي^(٢).

نسبة لمحلة الدواخل من الغربية، قرية من المحلة الكبرى، الشافعي، إمام الفقهاء والمحدثين، وبقية العلماء العاملين، كان إماماً جليلاً، صدرأ ورعاً مهاباً، لا يخاف في الله لومة لائم، ملازماً لإقراء العلم، غير مشغل بغيره، صارفاً أوقاته في الطاعة، ملازماً للجماعة، أنوار التقوى عليه ساطعة، وجوارحه من خوف الله خاشعة.

وكان عظيم الهيبة، كثير الفكرة، تراه دائماً مطرقاً من خشية الله ومراقبته، حتى قال لي بعض شيوخنا في شأنه: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أخوف لله منه، سالكاً طريقة السلف الصالح؛ من التشف في المأكل والمشرب

(١) جاء في الحاشية: «لم تذكر الصورة، وترك ثلاثة أرباع صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ١٧٣).

والملبس، لا يرى متكلماً إلا في مجلس علم، أو جوابٍ عن سؤال.

أخذ عن منصور الطبلاوي، وياسين المحلي، وإبراهيم اللقاني المالكي تلميذ الشهاب القسطلاني، والنور الزيادي، وسالم الشبشير، وعلي الحلبي، وطبقتهم، وعنه: جهابذ العلماء؛ كشيخنا منصور الطوخي، وأحمد البنا الدمياطي، وأحمد البشبيشي، وغيرهم.

توفي إلى رحمة الله غريقاً ببحر النيل، وهو يقرأ القرآن رئاسةً، على طريقة أهل مصر، سنة خمس وخمسين بعد الألف.

[٤٩٩] أحمد بن إبراهيم بن الجيلان بن أحمد.

صاحب بيت عكار، كان سيداً زاهداً مشهوراً، له كراماتٌ مشهورةٌ، توفي ببلده، في نيف وخمسين بعد الألف.

[٥٠٠] أحمد بن أحمد الشابي القيرواني المغربي.

من ولد أبان بن عثمان، كان أبوه سلطان القيروان، فانحل عن السلطنة مختاراً، ورحل بأهله إلى مصر، فولد له بها المترجم، وتفقه، وبرع في نحو سبعة عشر علماً، وصنف في أكثرها؛ كالطب والمنطق والكلام، والمعاني والبيان، و«شرح المدخل للعضد»، وحج مرات.

وقدم اليمن، وأقام بصنعاء، يقرئ ويدرس بها بمسجد عقيل، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء بها؛ كالقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ثم وصل إلى حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، إلى سودة شطب، عام أربعة وستين وألف، وأكرمه غاية الإكرام، وأعجب به، وسأله عن مسائل في تقويم إقليدس أحبَّ حلَّها، فأجابه إلى ذلك.

ثم استأذن الإمام للتداوي من علة كانت به، إلى صنعاء، فتوفي بها
نهار السبت، لعله الثاني والعشرون من شهر جمادى الآخرة، سنة أربع وستين
وآلف، وخلف كتباً كثيرة، أمر الإمام بحفظها لوارث إن كان.

[٥٠١] أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم،
الشيخ الإمام البارع شهاب الدين العنباياتي النابلسي، عرف بابن مكية^(١).

نزىل دمشق، وشاعرها المشهور، سافر إلى الحجاز، ثم إلى القدس،
ودخل حلب، وغيرها من البلاد، واستوطن دمشق، وجاور بالمدرسة البادرية،
وكان متين الشعر، له فيه ملكة تامة، وينحو نحو الرضي، ومهيار، وكان يحب
العزلة والانفراد عن الناس، وكان حسن الخط، وأكثر ما يكتب المجاميع
الأدبية، والدواوين الشعرية، ويكتب أشعار الفحول، من العرب والمولدين،
ويدرج كلامه في كلامهم، مع عزو كل قول إلى قائله.

ومن شعره قوله :

رَبِّ خَلَصْ مِنْ الْفِرَاقِ وَثَاقِي	وَأَغْنِي بِمَنْعِهِ الْفِرَاقَ
مَلَكْتَنِي يَدَاهُ حَتَّى ظَنَنْتُ	حَمَامِي مَدْبِرًا فِي عِتَاقِي
مَا تَغْنِي رَكْبُ الْمَنَى فِي حِجَازٍ	مِنْ مَشْوِقٍ إِلَّا نَوَى لِلْعِرَاقِ
لَيْتَ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَهْوَى فَيَلْقَى	فِي الْهَوَى مَا لَقِيتُ يَوْمَ الْفِرَاقِ
يَوْمَ سَاقُوا وَأَدْمَعِي فِي اسْتِبَاقِ	وَفُؤَادِي مُسْتَحْضِرٌ فِي السِّيَاقِ

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/١٦٦)، «الأعلام» للزركلي (١/٩٢)، «ريحانة الألباء»
للخفاجي (١/١٧) (١)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/٢٨٠) (١٠٣)،
«معادن الذهب» للعرضي (٦٥) (١١).

كتب الدمعُ فوق مهراقِ خدي كم دمٍ طُلَّ في الهوى مهراقِ
يا لعيني كانت منازل للأحـ بـاب عادت مصارعَ العشاقِ
آه واحسرتا على ذلك الخـذ دِ وإن كان أصلَ نارِ احتراقِ
بدرٌ تَمَّ عليه جسمي أمسى خافياً مثلَ حصره في انمحاقِ
مال في الروض واستمالَ قضيباً من خلافٍ كقـدّه في اتفاقِ

وله دور البيت :

قد ذبْتُ على هواك ذوبَ الشمع أفديكَ بنور ناظري والسمعِ
والله وإنها يمين الشرع حبي لك يا معذبي بالطبعِ

وكان الشيخ أبو الطيب الغزي ذات يومٍ هو والمترجم في المرجة، فجرت بينهما مطارحةٌ شعريّةٌ، ومناظمةٌ دريّةٌ، فقال أبو الطيب : اجلس إذا رمت السعود، فقال العنایاتي : قبالة الوادي السعيد، فقال أبو الطيب : فهناك تنثر العقود، فقال العنایاتي : كما تشاء من العقيد، فقال أبو الطيب : وانظر إلى تلك الخيام، فقال العنایاتي : كأنها هضب النجود، فقال أبو الطيب : تحوي طباء صريمة، فقال العنایاتي : سُمر اللمى حُمر الخدود، فقال أبو الطيب : يفتكن من قاماتها، فقال العنایاتي : بالسمر في قلب العميد، فقال أبو الطيب : والنهرُ في جنباتها، فقال العنایاتي : والماء كالبرق الشديد .

وكان له تصرفٌ في المعاني، ولم يكن له حظٌّ في الدنيا، وكان أسمر اللون، رثَّ الهيئة، يضرب به المثل : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، مات في عشري ذي القعدة، سنة ثلاث عشرة وألف، ورثاه الشيخ أبو بكر العمري بقوله :

مات العنايةتي بدر الحجي والموت طبعاً بالعنايةتي
قال لسان الحزن من بعده تاريخه (مات العنايةتي)

[٥٠٢] أحمد بن أحمد المعروف بشيخ زاده الرومي الحنفي^(١).

ولي قضاء القضاة بدمشق، من دار الحديث السلیمانية، فدخلها أوائل
شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، وكان فاضلاً في الفقه، علامة في
المعقولات، وله إلمام تام بعلوم البلاغة، يباشر الأحكام بنفسه، ويتأنى فيها،
ويتحرى الحق، متصلاً في دينه، مقتصداً في نفسه.

ويقول: الاقتصاد أولى من الجور على الناس، وكان ينكر المنكر ويزيله،
ويحضر صلاة الجماعة في الجامع الأموي، وعزل من دمشق، وتولى قضاء
مكة، ورجع إلى الروم، وتولى بها مناصب سنّة، ثم ورد الخبر بموته إلى
دمشق، في أثناء سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف - رحمه الله تعالى -.

[٥٠٣] أحمد أبو الفتح الغمري الشافعي.

خليفة الحكم بمصر، الناظم النائر، توفي يوم الأربعاء، سابع شهر ربيع
الأول، سنة إحدى وثلاثين وألف - رحمه الله تعالى -.

[٥٠٤] أحمد بن أحمد الغزلاني المصري الشافعي.

أحد شعراء المصريين، وأدباء العصرين، ومن الملازمين للسادة البكرين،
وممن له في المحاضرة يد طولى، وقولٌ عند كل سيد ومولى.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٦) (١٠٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي
(١٧٢/١).

ومن قوله :

تمنيت ضيفَ الطيف ممَّن هويته فجاء فلم أسطع أمدَّ له طرفاً
وحاولت أن أشكو لديه صبابتي فقال دع الشكوى فحالك لا يخفى
وقد فاض ماء العتب عندي فلم أجد لفرط غرام الحب عندي ولا حرفاً

[٥٠٥] أحمد الأحمدى الصعيدى^(١).

من بيت أحمد: قرية من أعمال المنية، الشيخ العارف بالله، كان ماشياً على طريق القوم بكثرة الصلاة والصوم، وغيرهما من أنواع العبادة، محباً للفقراء والعلماء والسادة، صوفياً فنيت ذاته، وانتشر صيته.

كان يحج سنة، ويترك أخرى، مع إدامته لخشونة العيش، وربما لبس الخيش، ولا يبالى بمن قال: ما هذا؟ وهذا ليش؟ وينشد:

اقنع بلقمة وشربة ماء ولبس الخيش
وقل لقلبك ملوك الأرض راحوا بـ

وكان كثير الذكر والفكر، والصلاة على النبي ﷺ، وأخبر أنه رآه ﷺ، وكانت وفاته في شهر رجب، سنة عشر بعد الألف ببلده، ودفن بزاويته، التي ببيت أحمد - رحمه الله، ونفعنا به -.

[٥٠٦] أحمد البقاعي الفرعاني^(٢).

كان من العلماء المعمرين، أخذ عن النجم الغيطي، وسالم السنهوري،

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٧٢)

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣١٥).

وعبد الوهاب الشعراني، وأبي النصر الطبلاوي، ومحمد البكري، والشمس الرملي، وعلي القدسي، وجمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام، وكان كثير التواضع، محباً للعلم، لم يزل يقرأ على الناس، حتى في أواخر عمره، كان يقرأ على تلميذه عبد الباقي الحنبلي، ويحضر دروسه - رحمه الله -.

[٥٠٧] أحمد السحيمي، نسبة إلى سُحيم - مصغراً -: قرية بمصر، الأحمدى الشافعي.

العارف بالله، والدال عليه، كان في عداد طبقة المشايخ الكبار من أهل عصره، بل أكبر منهم حالاً ومقالاتاً، وكانوا كلهم يعظمونه، ويوقرونه، ويتبركون به، قرأ بالروايات على أحمد بن عبد الحق السنباطي، ولازمه، وأخذ عنه، وعن علماء عصره العلوم الشرعية.

ثم ارتحل من مصر بإشارة بعض أرباب الأحوال، فطاف البلاد البعيدة على قدم التجريد والمجاهدة والتوكل، ودخل بغداد والكوفة والبصرة، وما وراء تلك النواحي، ثم عاد إلى مصر، فابتنى مسجداً بجوار مشهد الشهداء، الكائن بناحية سرسنا بالمنوفية، وأقام به لإقراء الناس القرآن، فانتفع به خلائق لا يحصون.

وكان يجيء إلى مصر في كل عام مرة، يجلس أحياناً بالجامع الأزهر، وأحياناً بمدرسة السيوفية، وأحياناً بمدرسة الخطابية، والناس يزدحمون عليه، ويلتمسون أدعيته الصالحة، ثم يعود إلى مسجده، ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة ثلاث وأربعين وألف، ودفن بخلوته التي بمسجده، وضريحه ظاهر يزار - رحمه الله تعالى -.

[٥٠٨] أحمد المِهْمَنْدَارِي الحلبِي الحنفي^(١).

مفتي دمشق، مولده بحلب في ذي القعدة، سنة أربع وعشرين وألف،
وقرأ بها على النجم الحلقاوي، وأبي الوفا العرضي، وأخيه محمد، ومن في
طبقتهم، ومكث بالروم سنين، وأخذ عن بها من علمائها، ورجع منها إلى
دمشق، وصار مفتياً.

وكان حسن السيرة، عاقلاً وقوراً، له حسن مداراة، أقام مفتياً بدمشق
سنين، لم يتكدر منه أحدٌ بوجه، إلى أن توفي سنة ألف ومائة وثلاث أو أربع
- رحمه الله تعالى -.

ومن شعره قوله :

مذ رأى الوردُ على أغصانه خذَّ من أهواه في الروض الأنيق
صار مغمىً فلطيفُ الطلِّ قد رشَّ وجتته كي يستفيق

[٥٠٩] أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكي الشافعي^(٢).

ابن الفضل وأبوه، المذعن لفضله أعداؤه ومحبه، مقداره في الأدب
جليل، ومثيل باكثير في الأنام قليل، ملك زمام القريض فاقته حيث شاء،
وتلا لسان قلمه : ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران : ٧٣].

مولده - كما رأيت به خطه - ليلة الخميس، عشري شهر رجب، سنة
خمس وثمانين وتسعمائة، عند طلوع القمر - رحمه الله تعالى -.

(١) «نفحة الرياحانة» للمحبي (١ / ٥٦٠) (٥٥)، «سلك الدرر» للمرادي (١ / ١٨٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٧١)، «نفحة الرياحانة» للمحبي (٤ / ١٤٥) (٢٨٩)،

«سلافة العصر» لابن معصوم (٢٠٤)، «طيب السمر» للحيمي (٢ / ٤٣٣).

ومن شعره: قوله معتذراً ومعجزاً قصيدة المتنبي، يمدح بها السيد علي
ابن بركات الشريف الحسني:

حشاشةُ نفس ودعتُ يوم ودعوا	وقلبٌ لأظعان الأجنة يتبعُ
وصبر نوى الترحال يومَ رحيلهم	فلم أدر أيَّ الظاعنين أودعُ
أشاروا بتسليم فجذنا بأنفس	تسيلُ مع الأنفاس لما ترفعوا
وساروا فظلتُ في الخدود عيوننا	تسيلُ من الآماق والسم أدمعُ
حشايَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوى	وصدري بأنواع الصبر بلقُعُ
وقلبي لدي التوديع في حزن حزنه	وعيناي في روض من الحسن ترتع
ولو حملت صمُ الجبال الذي بنا	من الوجد والتبريح كانت تضعُ
وأكدنا من لوعة البين والنوى	غداةً افترقنا أو شكَّت تصدُعُ
بما بين جنبي التي خاض طيفها	دموعي فوافي بالتواصل يُطمع
تحيل لي في غفوة وجهت بها	إليَّ الدياجي والخليون هُجِعُ
أنت زائراً ما خامرَ الطيبُ ثوبها	وخمرتُها من مسكِ دارينَ أضوعُ
فقبلتُ إعظاماً لي فضلَ ذيلها	وكالمسك من أردانها يتضوعُ
فشردَ إعظامي لها ما أتى بها	وفارقتُ نومي والحشا يتقطعُ
وبثُّ على جمر الغضا لفراقها	من النوم والتاعَ الفؤادُ المفجعُ
فيا ليلةً ما كان أطولَ بثها	سميرَ السُهي حلفَ الجوى أنضرعُ
يجرُّ عني كأسَ الأسى فقد طيفها	وسمُ الأفاعي عذبُ ما أنجرعُ
تنلُّ لها واخضعُ على القرب والنوى	لعلَّكَ تحظى بالذي فيه تطمعُ

ولا تأتفن من هضم نفسك في الهوى
ولا ثوب مجدي غير ثوب ابن أحمد
علي صفا^(١) بالمكرمات ولم يكن
وإن الذي حابي جديلة طيئ
حبا بعلي آل طه فإنه
بذي كرم ما مر يوماً وشمسه
ولا ليلة تزهو به ونجومها
فأرحام شعر يتصلن لدنه
ومنها في الختام:

ألا كل سمح غيرك اليوم باطل
لأنك فرد للكمالات تجمع
وكل ثناء فيك حق وإن علا
وكل مديح في سواك مضيع
واتفق لصاحب الترجمة: أنه سمع - وهو محتضر - رجلاً ينادي على
فاكهة: ودعوا من دنا رحيله، فقال بديها:

يا صاح داعي المنون وافى
وحل في حينا نزولهُ
وها أنا قد رحلت عنكم
فودّعوا من دنا رحيله
ولم يلبث إلا قليلاً، ومات - رحمه الله تعالى -.

(١) في الأصل: عليه صفا، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل.

وكان له في العلوم الفلكية، وعلم الأوقاف والزرايرة، يدٌ عليّة، وكان له عند أشراف مكة منزلةٌ وشهرةٌ، وكان يجلس في الموسم، في المكان الذي يقسم فيه الصر السلطاني، بالحرّم الشريف، بدلاً عن شريف مكة. ووفاته في عام سبعة وأربعين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة - رحمه الله -.

ومن مؤلفاته: «حسن المآل في مناقب الآل» جعله باسم الشريف إدريس أمير مكة.

[٥١٠] أحمد القباي - بقاف وموحدتين - مفتي المقام الأحدي، بطندتا، الشافعي . . . (١).

[٥١١] أحمد بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرقي.

قال صنوه الحسين - فيما كتب إلي من ترجمته -: إنه إمامٌ فاضلٌ، وعالمٌ كاملٌ، على فنون العلم، والقوة على النظم والشر، ومحاسن الأخلاق، ما يفوق الوصف.

مولده سنة إحدى وخمسين وألف، وأخذ فنون العلوم عن أبيه وأخيه، وبرع في سائر الفنون، اجتمعت به بصنعاء سنة ألف ومائة وسبع، لما توجه إلى الإمام الهادي محمد بن أحمد بن الحسن، وتأكدت بيني وبينه المودة، وكاتبني بأشعار كثيرة، وله المؤلفات الكثيرة، منها: «أرجوزة نظم فيها تهذيب المنطق» لسعد الدين، أحسن فيها كل الإحسان، ونظم جواب أخيه المذكور في الرد على الأزهري في تحريم قهوة البن، وأحسن في نظمه، يقول فيه:

(١) لم يكمل المصنف - رحمه الله تعالى - هذه الترجمة.

أحمدُ ربّاً بالدليل أنعمَا وميز الحلالَ عما حرّما
مِنْ فضله أحلّ ما في الأرض مما حوت من كل خير مرضي
فأصلُ ما فيها على الإباحة والحمد لله الذي أباحه
والأمرُ في يا أيها الناسُ كلوا من طيباتِ الأرض أي ما تنقلُ

وله «منظومة في الفرق بين الضاد والظاء»، أحسن فيها وأبدع، جاء في أول البيت بالضاد، وفي آخره بالظاء.

ومن جملة ما قاله فيها:

ونضرةً بالضاد مخضرٌ حسن وما لمولانا نظيرٌ يا حسن
وغاضَ بالضاد لماءٍ قد ذهب وكم أغظتُ من حسودٍ بالذهب

وله - وقد اطلع على «فوائد الرحلة ونتائج السفر» هذا مقرظاً له، وأبدع ما شاء، وذلك بعد اطلاعه على ما كتبه أخوه شيخنا العلامة الحسين في تقرّظ هذا الكتاب، فقال أحمد:

أبدع في التقرّظ ربُّ الوفا وصاحبُ البيت وربُّ الصفا
ومن غدا في دهره الآية الكبرى لدى أهل النهى والصفَا
وهو الحسينُ العالم المتقى من ناصر الدين الذي شُرِّفا
ذاك الذي جدّد دينَ النبي وأظهر الحكمةَ بعد الخفا
فتَحَّ من الله لفتحٍ أتى لمقتفي نهج النبيِّ المقتفى
مذ كان نصرُ الله والفتحُ في فوائِد الرحلة للمصطفى
كذا حياة العلم أهلُ النهى فوائِد الرحلة من مصطفى

فليهنه الأجرُ على فعله ويهن من كمثلِه أتصفا
 قد عرف الأعلام أهل العلا بفضله الجُم الذي عُرفا
 أقسمُ بالبيت الذي أمُّهُ من طافه من بعد ما عرفا
 لو أن من يمدحُه إن أتى بكل ما في طوقه ما كفى
 فوائدٌ قد خلدت تالداً تستوعب الأفضل والأشرفا
 ما ثلّبت شخصاً ولا أغفلت فضيلةً بها العلا شتفا
 شمائلُ الأخبار للمصطفى فيها لقلبي وفؤادي شفا
 مثل عياضٍ إذ شفى مورداً شمائلًا مختارةً في الشفا

[٥١٢] أحمد بن الحمامي الحلبي .

نقلت من خط بعض الفضلاء : كان عالماً فاضلاً، مفسراً محدثاً، زاهداً
 عابداً، ورعاً مواظباً على العبادة، مشغلاً بتكميل نفسه، وكان يعظ بجامع
 حلب، ولا يأخذ شيئاً من الأكابر والأصاغر .

حج سنة سبع بعد الألف، فلما رجع، لقيته بجامع دمشق، وصاحبته،
 فقال: أشاهد عليك الضعف، قلت: قد ابتليت بالحمى، قال: علاجها كذا
 وكذا، فقلت له: يا سيدي! ما أريد العلاج لمرض البدن؛ لأنه أهون، بل
 أريد العلاج لمرض القلب، فقال: لا إله إلا الله، فقلت... (١).

[٥١٣] أحمد بن الطوفان .

وُلد ببلدة «آذنه»، واشتغل بالعلوم، ودرس في بعض المدارس، ثم

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «فقلت» ثلاثة أسطر بياض بالأصل».

صار مفتياً ببلدة آذنه، ثم انفصل عنها، وذهب إلى دار السلطنة لطلب المنصب، استولى عليه الحال، ورغب في الطريقة، وكان الشيخ إبراهيم التاتار يومئذ مشهوراً فيها، قال: فأردت منه البيعة، وذهبت إليه مع رجلين من القضاة، ودخلنا عليه، وجلسنا عنده، وعرض رفيقاي مرادهم من المناصب، وأجابهما الشيخ، ثم قاما، وقمت معهما، فقال لي الشيخ: اجلس أنت، فجلست، وذهبا، فقال لي الشيخ: تريد السلوك والبيعة؟ فقلت: نعم، وجلست بين يديه، وأخذت منه البيعة^(١).

واجتهد عنده مدة، فلما مات الشيخ، رجع إلى «آذنه»، وسكن بقرية عندها، واشتغل بالرياضة والمجاهدة منعزلاً عن الناس، إلى أن توفاه الله إلى دار كرامته.

[٥١٤] أحمد البلغرافي.

وُلد بها، واشتغل بعلوم المباني والكتابة، ودخل في زمرة الأجناد السلطانية، وصار كاتباً لمحرم بيك أمير لواء بلغراد، فلما مات الأمير المذكور، ترك الجندية، ورغب في الصلاح، واجتهد حتى صار من جملة الصالحين والمكاشفين، ولم يغير هيئة الجندية؛ لاستتار أحواله إلى آخر عمره، مات في أواخر ست بعد الألف.

[٥١٥] أحمد القيرواني المغربي الحنفي، المعروف بصاحب السعادة^(٢).

-
- (١) وهذه المراتب والمناصب والمصطلحات، من صناعة أهل الطرق والمتصوفة الباطلة، نعوذ بالله من الابتداع في الدين. وأن نُدخل على الشريعة ما ليس منها.
- (٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧٥).

كان من أكابر العلماء المحققين، له «شرح بديع على أم البراهين للسنوسي»، وصار مستوفياً باليمن، وولي الحكومة بـ «مرعش»، توفي بالمحلة الكبرى، من غربي القاهرة، سنة خمس وأربعين وألف.

[٥١٦] أحمد باشا بن رضوان^(١).

نائب غزة، وأمير الحاج الشامي بعد الأمير قانصوه، كان رجلاً كاملاً، له مطالعة حسنة في كتب العلم والتواريخ، حسن المحاضرة، يحب العلماء ويعظمهم ويكرمهم، وله صلة للعلماء.

قال النجم الغزي في «ذيله»: حججت معه سنة إحدى بعد الألف، فاجتمعت به بمنزلة العلاء، فتذاكرنا: هل سياسة الشرع أبلغ من سياسة القانون، أو سياسة القانون أبلغ؟ قال: فأجبت بالأول، ومال هو إلى الثاني، فقلت: سياسة السارق الشرعية قطع يده اليمنى، ثم إن سرق فرجله اليسرى، والحكام يقتلونه بالقانون، ففعل الشرع أبلغ؛ لأنه يبقى مقطوع اليد، أو مع الرجل؛ ليكون مثله في نفسه، وعبرة لغيره، ولو قتل، نُسي، فالاعتبار ساعة، ثم يذهب عن الأفكار، فسكت.

ثم رفع إليه سارق بمنزلة ذات حج، فلما ثبتت عليه السرقة، أمر بقطع يده، فقال له: يا مولانا الأمير! إني قد حللتك بدمي، فاقتلني وأرحني، ولا تقطع يدي فأكون مثله، فقال له الأمير: إني أقطع يدك بموجب الشرع، ثم قال لي: قد تحققت صحة ما قلت: إن السياسة الشرعية أبلغ.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٣) (١١٠)، «خلاصة الأثر» للمعجبى

وكان المترجم من أفراد الدولة العثمانية، وأعيان الأمراء الرومية، توفي سنة خمس عشرة بعد الألف - رحمه الله -.

[٥١٧] أحمد ابن الإمام صاحب الحَبْلَيْن، من بلاد سارع.

كان من الأولياء المشهورين، وكان من حاله: إذا كان أحدٌ في حضرته، كأنه قد انسلخ عن الدنيا، وصار في حيز الآخرة، وله الكرامات المشهورة: أتى بعض أصحابه سنة موته، وقال: جئتُ مودعاً، ومات بعد أيام، لعله سنة تسع وعشرين أو ثلاثين وألف.

وهو من أصحاب الحاج أحمد الأحمر، وكان من أكابر الأولياء، وكان أخو المترجم عليّ ابن الإمام من الأولياء، وكان مستور الحال، وقال في شأنه الشيخ العلامة عبد السلام بن عبد الملك النزيلي: إن المشهورين ببركة المستورين.

[٥١٨] أحمد بن الأمين بن الصديق، صاحب الصلبة.

كان صوفياً مشهوراً، ظهرت له أحوال بعد موت السيد عبد القادر الأهدل، في دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وكان ينكر على الصوفية، وأراد الوقوع به، فتوجه إلى المدينة، ومات بها سنة ثلاث وخمسين وألف.

[٥١٩] أحمد الهادي بن شهاب الدين بن عبد الرحمن السقاف باعلوي

الحسيني^(١).

قدس الله سره، وأثار قبره، محتد الجلالة والفخامة، مفرد المقالة

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٥).

والشهامة، العالم العامل بلا زعامة، الحاتم على ناظره القطع له بالفضل السني والكرامة، الولي لله تعالى بلا ريب ونزاع، الملزم نفسه النفيسة الطاعة له ﷺ والحضور لديه والانقطاع.

كان ﷺ إمام المنقول والمعقول، الهمام في الفروع والأصول، عقد للإفادة المجالس والمحاضرات، ففهم بلطف لطفه، وأفهم بعطف عطفه المناظر والمحاضرات، عارفاً بطريق القوم، محتفلاً بكتبهم، مقتنياً لآثارهم الحميدة، ملتزماً لأدبهم، مشتغلاً في غالب أوقاته بأنواع العلوم، ونشر حكمها المعلوم، من فقه وأصول، وحديث وتفسير، وآلات؛ كنحو وصرف، وكان له درس خاص في كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزالي.

ولم يزل هذا سرته ودأبه، وسنته وأريه، إلى أن هتف به داعي ربه ودعاه، فأسرع في القدوم عليه ولباه، وكان ﷺ مجاب الدعوة، صادق النبوة، ولا بدع في ذلك ولا بعد؛ فإنه كان من الذين إذا رؤوا ذُكر الله، تقربوا إليه حين والوه بالنوافل والفرائض فأحبهم، وكان سمعاً وبصراً لهم ووالى، واصطفاهم لإبداع سره - سبحانه وتعالى -.

توفي - رحمه الله - في يوم الثلاثاء، ثامن ذي القعدة الحرام، سنة خمس وأربعين بعد الألف، بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة، في حوطة بني شيخان، عند إخوانه السادة الأجلاء - أفاض الله على ضرائحهم صيب الرحمة والرضاء -.

[٥٢٠] أحمد السنهوري المالكي.

إمام علامة، اشتهر من بين علماء عصره بالعلوم النقلية والعقلية،

وظهرت له عليهم المزية، ومن شيوخه: العلامة الشهاب أحمد بن حجر، والنجم الغيطي، وممن أخذ عنه ولازمه: العلامة سري الدين الحنفي، وعامر الشبراوي، وشيخنا محمد البابلي، وكانت وفاته بمصر، في يوم السبت، تاسع عشري محرم، سنة ست عشرة بعد الألف - رحمه الله -.

[٥٢١] أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين^(١).

السيد الفاضل، عالم الأدباء، وأديب العلماء، ونخبة البيت الذي ارتفع قدره وسما، ذو الخلق الذي تستعير من نشره الأزهار وتعبق، والفضيلة التي تجري الألسن إلى محامدها وتطلق، شهاب الملة الساطع، وبدر الكمال الطالع، وواحد الزمن علماً ونظراً، وحامل لواء المعارف النقلية حديثاً وأثراً، ومحقق دقائق العلوم العقلية، وجامع الفنون الأدبية.

أما ملكة التعبير، فلا يتناول ابن زيدون أن يزيد عليه في سعة العبارات، وأما مباحث التنقير، فما سلك الرئيس مسالكه في دقائق الإشارات، وأما المناظرة، فقد رقى فيها أعلى درج، وأما حسن المحاضرة، فناهيك به وكأنه أبو الفرج، وأما الترسل، فله على الفاضل فضل، وأما صناعة التجنيس والترصيع، فبينه وبين العماد ضمير فصل:

هَذَا أَرْقُ مُحَاسِنًا وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرُ
وَأَمَّا تَارِيخُ مَنْ غَبَرَ، فَهُوَ بَحْرٌ سَعْدٌ بِدُرٍّ أَصْدَافُهُ، وَأَمَّا حِفْظُ الْأَثَرِ،

(١) «طيب السمر» للحمي (١/ ٦٢)، «البدر الطالع» (١/ ٤٥).

فهو ذو المنزلة التي فاقت وما اتفقت لأسلافه : شعر :

فقد وجدتُ معاني الفضل باهرةً فإن قدرتَ على أوصافه فصِفِ

وأما الشعر، فهو أدنى منازلَه، وأيسرُ فضائله.

ولد بكوكبان، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر العلماء والأعيان؛ كالسيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل، والقاضي المحقق عبد الرحمن بن محمد الحيمي، قرأ عليه جميع «شرح الكافية للرضي»، وأجازه إجازاتٍ عديدةً حافلةً، أشار فيها إلى عليّ مقداره، وقفت عليها.

وله شيوخ كثيرون، ومؤلفاتٌ منها: «ترويح المشوق في تلويح البروق»، وهو كتاب إن نظرت إلى حسن سياقه، هز منك الأعطاف ذلك السياق، أو إلى بديع اتساقه، ثملتَ سكرًا من صناعة ذلك الاتساق، أو تأملت عجيب استطراده، وتصيده للشوارد بقوة استمداده، قلت: سبحان المانع، ما أقوى ملكةً مؤلفه، على اقتياد الجوامح! إلى عبارات حلوةٍ، وبلاغةٍ هي من الكمال في الذروة، ولطائف فقر، وبنات فكر، تورث الحليم صبوة، وغرائب مسائل علمية، ونكاتٍ أدبية، تزهى بفنون حلاها القراطيس، وتجذب بعيون محاسنها الأرواح فكأنها مغناطيس.

وقد قرظ له عليه علماء عصره، ومنهم: السيد العلامة محمد بن إبراهيم ابن المفضل، فقال في مدحه:

ما صبا قلبي لتأليفِ حوى غررَ الحسن كترويحِ المشوقِ
كلما كررت فيه نظراً زاد حسناً فهو يحلو ويروقُ
كتبُ الآداب عن آخرها قدره يعلو عليها ويفوقُ

صاغه شمسُ المعاني مَنْ غدت تستمد الشمسُ منه في الشروق
سابقُ طرفُ علاه نطقت بلسانِ الحال هيهاتَ للحوق
دام في منصب علمٍ شامخٍ ما صبا صبُّ لتلويح البروق
ومن شعره القاضي بأنه إمام فنونه، ومالك أبكاره وعُونه: قوله: ... (١).

[٥٢٢] أحمد بن حسن ابن الشيخ سنان الدين القاضي (٢).

جاحظ الروم، والمقدم فيهم بضروب العلوم، أخذ العلم ببلاده عن والده، وعن العلامة يحيى المنقاري، وغيرهما من أفاضلهم، وحضر دروس شيخنا محمد بن علاء الدين بمكة، لما كان أبوه قاضياً بها، وأجازه في عموم طلبته، وبالع أفاضل العصر في الثناء عليه، ودرس وأفاد الطلبة.

وتولى قضاء حلب، وغيرها من الممالك العثمانية، ثم تولى قضاء مكة، عام ثلاثة وثمانين بعد الألف، وسار أحسن سيرة، وعقد بمجلس الحكم درساً، وكان مما قرأه: شرحه على الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، الذي سماه: «إشارات المرام من عبارات الإمام»، وحضرت درسه في مجالس فيه، توفي سنة ثمان وتسعين وألف بالقسطنطينية - رحمه الله - رابع عشر جمادى الأولى، وكتب أهل الحرمين منه نسخاً عديدة، وهو شرح بديع لم يسبق إليه في حسن العبارة، وجودة السبك.

ثم تولى قضاء القسطنطينية، وصار هو المشار إليه، ثم حطت مرتبته

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» صفحة وسبعة أثمان صفحة بياض، وغالباً أن هذه الترجمة مرت».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠٢)، «خلاصة الأثر» للمجبي (١ / ١٨١).

بسبب نكتة وقعت له في قضائه، وهو أنه رُفِعَ إليه رجلٌ وامرأةٌ زنيا، وأقر الرجل وهو محصنٌ، فأمر بإجراء الحكم الشرعي عليه، وهو الرجم، فسمعت الموالي وقضاة العساكر بذلك، فنصحوه عن ذلك؛ بأن هذا - وإن كان أمراً شرعياً - لكنه ينكر في مثل هذه الأعصار، والأولى دفعه بحيلةٍ ووجهٍ شرعيٍّ مخلصٍ في الظاهر، فامتنع من ذلك، ولم يقبل قولهم، فمن حيثئذٍ نزلت مرتبته، ولم يُولَ بعدها منصباً حتى توفي سنة ثمان وتسعين وألف تقريباً.

ولشعراء عصرنا فيه مدائح كثيرة، منها: قول صاحبنا الأديب البارع، عبد الرحمن بن محمد الذهبي الدمشقي:

ماذا يضرُّ تفرُّقُ الأبدانِ	من صادقين إذا التقى القلبانِ
والحبُّ ينمو في القلوب على النوى	والبعدُ ليس بموجب السلوانِ
والدهرُ نازعني رداءً شبيبتني	ظلماً وملِّك للمنون عُناني
ونأى الحبيب فخانني صبري الذي	أعدتُه لنوائب الأزمانِ
وتوقدت نارُ الخليل لبعده	وجفا لجفوته الكرى أجفاني
وأبيك ما بعد الحياة بهين	والحتفُ أدنى غاية الهجرانِ
والقلبُ في الدنيا بغير أحبة	كالجسم في الأخرى بلا إيمان ^(١)

(١) جاء في الحاشية: «قال الشيخ عبد الرحمن الذهبي في «تراجمه» عند ترجمة أحمد ابن حسن المذكور، فمما امتدحه به الفاضل عبد الباقي، وهو إذ ذاك كان قاضياً بمدينة حلب، وأجازه عليها بخمسين ديناراً، واعتذر إليه بعدم... والاستكثار: قوله: ماذا يضر تفرق الأبدان، إلى آخره، فأفاد أنها ليست للشيخ عبد الرحمن الذهبي المذكور، ولو كان عبد الباقي حياً، لكان عليه غيور.

ومنها :

قسماً بأيام الوصال وطبيها	عندي وذلك أعظمُ الأيمانِ
إن البقا من بعد سكان النقا	عينُ العناء وأكبرُ الخسرانِ
والدهرُ كالخِلِّ الكذوبِ تقلُّبا	فودادهُ وعناذهُ سيَّانِ
ولربَّ صادحةٍ على باب اللوى	سحراً تثير سواكنَ الأشجانِ
تبكي على غصنٍ بكايٍ لفقده	فجميعنا يبكي على الأغصانِ
ذاكرتها درسَ الهوى ومدامعي	منهلةٌ بسواقطِ المَرَّجانِ
والسحبُ تندبُ والرياضُ بواسمُ	والشهبُ مثلُ أسنةِ المُرَّانِ
وكان ليلتنا بها زنجيةٌ	تُجلى بأسلاكٍ من العقيانِ

ومنها :

والبرقُ يلمع في خلالِ سحابها	كصوارمٍ سلَّت من الأجفانِ
والريحُ تعبث بالغصون كما ثنى	سكرُ الشمول معاطفَ النشوانِ
والماء يسري في الرياض كما سرت	سِنَّةُ النعاس بمقلَّةِ الوَسنانِ
وخيال طيفٍ زار في سِنَّة الكرى	فأعاد لي روعي وردَّ جناني
وتمتعت ليلاً على رغم العدا	أرواحنا سرّاً من الجثمانِ

ومنها :

إنني اهتديت لك البقاء وبيننا	بحرانٍ من غسقٍ ومن كُثبانِ
يا من خلعتُ لبعده ثوبَ الهنا	ولبست ثوبَ مذلةٍ وهوانِ
لولا التعلُّل باللقاء تقطعت	روحي أسَى وتهدمت أركانِي

وأظنتني أقضي سلمت صباية
لا بل أظن الدهرَ يسمح بالمني
أمرِضَ حظي ثَقُ بخلاقِ الوري
ومؤملُ المعروف منهم كالذي
أو عابدِ النيران يلقى حرَّها
إلا الذي جمع الفضائل والنهي

ومنها:

مولى إذا بخل الغمامُ تفجرت
لو صادف البحرُ المحيطُ بنانه
أو صادف الفلك الأثير بعرفه
أو لم يكن قوس السحاب على الوري
علامة الدنيا وطودُ علومها
مُحيي الدوارس والمدارس أحمدُ
هو سعدُ هذا العصر والعدلُ الذي
فالجور في مُقل الحسان مفرَّق
والسيدُ المنطيقُ صاحبُ ذيله
ما فاه إلا جاء طبق مقالهِ
يقضي فيرضي الجانبين بحكمه
وكانما الدنيا جناحُ بعوضة

من قبل أن يُقضى لنا بتداني
إن الجميل عوائد الرحمن
سبحانه فالخلقُ كالأوثانِ
يشتار شهداً من فم الثعبانِ
ودخانها حذراً من النيران
عينَ الوجود وملجأ الأعيانِ

من راحتيه جداولُ الإحسان
غرقَ المحيطُ ببحرها الهتانِ
وقفت كواكبُه عن الدورانِ
لم يأمَنوا وندها كالطوفانِ
والفضلُ ليس بممكنِ الكتمانِ
ثاني الخليل ووارثُ النعمانِ
بالعدل أنسى صاحبَ الإيوانِ
فرقاً ولم يظلم سوى العدوانِ
وبيان منطقهِ على سخبانِ
حكم النبي ومحكم القرآنِ
فتراه محموداً بكل لسانِ
زهداً لديه عن الحطام الفاني

يا ثالثَ القمرين والعُمَرين والـ ففرد العزيز وماله من ثاني
أنا عبدُ نعمتك الصدوقُ وربما تغني الفراسةُ عن نَبَا البرهانِ
أنا مَنْ علمتَ وكيف تخفى حاله عمن يُسِين دقائِقَ العرفانِ
فاقبلَ قريضَ مقصرٍ في مدحه واغفرْ فأنتَ أحقُّ بالغفرانِ
لم يلقَ ما يُهدى إليك سوى الشنا والدرُّ لا يُهدى إلى عَمَّانِ
لا زلتَ مسعودَ الجنبِ ممتعاً في حلبة الشهباء بالشهبانِ
ما صافحت ریحُ الصَّبَا زهرَ الربى وسرى النسيمُ على غصون البان^(١)

[٥٢٣] القاضي أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي .

خطيب جامع شبام، وسليل مستنبط الأحكام، الشاب الماجد اللطيف
الذي ما بلغ العشرين إلا وصنف، وقرط آذان العلوم وشنف، فهو غصن
دوحة الوفا، وزهرة عنصر أهل الصفا، مقلد جيد الزمان بقلائد عقيان آدابه،
وملبسُ شخوص تلك الأسجاع لطائف آدابه ونقابه، صاحب الفكرة الوقادة،
والقريحة المنقادة، ولعمري إن ما وصفته به هو بعض سجاياه، وأقل مما في
كثير مزاياه، مع جبين كالللال، ووقار عليه سيما الجلال، حماه الله من عين
الحسود، وحرس ذاته عن الأسواء بطوالع السعود.

من شعره - سلمه الله - قوله :

عقدٌ على عنق الحسناء منضودٌ أم المدامةُ أبدتها العنايِدُ
أم النسيمُ سرى وهناً فكان له بين الجوانح للمشتاق تبريدٌ

(١) جاء في الحاشية : «بعد هذا صفحة بياض» .

وأذكر الصبَّ أيامَ النقا وروى
فها أنا وحديث النازحين معاً
هيجت لي يا صبا نجدٍ قديمَ هوى
أذكرتني يوسفَ الحسنِ البديعِ ومن
وكيف أنساه إن جار البعاد وفي
من ثغره إن تبدى كالعقود على
وإن بدت في دجى الأسحار طلعتُه
وإن رنا لحظه أو لاح عارضُه
لا غرو أن تضحك الأزهارُ معجبة
لسيفِ الحافظه حدٌ وليس له
ما زال مجتهداً في صدّه
كشفتُ حالي عسى يرثي إذا وصفت
فجردَ السيفَ يهوى قتلتني فله
عن معهٍ هو بالأفراح معهودُ
بما طوى النشر مسرورٌ ومسروُدُ
له ببالي على الأيام تجديدُ
له فؤادٌ كقاسي الصخر جلمودِ
سجن الفؤاد له والله تخليدُ
بديده فلدرّ العقدِ تبديدُ
فلي وللطرف تسهيدٌ وتسهيْدُ
فالسيفُ والروضُ مشهورٌ ومشهودُ
في خدّه ولشعرِ الصدغِ تجعيدُ
في الحسن حدٌ تراه وهو محدودُ
من دُرٍّ دمعي وظلمي فيه تقليدُ
والعطف عند خد الغزلان مفقودُ
كما علمت على الكشافِ تجريدُ

[٥٢٤] الإمام أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم .

مولده سنة تسع وعشرين وألف، وأرخه الأديب الأريب علي بن إدريس
الليبي فقال :

جاء مولودك السعيدُ بشيرا بالعلا والهنا ويسر بعود
قيل أرخُ وجوده قلتُ فارقم (خلف صالح ولي سعيد)

دعا بعد موت عمه الإمام المتوكل على الله المهدي لدين الله إسماعيل،

ودعا أيضاً السيد الفاضل القاسم ابن الإمام محمد المؤيد بن القاسم، وتكنى بالمنصور بالله، وأجابته جميع قبائل القبلة والمغارب، وغيرهم من الرؤساء، فكلهم دخلوا تحت طاعة الإمام المهدي.

وكان الإمام المهدي في «الغراس»، والإمام القاسم في «شهارة»، ولا زالت الكتب والمراجعة بين الإمام المهدي والإمام القاسم، ولم يلتئم حال بينهم، فأرسل الإمام المهدي السيد الحسين بن محمد بن أحمد بن أبي طالب إلى خَمِر؛ ليقبض ما يصل للإمام القاسم من سياق طعام، وأن لا يفتح باب خلاف، ولا يتعرض لما لم يؤمر به.

وكانت البلاد المذكورة قد دخلت تحت طاعة الإمام القاسم، فلما بلغه ذلك، جهز ابن أخيه إبراهيم بن الحسين ابن الإمام محمد المؤيد بن القاسم، إلى جهة ذيبين، مقابلاً للسيد الحسين بن محمد، وحصل بين إبراهيم وجماعة المهدي حربٌ كبيرٌ، وأُسر إبراهيم بن الحسين، وجيء به إلى المهدي، فأكرمه، وأرجعه إلى عمه.

ثم لما رجع إلى عمه، ووصل الإمام المهدي إلى تحت شهارة، جهز القاسم ثانياً إبراهيم بن الحسين بن المؤيد بجيوشٍ كثيرة، فارتفع الإمام المهدي من الغيرة إلى خاشف، فكتب إليه إبراهيم أنه يدخل حرمة السمسرة، التي بخاشف، خشية عليهم من العساكر التي معه، فلم يفعل المهدي ذلك، ووقع حربٌ عظيمٌ في الأبرق، وأُسر إبراهيم ثانياً، وأُتي به إلى المهدي، فأمر بإدخاله إلى السمسرة.

وفي أثناء ذلك طلب السيد علي بن الحسين الحجاف من الإمام القاسم إرسال جماعة وأمير من عنده إلى الصلبة، من بلاد حَجَّة؛ ليبقوا بها رتبة،

فأرسل الفقيه أحمد العفاري، وجماعةً من العسكر، ومن جملتهم: ابن أبي راوية.

فلما بلغ الإمام المهدي ذلك، جهز السيد أحمد بن محمد بن الحسين ابن الإمام القاسم، وولده السيد علي ابن الإمام المهدي، والأمير الشهير عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب، صاحب كوكبان، إلى الصلبة، والبقاء فيها من غير إحداث حربٍ وإثارة فتنة، فوصلوا هناك، وحصل الحرب بينهم من قبل الرتبة التي أرسلها الإمام القاسم، وآل الأمر إلى نهب الصلبة بأجمعها، وقتل جماعة، منهم ابن أبي راوية، وكان مقداماً شجاعاً، من أهل بيت طيب بظليمة، من حاشد، وخرج الفقيه أحمد العفاري مستسلماً.

ثم في شهر شوال خرج الإمام المهدي من الغراس، بعد أن كتب إلى السيد أحمد بن المتوكل وهو بشهارة، منعزلاً في الظاهر عن طاعة الإمامين الداعيين، وفي الباطن مع الإمام المهدي: أن يجمع العلماء وأهل الحل والعقد؛ لينظروا الأصلح.

ووصل الإمام المهدي بجنوده إلى الغيرة: وإد تحت شهارة، ثم التقى الفريقان، فانهزم أصحاب الإمام القاسم، وكتب إلى الإمام المهدي بالطاعة والتسليم، والدخول في تلك الجماعة، ونزل الإمام القاسم إلى الإمام المهدي، واتفقا ساعة، ولم يحضر بينهما أحد، وكان في ذلك دخوله في الطاعة، وتسليمه للأمر.

وصلح الحال، وانحسرت مادة الشقاق، وعين الإمام المهدي لبلاد الشرق عليّ ابن الإمام القاسم، واستقر القاسم بشهارة، ثم توجه الإمام المهدي إلى الشام، ولبت في صعدة مدة، وعاد قافلاً إلى الحطاب، من بلاد همدان،

وخرج الرؤساء من بني القاسم لملاقاته، ثم دخل الغراس بأبهة عظيمة، ولبث بها أياماً، ثم دخل صنعاء، ولبث فيها مدة، ورجع إلى الغراس.

ولم يزل متنقلاً في برج السعادة، واجتمعت كلمة اليمن إليه، وسار سيرة حميدة، إلى أن توفي في شهر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وألف بالغراس، ودفن بإزاء الجامع الذي عمره، ويُنِي عليه قبة عظيمة، ورثاه شعراء العصر بقصائد كثيرة^(١)، ومنهم: صاحبنا القاضي العلامة يوسف بن علي الكوكباني، فقال:

مصائبُ بنى منّا القلوبَ على الكسرِ	وأعربَ عن رفع السلوِّ إلى الحشرِ
وواقعةٌ منها الورى في تغابنِ	وقارعةٌ منها بنو العصر في حُسْرِ
منها:	

فدع جفنك السفاح يرسل دمعَه	نجيعاً على المهدي الرشيد إلى الخير
ومنها:	

هنيئاً لتربِ ضمَّ أعضاء أمة	لتربِ جديرٍ أن يُوازنَ بالتبرِ
ومنها:	

مضر وكذا السيف المشطب وانتهى	إلى جنة أنهارها أبداً تجري
بكيتُ عليه بالقريض وأدْمُعي	وأحسنُ ما يُبكي على البحر بالذُرِّ
وهي طويلةٌ بديعةٌ.	

(١) يلاحظ أن المصنف - رحمه الله تعالى - اشتغل بالحوادث الجارية في عصر المترجم عن تفصيل ترجمته.

[٥٢٥] أحمد بن حسين بن أبي بكر بن سالم باعلوي الحسيني .
شهاب الفضل الثاقب، الشهير المآثر والمناقب، أحد أولئك الجلة،
وأوحد تلك البدور والأهلة، واحد العصر، وثاني القطر، وثالث الشمس
والبدر، وكعبة الآمال، ودولة الإقبال.

ولد بقرية «عينات»، المحفوفة بالبركات، ونشأ في وادي المكارم
وناديه، وترى تحت حجر أبيه، وشب في الفضائل واكتهل، وهى صيب
فضله واستهل، فجرى في ميدانه طلق عنانه، وجنى من روض فنونه أزهار
أفئانه، صحب أباه الحسين، وعمه الحسن، واتصف من الأوصاف بالحسن،
وأحلت السعادة دارها، وأمكنته الرياسة من نفسها، فحسرن وجهه نقابها
وخمارها، وكان كجماعته على طريقة البادية، أبدانهم وشعورهم نادية.

ولما توفي أبوه، اتفق أهل عصره على تقديمه، وأنه أحق بالمنصب
حديثه وقديمه، وخطبته أبحار المعالي، وغالته جفون البيض، مشيرة إلى
صدور السمر العوالي، فقام مقام أبيه، وشيد معاني مبانيه، وصار كضوء على
علم، وجلا بسناء نوره الظلم، وشابه أباه، ومن شابه أباه فما ظلم، وأطقاً بنوره
أنوار غيره وأحمد، وأعجز من بعده ولا بدع إذا ظهرت معجزة أحمد.

وانعقدت عليه خناصر الملا، وكان بحراً لا يكدره الدلا، طالما طاف
حول داره ركب الوافدين، وطاب لديه شرب الواردين، أزرى كرمه بالبحر
وإن جاشت غواريه، وعلت أمواجه وهاجت عجائبه، وكانت ترد عليه النذور
والأموال، على ممر الأيام والليال، وهو يفرقها على الفقراء والمساكين،
والغرباء الوافدين، وقصده الغادي والرائح، ومدحه الفضلاء بأحسن المدائح،
فغمرهم بالفضل والسماح، وأغناهم عن الطلبة والاقتراح.

وكان في «عينات» مالك أزمة أمورها، ومرجع جمهورها، وكانت أخلاقه كالروض الوسيم، وأنواره يُقتبس منها في الليل البهيم، وكان يملك نفسه عند الغضب، ويكظم الغيظ إذا قدر وغلب، مقبول الشفاعة عند الملوك والأمراء، يمثل أمره في السراء والضراء، واستمر على هيئته وعظمته، وعلو منزلته وجلالته، فارغ البال، من التكدر والبلبال.

إلى أن انقضت أيامه، وتنبه له من داعي المنون نيامه، فتوفي في صبح يوم الجمعة، لثمان خلون من جمادى الأولى، سنة إحدى وستين بعد الألف، ودفن بمقبرة عينات الجديدة، عند قبور أسلافه - نفع الله بهم -.

[٥٢٦] أحمد بن الحسين الحمولي اليمني.

صاحبنا الفاضل الأديب، العالم المتفنن الأريب، الجامع بين العلم والأدب، والمنفق نفيس عمره في الطلب، ولد بالمسودة من مغارب شهارة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، واشتغل بفنون العلوم، وأخذ عن السيد العلامة محمد ابن إبراهيم المفضل وغيره، وبرع وترعرع، وأفاد وأجاد.

اجتمعت به بمدينة اللحية، عام أربع وتسعين بعد الألف، وحصل بيني وبينه مودة أكيدة، ومحبة شديدة، وأنشدني له شعراً كثيراً.

منه: قوله يمدح شيخه السيد العلامة الحسن بن المطهر بن محمد الجرموزي الحسني، أمير المخا، وكنت رسوله فيها إليه:

عَرَّجْ بِسَلْعٍ وَإِنْ رُوِّغْتَ بِالْعَذْلِ	واقِرَ السَّلامِ عَلَى مَنْ فِيهِ عَنْ كَمَلِ
وعَفِرِ الْخَدَّ فِي سَفْحٍ وَلَعْتَ بِهِ	وَبَثَّ شَكَاكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى الطَّلَلِ
واستنشَقِ الرِّيحَ بِالْأَنْفَاسِ عَاطِرَةً	وسَارِقِ الْوَمُضَّ مِنْ سِتْرِ وَمِنْ خَلَلِ

وَمَتَّعَ السَّمْعَ مِنْ حَادٍ رَوَاتِهِ
تُرْوِي عَهْدَ زَمَانٍ بِاللُّوَى سَلَفَتْ
عَرَضَ بِذِكْرِي وَقَلَّ عَهْدِي كَمَا عَهَدَتْ
لَا تَكْثُرِ الْمِيلَ وَالْإِصْغَا لَطَائِفُهُ
إِنْ لَمْ تَجُودُوا بِوَصْلِ مِنْكُمْ كَرَمًا
وَدَامَ هَذَا التَّمَادِي فِي بَعَادِكُمْ
شَكُوتُ حَالِي إِلَى مَنْ جُودُ رَاحَتِهِ
سَامِيَ الْمَنَاقِبِ مَحْمُودِ خِلَافَتِهِ
مُعْطِي الْمَوَاهِبِ وَالْأَجْوَادُ عَابِسُهُ
مَلِكُ أَنْفَ بِهِ مَجْدٌ وَسَاعَدُهُ
نَجْلُ النُّبُوَّةِ مِنْ أَبْنَاءِ فَاطِمَةِ
مَا زَالَ لَا زَالَ يَطْوِي كُلَّ مَتَشَرٍّ
فَقُلْ لِمَنْ رَامَ مَرْقَاهُ وَغَايَتَهُ
فَقَدْ حَوَى كُلَّ مَا فِي النَّاسِ مِنْ حَسَنِ
فَهُوَ الَّذِي يَدُهُ الْبَيْضَا وَصَنَعْتُهَا
سَارَتْ بِهَا الرِّكْبُ سِيرَ الشَّمْسِ مَفْصَحَةً

ومنها :

حَدِيثُ عِزَّةٍ فِي الْأَسْفَارِ وَالطُّفْلِ
سَحَبْتُ فِيهَا ذِيُولَ الشَّارِبِ الثَّمَلِ
مَا خُنْتُ فِيهِ بِتَغْيِيرٍ وَلَا بَدَلٍ
تَزِينُ الْهَجَرَ بِالْإِعْرَاضِ وَالْمَلَلِ
عَلَى مَحَبِّ صَبُورٍ بِالشَّجُونِ مُلِي
وَحُلَلْتُ عُقْدُ التَّالِيفِ وَالْوَصَلِ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ مِنْ حَافٍ وَمَتَّعِلِ
عَالِي الْمَنَاصِبِ فِي أَسْلَافِهِ الْأَوَّلِ
مَفْنِي الْكُتَّابِ وَالْأَبْطَالُ فِي خَجَلِ
جَدُّ وَأَيْدِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
رَفَى بِهَمَّتِهِ الْعَلِيَا عَلَى زُحَلِ
مِنْ الْمَمَالِكِ فِي عِزٍّ عَلَى مَهَلِ
قَصَّرَ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْجُودِ مِنْ مَثَلِ
غَدَا لَهُ عِلْمًا يَدْعَى بِلَا حَوْلِ
نَسَجُ الْمَكَارِمِ لِلْعَافِينَ عَنْ عَجَلِ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فِي حُلٍّ وَمَرْتَحَلِ

له العناية من مولاه في الأزل
أن تدعيه فقل حاولت بالخطل

هذا هو الجوهر الفرد الذي انعقدت
يا بعد ما تتمنى نفس ذي شرف

هذا المعدُّ لريب الدهر فاعنَ به ينجيك إن لذتَ من خوفٍ ومن وِجَلٍ

ومنها:

هذا الكريمُ يرى الدنيا محقَّرةً كأنها عنده في البذل كالوِشَلٍ
تراه مستبشراً يوماً بسائله يعطيه لانتَه كالعارض الهطل
لا من يخشاه إن أعطاه نائله صارت مواهبه بالخيل والخَوَلِ

ومنها:

إن كنتَ ممتدحاً فاذكر مكارمه صدقاً وليس كمدح قيل في رجلٍ
قابلتُ أفضلَ سوحٍ بالمديح فإن قَصَّرتُ فالتقصُّ والتفريطُ من قبلي
ما في الممدوح ما يحوي فضائله أزرت بكامل بحر الشعر والرمَلِ
نجلُ المطهر من طابت مغارثه نشأ بحجر إمام في العلوم علي
تُثني عليه علومُ العقل أجمعها والنقلُ لا مريّة في الأخذ عن كملٍ

ومنها:

صلى عليه إلهُ العرش كلَّ ضحى بعدَ المشفّع فينا خاتم الرسلِ
والآلِ ما ذُكروا في الأرض قاطبةً وما دعا الله من داعٍ ومبتهلٍ

[٥٢٧] أحمد الحُمَيْدي قِراجة .

أحد علماء الروم، له «ذيل على الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية»، أحسن فيه وأجاد، توفي سنة أربع وعشرين وألف، قاضياً بالقدس، وله «حاشية على الدرر والغرر» في فقه الحنفية.

[٥٢٨] الملا أحمد بن حيدر الحريري الحسين آبادي الكردي الشافعي .

الإمام المحقق الشهير، قرأ على والده وغيره، من مؤلفاته: «خماسية» على شرح العقائد العضدية» للجلال الدواني، و«حاشية على حاشية العصام على البيضاوي» و«حاشية على الشفا» لابن سينا .

توفي سنة ثمانين وألف ببلاده - رحمه الله تعالى - وهو والد العلامة حيدر، وشيخه الملا أحمد الشهير بأخي المارديني الحنفي، علامة في جميع العلوم، مولده سنة أربعين، أخذ عن علي الرومي، وهو موجود الآن .

[٥٢٩] أحمد بن خليل بن إبراهيم السبكي الشافعي ^(١).

إمام فاضل، إذا جمعت الفضائل، فهو منتهى الجموع، وعالم كامل، كماله كثر الجنة غير مقطوع ولا ممنوع، لم يمض له وقت في غير العبادة، ولا ساعة في غير الاستفادة والإفادة، بوجه أبلغ وضاح، يلوح من غرته نور السداد والصلاح .

وُلد بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن النجم الغيطي، وعن محمد بن إبراهيم الصوفي الواعظ، تلميذ الشيخ محمد بن عراق، ومن في طبقة من علماء وقته، ولازم في الفقه وغيره الشمس محمد بن أحمد الرملي، وعنه: شيخنا سلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وغيرهما، وكان له مهارة في علوم الحديث، والعلوم النظرية، وفقهه بتكلف .

واتفق لشيخنا سلطان معه: أنه حضر معه يوماً في صلاة الجمعة، في مسجد صاحب الترجمة إماماً فيه، وكان من عادته أن يقدم ولده للخطبة،

(١) «خلاصة الأثر» للمجبي (١ / ١٨٥)، «الأعلام» للزركلي (١ / ١٢٢) .

ويعصلي الجمعة بنفسه، فلما فرغ ولده من الخطابة، تقدم للصلاة إماماً على عادته، فأمسك بيده شيخنا سلطان، وقال له: يا سيدي! تفيدوا أن من شرط إمام الجمعة أن يكون خطيباً، أو سمع الخطبة، وكان صاحب الترجمة عرض له ثقل في سمعه، فقدم ولده حينئذٍ للصلاة بدله، وقال لشيخنا سلطان: جزاك الله خيراً.

وله مؤلفات كثيرة مفيدة شهيرة، منها: شرح منظومة السيوطي في أحوال الموتى سماه: «التبیت علی التبیّت»، وكانت وفاته بمصر...^(١)، وله شرح على منظومة ابن العماد في النجاسات المعفو عنها، سماه: «فتح المبين بشرح منظومة ابن عماد الدين».

[٥٣٠] أحمد بن خليل السلموني الشافعي المصري^(٢).

جامع أشتات المعالي، وحسنة الأيام والليالي، علامة الزمان، ووحيد الأقران، والمشار إليه بالبنان في البيان، زين الأكابر والأمثال، ورأس الأعيان والأفاضل، ومقصد الملتمس والسائل، ومحط رحل أمل الآمل، حسن الأخلاق، حلیم النفس، يلتذ بالعفو عن الزلة؛ كما يلتذ الأحق بالعقاب عليها، مشكور السيرة، صافي السريرة، محمود في فضله، له مهارة جيدة، في فنون متعددة، وأشعاراً أنيقة، حسنة السبك رقيقة.

منها: قوله يمدح محمد بن محمود الكفوي، القائم مقام قاضي مصر المحروسة:

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ، وغالباً أن هذه الترجمة مرت».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٧).

ما الذي وسق الأحشاء بالنصلِ
أذاك زرقُ عوالٍ من كُماةٍ وَغَى
أم هي عيونٌ بأوتارِ الجفونِ رمت
أم هي سيوفٌ لحاظٍ في الحشا فعلت
أم هي خناجرٌ طعنٍ في الحناجرِ مَنْ
أم هي رماحٌ قدودٍ لا يعادلها
بيضُ الوجه لها بيضُ الصفاح بها

ومنها :

ما لي وعشقٍ ملاح من محاسنها
واجيرتي ألا عزاء للغرام بذا
أصبو لذاك ولا أصغي لذَيْنٍ ولا
لكنني في الهوى أصبحتُ ذا وَلَهٍ
أشبهتُ ما صلةً والغرُّ يحسبني

ومنها :

أنى الوصولُ إلى نيل العوائد
من لي بذلك والألحاظُ تسلبني
ما بالناسِ معشرَ العشاق تأخذنا

ومنها :

ونحن في الحرب أقوى ما نكون إذا

ولم يدع موضعاً فيها لمتصلِ
أو ذاك رشقُ نبال من بني تُعلِ
سهامَ الحاظها قسي الحواجب لي
فعال سيفِ أميرِ المؤمنين علي
رنا محاجرَ تلك الأعينِ الثُّجَلِ
في القدِّ سمرُ القنا العسالةِ الذبلِ
سودُ العيون لها السمرُ الرماح حُلِي

تُبدي أحدَ سلاحٍ مرهفٍ صَقِلِ
الجمال أجنح للوَّامِ والعَذَلِ
أسلو حلاوةَ مصرٍ الريقِ والقُبَلِ
ومنه أمسيَتْ شبهَ الذاهلِ الوَهْلِ
ذا عائدٍ موصلًا والحالُ لم أصلِ

والصلات من فاترِ الأجفان والمُقلِ
سلبَ المدامة لبَّ الشاربِ الثملِ
في السلم تلك الرنا أخذاً على عجلِ

تقارعت في الطُّبَا الأبطالُ في الأسلي

وبعد ذاك القوى والعزم تنظرنا
 نهباً لألحاظ تلك النعس الكحل
 تَخْشَى وتَخْشَى سوادَ الطرفِ والكحل
 الله أكبرُ كم من ناعس غَنَجِ
 أردى وجندلَ كم من فارسٍ بطلٍ
 منها:

ولم أجد ملجأً آوي إليه حمى
 للأئذ الملتجي والخائف الوجِلِ
 إلا جنابَ عزيزٍ أيُّ معتلٍ
 بجاهه ناجحٌ في القول والعمل
 ومنها:

حلُّ الحديث صحيحٌ لفظه حسنٌ
 مسلسلٌ مرسلٌ أحلى من العسل
 ومنها:

منِّي له الحبُّ وقفٌ ثم إذ هو لي
 كافٍ بما أتمنى أيُّ محتفلٍ
 وهي طويلةٌ.

وكانت وفاته في خامس شعبان، سنة سبع وثلاثين بعد الألف بمصر.

[٥٣١] أحمد بن خليل بن علي الأطاسي، التركماني الأصل، الحمصي الحنفي^(١).

قال ابن الحنبلي في «تاريخه»: دخل حلب، ولازم الشهاب الأنطاكي، ثم عاد إلى حمص، وقد زاد علمه، وولي تدريساً، والنظر على مقام سيدي

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٣) (١٠٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٤).

خالد بن الوليد رضي الله عنه ودخل دمشق، وتزوج بها أخت مفتي دمشق الشيخ عبد الصمد العكاري، ثم قدم في صحبته إلى حلب، حين كان السلطان سليمان بها، سنة إحدى وستين وتسعمائة، فأعطي بعنايته تدريس الخزاعية بدمشق، ثم أعطي الإفتاء بحمص. انتهى.

قلت: وبقي بعد ذلك يتردد إلى دمشق، وكان فاضلاً صالحاً معظماً، وكان شيخنا القاضي محب الدين يترجمه بالعلم والتحقيق، والتفنن في العلوم، ويقول: إنه من أقران شيوخه.

قال الحنبلي: وجده عليّ هو العارف بالله تعالى، الذي أخبر عنه الشيخ محمود الصوفي، صهر الشيخ علوان الحموي: أنه ظهرت له كرامة بعد موته؛ لأنه لما وضع بين يدي الغاسل، انسحبت الخرقاة الساترة للعورة، فمد يده وسحبها؛ بحيث انستر منه ما كان انكشف.

توفي يوم الاثنين، حادي وعشري جمادى الآخرة، سنة أربع وألف، عن نحو تسعين سنة - رحمه الله -.

[٥٣٢] أحمد خليفة الوديني.

- بكسر الواو والبدال المهملة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وكسر النون -: نسبة إلى بلدة من بلاد الروم، على ضفة نهر طونة، تجاه ولاية أفلاق، ولد بها، واشتغل بتحصيل العلوم أولاً، ثم سلك الطريقة، واتصل بخدمة الشيخ بالي خليفة الصوفية، واجتهد عند، إلى أن حصل له شأن في التصوف، وصار من جملة خلفائه، ثم سكن بوطنه المزبور، وكان شيخاً صالحاً معمر الظاهر والباطن.

[٥٣٣] أحمد خليفة المعروف بدده عمري .

كان من طائفة عمر ، وهم جماعة ساكنون بموضع بين بلدة بياس وقرية قردتولاقي ، من مضافات آذنه ، وكان شيخاً صالحاً ، عالماً مرشداً كاملاً ، صاحب أحوال صادقة ، وجذبات قوية .

[٥٣٤] أحمد بن روح الله الأنصاري^(١) .

العلامة الشهير ، له «حاشية على البيضاوي» وصل فيها إلى سورة الأعراف ، توفي سنة تسع وألف .

[٥٣٥] السيد أحمد بن ركن الدين الجرموزي أبو عبدالله الحسني .

- نور الله ضريحه - الأديب الناظم النائر ، كان هذا السيد فاضلاً أديباً بديع الترسل ، لا يجارى في مضمار الفصاحة ، استطرد ذكره صاحب «قلائد الجواهر» في أنباء السادة آل المطهر ، وقال في حقه : وهو فاضل مشهور ، وهمام لواء محامده منشور ، [إن] أنشأ فما الفاضل ، أو خطب فما سحبان وائل ، أو نظم فما النجوم الزواهر ، أو خاطر فما الروض الناضر ، وأطنب في صفته إلى الغاية .

وكان مولده بعتمه ، واشتغل في صنعاء بفن الأدب ، ولم يزل بعد ذلك متصلاً بالسيد شرف الدين الحسين بن مطهر الجرموزي مؤيداً له في عتمة ، ثم اتصل بعد وفاته بأخيه السيد رضي الدين جعفر في العُدين ، وما برح في حضرته مدة توليه لأعمال العُدين ، وهو الذي يسمى قديماً بمخلاف جعفر ، وفيه مديخرة التي كان يسكنها علي بن الفضل القرمطي .

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ١٨٩) .

ثم اتصل صاحب الترجمة بالإمام الناصر الهادي محمد بن المهدي،
وقصده إلى المنصورة قبل أن يلي الخلافة، وولي من قبله أعمال حيس، ولم
يزل بها حتى توفي سنة سبع وتسعين بعد الألف، وقبره بها، وكان كريماً
أريحياً، رقيق الطباع، يتأنق بلبس الفاخر من الثياب، ولا يفارق حضرته أنواع
الزهور والأطياب.

ومن بديع نظمه: ما امتدح به السيد رضي الدين جعفر بن مطهر
الجرموزي، وهي قصيدة في عراض قصيدة ابن المعلم المشهورة، وهي:

سلوه ما غيره من بعدي	حتى لوى وفرّ ما وفى بوعدى
وأبدل الودّ الأكيد بالقلّى	وشان حسن وصله بالصدّ
وغير الودّ اختياراً بالجفا	وذلك القرب بهذا البعد
وجرّ ذيل التيه عني مائلاً	ومن أنا لتيهه ما جهدي
تراه أنسى موقفي على الحما	د وحيرتي ووجدي
وصفو ودّ لم يكدره جفا	أي جفا يتكدر للودّ
أم سمع الواشي الكذوب تعدياً	حتى تناه والكذور بعدي
ما حلت عن عهدي الذي أسلفته	حاشاي أن أرمى بنكث وعدي
أو أن يفلّ الدهر حدّ صبوتي	وهي التي جازت أقاصي الحدّ
أحبّابنا بحق من أعطاكم الـ	حسن وأعطاني الغرام وحدي
رفقاً بعبد أنتم ملاكه	ما أجدر المولى بحفظ العبد

ومنها:

إن كان رشداً ما يهول عدلي لديكم بي عدمت رشدي

أَصْدُ عَنْ مَاءِ الْعُذِيبِ وَالتَّقَا
بِأَيِّ حَكَمٍ وَبِأَيِّ مَلَّةٍ
وَطَالَمَا جَرَّيْتُ أَذْيَالَ الصُّبَا
أَجُوبُ فِيهِ وَالْهَوَى مَطِيتِي
سَقَى الْحَيَا الْمَنْهَلُ أَكْنَافَ الْغَضَى

ومنها:

إِنْ الْحَمَى رُوحِي فِدَا مِنْ حَلَّهِ
لَكُمْ مَا أَلْقَاهُ مِنْ حَرِّ الْهَوَى
أَعْلَلِ النَّفْسَ بَعْلًا وَعَسَى
وَتَلَاهُ مِنْ حَلَوِ اللَّمَامِ الرَّجْفَا
أَطْمَاعُ دَهْرِي وَكَأَنِّي بِالْقَلَى

ومنها:

أَعْوِذُ مِنْ إِعْرَاضِهِ بِحَسَنِهِ
بِجَعْفَرٍ مِنْ فَضْلِهِ بِحَيَاتِهِ
خَيْرَ مَلِكٍ مِنْ بَنِي الطَّهْرِ الَّذِي
أَرُوعُ لَوْ لَاقَى الْهَضَابَ بِأَسِهِ

ومنها:

سَلْ عَنْ عَطَايَاهِ الصَّبَا فَإِنَّهَا

وَعَنْ شَمِيمٍ بَانِيهِ وَالسُّورِدِ
أُذَادُ عَنْ طِيبِ ذَاكَ السُّورِدِ
بَيْنَ ظِلَالِ أَثْلِهِ وَالرَّنْدِ
وَاللَّهُوُ جَدَّتِي وَالْغَرَامُ بَرْدِي
مَرُوءًا لِنُغُورِهِ وَالنَّجْدِ

عَدَا أَسْحَالِي وَجَلَّ قَصْدِي
بِهِمْ وَأَخْفَى وَالدَّمُوعُ تُبْدِي
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهَا لَا تَجْدِي
مَحْصَرِ الْخَصْرِ رَشِيقُ الْقُدُ
وَرَاحُ حَالِي الْبَالُ مِمَّا عِنْدِي

وَمِنْ جَفَا الدَّهْرِ بِتَرْبِ الْمَجْدِ
مَيْتُ الرِّجَالِ لَا زَالَ عَالِي الْجَدِّ
مَا إِنْ لِبَعْضِ فَضْلِهِمْ مِنْ حَدِّ
لِذَابِ خَوْفٍ مِنْهُ صُمُّ الصِّلِ

تَطَفَّلْتُ وَاخْتَلَطْتُ بِالْوَفْدِ

خير بيت والمسكُ حشُوُ بردِها
وأكسبت زهرَ الرياض أرجأ
وغرد الطيرُ وثَنَّى سجعهُ
يروِي حديثَ الفضل عن زهر الرِي
ولم يزل عنه وعن أحبابه
هم الألى شادوا منارَ فخرهم
كلُّ همام سابق إلى العلا
لقد غدوا جيداً لعقد دهرنا

ومنها:

يا سيداً ما زال مذ قيل له
كَمْ ليديه من يدٍ على الوري
ولم تزل أنعمه على الوري
ما أم ذو حاجٍ إلى أبوابه

ومنها:

خذ مدحته من صادقٍ وداده
لما طوى عنك النوى معاضدي
لا زلت غيثاً للنظار ممطراً
ونظمه كثيرٌ، يأتي في ديوان.

علا كلَّ تلعةٍ ووهْدِ
حكى برياه نسيمَ الخلدِ
من طربٍ على الغصون المُلْدِ
عن الصُّبا عن الكريم المجدي
يعيدُ أخبارَ الندى ويُبدِي
ومجدِهم بالجِدِّ لا بالحدِّ
لم يرتدي إلا رداءَ الحمْدِ
لكنَّه واسطة العَقْدِ

يا سيداً يولي الندى ويُسدي
أغنتهم عن طلب وكَدِّ
لسائلٍ ولم يشنُّ برْدُ
إلا وعادَ مثقلاً بالرفدِ

بديعة ما حكاه ابن الوردي
معينها معربة عن قصدِ
ما لمعت بارقةً من نجدِ

ولحسن بن علي بن جابر الهبل إليه عدة قصائد، وهي في ديوانه المعروف بـ: «قلائد الجواهر».

[٥٣٦] أحمد الذاكر الدمياطي.

الشاعر المفلق، المشهور بدمياط، توفي يوم الجمعة، رابع وعشري شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وعشرين وألف.

[٥٣٧] أحمد خير - بياء بن تحيتين، الأولى مشددة مكسورة - المزجاجي، صاحب سلامة التريّة.

ذكر السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل: أنه كان يعلمه القرآن، وأثنى عليه بالخير والصلاح، والكرامات والإحسان.

ومما اشتهر عنه وظهر: أنه لما بانت دولة زيد عن التريّة، قصد محمد آغا، صاحب الزيدية أولاً قرية المترجم، وهي محله، وأخذ أثنائه، حتى قميص زوجته، وفنك بالشيخ ليقتله، فحمّاه الله من شره، ثم رجع إلى زيد، ومعه مملوك تركيٌّ فعلَ فعلَ سيده، فأصابه وجع البطن من حينه، فكان ذلك حتفه، وأصاب الآغا المذكور قرحةً في مشفره، وتسملت إلى أن فلت لحيه، فمات بسبب ذلك.

توفي صاحب الترجمة يوم النحر، سنة عشر بعد الألف.

[٥٣٨] أحمد بن زين الدين الخطيب الشربيني الشافعي.

أحد علماء الشافعية بمصر، أخذ عن الشمس محمد الخطيب الشربيني، والشمس محمد بن أبي الحسن البكري، والشمس محمد العلقمي، والنجم الغيطي، وجاور بمكة سنة تسع وتسعين وتسعمائة، وأخذ عنه الإمام عبد القادر

الطبري، وكتب له إجازةً بمروياته، ذكرها في كتابه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[٥٣٩] الأستاذ أحمد بن زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن البكري^(١).

ورفعُ نسبه في ترجمة عمه محمد أبي السرور، قال صاحب «السلافة» في ترجمته^(٢): شهاب الأئمة، وفاضل هذه الأمة، وملثُ غمام الفضل، وكاشف الغمة، شرح الله صدره للعلوم شرحاً، وبنى له من رفيع الذكر في الدارين صرحاً، إلى زهدٍ أسس بنيانه على التقوى، وصلاحٍ أهلَ به ربُّعه فما أقوى، وآداب بحمر قدود الورد أنافها خجلاً، وشيم أوضح بها غوامض مكارم الأخلاق وجلاً، وفلاحٍ يشرق من محياه، وطيب أعراقٍ يفوح من نشرياه.

ولد بمصر، وبها نشأ، واشتغل بفنون العلوم، وكرع في مشاريع الفهوم، وقرأ على عمه الأستاذ الشيخ أبي المواهب، وأبيه، وغيرهما من مشايخ عصره، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، فأشرق نوره فيه وأزهر.

وكانت له اليد الطولى في تفسير القرآن، وإليه النهاية في علوم الطريقة ومزید الإتقان، مع كرمٍ يخجل المزن الهافل، وشيمٍ يتحلّى بها جيد الزمان العاقل، وجاهٍ عريضٍ وتمكين، ومكان عند الناس مكين، وهم يستعينون

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٠١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤ / ٤٧٩) (٣٣٠)، «الأعلام» للزركلي (١ / ١٢٩).

(٢) في الأصل: ترجمة مثله.

به ولا يستعين، ويستلمون أركانه كما تستلم أركان البيت العتيق، ويتنسمون أخلاقه كما يُتنسم المسك الفتيق، والنور يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعتة.

ولم يزل بمصر إلى أن دعاه الله للقاءه فأجاب، وكأنه الغمام أمرع البلاد فانجاب، فكانت وفاته رحمته سنة تسع وأربعين بعد الألف.

ومن مؤلفاته: كتاب جعله على أسلوب «لوعة الشاكي ودمعة الباكي»، سماه: «روضة المشتاق وبهجة العشاق».

وله شعرٌ يدل على علو محله، وإبلاغه هدى القول إلى محله، فمنه قوله:

أحسُّ إذا جَنَّ الظلام تشوقاً إلى زمن بالقرب زاد تألقاً
وأقطع ليلى ساهراً متفكراً لعل زمان الأنس يسعِفُ باللقا

[٥٤٠] أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد.

كان هذا العلامة الحبرُ العظيمُ الشأن جليل القدر، وواحد الدهر، وفريد العصر، وعالم السهل والوعر، وإمام البدو والحضر، في جميع العلوم هو البحر، قلد بفضائله جيدها والنحر، وافتخرت بفواضله اليمن إلى يوم الحشر، مع عذوبة اللسان، ووسع الصدر، ومراقبة الله في السر والجهر، وطيب الأصل والمظهر، وأصله من بلاد مسور، واشتغل بالعلم حتى اشتهر، وحرر العلوم وقرر، ولمخبآت كنوزها أظهر، وكان في العلوم النقلية والعقلية شيخها الأكبر، وفي الأدب غيره لا يذكر، إن حدث، فلفظه السكر، وإن روى الحديث، هيَّم طالبه وأسكر، فكم أشرق نوره وأزهر، وعم فضله من دب

ودرج من البشر، وأخذ عنه صحيح الخبر، وعلوم السنة والأثر، وإذا عارض أحداً بقوله، فقوله الأظهر.

وبالجملة: فضله أجلُّ من أن يذكر، وأظهر من أن يشهر؛ فإنه كان في العلم بحراً زاهراً، وبدراً هادياً زاهراً، مشاراً إليه في عصره بجميع العلوم، متوحداً بدقائق المنطوق والمفهوم، لا ساحل لبحر معارفه، ولا منهى ليمِّ عوارفه، قد احتوى من المعارف على ما لم يحتو عليه الأول، وأقر له بالفضل من عليه في ذلك العصر المعول.

وكان ثغر الدولة القاسمية به مبتسماً، وتصريف أعنة الأوامر والنواهي بحسن موالاته متسقاً منتظماً، وهو صدر مجالسهم، ونور مقابسهم، تصدر للإفادة والكتابة في مجلس الإمام القاسم، ثم في مجلس ولده الإمام المؤيد بالله محمد، ثم في مجلس أخيه القائم بعده أحمد أبي طالب، ثم في مجلس أخيه المتوكل على الله إسماعيل.

وانتهت مدته في هذه الدولة الغراء، وهو كاتب الإنشاء، ومقلد منصب الخطابة، في حضرات الأئمة المذكورين آنفاً، وانتهى إليه علم اللغة، والحديث، والتفسير، والنحو، والتصريف، والأصليين، والفقه، والدراية بمناطق العرب ومفاهيمها، وما اشتملت عليه من الكنايات والإشارات.

وعلى كل حال، فالواصف له مقصر، والمترجم له عن محامده الجليلة واقفٌ عن إدراك الغاية متحضرٌ متحسر.

وكانت وفاته - رحمه الله - في شهر محرم الحرام، افتتاح سنة تسعة - بتقديم التاء - وسبعين - بتقديم السين - بعد الألف، بشهارة، وقبره مما يلي

الجامع بها، في الصرح الشرقي، ومولده في ثاني شعبان، سنة سبع وألف.

ومن شيوخه: والده، وعمه علي بن الحسين، وأخذ عن كثير من العلماء، منهم: الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، والقاضي العلامة أحمد ابن أبي الرجال، وغيرهما، وممن أخذ عنه: العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وبه تخرج، ويشير إليه كثيراً في تاريخه «مطلع البدور ومجتمع البحور»، وممن أخذ عنه أيضاً، واستفاد ببركة صحبتة: السيد حسن بن مطهر الجرموزي، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى..

وله مؤلفات فائقة، وإنشاءات من خطب وغيرها بليغة راقية، وله من الورع ما لا يحصر بقيد، ولا يصل إليه عمرو بن عُبيد، مع تعاور العناية له في طاعة هؤلاء الأئمة الأطياب، وانسجال ديم النفائس عليه من كل جانب، فيأبأها، ولا يخاف في ذلك من الملوك عقباها.

فمن ذلك: ما أجاب به علي الأمير الكبير، الشريف الشهير، الحسين ابن أحمد الخواجي صاحب صيبا، وقد كتب إليه كتاباً، وأصحبه هدية:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فوصل كتابكم الذي هو جواب جوابي عليكم، مشتملاً على وجوه من الخطاب، صيرت ما كان سيق مني من الإحسان بإجابة الكتاب الأول ذنباً، وما كنت أحسبه حمداً عند الله وعند خيار عباده سباً؛ إذ لم يقع مني ما صدر من البشر السابق، لمن وصل الحضرة الإمامية، من إخوانكم الشرفا، ثم جوابي عليكم في كتابكم الذي ابتدأ المولى به، إلا رعاية لحق رسول الله ﷺ؛ إذ كنتم وأولئك الجماعة من أهل بيته، وممن ينسب إلى ذريته، ثم صيانة لعرض مولانا أمير المؤمنين،

ومحبةً في أن يكون من حضرته الكريمة، كما جاء في الحديث النبوي:
«المؤمن ألف مألوف».

وكنت أظنكم - رعاكم الله - وأولئك الجماعة ممن له في خوف الله نصيب، وممن قد أفلح عما يوجب البعد من القريب المجيب، وممن دعواته صادقة أنه لا يريد إلا الله، ولا يسعى إلا في طاعته وتقواه، فخذتموني - تالله - فانخدعت، ولو أخذت بالحزم الذي هو سوء الظن لما أبعدت.

فحملتم تلك الحالة مني على ما زهدني - والله - وغيري من المؤمنين فيكم، ونبهني على الحذر والريب في كل ما يصير مني [من] قول أو فعل عنكم؛ إذ حللتُموني محلاً لست من أهله، وكتبتم إليّ، ولا لمستها - والمنة لله عليّ - يدي، أردتم خديعتي عن ديني، والتوصل بها إلى ما تريدون من أغراض الأهواء وإن أهلكني، وأكون كما قيل:

بئ كَأني ذُبالةٌ نُصِبتَ تضيء للناس وهي تحترقُ

ومعاذ الله أن أكون ممن يبيع دينه بكل الدنيا، فضلاً عن عرضٍ منها هو أقل وأدنى، أو أن يحبط أعماله ويُبطلها بإماطة الأوساخ عن الناس، ﴿فَدَّ ضَلَكُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، وكيف إن بقي شيء من المعقول، أمر الناس بالبر وأنسى نفسي، وأتصدر لإمام الحق في إنشاء مواعظ يُخطب بها على المنابر لنصيحة الخلق، وأخونها، وهي أعز الأنفس عندي.

على أني - والمنة لله عليّ - من فضل ربي وفضل إمامي في خيرٍ واسع، ورزقٍ جامع، وأمل في كل بلاغ رافع، ثم إنه لا يسلك أحدُ طريقة، إلا وله فيها سلفٌ يقتدي بهم، أو أصولٌ ينتمي إليهم - وأنا بحمد الله - ما أعلم في

أثمتي الذين أقتدي بهم من يأكل الرشا، ولا من يلبس الحق بالباطل، ويكتم الحق؛ لينال غرضاً من الدنيا، ولا في آبائي من خان إمامه، وآثر اليوم على يوم القيامة.

أما أثمتي الذين أقتدي بهم، بعد رسول الله ﷺ، فأولهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، وهو يقول في خطبة له: والله! لأن أبيت على حَسَك السعدان مسهداً، أو أُجرَّ في الأغلال مصفداً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشيء من الحُطام، وكيف أظلم أحداً لنفسي تسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها؟!

والله! لقد رأيت أخي عقيلاً، وقد أملقَ حتى استمحاني من بُرُكم صاعاً، ورأيتُ صبيانه شعثَ الألوان من فقرهم، كأنها سودت وجوههم بالعظم، وعادوني مؤكداً، وكرر القول عليّ مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعُه ديني، وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدةً، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنفٍ من ألمها، وكاد أن يحترق من منسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتنن من حديدةٍ أحماها إنسانها للعبه، وتجرنني إلى نار أضرمها جبارها لغضبه؟! أتنن من الأذى، ولا أتنن من لظي؟!!

وأعجبُ من هذا: طارقُ طرقنا بملفوفةٍ في وعيها ومعجونةٍ كأنما عُجنت بريق حيةٍ أو قيئها، فقلت: أصله، أم زكاةٌ وصدقة؟ فذلك محرم علينا أهل البيت، قال: لا ذا ولا ذاك، وكنها هدية، فقلت: هبلك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبطٌ، أم ذو جنةٍ، أم تهجر؟ والله! لو أعطيتُ الأقاليم

السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في غلة أسلبها خلب شعيرة، ما فعلته، وإن دنياكم هذه لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلني ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سيئات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين.

وأقرب أئمتي: إمام عصري بعد والده أمير المؤمنين القاسم بن محمد ابن علي - رضوان الله عليهما -، وهما جميعاً من عليم الخاص والعام سلوكهما تلك الطريق، وتمسكهما بذلك الحبل على التحقيق، ورفضهما الدنيا بعد ملك الشرق والغرب، ورضاهما منها بأدناها، مع نفوذ أمرهما في العرب والعجم، والبعد والقرب، شعر:

والشمسُ إن تخفى على ذي مُقْلَةٍ نصفَ النهار فذاك تحقيق العمى
وأما آبائي الذين أنتسب إليهم، فأدناهم: أبي الذي ولدني، كان - والله - كما ورد في الحديث النبوي: «يغضب لمحارم الله كما يغضب النمر إذا هيج»، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكما قال الأول، شعر:

الصدقُ فيه ما يضرُّ به والواحد الحالتين السرُّ والعلن

ثم أخوه عمي الذي أدبني، كان كما قال أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - في صفة المؤمن: المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذل شيء نفساً، يكره الرفعة، ويشأ السمعة، طويل غمّه، بعيد همّه، كثير صمته، مشغول وقته، صبور مغموّر بفكرته، ضنين بخلته، سهل الخليفة، لين العريكة، نفسه أصلب من الصلد، وهو أذل من العبد.
ثم أبوهما جدي، المسمى: سلمان أهل البيت، الذي لا نعلم أن إماماً

من الأئمة مُدح غيره بذلك، فقال الإمام شرف الدين لولده شمس الدين ابن أمير المؤمنين:

جاءكم سـلـمـانُ بـيـتـي فاعرفنْ يا شمسُ حَقَّه
وبرجـواك فـحـقـق وبيـشـرٍ فـتـلَقَّـه

وإنا - بحمد الله - لم نعرف غير سبيلهم، ولا رُبيت إلا في حجورهم، ولا تلوُثت بغير صفاتهم، وإني والناس لكما قال علي بن عبد العزيز الجرجاني - رحمه الله -:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما	رأوا رجلاً عن موقف الذلِّ أَحْجَمَا
أرى الناسَ من داناهم هانَ عندهم	ومن أكرمته عزة النفس أكرمَا
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كنت كلما	بدا طمعٌ لي صيرته لي سُلَمَا
وما كلُّ برقٍ لاح لي يستفزني	ولا كلُّ من في الأرض أَرْضاه منعمَا
إذا قيل هذا مشربٌ قلت قد أرى	ولكنَّ نفس الحرِّ تحتملُ الظَّمَا
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدمَ مَنْ لا قيتُ لكن لأُخدمَا
أشقى به غرساً وأجنيه ذلَّةً	إذا فاتباعُ الجهلِ قد كان أسلَمَا
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عَظَّموه في النفوس عُظَّمَا
ولكن أهانوه فهانَ ودنَّسوا	مُحَيَّاه بالأطماع حين تَجَهَّمَا

اللهم إني لا أقول ذلك افتخاراً على غيري، ولا تزكيةً لنفسي، ولكن لما شرعته من تجنب مواقف التهم، وأنا مع ذلك معترف بأنِّي أحقر من أن أذكر، وأهون من قلامة الظفر، ولكن مظلوم رفعت ظلامتي إليك، وكما قال

زين العابدين - عليه السلام - : يا من لا تخفى عليه أنباء المتظلمة، ويا من لا يحتاج في قصصهم إلى شهادة الشاهدين، ويا من قربت نصرته من المظلومين، ويا من بُعد عونه عن الظالمين، قد علمت يا الهي ما نالني من فلان، إلى آخر ما ذكره في دعائه، وحسي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

هذا، ولولا تخريج أمير المؤمنين بعد الشكوى عليه في إعادة الجواب، لما توجه مني بعد ذلك خطاب، وهذا - إن شاء الله - بيني وبينكم آخر كتاب، والسلام، حرر خامس وعشري شعبان عام ستة وثلاثين وألف، بمحروسة شهارة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، انتهى ما وجدته.

[٥٤١] أحمد بن سليمان القادري الدمشقي الشافعي^(١).

مولده في بضع وعشرين وتسعمائة، وجلس على سجادة والده سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، ولبس الخرقه من شيخ الإسلام البدر الغزي، وكان ولده الشهاب الغزي يعتقد، وكان يكتب للناس الحروز، والناس مقبلون عليه لذلك، وكان يصلح بين الناس، ويترددون عليه لذلك، ويرضون ما يعمل.

وكان ساكناً وقوراً، حسن الخلق، لطيف الذات بشوشاً، ويتردد إليه الحكماء، ولهم فيه اعتقاد تام، بديع المحاضرة، ظريف المعاشرة، مستحضر حكايات الصالحين، ولطائف العارفين، ويوردها في مجالسه بالمناسبة أحسن مورد، ويكرم المترددين إليه، ويقبل عليهم.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٠) (١٠٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠٧).

ولم يزل على ذلك، حتى توفي يوم الأحد، سابع وعشري رمضان، سنة خمس بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة - رحمه الله -، وصلى عليه بالجامع الأموي إماماً بالناس، أحمدُ العيثاوي، قبل صلاة العصر، ودفن بزاويته، فدفن بها جوار الشيخ سيف الدين - رحمه الله -.

[٥٤٢] أحمد بن سليمان الدمشقي القادري الشافعي .

أحد خلفاء الطريقة القادرية، أخذ الطريقة وتلقن الذكر من والده، ومن الشيخ محمد بن عراق، والشيخ أحمد بن عتور الدمشقي، ولبس الخرقة القادرية من الشيخ صلاح الدين أبي المحاسن، وهو لبسها من الشيخ شهاب الدين أحمد بن الناصح البعلي، واجتمع بالشيخ أحمد المنبأوي المغربي .

وكان في مبدأ أمره منجماً عن الناس، ولزم الصوم والخلوات، كل خلوة أربعين يوماً، يفطر على لوزة واحدة، فعند تمام الأربعين حصل له ضعفٌ في جسده، ومرضٌ في أعضائه، حتى أوهته ذلك، فدخل عليه رجل من الصالحين قبل أذان الفجر، فطرق الباب، ودخل وجلس تجاهه ولم يتكلم، ثم أنشأ قصيدة الشيخ محيي الدين بن عربي - قدس سره - التي أولها:

مرضي من ممرضة الأجفان عللاني بذكرها عللاني

فلما أتى آخرها، نهض الشيخ واقفاً وكأنما حلَّ من وثاق، وحصل له الشفاء من ساعته، وكان يقيم الذكر بزاويته التي عند بيته بمحلة السلاحة، وتأوي إليه الفقراء والصالحون والأولياء والمجاذيب .

ثم أشير عليه في عالم الرؤيا، أنك عمّر مسجد الأمير سيف الدين الغازي، الذي بالقرب من دار الذهب، واتخذ زواية للفقراء، وذلك سنة إحدى وسبعين

وتسعمائة، وكان هذا المكان ارتدم بالتراب من زمان اللنك، وصار بأعلى التراب بيوتٌ سكنها الهنود، فتجرد الشيخ أولاً لنقل التراب فيه، فجاءت أهل القرى بدوابهم، واستمروا في نقله نحو شهرين أو أكثر، ثم شرع في تعميره، فعمر الإيوان والخلاوي وعمر لنفسه داراً.

وعظم اسم الشيخ، وكبر صيته، بحيث إنه كل قضية تعسر على الحكام فصلها، ترسل إليه، فيصلح بين الأخصام، ويقطعها في ساعة واحدة، وكانت تأتي الخصوم بين يديه، ويتصارخون ويرفعون أصواتهم، والشيخ مطرقٌ برأسه، حتى يعلم أنهم أخذوا حظهم من الكلام، فيرفع رأسه إليهم ويبتسم، ويورد لهم حكايات الصالحين، وما جاء في العفو من الأحاديث والآيات، فيخضع كلٌ منهم لكلامه، ثم يقعون على أقدامه فيقبلونها، ويفوضون إليه أمورهم، فيصلح بينهم، ولو لم يكن للشيخ من المحاسن سوى هذه، لكانت كافيةً له.

وكان يكتب الأوراق والحروز، وفي الزبادي الصيني، وكتابه مباركة، وله مائدةٌ في كل يوم، أولَ النهار وآخره، ويقيم الذكر يوم الاثنين بعد العصر، وفي يوم الجمعة بالجامع الأموي بعد صلاتها، عند باب الخطابة.

قال تلميذه الشيخ سليمان بن أحمد الدمشقي، من خلفاء صاحب الترجمة: رأيتُه في ليلة الخميس، سادس شهر رمضان، سنة عشر وألف، في المنام، وكانت الرؤيا في آخر الليلة، كان شيخي أحمد جالساً في الخلوة اليمنى بزاويته، فدخلت عليه، وتمثلت بين يديه، فقال الشيخ لك: يا شيخ إبراهيم! إن سُئلت عن حسبي ونسبي، فإني أحمد ابن الشيخ سليمان ابن الشيخ أحمد الصمادي القادري، وإن سُئلت عن نسبنا السابق، فإنهم عوام، وإن كان مرادك الاطلاع على طريقة القادرية، فلا بأس أن تأخذها عنا.

قال: فوثبتَ واقفاً على قدميك، وحطَّ يده في يدك، ثم قال لي: هات يدك يا شيخ سليمان، فمددت يدي إليه، فحط يدك في يدي، ثم بايعت على الطريقة القادرية، بعد ما لقنه التوحيد، وقال: الآن بقيت من طريقة القادرية، وصار مددك من حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني.

ثم قال: يا شيخ إبراهيم! أنت ما جئت بنفسك - يعني: من بلادك إلى الشام -، بل نحن سحبنك وجلبناك إلى هذه الديار؛ لأن في علم الله شيئاً ممكناً يريد أن يبرز على يدك.

قال: ثم رأيت رجلاً من الأعيان جاء إلى قبال الخلوة، يريد الدخول عند الشيخ، فاستأذنت من حضرته، فقال الشيخ: هذا الوقت للشيخ إبراهيم لا لغيره. انتهى.

وقال الشيخ سليمان المذكور: كنت عند الشيخ أحمد يوماً، فوقع عليه الحال، واضطرب اضطراباً شديداً، فبعد ساعة سكن وانبسط، وقال: الحمد لله، مراراً، فسألت عنه، فقال: لولا أولياء الشام، لهلك عسكر الإسلام، قال: فوضعت تاريخاً، ثم جاء الخبر أن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان العثماني، غزا الكفار، ووقعت عليه شدة وانهزام، في ذلك اليوم والساعة، ثم غلبهم وقهرهم بإذن الله تعالى.

وقال الشيخ سليمان المذكور: سُئل صاحب الترجمة عن خروج المهدي، فقال: قد وُلِدَ في سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، ويظهر في سنة أربع وعشرين بعد الألف^(١).

(١) دعوى ظهور المهدي، أو إدعاء المهديّة، حكاية متكررة عبر العصور، ولا تزال هذه =

ولما مرض صاحب الترجمة مرض الموت، أوصى أن يُجلسوا ولده عبد القادر، وهو ولد صغير القامة، نحيف الجثة، سنّة قريب من سبع عشرة، وجلس بحضور المشايخ.

ثم توفي نهار الأحد سابع عشر رمضان، سنة خمس بعد الألف، ودفن بعد الصلاة عليه في الجامع الأموي، صلاة العصر، بترية الشيخ سيف الدين، بالقرب من النبورية - رحمه الله -.

[٥٤٣] أحمد بن شهاب الدين بن الولي محمد بن عبد الرحيم باجابر الحضرمي.

ذو السؤدد الظاهر، والفضل الباهر، أخذ عن والده، وترى في حجره، وتحلى من جواهر نحره، وأخذ عن غيره من العلماء الأعلام، والسادة الكرام، ورحل إلى الديار الهندية، وأخذ عن علم العلماء الأكابر، السيد عبد القادر، وغيره.

وله نظم حسن، وعدة مدائح في السادة آل باعلوي.

قال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس: مدحني بقصيدة يقول فيها:

وما قصدي الجزاء سوى انتسابي إلى علياكم يوم القيامة

فكان من اختيار الله تعالى له، بمقتضى حسن نيته، أن مات قبل أن يفتح علينا بشيء من الدنيا، وتأسفت على موته جداً، وكنت كلما تذكرته،

= الدعاوى قائمة، والأمر من الأمور الغيبية الخاصة، ومدعيها أصحاب أباطيل لا دليل لديهم سوى الكذب على عقول البسطاء والجهلة، نسأل الله السلامة.

استثار مني الحزن، وانبعث الأسى والندم، حتى كأن مصابي به باعتبار ذلك جديد في كل آن، ومن ثم كنت كثير الدعاء له، والترحم عليه، وصنفت في أخباره وما جرياته كتاباً سميت: «صدق الوفا بحق الإخا».

وكانت وفاته - رحمه الله تعالى - ليلة الثلاثاء، رابع عشر شوال، سنة إحدى وألف، بالبلدة الشهيرة المسماة: «لاهور»، من الديار الهندية، حاطها الله بعدله، وله مكاتباتٌ مثبتةٌ في المجموعة التي أولها رسالة الأشعر^(١).

[٥٤٤] أحمد بن شاهين الدمشقي^(٢).

أحد الفضلاء المشهورين في هذا الزمان، والتميزين بكل حسن وإحسان، ونادرة الشعر، وينبوع كل بلاغة وسحر، ولد بدمشق سنة ألف وواحد، وولي نيابة الباب سنة ثلاثين وألف، أيام قاضي القضاة عبد الله أفندي.

ومن شعره قوله:

رازقي كنْ لعبدِكَ المرزوقِ وارعَ عبداً يشكو حلولَ الضيقِ
خالقي منك ماء وجهي فصْنهُ لا تُرقه في طاعة المخلوقِ

ورثاه الأمير منجك بقوله لما مات، وحصل مطر:

قلتُ لما قضى ابنُ شاهينَ نجباً وهو سهمٌ كلُّ يشير إليه
رحمَ الله سيّداً وعزيراً بكتِ الأرضُ والسماءُ عليه

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض بالأصل ثلاث صفحات وسبعة أثمان صفحة».

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦٧)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٢١٠)، «نفحة

الريحانة» للمحيي (١ / ٩٦) (٦)، «هدية العارفين» (١ / ١٥٩).

ونظيره: أنه لما مات الحافظ ابن حجر، وصُلي عليه، حصل مطرٌ عظيمٌ، فقال بعض تلامذته:

قد بكت السحبُ على قاضي القضاة بالمطرُ وانهدم الركن الذي كان مشيداً بالحجرُ ولد بدمشق، وكان والده كتخدا الينكجيرية، وصاحب الحل والعقد بها، ونشأ ولده تحت ظله، واشتغل بالعلوم حتى فاق معاصريه، وعظم قدره، واشتهر ذكره، وصار صدر دمشق، والمعول عليه فيها، وانتهت إليه فيها الرئاسة، ولما قدم العلامة أحمد المَقْرِي، لازمه، وقرأ عليه كثيراً، واختص به حتى ألّف باسمه تاريخه «نفح الطيب في أخبار لسان الدين ابن الخطيب»، وله فيه مدائح ومكاتباتٌ طويلةٌ، منها: ما كتبه إليه لما قدم دمشق، عام سبعة وثلاثين:

كنفُ المَقْرِي^(١) شيخي مَقْرِي وإليه من الزمان مَقْرِي^(٢)

[٥٤٥] أحمد صفي الدين بن صالح بن أبي الرجال^(٣).

إنسان عين زمانه، وأديب أوانه، ومن سراة الأدباء والفضلاء، بمدينة صنعاء.

من شعره: قوله يصف محاسن الروضة بصنعاء:

(١) جاء في الحاشية: «كذا بخطه يكتب مع بقية المكاتبات».

(٢) جاء في الحاشية: «بباض صفحة وخمس بالأصل».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٢٢٠)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٣/ ٤٨٥) (٢٤٤)،

«البدر الطالع» (١/ ٥٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٣٧).

روضة قد صبا لها الصعد شوقاً
جوها سَجَسَجَ وفيها نسيمٌ
صحَّ سكانها جميعاً من الدا
يه يا ماء نهرها العذب صلصلُ
يه يا وُزَقَها المرثَّة عني
روضَ صنعاء فُقتَ لونا وطبعاً
تِه على الشَّعبِ شعبِ بَوَّانَ وافخرُ
نَهَرٌ دافقٌ وجوٌّ فتيقُ
وثمارُ قطافُها دانياتُ
لستُ أنسى ارتعاشَ شُحرورِ غصنِ
وعلى رأس دَوْحِها خاطب الور
ولسانُ الرعود تهتفُ بالسُح
وفمُ السحب باسمٍ عن بروق
وزهورُ الربى تعجب من ذا
فانبرت قُضبها تراقصُ تيهاً
وعلى الجو مطرفُ الغيم سافِ
وهم في العلا أشدُّ من النبع
فيه لي رفقة رفاق الحواشي
أزيجيون أو تسومهم النفـ

قد صفا ليلها وطابَ المقبلُ
كل غُصن إلى لقاء يميلُ
ء وجسمُ النسيم فيها عليلُ
حبذا يا زلالُ منك الصليلُ
فحياءُ النفوس منك الهليلُ
فكثيرُ الثناء فيك قليلُ
فعلى ما تقولُ قام الدليلُ
زهرُها فاتقُ وظلُّ ظليلُ
يجتنيها قصيرُنا والطويلُ
طرباً والقضيبُ منه يميلُ
ق ودمعُ الغصونِ طلاً يسيلُ
ب فكان الخفيف منها الثقيلُ
مستطيرٌ شعاعُها مستطيرُ
شاخصاً طرفُها المليحُ الجميلُ
كخليلٍ سقاه خمراً خليلُ
وعلى السطح برجُ أنس أهيلُ
إذا حلَّ في الخطوب جليلُ
كاد لينُ الطباع منهم يسيلُ
س لجادوا فليس فيهم بخيلُ

تنهلهم من الفسوم مذمومة
 وعضوا للامم من الفم الذي كسابه
 طاب لابي زلفه وطاب ليد ضحله
 ولما طلع عليها القضي القلا فقلد القين محمد بن ابراهيم الشحجي
 قلن:

لا زل وجهه جسد خبير
 وعيه من قلا حة مبر
 وحى خيل يهجة وسور
 والني ليرت من الحسن حلو
 ونه من خيرة وخبير
 د خروا لثمة وخبير
 وقاصم خيرة وقصور
 حركن فسمكة خبير

ومنها:

ولهني اللوى براين قد حر
 غير أن المجال يستحسن الاج
 جنة الأربع الجنان التي
 ومتى احتاجت الغزاة في
 ولموضوع حسنها في الحواشي
 كالرياض الغناء إذ طاب فيها
 يز منها المعقود والمعقود
 حال فيه ويسمح الفصل
 دك بتفصيلها عليها الرسول
 رلا الضحى أن يهلم فيها الدليل
 ملحقات يدافع وقصور
 ليها والضحى وطاب المعيل

ومنها:

ويكي الغيم في رباها فاضحى
 ضاحكا منه ثغرهما المعقود

وتغنى الهزارُ في الورقِ الأخـ ضر واصفرَّ كالنضار الأصيلُ
 وأتى مرسل النسيم إلى الغصـ ن ليوحي إليه كيف يميلُ
 حبذا حبذا مروجُ أحاطت بيروج فيها البدورُ نزولُ
 كجنان الفردوس ولدان الألوا ن من النبت في رباها تجول
 فلريحانها سرورٌ وقد را ق بلالاً جدُّ له مبلولُ

ومنها:

وإذا اهتز الغصنُ وانتشر الطلـ لَ بمرجانه تبسم لولو
 وإذا ما النسيم دبَّ على الما ء تعاطاه جوهراً وقبولُ
 حبذا نهرها الذي المسكُ والكـ فور والشهدُ فيه والزنجيلُ
 ما نُقِيبُ ودجلة والمعلـ وفراتٌ ونيلُ مصرَ المنيلُ
 في البساتين كالثعابين تنسا بُ رأيت الحبابَ كيف يسيلُ
 أو كما هزَّ للمضاع نعا صحصحان الأطراف سيف صقيل

ومنها:

إن تصلصل كمانه حكم القا ضي فمن عادة السيوف الصليلُ
 كلُّ ما مرَّ فهو حالٌ ولكن لا تقل فيه كلُّ حالٍ يحولُ
 كم خلافٍ عنه له ثمراتٌ قد حواها جميعها المحصولُ

ومن مؤلفاته: «مطلع البدور ومجتمع البحور»، وهو تاريخٌ حافلٌ،
 وقفت عليه، وقد ترجم له أخوه القاضي محمد، وذكر له نحو ثلاثين مؤلفاً،
 وكان مشهوراً بسعة الحفظ، وعلى كل حال، فالمعارفُ هالةٌ هو بدرها،

والفضائل أنهار هو بحرهما .

كان طلق الوجه ، حسن السمائل ، ذكي القريحة ، تحلقت عليه المدارس ، بمدينة صنعاء وشهارة وصعدة ، ولا يسلك جهة إلا استقبله فضلاؤها ، واستبشر به كلؤها ؛ لكرم سمائله ، وسعة فوائده وفواضله .

وكان له اليد الطولى ، والسابقة الأولى ، في المعاني والبيان ، وتفسير القرآن ، وتقييد الفروع والأصول ، ورد كل شيء إلى أصله ، من المسموع والمنقول ، وتولى الخطابة ، وأنشأ الخطب في عصر خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ولازم حضرته العالية ، بتعويل من أمير المؤمنين عليه ، وإلقاء مقاليد هذه الفضائل إليه ، ورتبته رتبة شيخه القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين ، وكان - كما قيل في حق السيدين - : فرقدي سما ، وبدري هدى .

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - سنة اثنتين وتسعين بعد الألف بالروضة ، وقبره تجاه منزله في ثغر زبيد .

[٥٤٦] أحمد بن شهاب الدين العجمي الشافعي^(١) .

الشيخ الإمام الفاضل ، العالم الكامل ، كان فقيهاً عالماً بالحديث وعلمه ورجاله ، موصوفاً بالخير والصلاح ، مشاركاً في علوم عديدة ، مرجعاً لأفاضل العصر في مراجعة المسائل المشككة ؛ لطول باعه ، وسعة اطلاعه ، رقيق الطبع ، مطبوع العشرة ، حسن الأخلاق .

مولده في ثالث عشر رجب ، سنة أربع عشرة وألف ، وابتدأ بطلب العلم

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٥) ، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ١٧٦) ،

«الأعلام» للزركلي (١ / ٩٢) .

سنة سبع وعشرين، وتشرف بالاجتماع بالزيادي مرتين صحبة والده، ودعا له بدعوات صالحة، ظهر أثرها عليه.

أخذ عن جمع من أكابر العلماء، منهم: البرهان اللقاني، والنور الأجهوري، والشمس الشويري، والنور الحلبي، والشمس محمد الحموي، والشهاب القليوبي، وأحمد الدواخلي، وعبد الرحمن الخياري، وحجازي الواعظ، والشريف محمد بن عبدالله الطبلأوي، وإبراهيم الميموني، ومحيي الدين ابن شيخ الإسلام زكريا، وحجازي الأنباري، ومحمد الميناوي، وجلال الدين المحلي، وعبد الرحمن بن سراج الدين الشنواني، وخضر الشويري، وأخيه عطية، وأحمد السحيمي، وعامر الشبراوي، وأحمد المقرئ، ومحمد الروحي النعظي، وأحمد الغنيمي، والشهاب الخفاجي، وسري الدين الدروري، وفتح الله البيلوني، وحسن الشرنبلالي، ومنصور البهوتي.

وأخذ الطريق عن أحمد الكلبي المالكي شيخ المحيا، وعن أحمد البجَم، وأبي الفتح الأبيارين، وعن عبدالله المحلاوي، وإسماعيل الصنافير، والسيدة نفيسة بنت الشيخ أبي الحسن البكري الصديقي، ولازم الأستاذ أبا الإسعاد ابن وفاء، وأخذ عنه طريق السادة الوفاية، واختص به، وصار لا يفارقه حضراً ولا سفيراً، وأمور الأستاذ كلها كانت منوطة بنظره.

وأخذ أيضاً عن شيوخنا: سلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم، وأجازه شيوخه، وكان شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي يحترمه، ويشير إليه ويعظمه، ويثني عليه، ومن شهد له خزيمة، فحسب.

وكان يقري الحديث في بيته، فتذهب الأفاضل إليه لحضور درسه،

وكان كثير الكتب؛ بحيث إنه لم يكن في عصره في مصره أكثر كتباً منه، سمحاً بإعارتها، وانتفاع أهل العلم بها، وكان بيني وبينه محبةً ومودةً، وكنت أتردد إليه كثيراً، وعرض له ثقل في سمعه في آخر عمره.

وكانت وفاته بمصر، ليلة الأربعاء، ثامن عشر ذي القعدة الحرام، سنة ست وثمانين بعد الألف، وصلى عليه ظهر يومها، بالجامع الأزهر، إماماً بالناس، شيخنا علي الشبراملسي، في مشهدٍ عظيمٍ، وجزع عليه جزعاً شديداً؛ لشدة محبته له، ودفن بتربة المجاورين.

وأخبرنا شيخنا علامة العصر أحمد البشيشي، في درسه: أنه رأى صاحب الترجمة في النوم، ليلة الأربعاء، بعد ثمانية أيام من وفاته، وعليه ثيابٌ بيضٌ، في مجلسٍ حافلٍ، فيه جمعٌ من الناس يتلون القرآن، عرف منهم شيخنا خاتمة المحدثين محمد البابلي، وحجازي محمد بن خليفة الشوبري - رحم الله الجميع -.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل شهيرةٌ، منها: «فهرست بجميع مروياته وشيوخه» أحسن فيها كل الإحسان - رحمه الله، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان -.

[٥٤٧] الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي، صاحب مكة^(١).

مولده عام أحد^(٢) وخمسين وألف، كان في دولة أخيه الشريف سعد،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ١٩٠)، «الأعلام» للزركلي (١ / ١٢٨).

(٢) في الأصل: إحدى، والصواب ما أثبت.

مشاركاً له في الربع، ثم لما عزلا عن مكة، توجهها في ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وألف إلى الطائف، ثم إلى ييشة، وأقاما بها، ثم توجه المترجم إلى ديرة بني حسين؛ فإن له بها أهلاً وولداً، واستمر مقيماً إلى القعدة من السنة المذكورة، فرحل منها قاصداً المدينة؛ لزيارة جده ﷺ، فدخلها ليلة دخول الحاج الشامي، وواجهه فيها أمير الحاج الشامي محمد باشا، والتمس منه بعض مرام من شريف مكة - إذ ذاك - بركات.

ثم خرج من المدينة، ونزل على شيخ حرب أحمد بن رحمة، واستمر عنده إلى عودة الحاج الشامي، فواجهه الباشا، وأخبره بعدم تمام ذلك المرام، ثم توجه إلى الفرع، في أول عام أربع وثمانين، واستمر بها مدة يسيرة، ثم لما خرج الشريف بركات لحراة حرب، في أواسط السنة المذكورة، عاد إلى حرب، وحضر الحراة، ثم بعد انقضائها، توجه إلى الفرع، ثم وصل إليه أخوه الشريف سعد، واستمرا بين السَّوَارِقَةِ والفرع، وأكثر الإقامة بالفرع، ولما توعد الشريف أهل الفرع، أوائل سنة خمس وثمانين، تنحوا إلى جهة وادي النقيع، من بلاد حرب بني السفر، وبني علي وعوف، واستمروا ومن معهم بها إلى شهر رمضان.

ثم عن لهم التوجه إلى الأبواب السلطانية، فوصلوا إلى حول المدينة الشريفة، ونزلوا بالغابة مجتمع السيول، غربي أحد، أواخر رمضان، فعيدوا بذلك المحل، وليس في نزول الأسود بالغابة ملامة ولا معابة، وتقضوا حوائجهم، وذهبوا خامس شوال متوجهين إلى الشام، لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أكرمهم.

ومن أعجب الاتفاق نزولهم على مراح ابن سحيم، من غير علم منهم

بذلك، وكان الشريف سعد قتل أباه، فلما علموا به، حصل لهم كربٌ عظيمٌ، فلم يشعروا إلا وولده مواجهةٌ لهم بالعبودية، والسلام والإجلال والإعظام، وأهدر دمَ والده، وأكرمهم، وذبح الذبائح، ومنح المنائح، وهذه من غير شكٍ معجزةٌ من جدهم.

ولم يزالوا على مثل ذلك، مع كل من مروا عليه من العربان، من جمع ووحدان، إلى أن وصلوا دمشق الشام، فتلقاهم أهلها وأمرؤها، وكبراؤها وعلمائها، ونقيب الأشراف، ودخلوا بموكبٍ عظيمٍ، والأشرافُ من أهل الشام حولهم مشاةً بأمر من نقييهم، وكان يوماً مشهوداً، ثم أقاموا بها.

واستأذن لهم حاكمُ الشام حينئذٍ السلطنةَ في الوصول، فأذنوا لهم، فتوجهوا إلى أن دخلوا أدرنه، فحصل منهم من التعظيم والتبجيل ما يقصر عنه الوصف، وأقاموا بها مدةً يسيرةً، ثم توجهوا بأمر من السلطنة إلى القسطنطينية، واستمروا بها، وتولى الشريف سعد بعد ذلك المعرة، وتوجه إليها، ثم عزل عنها، وعرضت على المترجم طرسوس، وهي بلدٌ على ساحل بحر الشام، فلم يقبل إلا مكة.

ثم لم يزالوا بالروم، والأحوال تتقل بهم، إلى أن حصل بمكة ما حصل؛ من الخلف والخلاف بين الأشراف، فبلغ ذلك السلطان، فأرسل إلى المترجم، فاتاه، فلما دخل عليه، قام له، وقابله بغاية الإجلال، ووضع كفه بكفه، وتصافحا من قيام قائلاً: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.

فأول خطابٍ من السلطان له أن قال له: يا شريف أحمد! الحجاز خراب، أريدك لصلاحه^(١)، فامثل ذلك، فعند ذلك ألبسه ما كان عليه، ثم

(١) في الأصل: لصلحه.

جلس السلطان، وأشار إليه بالجلوس، فجلس، وأعاد عليه ما قال له أولاً مرتين، وهو يجيبه بالامتنال والقبول، فحيث قال السلطان: إذا آن أوان الشيء، أبرزه الله.

وأمر الوزير والكتاب أن يكتبوا له ملتمسه، وأجزل صلته، فخرج الشريف، وقدم له مركوب من خيل السلطان، ورحل على خيل البريد المسماة في عرف أهل الروم بـ: الولاقي، فدخل إلى دمشق، وقد خرج الحاج منها، واستمر مجدداً في السير، حتى لحقه بالعُلا، ودخل المدينة الشريفة، وتلقاه عسكرها، ولبس الخلعة السلطانية، تجاه الحجرة الشريفة؛ كما لبسها ثمة أبوه.

ثم دخل مكة سابع ذي الحجة، ختام سنة خمس وتسعين، من جهة أسفلها، ووراء المحمل المصري، ومعه جميع عساكر مصر والشام وجُدة، وركب بين يديه قاضي مكة السيد عثمان، وأحمد باشا صاحب جدة، وكان موكباً عظيماً، لم يتم لأحد قبله من الأشراف، إلا لوالده الشريف زيد، فحج بالناس على أحسن حال؛ من الأمن والدعة والسكون، وحصل لأهل الحرمين بقدمه غاية السرور، توفي - رحمه الله - حادي وعشري جمادى الأولى، سنة تسع وتسعين وألف.

وتولى بعده الشريف سعيد ابن أخيه الشريف سعد، ثم عزل، وتولى الشريف أحمد بن غالب، ثم عزل، وتولى الشريف محسن بن حسين بن زيد، ثم عزل، وعاد الشريف سعيد، ثم جاءه الشريف سعد من الروم، عام ألف ومائة وثلاثة، وبقي إلى سنة خمس ومائة وألف، ثم عزل، وتولى الشريف عبدالله بن هاشم، ثم رجع الشريف سعد من اليمن، وعاد إلى ملك مكة

المشرفة، وبقي بها إلى آخر سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، فنزل لولده الشريف سعيد عن ملك مكة، فبقي الشريف سعيد في ملك مكة إلى سنة أربع عشرة ومائة وألف، وخرج منها.

ثم تولى الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد، ثم تركها رغبة عنها، وتولى الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى، ثم عاد الشريف سعيد إلى مكة، ثم أخرج منها، ثم جاءتة التجريدة من مصر مع أيواز بيك، فدخل مكة، وقد صار والده إلى رحمة الله، في أمور يطول شرحها.

ثم عزل الشريف سعيد، وعاد الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى، وبقي بملك مكة سبع سنين، ثم أراد الله بعود الشريف سعيد إلى مكة المشرفة، فدخلها بأسباب يطول شرحها، في سابع وعشري ذي القعدة، سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، واستمر ملكاً بمكة إلى أن توفاه الله بعد صلاة الظهر، يوم الاثنين حادي وعشري شهر محرم الحرام، افتتح سنة تسع وعشرين وألف، فقام مقامه ولده الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد، بعناية السيد الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد، ولم ينتطح فيها عزازان.

[٥٤٨] أحمد شهاب الدين بن أبي الفتح الحكمي المقرئ الشافعي^(١).

شيخ إجادة تجويد القرآن المجيد، وشرح موارد مناهل عرفان التوحيد، كان من أرباب الأحوال السنية، ذا مهابة وجلالة عليه، يميل بالطبع إلى السماع، وينخلع إذا سمع عن ثريته المحكومة للطباع، وتظهر منه حالات رضية، لمن له بالحواس السليمة إدراكٌ ودريّة.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ١٦٥).

قرأ ببلاد اليمن على جماعة من علمائه، منهم: الشيخ الصديق بن محمد المشهور بالبلاط، وأحمد بن المقبول الأسدي المشهور بأبي الفضائل، وعثمان ابن السهل المشهور بالأقرع، تلميذ العارف بالله شيخين ابن أبي الفتح الحكمي، وعن الهادي بن علي الحكمي، وشيخ الإسلام الأمين بن أبي القاسم شافع، ومحمد بن عبد القادر المحلوي، ومحمد بن يعقوب النمازي.

وقد ألف رسالةً بديعةً سماها: «نسمات الأسحار في ذكر بعض أهل الله الأخيار» جمع فيها من أخذ عنهم العلوم من المشايخ، وما قرأه عليهم من الكتب، وقفت عليها، ورأيت في آخرها ما نصه:

وقد جمعتني الخضر على هؤلاء المشايخ يقظة^(١)، وهم: الشيخ عبدالله ابن أسعد اليافعي، والشيخ أحمد بن موسى العجيل، والشيخ إسماعيل بن محمد الحضرمي، والشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي، والفقير محمد حسين البجلي، أصحاب عواجه.

وقال لي الخضر: تقدم واقرأ على شيخك وجدك الشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي، فقال لي الشيخ: هلم إليّ، فجلست بين يديه، فقال لي: افتش واقرأ، فإذا الكتاب الذي في يدي، كتاب رسالة الشيخ أبي القاسم القشيري، فقرأت عليه الكتاب المذكور في مجلس واحد، من أوله إلى آخره.

قلت: وكان مقيماً بمكة على خير وفي خير، وتوجه لزيارة النبي ﷺ من مكة رابع عشر رجب الفرد، وقدم المدينة الشريفة، فمرض في سابع عشرين

(١) تكرر ذكر الخضر عليه السلام في حكايات الصوفية وأخبارهم، ودعواهم رؤياه يقظة ومناماً، وهذا كله من تلاعب الشياطين بعقول هؤلاء المساكين، نسأل الله الثبات على الدين الصحيح، والنجاة من تخیلات المبطلين.

الشهير للمذكور، وتوفي بين محلاتي الظاهر والمصر، من يوم الجمعة، تاسع عشر شهر رجب المذكور، سنة أربع وأربعين جعد الألف، وخميس يومه غروب الشمس بالبقيع الفرقد، وتوفي في عشر الخميس - نفع الله به -.

[٥٤٩] أحمد بن أسعد القادري الصنفدي.

صاحب ورع وتقوى، ومجاهدة قوية، لا يكاد يفتر عن الأوراد والأدكار، في الليل والنهار.

[٥٥٠] أحمد بن عبد الرزاق بن محمد بن أحمد، الشهير بالمغربي الرشيدي^(١).

نسبة لبلد بساحل البحر، من أعظم مدن مصر، في كفالاته بجمع الفوائد حبل العلوم الموصول بجميل الصلة والعائد، رب الثمن الرشيد في الفنون، وعالم الربع المسكون، المتوج بتاج العلم، الراضع ندي المجد والحلم، الذي عقدت عليه في هذا العصر الخناصر، وأقر بفضلها الأصاغر والأكابر، الجامع الذي أقام فروض العلوم وسننها، وأظهر لدوارسها مآثرها وسننها، الذي يقصر العلم عن استيفاء بعض حقه، إذ هو فارس ميدان العلم الحائر قصب سبقه.

وُلد برشيد، وحفظ بها القرآن وجوده، وأخذ بها عن العلامة عبد الرحمن البرلسي، وعن محمد الشاب، وعلي الخياط، ثم قدم مصر، وجاور بالجامع الأزهر، وأخذ به عن شيوخ كثيرين، ولازم شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وبه تخرج.

(١) «خلاصة الأثر» للمجيب (١/ ٢٣٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٥).

وبرع في العلوم الثقيلة والعقلية حتى فاق أقرانه، ورجع إلى بلده، وصار بها شيخ الشافعية، وعكف بها على التدريس، وشهر بها شهرةً كبيرةً، وألف المؤلفات العجيبة، منها: «حاشية على شرح المنهاج للرملي» في مجلدات، ومنها: منظومة تسمى: «تيجان العنوان» جعلها على أسلوب «عنوان الشرف» لابن المقرئ، لم يسبق إلى مثلها، قرظها له علماء بلده وغيرهم.

ومما قاله فيها:

انظرْ إليه منصفاً	تجذّه قد حاز الظرفُ
لم يحو طرسٌ مثله	في غابر فيما سلفُ
روضاً نضيراً يانعاً	ورداً هنياً المرتشفُ
فكأنمنا الفاظَه	دررٌ عرينَ عن الصدفُ
وكانمنا أبياتَه	غررُ الكواكب في الشرفُ
لا غرو إن لقبتهَا	تيجانَ عنوان الشرفُ

[٥٥١] أحمد بن عبد الرحمن الناشري الزبيدي الشافعي.

كان إماماً عالماً، ورعاً زاهداً عابداً، توفي يوم الخميس، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف.

[٥٥٢] أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد المراغي القرافي الشافعي.

ولد قبيل دخول السلطان سليم إلى مصر، وقرأ القرآن على الشيخ عبد الرحمن بن فردي، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وحفظ «المنهاج»، و«ألفية ابن مالك»، ولازم البحر شهاب الدين البلقيني، بأمر والده، واستمر

عنده إلى أن أجزى بالفتوى، وأخذ الطريقة منه، وأخذ الحديث عن الشريف يوسف الحسيني، والشمس محمد الشرييني الخطيب، والشهاب أحمد الرملي، وأبي النصر الطبلاوي، والناصر اللقاني، وأجازوه بالفتوى.

ولم يكتب على شيء من الفتاوى تأدياً، وسكن بياب القرافة بالرميلة، بترية جوهر الصفوي، وليس له من الجهات شيء، ولازم التدريس بالجامع الأزهر، في الفقه والفرائض، وفي بيته إلى أن توفاه الله إلى رحمته.

[٥٥٣] أحمد بن عبد الرحمن، المعروف بابن الغسال.

تلميذ الشيخ شهاب الدين البلقيني، ومن أعيان جماعته، كان ساكناً بياب القرافة، وكان فقيهاً محدثاً، صالحاً تقياً ناسكاً، وكان يدرس للطلبة بالجامع، بالقرب من خلوة الخطابة، في كل أسبوع يومين، ويعتكف سائر الأيام في بيته، ويقفل بابه من الخارج؛ هرباً من الزوار. وله كشفٌ وكراماتٌ.

قال الشيخ معتوق الحنفي: سُرِق شباك المسجد الذي يصلي فيه، فطلعت إلى الباشا، وأخذت أمراً منه بالتفحص، وجئت فقال: ويلك يا معتوق! إيش تفعل بالأمر؟ ثم قال: لا تتقيد؛ فإنه يظهر بعد عشرة أيام، فلما جاء اليوم العاشر، اتفق أن الحاكم أمر بصلب رجلٍ من السراق الذي أخذ قبله، فلما أراد أن يصلبه بالرميلة، فقال للسايس: اسمع مني كلاماً، والله! ما لي خبر من السرقة التي اتهمت بها، ولكني قد سرقت شباك مسجد الشيخ أحمد بن الغسال قبل هذا، وهي الآن محفوظة في بيتي، وأنا أعرف أنها سبب قتلي لا غير، فذهب بعض الرجال، فأتوا بالشباك من بيته، ووضعوه محله.

زرتة في آخر شعبان، سنة إحدى عشرة بعد الألف في بيته، ودعا لي، فسألته عن سنّته، فقال: قد صار تسعين سنة.

[٥٥٤] أحمد بن عبد الرحمن بن موسى الناشري الزبيدي.

أحد تلامذة شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وقفت له على إجازة بخطه، لمحمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري الشافعي اليمني، ذكر فيها مرويّات له كثيرة في علوم شتى، عن شيخه المذكور، وتاريخها سنة إحدى بعد الألف، ولم أقف له على ترجمة مفيدة.

وكانت وفاته - رحمه الله تعالى - يوم الخميس، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، وقد جاوز التسعين - بتقديم التاء -، ودفن بترية أسلافه بني الناشري، بمقبرة باب سهام من زبيد - حرسها الله -.

وممن لازمه وانتفع به: السيد الجليل أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل - رحمهم الله تعالى -، وكان باذلاً كتبه للطلبة، حريصاً على إفادتهم وتفهمهم، ويحث طلبته على التدريس، ونشر العلم، وكان إماماً في العلم، مجتهداً فيه، ناصحاً لعباد الله، ولما ضعفت قوته من الكبر، وترك التدريس، صار يحضهم بزيادة على الإقراء؛ اعتناء بالعلم وأهله.

[٥٥٥] أحمد بن عبد القادر بن عمر باعِش الدوعني الحضرمي^(١).

خلاصة الخلاصة من المخلصين، وصفوة الصفوة من الصوفية المحققين، وزبدة الزبدة من أهل التمكين، وإمام أهل العرفان في عصره، وشيخ الأولياء

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٧).

في قطره، كان له في علم التحقيق المشرب الصفي، والمقام الأكمل الوفي، ورزقه الله حسن العبارة، وقوة الإشارة، فكان يتكلم بالفتوحات الإلهية، ويتبجح بالمواهب اللدنية.

وكانت السادة الأشراف آل أبي علوي - مع جلالته -، تخضع له، وتأخذ عنه، وتترك به، ولازمه منهم أئمة عارفون، وأكابر محققون، وبه نخرجوا، وببركة علومه انتفعوا، وكان إذا أته الجذبات الإلهية، يغيب عن شعوره بالكلية، وهو حافظٌ للمراتب الشرعية، وقد قال بعض الصوفية: من لم يحفظ المراتب، فهو زنديق.

وألّف الرسائل السنية، التي منها: «شرح أبيات مشكلة لابن عربي»، و«شرح مشكلات الأمر المحكم المربوط وفتح مغلفاته التي هي بسر الذات الأحدية منوط»، و«لوامع أنوار حلية الفقر من مطالع أسرار مسافة القصر»، وكان مولعاً بكتب الشيخ الأكبر محيي الدين، قائلاً بالوحدة الوجودية، التي عليها أصحاب اليمين، وكراماته في أرضه شهيرةٌ لا تحتاج إلى تبين، دوّنّها وأفردها بالتأليف بعضُ الحضرميين، وممن أخذ عنه ولازمه سنين: العارف بالله علي باراس الدوعني، وغيره من أكابر العارفين.

وكانت وفاته في ثاني عشر شعبان، سنة اثنتين وخمسين بعد الألف، ببلده الرباط، من أعمال دوعن، وبني عليه قبةٌ عظيمةٌ، وأعقب ذريةً صالحةً - رحمه الله، ونفعنا به -، ومن تأليفه: حزب سماه: «حزب النصر».

[٥٥٦] أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي - بكسر أوله وثالثه، بعد كل منهما معجمة، قبل ثانيتهما تحتانية -: قريةٌ من أعمال المحلة بالغربية،

ابن القاضي أحمد بن شمس الدين الشافعي ابن علي^(١).

شيخنا العلامة الأوحّد، العلم المفرد، الشيخ الإمام، والجبر الهمام، واحد الدهر، وفريد هذا العصر، شيخ المحققين، وصدور المدرسين في جميع الفنون، بالجامع الأزهر الميمون، المستغني كالشمس عن التعريف، المشتهر في الأصقاع بعلمه الشريف.

الذي بُعد صيته في الأمصار، وفشا فضله في جميع الأقطار، وعم النفع به للحاضر والبادي، والرائح والغادي، ورحل لأخذ العلم عنه أفاضلُ العصر من أقصى البلاد وأدناها، فصار محط رحالهم، ومتهى آمالهم؛ لمزيد معرفته، وشمول بركته، وشدة فطنته، وقوة فكرته، وحسن سبكه مسائل العلم على أسهل وجه وأحسنه، وألطف تركيب وأوجزه وأمتنه، حتى إن الطالب يتخرج به في زمن يسير؛ لقوته على التفهيم، وحل العبارات بأجل تقرير، مع الثبوت في النقل، وكمال العقل، واللفظ العذب، والصدر الواسع الرحب، والإنصاف للطلبة، وزيادة الاختبار، وعظيم المهابة والوقار.

مولده سنة إحدى وأربعين بعد الألف ببشبيش، وهي قرية من أعمال المحلة الكبرى، وحفظ القرآن، وقرأ بالمحلة على الشيخ العارف بالله القطب الرباني حسن البدوي، ولازمه كثيراً، وبشره بأشياء حصلت له، وكان يمسُّ بدنه في ابتداء طلب العلم، ويقول له: يا أحمد! أضلاعتك ملأته من العلم حتى كان الأمر كذلك، والله الحمد والمنة، وأخذ عن الفقيه العلامة علي المحلي الشافعي علوماً عديدةً.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٢٣٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٥٥).

ثم رحل إلى مصر بأمر شيخه حسن البدوي المذكور، وقرأ بالروايات على شيخنا سلطان المزاحي، ولازمه في الفقه والتفسير، والحديث والفرائض والعربية، وبقية العلوم العقلية، نحو عشرين سنة، ولازم شيخنا المحقق أبا الضياء علياً الشبراملسي، وقرأ عليه كتباً كثيرة، منها: «شرح العقائد النسفية»، مع «حاشية الكستلي»، ومراجعة بقية الحواشي، و«شرح الشمسية للقطب»، مع «حاشية السيد» عليه، و«شرح التوضيح لخالد الأزهرى» قراءة بحث وتحقيق، وبه تخرج، وبركة علومه انتفع.

وأخذ عن شيخنا حافظ عصره محمد بن علاء الدين البابلي علوم السنة، وحضر دروس شيخ الإسلام الشمس محمد الشوبري، والمحقق سري الدين الدروري، والمفتن ياسين بن زين الدين الحمصي، وحسين الخفاجي، وحسين النماوي، وأخذ عن العلامة أحمد بن عمران الفاسي حين قدم مصر، وحضر دروسه في علم العقائد والبيان، وعن كثيرين من مشايخ المصريين، والعلماء الراسخين، وأجازه شيوخه.

وتصدر للتدريس في الجامع الأزهر في حياة شيوخه، وأحيا البقعة التي كان يجلس فيها شيخه سلطان، وصار مجلسه فيه مجمع الأفاضل والأعيان، ولازمه جماعة شيخه بعد وفاته، وخلق لا يحصون كثرة، في العلوم النقلية والعقلية، وصرف جميع أوقاته في بث العلم ونشره، والتقيد بطاعة الله وعبادته في سره وجهره، وانتهت إليه في مصر الرياسة، مع شرف النفس والنفاسة.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، وأخذ عنه مشايخ البلدين؛ كعبدالله ابن العباس، والقاضي علي بن عصام الدين العصامي، وأحمد العلامة النخلي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، وعبدالله

ابن سالم البصري، وإدريس بن أحمد الشماع، ومحمد بن أحمد الأسدي، وجاور بمكة سنتين، ومرض بها، واشتد به المرض، فرجع إلى مصر مريضاً، وأقام بها كذلك، إلى أن توجه إلى بلده بشبش، فتوفي بها، يوم الاثنين، سلخ رجب، عام ستة وتسعين وألف، ودفن بها - رحمه الله تعالى -، وجاء تاريخ وفاته: (مات البشيشي).

وقد قرأت عليه - بحمد الله - عدة شروح ومتون، في جملة فنون، وكرعت من زلالها في أنهار وعيون، واجتنت اليناع الجني من ثمار فوائده، ونظمت المكنون الرطب من فوائد عوائده، وبه تخرجت، وبركة علومه انتفعت، وهو من أجل شيوخ الذين أخذت عنهم العلم.

ومما قرأته عليه: «شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا» مرات عديدة، وغالب «شرح التحرير» له، وغالب «شرح المنهاج» للمحقق المحلي، وطرفاً من «صحيح البخاري»، ومن «سيرة ابن سيد الناس اليعمري»، و«ألفية ابن مالك»، و«شرحها لابن عقيل»، وغالب «شرح ابن الناظم»، وجملة كافية من «مغني اللبيب لابن هشام»، ومن «الشرح المختصر على التلخيص» للمحقق التفتازاني، ومن «شرح جمع الجوامع للمحلي»، وجميع «شرح إيساغوجي للشيخ زكريا»، وجميع «شرح التهذيب في المنطق للخبصي»، وكثير من «جمع الجوامع»، و«شرحه للمحلي»، وجميع «ألفية العراقي في أصول الحديث»، وجميع «شرح البسمة لشيخ الإسلام»، و«الجوهرة في العقائد للقاني»، وغير ذلك من الكتب المفيدة، في علوم عديدة، وأجازني بجميع مروياته.

وله سؤال رفعه للعلامة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي المغربي الشهير

بالمرباط، حين قدم من المغرب إلى الديار المصرية، وأجابه عنه^(١).

[٥٥٧] أحمد بن علي الشارح الصنعاني^(٢).

مديد الباع، لطيف الطباع، العالم المفضل، المجلي في حلبة الكمال،
الناشئ في حجر الأدب، ومن ترعرع في بيته الأدب.

من شعره الذي كالتبر المسبوك، والوشى المحبوك: قوله يستنجز السيد
الفاضل إبراهيم بن زيد الحجاف شيئاً وعده به:

أبارئيساً لا يُساوى به	في فرعه الزاكي ولا الأصل
ويا سليل السيد المنتقى	من جاد بالإحسان والفضل
أنت عليمٌ بالذي أرتجي	وكفك المولع البذل
فها أنا منتظر للذي	مثلك ليديه إلى مثلي
مثل انتظار الأرض وبُل السما	تحيا إذا ما شن بالهطل
أيذك الله ولا زلت في	عزٌ سديد القول والفعل

[٥٥٨] السيد أحمد بن الحسن بن المطهر الجرموزي الهادي^(٣).

ينبوعة الأدب، وكريم الحسب والنسب، وفريد الزمان، وآية الأوان، له

(١) جاء في الحاشية: «عند هذا بياض بالأصل أربعة أسطر، وقد ذكر بالهامش هذه

الجملة: يكتب من المجموع الذي أوله رسالة الأشعر».

(٢) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ١٨٦) (٥٩)، «طيب السم» للحمي (١/ ٦٥٤).

(٣) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ١١٧) (٣٤)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٢٠١)

(١٢)، «طيب السم» للحمي (٢/ ٢٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١١٢).

طريقة في النظم والنثر، ما مثلها طريقة، جديرة بأن تكتب بماء الذهب وحقيقة.

من ذلك قوله :

قولوا لمن طروسه	تجسّى بالمعاتبه
ما أنا إلا رقه	لا أطلب المكاتبه

وقوله :

لله خشف لم يزل	وقفاً عليه غراميه
أصبحت مملوكاً له	والعين مني جاريه

وقوله :

وشادن قد جاء في عمامة	سوداء كالليل إذا الليل سجا
كأنما جينّه من تحته	طرة صبح تحت أذيال الدجي

وقوله :

كتمت غرامي خشيّة من عواذلي	ولم أبد منه بعض ما أنا حامله
فباح بما أخفيه سائل مدمعي	ونمّ به فليتق الله سائله

وقوله :

إذا كان من أرجوه عند مطامعي	كمثلي محتاج إلى خالق الخلق
فما حاجتي في قصد مثلي وكيف لا	الوذ بمعطيه ليعطيني رقي
وهل أنا إلا عبده وابن عبده	ويقبّح مني إن أملكتهم رقي

وقوله :

ما ابتسم البرق بمغناهم	إلا بكى جفني لذكراهم
ولما سرى رياهم سحرة	إلا ثنى وجدي رياهم
فأه ممن أمعنوا في النوى	لو ما عفوا من كان يهواهم
لما كان ذي البين فما كنت لو	لبين أبكي عصر لقياهم
هم ألبسوا جسمي ثياب الضنى	وكنت عارٍ عنه لولاهم
هم عذبوا قلبي ولم يشفقوا	على فؤادي وهو مأواهم
وأهرقوا دمع عيوني دماً	وقاطعوا من يتمناهم
كم باع طرفي النوم لما شرى	لرد جاء برق ثاياهم
كم لامني في حبهم لائم	وما درى مقدارهم ما هم
هم جملة الحسن وهم كلة	فهل لنا أن نتسلاهم
كم ضاع رياء عرّفهم مرة	وراح يهدي من تغشاهم
لا كان قلبي إن نوى رفضهم	فلم أكن والله أنساهم
لهني على سالف عيش مضى	ما كان أمراه بمرآهم
يا حبذا ما مرّ في قريهم	ومعهداً فيه عهدناهم
كم أتسلّى عنهم بالمنى	وكم أرجّ القلب لقياهم
يا ليتهم لو سمحوا في الكرى	بطيفهم يأتي بمغناهم
ماذا على الواشين من جمعنا	إذا أتونا أو أتيناهم
هم عودوني الوصل فيما مضى	وخالفوا من كان ينهاهم

هم أصلُ أشجاني فيا ليتني فيما تقضى كنت أنساهم
ما كان أغناني عما جرى وكان عن ذلك أغناهم

وله معارضاً لقصيدة إبراهيم المبلط، التي مطلعها:

حدثت بانه الحي عن صباها^(١)
عللوني برامة عن ظباها بعد أن زاد هجرهم وتناهي
ويربع أودى بي البعدُ عنه كم رأينا شموسه في ضحاها
ورأينا بدوره مشرقاً تسلب الناظرين وسط دجاها
كم تلاها بعوده عندها الصب بُ تلاها من طالع إذ تلاها^(٢)

[٥٥٩] الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي^(٣).

كان ليث آل بني نمي، أديباً فاضلاً نبياً:

تعرف من عينه نجابته كأنه بالذكاء مكتحل
وكان حسن الصورة جداً، عظيم الهيئة، إلا أنه لما تولى مكة، في قصة طويلة، ذكرتها في ترجمة السيد عبد المحسن، استولى على أموال الناس، ولم يرحم من في الأرض، ليرحمه من في السماء، وأبطل الميراث، واستأثر به عن الوارث، وضبط ما أخذه، فبلغ ثلاثة وثمانين ألف ألف دينار، وكان

(١) جاء في الحاشية: «باقي الشطرة ممسوح، وكذا بيت بعده».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢١١)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٢٣٩)، «الأعلام» للزركلي (١ / ١٦٣).

في بدايته أخذ الطريق عن العارف بالله أحمد الشناوي، وهو المبشر له بولاية مكة، لكنه قال : على الشهادة يا أحمد، فقال : على الشهادة، وكان كثيراً ما يكتني عنها بطلوع الشمس .

وعاقب بعد الولاية كثيراً ممن كان قبل استبعادها عنه، وسخر منه، وكان له أخدان وجلساء قبل الولاية، فحصل لهم الأذية بعد قتله من قانصوه باشا، منهم : السيد سالم بن أحمد شيخان، والشيخ أحمد القشاشي، والشيخ محمد القدسي خليفة السيد البدوي، فحبس الجميع، وثقل عليهم، حتى افتدوا أنفسهم بمالٍ جزيل، وذلك بوشاية شخص يقال له : المياس .

واستمر متغلباً على مكة، وهو في الحقيقة مغلوبٌ عليه؛ لأن الولاية للعسكر المتولين عليه، واستولى على أموال مكة، ورقاب أهلها، وصادر التجار، وحبس من حبس، وقتل من قتل، فنفرت الناس، وجلت عن مكة، وخالفت القبائل، وتقطعت الطرق، وأكثر العسكر الفساد، في أشراف البلاد، وسكنوا بيوت الأشراف، وانتهكوا حرمتهم .

وقبض على جماعة من الأعيان، من أجلهم : الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، وحبسه مضيقاً عليه، فلما كان موسم سنة سبع وثلاثين، قدم الحاج المصري، وأميره إذ ذاك قانصوه باشا، وكان بينه وبين عبد الرحمن المذكور مودةٌ أكيدة، ومكاتباتٌ سابقة .

فلما صعد الحجيج عرفة، أتى حريمُ الشيخ عبد الرحمن إلى مخيم قانصوه، مستشفعين به إلى السيد أحمد بن عبد المطلب، في إطلاقه من الحبس، فرق لهن رقةً عظيمةً، وتوجه إلى الشريف يوم عرفة، مستشفعاً به، فلم يرجه، ولم يؤيسه، فلما كانت ليلة النحر، أمر عليه، فخنق شهيداً، وكان

ذلك سبباً لوقوع ما وقع من قانصوه باشا، في السيد أحمد بن عبد المطلب
ثانياً، لما قدم أميراً على اليمن .

ثم استمر السيد أحمد في الولاية إلى أن حج بالناس سنة ثمان وثلاثين،
فجاء للحاج أمير آخر، وجاء قانصوه باشا متوجهاً لفتح اليمن، وصحبها
العساكر، وعدتها ثلاثون ألفاً، وضرب وطاقه في أسفل مكة، وكان بين السيد
مسعود بن إدريس، وبين السيد أحمد بن عبد المطلب ممالأة ومواطأة قبل
نزوله لجدة، مضمونها: أني لا أريد الملك لنفسي، إنما أريده لك، أو هو
بيننا، فخذل عني ما استطعت من آل أبي نمي، وثبطهم، وحل عزائمهم،
ووعده بذلك، ففعل ما فعل، وحصل به على الشريف محسن ما حصل، والله
الأمر .

فلما نزل أحمد بن عبد المطلب إلى جدة، تقمصها لنفسه، ولم يف
لمسعود ببعض تلك العهود، بل أراد قتله، ففر إلى قانصوه والتجأ، وصدر
قانصوه على السيد أحمد مملوء بالوجأ، فلما أقبل قانصوه قاصداً لليمن،
لاقاه الشريف مسعود من الينبع والحوراء، وجاء معه مختفياً، ولم يزل به
مختفياً .

وواجه في المجيء الأول السيد أحمد بن عبد المطلب قانصوه، ورد
عليه تحية القدوم، وعزم على محاربة قانصوه، فازداد قانصوه عليه حنقاً
على حنق، وشرع ليستميل عسكر أحمد، فأطاعوه، فخرجوا من مكة، ثم
خيم قانصوه بالزاهر .

ولما أن قضت الحجاج مناسكهم، وذهبوا إلى أوطانهم، تخلف قانصوه
بثقله أسفل مكة، فلما تحرك للسفر، قدم ثقله، ولم يبق إلا وطاقه وخيام

العساكر، فأشار قانصوه إلى شخص يتعاطى خدمته، من أبناء الطواف يسمى: محمد الميَّاس، أن يحسِّنَ للسيد أحمد بن عبد المطلب الوصولَ إلى قانصوه للوداع، ففعل، وذهب إلى الشريف أحمد، وحسِّنَ له ذلك يوم السبت، رابع شهر صفر.

فلما كانت ليلة الأحد، خامس عشر الشهر المذكور، من سنة تسع وثلاثين وألف، ركب الشريف أحمد وصحبته من الأشراف: شبير بن بشير بن أبي نمي، ومحمد بن حسن بن ضبعان، وراجح بن أبي سعيد، ومن أعوانه: وزيره مقبل الهجالي، وأحمد البسوتي متولي بيت المال، وفليفل.

فلم يزالوا يدخلون في الصيوان، من باب إلى باب، يمنع عند كل باب طائفة من أتباعه حتى دخلوا، فتحادثا ملياً، ثم نصباً رقعة الشطرنج، فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة، قبض على الجميع، فقتل الشريف أحمد بن عبد المطلب، فتوفي شهيداً، فتحرَّكت عساكره، فأظهره لهم مقتولاً، ونشر البيروق، ونودي: المطيع للسلطان يقف تحته، فوقفت العساكر تحته، وخلع على الشريف مسعود بن إدريس، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير.

وكان للسيد أحمد بن عبد المطلب زوجان من القنا الطويل جداً، بسانٍ مذهبٍ، تحته أكرةٌ من الفضة المطلية، يحمل كل واحدٍ رجلٌ يمشي على قدميه، إذا سار في موكبه، يسيران أمامه قريباً منه، يصوبانهما ويصعدانهما، بحركةٍ سعيدةٍ، لطيفة التصعيد والتصويب على سواء، وربما كان فيهما أجراس.

قلت: وهذا يفعله إلى الآن أئمة اليمن، ابتدعه، فقد كان يفعله الخلفاء

العباسيون، وقد ذكر شعراؤهم ذلك في أنوشروان، وزير المستظهر بالله الخليفة العباسي:

وألوية منهن صقران أوفيا على عَلمي رمحين فارتباكا
وليسا سوى النسرين من أفتيهما لجهما نيل العلا تبعاكا
وكان إذا سار في الليل، لا يوقد بين يديه إلا الشمع الموكبي، بدلاً عن المشاعل، وكان دخوله مكة متمكناً لها، وإجفال الشريف محسن وبني عمه عنها، ضحى يوم الأحد، سابع عشر رمضان، سنة سبع وثلاثين وألف، فكان يتبجح ويقول: فتحت مكة بالسيف، كما فتحتها رسول الله ﷺ، ودخلتها في مثل اليوم الذي دخلها فيه ﷺ.

قال صاحبنا الشيخ عبد الملك بن حسين العصامي: أما قوله: فتحتها، فالمشهور الذي عليه الجمهور: أنها لم تفتح عنوةً، وإنما فتحت صلحاً، وما وقع من خالد بن الوليد رضي الله عنه، فإنه نوّش بعض قتال مع الأحابيش، وعبدان أهل مكة، في أسفل مكة، وقد نهاه ﷺ عن القتال، ولكنه لما قوتل، قاتل، وهذا هو شبهة القاتل بأنها فتحت عنوة.

وأما قوله: ودخلتها... إلخ، فخطأ؛ لأنه لم يدخلها - عليه الصلاة والسلام - سابع عشر، وإنما دخلها ثامن عشر، وهب أنه كان كذلك، فأين هذا الدخول من ذلك؟ فإن هذا جرأة ويغي على حرم الله، ومكان حرمة وذرية نبيه؛ إذ في ضمن هذا التشبيه تشبيه من فيها من المسلمين الآن بالمشرّكين إذ ذاك.

وقال في ذلك إبراهيم بن يوسف الشهير بالمهتار:

سنة السبع والثلاثين بعد الألف جاءت بمابه ينفر الطبع
دخل السبع مكة الله بالجنـد ولا شك أنها سنة السبع
وكانت مدة ولايته سنة وأربعة وثمانية عشر يوماً - رحمه الله - .

[٥٦٠] أحمد بن عبد المؤمن بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن
إبراهيم بن داود بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن علي بن محمد بن
عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن نزيل
ابن علي بن عثمان بن سريح بن عمرو بن عامر الحكمي، نسبة إلى حكما
حرض بن سعد العشيرة بن مذحج، واسمه مالك بن داود بن زيد بن يشجب،
وهو عمر بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر، وسمي بسبأ؛ لأنه
أول من سبى السبايا في أرض العدو، ويسمى أيضاً: عامر بن يشجب بن
يعرب - وهو أول من حُبي بتحية الملك، وهي: انعم صباحاً، وأبيت اللعن -
ابن قحطان بن عامر بن شالـخ بن أرفـخشد بن سام بن نوح بن لملك بن لاح
ابن المنوـشـلـخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش
ابن شيث بن آدم - عليه الصلاة والسلام - .

شيخنا العارف بالله، كان شيخاً جليلاً كاملاً، عظيم الشأن، من
أهل المكاشفات والخوارق، ومن المتعبدين الخيرين الزاهدين، والفضلاء
الصالحين، وُلد بهجرة طيبة، من قرى المحويت، من بلاد كوكبان، وبها
نشأ، وقرأ القرآن وجوده، واشتغل بما ينفعه من العلوم الدينية على جماعة من
بني نزيل، ولحظوه، ففتح الله عليه بفتوحاتٍ سنية، وحصلت له مرتبةٌ عليّةٌ.
فصار معتقداً ذلك الإقليم، ومرجعاً لأهله، وكان في غالب الأعوام يخرج

مع جماعة من مريديه؛ بقصد السياحة، وزيارة الأولياء، ويطوف غالب بلاد الجبل وتهامة، فيأتوه بالنذور والزكوات، فيفرقها بنظره على أهلها، ويرجع إلى بلده.

وكان منزله زاوية للصالحين، ومقصداً للواردين، وحج، وزار النبي ﷺ، واجتمع بالعارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، وأخذ عنه، واستفاد، وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن الحسن الكردي، وله مع العارف بالله أحمد القشاشي كرامات ومكاشفات، منها: أنه بشره في كتاب كتبه إليه بأولاد أربعة، وأمره أن يسمي كل واحد منهم بمحمد، وأن يفرق بينهم بالكنى، فحصل له ما ذكره الشيخ في كتابه.

وللمذكور كرامات، وانتفع به جماعة من المعتقدين له.

[٥٦١] أحمد بن عبدالله بن سالم بن عبدالله بن فضل بن عبدالله بن محمد ابن الفقيه سعد بن محمد ابن القاضي أحمد بن محمد ابن الفقيه فضل ابن محمد بن عبد الكريم بن محمد، إلى هنا انتهى نسب آل أبي فضل، وسيأتي الكلام عليه، بافضل الشهير بالسودي^(١).

أحد الأعيان، وفضلاء الزمان، كان من أفضل أهل زمانه في العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وأعرفهم بالعربية على الإطلاق، ومن أحذق الحذاق، حفظ القرآن، و«الجزرية»، و«الجرومية»، و«الملحة»، وأكثر «الألفية»، وقطعة من «المنهاج»، وحفظ كثيراً من الدواوين، ومن كلام العرب.

وأخذ عن السيد عبدالله بن شيخ العيدروس علم التصوف، ولبس منه

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٣٥).

الخرقة، وصحبه مدةً مديدةً، وتخرج به في علومٍ عديدةٍ، ثم صحب ولده زين العابدين، ولازمه، وتخرج به في المتون والاصطلاحات، وأخذ الفقه عن الفقيه محمد بن عيسى، وعن السيد عبد الرحمن بن شهاب الدين، وسمع من خلقٍ لا يحصون، وبرع في أصول الدين والحديث والعربية والتصرف، ودرّس وصنّف، ومن تصانيفه: «حاشية على القصيدة الطرائفية»، وله ديوان نظم، ونظمه كثيرٌ حسن، ولذلك سموه: السوداني.

توفي سنة أربع وأربعين بعد الألف - رحمه الله -.

[٥٦٢] أحمد بن عبدالله بن حسن بن محمد بن عبدالله باعتر السيؤوني
الحضرمي الشافعي^(١).

شيخنا الإمام الجليل، العلامة النبيل، كان شيخاً صادقاً للهجة، شديد
الخوف من الله تعالى، فقيه النفس، لطيف الذوق، حسن المحاضرة.

مولده - كما أخبرني شيخنا حسن العجيمي، نقلاً عنه - سنة اثنتي عشرة
بعد الألف، أو سنة ثلاث عشرة، بالحوطة من أعمال سيؤون، من وادي
حضر موت، وببلده حفظ القرآن، ثم رحل لمكة، وأخذ بها عن جمعٍ منهم:
شيخنا حافظ العصر محمد البابلي، ومحمد علي بن علان، ومحمد الطائفي،
وعلي بن أبي بكر الجمال، وعبدالله باقشير، وعيسى بن محمد الجعفري،
وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من الختم الإلهي أحمد القشاشي، ومهنا بن عوض
بامزروع الحضرمي.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٧١)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٢٢٩، ٣٨٨)،

«الأعلام» للزركلي (١/ ١٦١).

897

و«شرح بانت سعاد»، و«ذيل على تاريخ المدينة للمرجاني» في مجلد.

[٥٦٣] أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد
ابن حبيب الله بن رفيع الدين بن خواجه نور الدين ابن خواجه نصير ابن خواجه
محمود ابن خواجه سليمان ابن خواجه يوسف بن السلطان شهاب الدين علي،
المعروف بفروخ شاه الكابلي ابن خواجه نصير الدين ابن خواجه محمود ابن
خواجه سليمان ابن خواجه مسعود ابن خواجه عبدالله ابن خواجه واعظ أصغر
ابن خواجه واعظ أكبر ابن خواجه أبي الفتح بن إسحاق بن إبراهيم بن ناصر
ابن عبدالله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه السلام الفاروقي السرهندي
الحنفي^(١).

أحد مشاهير أكابر أهل الطريقة بالديار الهندية، وله بها الشهرة العظيمة،
خصوصاً عند ملوكهم، وله المنزلة العلية عند خاصة الناس وعامتهم، أخذ
طريق النقشبندية، والقادرية، والجشتية عن الخواجه محمد باقي، وعن الشاه
ابن الشاه إسكندر، وعن عبد الرحمن البدخشي الشهير بجامي مرزا، وأجازوه،
وتصدر للإقراء والإفادة، وأخذ عنه خلق لا يحصون.

وله مؤلفات كثيرة، ومكاتيب شهيرة، وغالبها باللغة الفارسية، ولما
وقف عليها مشايخ عصرنا، أنكر جماعة منهم أشياء فيها، ومنهم: شيخنا
العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي، ألف في تكفيره عشر رسائل.

ووافقه - على ما سمعت من الثقات - شيخنا العلامة إبراهيم الكردي،
وجماعة، وألف شيخنا علامة العصر أحمد، لما وقف على ذلك، في مجاورته

(١) «هدية العارفين» (١/ ١٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٢).

بمكة البشيشي، برسالة في الاعتذار عنه، ومنع تكفيره وتكفير أمثاله في شطحاته، ثم رد عليه شيخنا محمد البرزنجي برسالة أخرى جعلها كالشرح لرسالة شيخنا أحمد، وطال الكلام بين الفضلاء في شأنه، واللائق بالأدب ترك التكلم بذلك، والأسلم للعاقل الوقوف مع الحد الشرعي.

وقد أفرد أحواله وكراماته بعض تلامذته، وذكر أن كثيراً من الناس نالوا من أثر صحبته الفوز العظيم، وصاروا من أهل الكشف والذوق، وملأ الأرض ذكرهم شرقاً وغرباً، وكان يخبر بأمور قبل وقوعها، فتقع كما يخبر، وكم من مريض عليل أيس الناس منه، فبمجرد أن يأتوا به إليه يبرأ من وقته، وربما خطر ببال أحد في مجلسه شيء، فيبينه له، وذكر كثيراً من وقائعه الغريبة^(١).

توفي المترجم بسرهند، في تاسع وعشري صفر، ختم الله له بالخير والظفر.

[٥٦٤] السيد أحمد حياش الأهدل.

كان فقيهاً في المقرية، غربي ملحان، من اليمن الميمون، وكان من أهل الفضل، موصوفاً بمعرفة العلوم العربية، وله ذرية طيبة هناك، وذكر ابن الحضرمي في «تاريخه»: أن ممن سمي بالأهدل تبركاً، بني الحضرمي المعروفين بملحان، فغلب عليهم هذا الاسم، وليسوا من ذرية الشيخ علي بن عمر الأهدل، بل هم من ذرية الشيخ إسماعيل الحضرمي - نفع الله به -، وليسوا بأشراف، فليعلم ذلك.

(١) جاء في الحاشية: «غالباً أنه مر».

[٥٦٥] القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري .

ممن برز على أبيه ، فهو سباق غايات الكتابة والنجاة والقلم ، لا يأتي الزمان بمثله ، حظي عند المؤيد ، ثم قام مع صنوه أحمد بن القاسم ، فكَلَّتْ شوكتُهُ عند الإمام المتوكل . . . (١) .

[٥٦٦] أحمد ابن الشيخ العلامة زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي .

كان إماماً فاضلاً ، متبحراً في الفقه ، مرتب فتاوى والده على ترتيب كتب الفقه ، وسماها : « الفتاوى الزينية » ، توفي بمصر بعد الألف .

[٥٦٧] السيد أحمد بن شيخان باعلوي الحسيني (٢) .

السيد الشريف ، ذو الحسب الباذخ المنيف ، وُلِدَ بالمخا ، وكان - رحمه الله تعالى - من أكابر المشايخ الصالحين ، والأولياء الكاملين ، وكان خاتمة زمانه في الكرم والجود ، مرتباً لغالب أصحابه كل سنة نفقة وكسوة ، وكان يكرم الوافدين ، ويحب الفقراء والمساكين ، ويطعم الطعام ، ويصل الأرحام ، ويصلي بالليل والناس نيام ، وكان يعمل كل يوم سماطاً عظيماً يجلس هو وجماعته وأصحابه ، ثم يجلس الأخدام ومن حضر من بقية الناس ، ثم يجلس العبيد وأهل الحرف الدنية ، ويفضل نحو أربعين رغيفاً يجلس تحت بابه ، وكل من مرّ من الفقراء أعطاه رغيفاً .

ولما مات والده ، استولى على مخلفه أخوه السيد حسن ، وصرفه ، وأبرأه

(١) جاء في الحاشية : « بعد كلمة « المتوكل » صفحة وثلاث بياض » .

(٢) « خلاصة الخبر » لعمر بن علوي الكاف (١١٢) ، « عقد الجواهر والدرر » للشلي

(٢٣٣) ، « خلاصة الأثر » للمحبي (١ / ٢١٩) .

صاحب الترجمة من جميع ذلك، وتعاطى التجارة، ففتح الله عليه فيها حتى اتسعت أملاكه، واستوطن بمكة، وصار يمدّ أخاه بالنفقة، وبناته من بعده.

وزار جده - عليه الصلاة والسلام -، وحصل له مزيد الإكرام، وعمي في آخر عمره، ولما زار النبي ﷺ، وقد كف بصره، قصد بعض الأولياء الذين يرون النبي ﷺ، فطلب منه أن يسأل النبي ﷺ: هل قبلت زيارته؟ فقال النبي ﷺ: نعم قبلت زيارته، فطلب منه أن يسأل النبي ﷺ أن يرد عليه إحدى عينيه؛ ليعيش بها، وينظر عجائب مخلوقاته، فقال النبي ﷺ: قل له: سيرد الله عليك عينيك، فكان الأمر كما قال، فإنه لما رجع إلى مكة، أتى إليه رجلٌ، ففتح له عينيه، واستمر على الحالة المرضية، إلى أن وافته المنية، وقدم على رب البرية.

فتوفي فجر يوم الجمعة، ثامن شهر رجب، سنة أربع وأربعين وألف، بثغر جدة، فحمله ولده السيد سالم من جدة إلى مكة، ووصل به ليلة السبت، ودفن في صبح اليوم المذكور، على أبيه وأخيه في حوطة آل باعلوي الشهيرة بالمعلاة، وأرخ وفاته السيد سالم، بعد أن رآه في منامه بقوله:

شاهدتُ في عالم الوفاة بليلة عزا أحمد قائلًا نفسي أحمدي
أسكنت جنات النعيم ونعم هي نزلًا فتاريخ الوفاة (تخلدي)
وقوله أيضاً:

أعظم الله للخلف في أب عمدة السلف
جاء تاريخ موته (يا جليلُ أحسن الخلف)

[٥٦٨] أحمد بن عثمان بن عبد الرحيم.

صاحب المَسَوِّح، العلامة الشهير، الذي أخدمه الله الدنيا لطلبة العلم،

كان من عجائب الدنيا، أثرت فيه خدمة العلم تأثيراً لم يكن لأحد من نظرائه، وسخر الله له أخاه الزين بن عثمان، فحج خمساً وعشرين مرة، وكان يأخذ له في كل موسم الكتب الفاخرة من مكة، ولحسن نيتهما تقف الناس بخزانة المَسْنُوح، وهو أحد مشايخ الإمام القاسم.

مولده سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، وتوفي حادي شوال في سنة تسع وألف، وعمره ست وستون سنة، وكان له الولد النجيب، الذي ظهرت عليه دلائل الفحولة في الطفولة، فألف وصنف، وهو محمد بن أحمد بن عثمان، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة، ومات سنة اثنتي عشرة وألف، عن خمس وثلاثين سنة - رحمه الله -.

[٥٦٩] أحمد بن علي بن محمد مطير^(١).

الإمام العلامة الحفاظة، أعجوبة الزمن في حفظه وإتقانه، وضبطه وإطلاعه على جميع الفنون، حتى على علوم التوراة، فسبحان الوهاب! له التأليف العديدة في كل فن، منها: «منظومة في الفرائض».

[٥٧٠] أحمد بن علي السندوبي الشافعي المصري^(٢).

صاحبنا الشيخ العلامة، كان من أعيان المدرسين بالجامع الأزهر، من أكابر الأفاضل بمصر، ذا عباراتٍ فصيحَةٍ، وطباعٍ مليحَةٍ، قرأ على الشمس محمد الشوبري، وعليّ الشبراملسي، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وشهاب الدين القليوبي، وكثير، وأجازه شيوخه، وتصدر بالجامع للتدريس،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥٢).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥٦).

في ضروب العلوم العقلية والنقلية، وألف مؤلفاتٍ منها: «شرح على ألفية ابن مالك»، و«منظومة في الحال»، و«أخرى في مصطلح الحديث»، و«حجرات».

واتفق لي بعد أن زرت المعلاة تربة مكة، فتذاكرنا أنسها، وعدم الوحشة فيها، بالنسبة لمقابر غيرها من البلاد، ومن فيها من الأولياء، ممن لا يحصى كثرة، فذكرت له ما نقله المرجاني في «تاريخ المدينة» عن والده.

قال: سمعت أبا عبدالله الدلاصي يقول: سمعت الشيخ أبا عبدالله الديسي يقول: كشف لي عن أهل المعلاة، فقلت لهم: أتجدون نفعاً بما يهدى إليكم من قراءةٍ ونحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك، قال: فقلت لهم: أما منكم أحدٌ واقف الحال؟ فقالوا: ما يقف حال أحدٍ في هذا المكان.

فأعجب به، وقال: أرجو من الله أن يمتني بمكة، وأن أدفن بالمعلاة، فلم يقدّر له ذلك.

فتوفي - رحمه الله تعالى - بمصر، عام سبعة وتسعين وألف، وصلي عليه بالجامع الأزهر، في مشهدٍ حافلٍ، غرة جمادى الأولى يوم الثلاثاء، وعمره ثمان وستون سنة، ومن مؤلفاته: «شرح على قصيدة المقرئ» التي مطلعها: سبحان من قسم الحظوظ... البيت، في نحو عشر كراريس، و«شرح العقيدة الشيبانية»، و«شرح العنقود في النحو للموصلية».

ومن شعره ملفزاً في ناصر، وهذا المعنى للقطب المكي:

صبرنا فلما أن رأى الصبر بأسنا تأخرَ عنا وهو منقطع القلب

وله :

أيا طالب الدنيا تنبّه فليس بها لمخلوق مقام
ودنيانا بأهلها كركب يُسار بهم وأكثرهم نيام

وله :

إذا ما رمت من جاؤوا بإفك فهالك عداؤهم فيما يُصحّخ
تولى كبره ابن أبي سلول وحمنة ثم حسان ومنطخ

وله :

إذا عُدّت المريض فلا تطوّل وقُلّ في الكلام لدى العياده
ولا تذكر له فيها مريضاً ولا خبراً فذلك خير عاده

وله :

رويت على السلطان ضوعف أجره صحيح البخاري عن كرام أجلّه
عليّ عن الرملي عن والد له عن الديمي عن أحمد زين ملّه
تنوخي عن الحجازي ذا عن زيدهم فسجزي عن الداودي زاكي الجبلّه
سرخسيهم ثم الفبري رواه عن مؤلفه جوزي بكل فضيلة

[٥٧١] أحمد بن علي بن راشد^(١).

الأمير الكبير، العلم الشهير، كان صاحب عدل تام، ونفع عام لسائر
الأنام، محباً للسلادة الكرام، والعلماء العظام، باذلاً لهم الإنعام والإكرام،

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦١).

عارفاً بزمانه، فائقاً على أقرانه، صاحب ثروة وفنون، ودين متين، ومروءة وأخلاق رضية، وسيرة مرضية، واستمر على ذلك حتى وافته المنية، سنة أربع بعد الألف - رحمه الله، وغفر له كل خطيئة ..

[٥٧٢] أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد جلاخ باقشير^(١).

الشيخ الإمام المفضن في العلوم، الذي رفع الأستار عن وجوه إعجازها، وميز بين حقيقتها ومجازها، فلذا عقدت عليه الخناصر، وأثنى عليه الأصاغر والأكابر.

وُلد بحضرموت، ببلده المسماة بـ: «العجر»، وحفظ القرآن على يد جده الشيخ الهادي باقشير، وقرأه بالتجويد، وحفظ «الجزرية»، وغيرها من فن القراءات والتجويد، وحفظ «الإرشاد»، و«الألفية»، و«القطر»، وغيرها، وجل محفوظاته على مشايخه، ولازم جده المذكور، وأخذ عنه التصوف، ورباه فأحسن تربيته، وأخذ عن جماعة بحضرموت.

ثم ارتحل إلى المستفاض، وأقام عند ضريح العارف بالله الشيخ الجوهري مدة؛ لتعليم القرآن، وتدرّس العلم النافع، وانتفع به كثير من أهل تلك الجهة، ثم ارتحل إلى مكة المشرفة، فحج حجة الإسلام، وأقام بها وشباب الزمان مقبل، وعذاره من ندى الطل ما بقل، وتبوأ صحن مسجدها الشريف داراً، واتخذ لأفلاك علومه مداراً.

ولقي بمكة سادة أعلام الأئمة، وقادة علماء الأمة، الجامعين بين

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٥١)،

«موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٢٧).

المنقول والمعقول، والقارعي ذرا التحقيق في الفروع والأصول، من أفاضل العلماء الراسخين، وأئمة الدين؛ كالشيخ عبدالله باقشير، أخذ عنه علم التجويد والقراءات عليه للسبع، بعد أن حفظ «الشاطبية»، وحلها عليه، وقرأ عليه شرحها.

وأخذ الفقه عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وعن الشيخ علي بن الجمال الفقه والفرائض والحساب، ولازمه في هذين الفنين، وأخذ الفرائض والحساب أيضاً عن الشيخ أحمد بن تاج الدين رئيس الموقتين بالحرم النبوي، ولازمه ملازمة تامة حتى تخرج به، ولما قدم العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي إلى مكة، لازمه، وقرأ عليه العلوم العقلية؛ كالأصليين، والمنطق، والمعاني والبيان، والبديع والنحو والصرف، وكان الشيخ عبدالله باقشير يحبه، ويشير إليه، وكان إذا ورد عليه مسألة مشككة، أمره أن يراجعها له ويحررها، ثم يكتبها، وكان الشيخ - إذ ذاك - ضعُف عن المراجعة، وقلَّ نظره، وزوجه بابتته.

ثم أذن له مشايخه في التدريس، فدرَّس، وأخذ عنه جمعٌ، لا سيما بعد وفاة شيخه المذكور، ثم شرع في التأليف، فصنف عدة رسائل، لكنه لم يبيضاها، وله نظمٌ كثيرٌ، ونظم «أرجوزةً في علمي الفرائض والحساب»، جمع فيها فأوعى، ثم شرحها شرحاً طويلاً، استوعب جميع الطرق والمباحث.

وبالجملة: فقد انفرد بعلمي الفرائض والحساب، بعد شيخه علي بن الجمال، لا سيما علم المناسخات، فإنه كاد أن يحفظ جدول ابن عبد الغفار؛ لكثرة مطالعته له وقراءته، وشرع في اختصار «حواشي الفهامة ابن قاسم على التحفة».

توفي - رحمه الله - ضحى يوم الخميس ، سابع عشر شهر ربيع الثاني ،
سنة خمس وسبعين وألف بمكة ، وحضر جنازته خلق كثير ، وحملوه وللمساء
تمطر ، حين فرغوا من دفنه ، وممن حمل جنازته : الشيخ عيسى بن محمد
الجعفري ، والشيخ أحمد بن عبد الرؤوف ، وأسف الناس عليه ، ودفن بالمعلاة
- رحمه الله - .

[٥٧٣] أحمد بن علي بن أحمد المالكي البُسْكَري^(١) .

- بضم الموحدة وسكون السين المهملة - الشيخ الصوفي الذي أشرقت
أنواره ، والأديب الذي طابت أنباؤه وأخباره ، جميل الأوصاف والمناقب ،
حسن المنظر في إصلاح العواقب ، أخذ عن والده علي ، وكال له بالمكيال
الوفي ، وعن صاحبنا الفاخر السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس ، وغيرهما ،
وكان لطيف الذات ، كامل الصفات ، وأكثر همه الاستعداد ليوم المعاد .

قال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس في «النور السافر» : وكان
صاحبنا أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح ، متصفاً بالعفاف ، قانعاً
بالكفاف ، لا يرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة أو كتابة مظهراً للجهالة ،
له جملة مصنفات ، وكان كُفَّ بصره قبل وفاته بقليل .

وكانت وفاته ليلة السبت ثالث عشر ربيع الثاني سنة تسع - بتقديم التاء -
بعد الألف بمدينة أحمد آباد من أرض الهند ، وللشيخ الفاضل النحرير عبد اللطيف
ابن محمد الدبير فيه مدائح كثيرة ، منها : قوله مجيباً له :

وافى الكتابُ من الملاذ البُسْكَري أزرت حلاوته بطعم السُكَّرِ

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٢) ، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٢٤٣) .

صمدٌ من صمدٍ حديدٍ حديدٍ	صمدٌ من صمدٍ حديدٍ حديدٍ
تخصتُ بغيرِ حديدٍ حديدٍ	تخصتُ بغيرِ حديدٍ حديدٍ
يا حديدٍ حديدٍ حديدٍ حديدٍ	يا حديدٍ حديدٍ حديدٍ حديدٍ
يا حديدٍ حديدٍ حديدٍ حديدٍ	يا حديدٍ حديدٍ حديدٍ حديدٍ
أنتَ الذي حصدتَ العلومَ بغيرِها	أنتَ الذي حصدتَ العلومَ بغيرِها
يا وراثتُ شرفٍ للفضيلةِ كثيراً	يا وراثتُ شرفٍ للفضيلةِ كثيراً
نعتي شهابٌ للدينِ من هلالٍ للمورى	نعتي شهابٌ للدينِ من هلالٍ للمورى
مذ غبتَ عني لم أزلْ لك ذاكراً	مذ غبتَ عني لم أزلْ لك ذاكراً
هل عطفةٌ يا خَلَّ منك برأفةٍ	هل عطفةٌ يا خَلَّ منك برأفةٍ
والله أسألُ جمعَ شملٍ عاجلٍ	والله أسألُ جمعَ شملٍ عاجلٍ
أبقاك ربي للإفادةِ دائماً	أبقاك ربي للإفادةِ دائماً

وقوله مادحاً له من قصيدة يقول فيها:

أعني به أحمدَ المحمودَ سيرته	أعني به أحمدَ المحمودَ سيرته
شهابٌ نجل عليّ البُشكري بلداً	شهابٌ نجل عليّ البُشكري بلداً
قد خصّه بجزيل الفضل خالقه	قد خصّه بجزيل الفضل خالقه
له بديعُ بيان في الخطاب يرى	له بديعُ بيان في الخطاب يرى
فكم جلا دُرراً تسمو الدراري بها	فكم جلا دُرراً تسمو الدراري بها
أخباره قد أتت في الحال تخبرُ عن	أخباره قد أتت في الحال تخبرُ عن
حديثه الحسنُ العالي روايته	حديثه الحسنُ العالي روايته

توفي - رحمه الله - ضحى يوم الخميس، سابع عشر شهر ربيع الثاني، سنة خمس وسبعين وألف بمكة، وحضر جنازته خلقٌ كثيرٌ، وحملوه والسماء تمطر، حين فرغوا من دفنه، وممن حمل جنازته: الشيخ عيسى بن محمد الجعفري، والشيخ أحمد بن عبد الرؤوف، وأسف الناس عليه، ودفن بالمعلاة - رحمه الله -.

[٥٧٣] أحمد بن علي بن أحمد المالكي البُسْكَري^(١).

- بضم الموحدة وسكون السين المهملة - الشيخ الصوفي الذي أشرقت أنواره، والأديب الذي طابت أنباؤه وأخباره، جميل الأوصاف والمناقب، حسن المنظر في إصلاح العواقب، أخذ عن والده علي، وكال له بالمكيال الوفي، وعن صاحبنا الفاخر السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس، وغيرهما، وكان لطيف الذات، كامل الصفات، وأكثر همه الاستعداد ليوم المعاد.

قال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس في «النور السافر»: وكان صاحبنا أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح، متصفاً بالعفاف، قانعاً بالكفاف، لا يرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة أو كتابة مظهرًا للجهالة، له جملة مصنفات، وكان كُفَّ بصره قبل وفاته بقليل.

وكانت وفاته ليلة السبت ثالث عشر ربيع الثاني سنة تسع - بتقديم التاء - بعد الألف بمدينة أحمد آباد من أرض الهند، وللشيخ الفاضل التحرير عبد اللطيف ابن محمد الديبر فيه مدائح كثيرة، منها: قوله مجيباً له:

وافى الكتابُ من الملاذ البُسْكَري أزرت حلاوته بطعم السُكْرِ

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٢)، «خلاصة الأثر» للمجبي (١/ ٢٤٣).

نفدوتُ من فرح به ومسرّتي	نشوان راح في ثياب تبخّترِ
خلصتُ إليّ به النسيمُ منوراً	أمنيةً مثل الصباح المسفرِ
يا سيدي خلي صديقي قد وتى	مبدي إلي مواهباً لم تصغرِ
يا جامعاً للعلم طُراً والعلا	وجميل ذكر لا يشنه ممترِ
أنت الذي خضتَ العلوم بأسرها	وبلغتَ قصواها وليس بمنكرِ
يا وارثاً شرف الفضيلة كابرأ	عن كابر حقاً بمثلِكَ مَفْخَرِ
أعني شهاب الدين مَنْ فاق الورى	بالفضل والأدب الأغرّ الأنورِ
مذ غبتَ عني لم أزل لك ذاكرأ	بمناقبٍ لك والثناء الأعطرِ
هل عطفةً يا خلّ منك برأفةٍ	فجواي نام والتسلي مزدري
والله أسألُ جمعَ شملٍ عاجلٍ	بدعاء ظهر الغيب صاح مؤثرِ
أبقاك ربي للإفادة دائماً	بالمصطفى الهادي الأمين وحيدِ

وقوله مادحاً له من قصيدة يقول فيها :

أعني به أحمدَ المحمودَ سيرته	خلقاً وخلقاً سواه لا يساويه
شهابُ نجل عليّ البُسْكَري بلداً	المالكي مذهباً مَنْ ذا يساميه
قد خصّه بجزيل الفضل خالقه	بسرّ طيّ معانٍ في معاليه
له بديعُ بيان في الخطاب يرى	وخيرُ لفظٍ وقد جلّت معانيه
فكم جلا دُرراً تسمو الدراري بها	أبيات أفكاره المخصوص من فيه
أخباره قد أتت في الحال تخبرُ عن	ماضٍ ومستقبلٍ من أمرٍ باريه
حديثه الحسنُ العالي روايتهُ	أعلتُ لسامعه شأنأ وراويهِ

[٥٧٤] أحمد بن عثمان الشرنوبى .

نسبة إلى «شرنوب» : قرية بالبحيرة، غربي مصر، أخذ عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وعن الشيخ أبي الحسن البكري، والشيخ علي المتي، وقدم مكة، واجتمع بسيدى بدر الدين العادلي، فقال له : يا أحمد! إذا مات لك تلميذان، أحدهما بالشرق، والآخر بالمغرب، تحضر وفاة أيهما؟ فقال له : يا سيدي! لا أقدر على واحدٍ منهما، فقال له : كيف تكون لك تلامذةٌ ولا تقدر على ذلك؟ هذا من الغش في الطريق، فألزمه أن يلازمه، ويصرف تلامذته عنه، فصرفهم، ورجعوا إلى مصر، وأدخله الخلوة سنةً كاملةً، فلما مضت السنة، دخل إليه، وسأله عما سأله أولاً، فقال له : أحضر وفاة الاثنين في آن واحد، عند التزع، وعند السؤال، وفي الآخرة، فحيثُ أخرجته من الخلوة، ونصبه للمشيخة - نفع الله به -^(١).

أخذ عنه البرهان اللقاني، وهو الذي أمره أن ينظم عقيدته «الجوهرة»، فنظمها في ليلةٍ واحدةٍ، وممن أخذ عنه : العلامة عبد ربه المحلي، وفي آخر عمره طرقة طارق في السفر إلى الروم، فتوجه إليه .

وكانت وفاته بمدينة «أركله»، وبني عليه بها قبةً عظيمةً، وصار لأهل تلك الديار مزيدُ اعتقاد فيه، وكانت وفاته بعد الألف بسنين قليلة - فيما أحسب -، وكان معه جملةٌ من تلامذته لما توجه إلى الروم، من جملتهم : الشيخ عبد ربه المحلي .

(١) لا يدعي هذه الخرافات والأباطيل إلا من استحوذ عليه الشيطان ولبس عليه إبليس، غفر الله للمصنف ورحمه في إدراج مثل هذه الحكايات .

قلت: وله مؤلفٌ غريبٌ، ذكر فيه من يولد من الأولياء إلى آخر الزمان، وذكر فيه حاله، ووفاته، وقفتُ عليه، وهو من أعظم كراماته^(١).

[٥٧٥] أحمد بن عبد المعطي بن مكرم محمد بن المحب محمد ابن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري، إمام المقام الشريف. قال الإمام عبد القادر الطبري في بعض مؤلفاته: وُلد في رمضان سنة سبع وعشرين وتسعمائة، واشتغل بالعلم، وقرأ على العلامة أحمد بن حجر الهيثمي، ولازم دروسه، ومن مشايخه: شيخ وقته أحمد بن عبد الغفار، والشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي، وغيرهما، وكان متقشفاً ديناً صالحاً، ملازماً للمسجد وحضور الجماعات، تارة إماماً، وتارة مأموماً، منقطعاً عن الناس، وعن التردد على الولاة، معتقداً يُلتمس منه الدعاء.

ذكر لي ابن عمتي السيد الطباطبي: أن بعض الفقهاء أراد أن يحج، فقصد شيخه بأرض اليمن أن يدلّه على قطب ذلك الوقت، فقال له: إذا وصلت إلى مكة، ودخلت من باب الحزورة، فأبصر الشيخ الأعمى، القصير القامة، المستند على الأسطوانة، بين يدي باب الحزورة، فذاك مطلوبك، وقرأ عليه السلام مني، فوصل ذلك الفقير، ودخل من الباب المذكور، فرأى المشار إليه، فسلم عليه، وأبلغه سلام شيخه.

وأظن - والله أعلم - : أنه كان الوارث لحال جدي عمه الإمام يحيى،

(١) وهذا من أعجب العجب، وهل يدعي الغيب إلا من أصيب بخلل في عقله أو دينه، نسأل الله العصمة بالدين، والسلامة في العقل والرشد.

وقد سمعته بعد أن دفن جدي، ونحن على شفير قبره يلقنه، وكان لفظه في التلقين: يا عمي يحيى بن مكرم! أذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا إلى دار الآخرة، إلى آخر التلقين.

وقد سمعت من الشيخ علي الينبي - رحمه الله تعالى - ما يدل على علو مقام صاحب الترجمة في الولاية، في أثناء حكاية طويلة، ذكرها لي من سياحته إلى بلاد الروم وحلب ومصر والشام والحجاز وجبال هذيل، ثم ملازمته لصاحب الترجمة بالمسجد الحرام مدة أعوام، ثم انقطاعه بقرية المعابدة ظاهر مكة مدة سنين.

إلى أن ذكر انتقاله إلى المحل الذي انقطع فيه، وهو عشته بالمعلاة، تحت سبيل السلطان، اجتمعت به فيها مراراً، فسألته عن وجه اختياره للانقطاع بهذا المحل، فقال: إنما ذلك بإشارة من صاحب الترجمة؛ فإني رأيته في المنام كأنه في محل تربة مقبرة بني الطبري، فكان ذلك المحل إلى أعلى الحجون، وإلى محل سبيل السلطان، بساتين مخضرة مثمرة بصنوف الثمار، ظليلة جداً مأنوسة، فكانه يقول: يا علي! انقطع في ذلك المحل، وأشار إلى هذه البقعة التي فيها الآن، فانتقلت من المحل الذي كنت فيه، وأقمت هنا. انتهى ما ذكره لي.

وهو من أهل الصلاح والدين والعبادة، يكثر المواظبة على الصلاة على النبي ﷺ، وكانت وفاته في سادس عشر ذي الحجة، سنة ثلاث وألف بمكة، وصلي عليه بالمقام الشريف، بعد أن نادى له الرئيس بالصلاة على ظلة زمزم، ودفن في قبر المحب الطبري بالمعلاة - رحمه الله -.

[٥٧٦] أحمد بن عثمان بن علي بن محمد بن علي بن محمد العزي المالكي^(١).

الشاعر المشهور، والفاضل المذكور، أخذ عن والده وتأدب وبرع،
ووعى ما جمع، واعتكف في زوايا الخمول، وقنع بشقائق آبائه الفحول،
حتى قطع عليه الطريق الأجل، وناداه عجباً، فقال: أجل، فتوفي في شهر
صفر، سنة تسع - بتقديم التاء - بعد الألف، بعد والده بأيام قليلة.
ومن شعره قوله:

لا زال هذا الجمعُ جمعَ سلامةٍ لا نقصَ يعروه ولا تغيّرُ
والجمعُ من أعدائكم في قلةٍ ونقيضُ تلك القلةِ التّكثيرُ
وقوله:

أدم يا ربّ خلوتنا بحبي لأقضي بالتواصل منه ديني
ولا تجعلْ هناك سوى لساني سميراً بين مَنْ أهوى ويّني

[٥٧٧] السيد أحمد بن عبد الصمد البحراني الحسيني^(٢).
قال في «السلافة»: هو للعلم علم، وللفضل ركن ومستلم، خلد في
صفحات الدهر محاسن آثاره، وقلد جيد الزمن قلائد نظمه ونثاره.
من شعره قوله:

لا بلّغتني إلى العلياء معرفتي ولا دعنتني العلا يوماً لها ولدا

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٤١).

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥١٩).

إن لم أَمِرَّ على الأعداء مشربهم مرارة ليس يحلو بعدها أبداً

[٥٧٨] السيد أحمد بن عبد المحسن بن عبد الرحمن بن حسين بن

الصدّيق بن حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي
الأهمل.

مولده في عشر السنين وتسعمائة، قام بعد والده بمحلة زبيد أتم قيام،
وشهر بين جميع الأنام، وورث الحال، ورعى الرجال، وزاده الله من الجاه،
ورزقه من الدنيا ما كفاه، وأعطاه سلامة القلب والعافية، من حمل مهمات
الدنيا.

وما كان عاكفاً إلا على القات، والطيب، والذكر لله تعالى، وكان - نفع
الله به - قريب الدمعة، أنوفاً ذلولاً، كيف قيد انقاد صاحبه، وأخذ عنه جماعة
أجلاء، منهم: السيد محمد بن الطاهر البحر، وتوفي سنة إحدى وأربعين وألف،
ودفن بالقرية - تصغير قرية - من أعمال زبيد، وبني عليه بها مشهد عظيم
ومسجد.

[٥٧٩] السيد أحمد بن الطيب اليمني.

السكن بجبل غور من أعمال تعز، وكان من محاييب المجاذيب،
صاحب أحوال وكرامات ظاهرة.

[٥٨٠] أحمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي.

نزىل الشيخونية، أحد العلماء المشهورين بالقاهرة، كان إماماً بمسجد
الشيخونية، منقطعاً للعلم وإفادته، مكباً على المطالعة والكتابة، إلى أن مضى
لسيله، مشكور مشهور بالعفة والديانة، والعلم والرصانة، أخذ عن الشمس

الشوبري، ومن في طبقته، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء.

وهو أحد الشيوخ الذين رأيتهم - نفع الله به -، وله مؤلفاتٌ منها: «حاشية على معراج الغيطي»، توفي - رحمه الله - بمصر في غرة شهر رمضان، سنة خمس وسبعين وألف، ودفن بتربة المجاورين - رحمه الله تعالى -.

[٥٨١] السيد أحمد بن عمر بن عبدالله بن علوي بن عبدالله العبدروس.

صاحب العلوم اللدنية، والمعارف القدسية، والأسرار العرفانية، شيخ أهل الطريقة، وإمام [أهل] الحقيقة، وأحد أعيان الفقهاء البارعين، وتاج المشايخ العارفين، العالم العامل، المتصرف في التصرف بأطراف الأنامل.

وُلد بتريم، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عن جماعةٍ من علمائها الأعيان، ثم رحل إلى والده بعدن، ولازمه، وتخرج به، وأخذ عن غيره من العلماء، وكان جامعاً للأخلاق المحمودة، يأوي الغريب، وينقذ اللهفان والغريق، وبرع في العلوم الشرعية، وعلوم الصوفية، وكان حاوياً لأسباب الدقائق الفرعية والأصلية، جامعاً لمفردات الحقائق الشرعية والعقلية، وقام بالمنصب بعد والده أتم قيام، وانتفع به الخاص والعام، وكان ذا خلقٍ رضي، وسميت مرضي، أخذ عنه خلقٌ كثيرٌ، وجمٌ غفيرٌ.

ومن كراماته: أنه لما قربت وفاته، ولم يكن به مرضٌ، وإنما كان معه انقباضٌ من الخلق كعادته، طلب ماءً فتوضأ، وصلى ما شاء الله، ثم طلب خواصه، فتكلم معهم بكلام فيه إشارات، في ضمنها بشارات، منها ما عرف، ومنها ما لم يعرف.

ثم التفت إلى أولاده الكبار، وعرفهم بأمرهم، وأمور أهل بيتهم،

وأوصاهم، ونصب ابنه الكبير شيخاً عليهم، وأمر الجميع باتباعه، وأوصاه بهم، وأعطى بعض خدامه دراهم، يشتري حجرين، قال: يريد هما علامة لقبر، فظنوا أنه يريد هما لقبر أخيه علي بن عمر؛ لكونه في ذلك الوقت مريضاً مدنفاً، ثم أمر الجماعة بالخروج، ثم سمعوه يقول: الله، الله، فدخلوا عليه، فوجدوا روحه قد خرجت، فاسترجعوا، وعلموا ما أشار به، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة سبع وعشرين بعد الألف بعدن، وعمره بضع وخمسون سنة، ودفن في قبة الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس.

[٥٨٢] أحمد بن عيسى بن جميل الكلبي المالكي^(١).

شيخ المحيّي النبوي بالجامع الأزهر، الشيخ الإمام العلامة، خاتمة الفقهاء والمحدثين، وواحد العلماء العاملين، ومربي المريدين.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عن والده، ولازم العلماء الأعيان؛ كالقاضي العلامة علي بن أبي بكر القرافي المالكي، وشيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الرملي الشافعي، وغيرهما من أكابر العلماء، وأجازه غالب شيوخه، وتصدر للتدريس بالجامع الأزهر، وعنه أخذ جمعٌ منهم: شيخنا محدّث عصره محمد بن علاء الدين البابلي.

وجلس بالمحيّي الشريف بعد والده، ووالده جلس بعد الشيخ محمد البلقيني، وهو جلس بعد والده القطب الرباني الشيخ الصالح، وهو جلس بعد والده شيخ الإسلام والمسلمين شهاب الدين أحمد البلقيني، وهو جلس بعد الشيخ نور الدين الشوني، شيخ مجلس الصلاة على النبي ﷺ بالجامع

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠٩)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٢٦٦).

الأزهر، المدفون بزاوية سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن إذن من النبي ﷺ، كما هو ثابت ومشهور، وعند أهله معروف ومذكور.

وكانت وفاته - نفع الله به - سنة سبع - بتقليم السين - وعشرين بعد الألف بمصر، ودفن بالقرافة الكبرى، وأرخ وفاته علي العامري، رئيسُ العدول بباب الشعرية بقوله :

مات قطبُ الأنام مفتي البرايا	أحمدُ الزاهد الرفيعُ المقام
عالمُ الأزهر الذي كان حبراً	عاملاً عابداً بطول الدوام
نسلُ من كان للأمين شبيهاً	شيخ محيياً الرسول خير الأنام
فعليه من السلام سلامٌ	ما سقى قبره بسحب الغمام
مذ قضى للجنان قد أرخوه	(مات قطبُ الوري جنان السلام)

[٥٨٣] أحمد بن علي المُخَيَّرسي^(١).

نسبة إلى المحيرس؛ كدريهم - مصغراً -: بلدة من بلاد كوكبان.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان من نوادر الزمان، نبيهاً ذكياً، أحاط بعلوم جمّة، وتمكن من قواعد المذهب، ثم قرأ كتب الحنفية، وولي القضاء للأروام بصنعاء، وقضى بمذهبهم، وكان في علوم المعقول والأدوات نسيجاً وحده، وكان يفتي الأروام بلغتهم، والفارسيين بلغتهم، والعرب بلغتهم، وكان من أعيان الزيدية، قرأ على المفتي وغيره منهم، ثم اختلط آخر عمره.

قال لي بعض شيوخ الشافعية: اختلط صاحب الترجمة بجودة ذكائه،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٥٠).

أحرقته المعية عقله، وكان يذكر أنه المهدي المنتظر.

ومن أرجوزة له إلى السيد أحمد ابن الإمام القاسم وولد أخيه الحسين ابن الإمام محمد المؤيد قال فيها:

من الإمام المهدي المرتضى للرشيد
إلى المليك أحمد ثم الحسين الأرشد
إلى آخرها، وتارة يقول: إنه الدابة التي تكلم وتكلم، وله أجوبة مسكتة،
وأشعاراً فائقة، في ضبط العلوم والجوابات، ثم دخل مكة، فاشتغل به العلماء
هنالك، وكان مكى فروخ الحنفي - على جلالة - يخدمه بالطهور، ثم توفي
بمكة، في أفراد سنة خمسين بعد الألف - رحمه الله -.

ومن شعره قوله:

قاضي الجمال أتى يجرد ذيلَه كالغصن حركه النسيم الساري
لبس السواد فعاد بدرأ في الدجى لبس البياض فكان شمس نهار
قالت رياضُ الحسن هذا مالكي قد أقرأ الحنفي في الأزهار

[٥٨٤] أحمد بن عامر بن حصن السعدي الحضرمي الشافعي.

صاحبنا الفاضل الأديب، قرأ ببلاده، وقدم مكة، وجاور بها سنين،
وأخذ بها عن عيسى الجعفري علوم العربية والحديث، وقرأ الفقه والفرائض
على علي بن الجمال، وعبدالله بن سعيد باقشير، ومن في طبقتهم.
وتوفي بمكة، في نيف وثمانين وألف، وله مؤلف حافل، سماه: «شرح
الصدر في تسمية أهل بدر» في مجلد كبير، وقفت عليه.

[٥٨٥] أحمد ابن السيد الولي عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد
ابن سليمان بن أبي القاسم بن أبي بكر المعمر بن أبي القاسم بن عمر بن علي
الأهمل.

ورث هذا السيد سرّاً والده، وسلك طريقته صلاحاً وورعاً وزهداً، وغير
ذلك، فكان حميد السيرة، واسع الأخلاق، لطيف الشماثل، وصولاً للرحم،
ذا إشاراتٍ خارقة، وإشاراتٍ صادقة.

أخذ عن أبيه، وعن السيد عبد القادر بن أحمد بن حسن الأهمل، وكان
يحفظ أشياء كثيرة من مناقب أسلافه، وأنسابهم وكراماتهم، وعناية الله تعالى
بهم، حفظاً متقناً، يحكيه بحسن عبارة، ولطف إشارة.

وغلب عليه حاله مرة، فمكث مدةً مصطَلماً، وكان في تلك المدة يخبر
بكثير من المغيبات، فتأتي كما يقول، وعظمت هيئته في هذه المدة عند كل
من رآه؛ لعظم ما أمده الله به من التجلي الجلالي، ثم أفاق بعد ذلك، ورجع
إلى ما كان عليه من عظم الشفقة والرحمة لأولاده وإخوانه وأهله وفقرائه وسائر
المسلمين، توفي في شوال سنة ست بعد الألف، وقبر إلى جنب أبيه.

وكان والده عمر مشهور الولاية، والصلاح والعناية، ذا كراماتٍ كثيرة،
وكان شيخه أحمد بن حسن الأهمل يلقبه بالشاوش؛ إذ كان مقدم الفقراء
عنده، حتى اشتهر بشاوش بني الأهمل، ويعرف أيضاً بصاحب القيع - مصغر
قيع -؛ لأنه كان لا يجعل على رأسه إلا قبعاً من عسب الدوم، لم يفصل طَفِئُهُ
عن عرجونه؛ لزهده في الدنيا ومتاعها.

وكان على قدم الفقراء، معتقداً، كثير الفتوح والنذور، واشتهر أن الجن

كانت تخدمه، وتسطو على من يؤذيه؛ كرامة له من ربه تعالى، توفي أواخر
المائة العاشرة - نفع الله به -.

قلت: والظاهر أن بني القُبَع - بفتح القاف والباء - الذين ببندر الصليف،
من تهامة اليمن، منسوبون إليه، وغيرت صيغة القُبَع - بضم القاف وسكون
الباء - إلى فتحهما للتخفيف.

وأخبرني صاحبنا السيد الجليل محمد بن مكين القُبَع: أن بعض أصحابه
أهدى إليه في ثاني يوم عيد الفطر رأساً من الغنم، فردها، فعتبّه في ذلك بعض
أصحابه، وقال له: إن ردك له من الرعونة، فقال له: شمت منه رائحةً منتنةً،
فتبين بعدُ أنه أرسله إليه بعض الظَّلَمَة، وهذه من كراماته - نفع الله به -.

[٥٨٦] أحمد المزجاجي.

نزىل المدينة، كان شيخاً جليلاً، صاحب زاوية، وخُلِقَ حسن، يسير
بقافلة إلى المدينة المشرفة كل عام للحج، توفي في شوال، سنة ثلاث وأربعين
وآلف - رحمه الله -.

[٥٨٧] أحمد الفروري الحنفي^(١).

أحد أكابر الفضلاء بدمشق، كتب إليه عبد الكريم الطاراني محاجياً في
ياسمين:

يا فاضلاً قد تسامى وفاق مثلاً الخليل
ومن غدا في الأحاجي فرداً بغير مثيل

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٩).

ما مثل قول محاج نادى نقيض هزيل
فأجابه بقوله ، على الوزن والروي ، وذلك في رجب سنة خمس وعشرين
وألّف :

مولاي يا ذا المعالي	ومالهُ من عديل
ومن صفات علاه	أخرسن كلّ قؤول
بلغت غاية فضل	فيها عديم المثل
وحزت أوفر حظ	من كل فن جليل
حاجيت في ياسمين	غدا شفاء العليل
من نثره طاب عرفاً	ريح الصبا والقبول
كأنه إذا تبدّى	في وارف من ظليل
سماء روض تهادت	نجومها للأفول
أو مثل ملك خطير	والزهر مثل الرعيل
فخذ جواب محب	وصاحب خليل
لولاك ما قال شعراً	من جور دهر خذول
تحيق النقص فيه	ذوي الحجى والعقول
وذو النباهة جوراً	كساه ثوب الخمول
واسلم ودم في هناء	ممتعاً بالقبول
ما فاح عرف رياض	يحكيه لطف الشمول

[٥٨٨] أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالحنش الحمودي، المغربي
الطرابلسي الأصل، الدمشقي الدار، المالكي، الملقب بالصِّل^(١).

قدم أبوه محمد الحنش إلى دمشق، وتديّرها في عشر السبعين وتسعمائة
تقريباً، والحمودي نسبةً إلى قبيلة من عرب المغرب، منازلهم الجبل الخضري،
وولد صاحب الترجمة بدمشق، وأشار إلى ذلك في منظومة له بقوله منها:
ومولدي ليلة سبتٍ زاهرٍ رابعٍ عشرٍ من ربيعٍ الآخرِ
وذلك في عام ثلاثٍ [٥٨٨] وثمانين وتسعمائة.

وقد رمى بي الدهر بعد أن كبرت بالعرا وعشت دهرأ في ذرا أم القرى
وأخذ بدمشق الفقه عن علاء الدين علي بن المرحل المالكي البعلبي
الأصل، الدمشقي الدار، وعن شيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الأندلسي
المالكي، أحد خلفاء الحكم العزيز من المالكية، وبمكة عن خالد السويدي
الجعفري، وعبد الرحمن بن عيسى المرشدي.

وبالديار المصرية عن إبراهيم اللقاني، وبالمدينة عن محمد البري
المالكي، وعن محمد بن زوز التونسي، وأخذ بقية العلوم بدمشق عن أحمد
الوفائي المفلحي الحنبلي، وعن تاج الدين القطان، والحديث عن محمد بن
داود المقدسي الحافظ المشهور، وعن الشيخ إبراهيم بن كسيائي، وعن محمود
اليلوني، والأدب عن الشيخ عبد الرحمن العمادي، وبالمخا من سواحل اليمن
عن السيد العارف بالله حاتم الأهل، وبعدن عن السيد أحمد العيدروس.

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٢٩٤).

ورحل إلى مكة سنة إحدى عشرة وألف، وأقام بها مدةً مديدةً، واتصل بأشرافها الحسينيين، ودارت بينهم وبينه محاوراتٌ أدبيةٌ، ومحادثاتٌ لطيفةٌ، واتصل بخدمة الشريف حسن بن أبي نعي، وأقام بها بين ذهابٍ إلى اليمن وعودٍ إليها، وزيارة المدينة المنورة في كل سنة، إلى أن رجع إلى دمشق سنة ثلاث وعشرين وألف.

ثم لما نبغ في شعبه، اشتغل بمعاونة الأدب، واكتساب الفضائل، وصار يتعاطى فن التوريق، بالقسمة النورية، وله شعرٌ حسنٌ، وخطٌ بديعٌ، غير أنه لم ينل حظاً، كما هو دأب الزمان مع أبناء الآداب والفضائل، ولا زال واجد البلبال، غير ناعم البال.

ثم رحل من دمشق، وأقام بحلب أشهراً، ومات بها في سابع شعبان سنة اثنتين وثلاثين وألف، ومدة إقامته كان يتعاطى نسخ الكتب، ويتقوت بأجر كتابته، إلى أن اخترمته المنية، ولم ينل حظاً - رحمه الله -.

ومن شعره: ما كتبه إلى عبد الكريم الميقاتي الدمشقي، محاجباً في حبواً كرى قوله:

يا من له الباع الطويـ	ل وفي الأحاجي لن يُسامي
ما مثل ما أودعت في	أحجيتي وهبوا مناً ما

فأجابه بقوله:

يا كاملاً بين الوري	وفاضلاً بلا مـرا
وكاتباً وشاعراً	أعجز كل الشعرا
حاجيت في داهية	يعلمها من شعرا

نبهتني لحلها إذ كنت فيها عمرا
وتلك وقيت الردى نظيرها جوا كرى
لا زلت ترقى للعلا ما سار ركب أو سرى

[٥٨٩] أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن محمود

السعودي، الشهير بالشليبي الحنفي المصري^(١).

شهاب علم أشرقت في مصر أنواره، وخطت في صحائف المحاسن
آثاره، وجرت في مضمار العلوم سوابقه، وتلاقى في سماء الفضل من خلال
سحائبها بارقه، كان إماماً محدثاً، له اعتناء بالحديث وطرقه، وتقيد بقراءة
كتبه، وله سهمٌ عاملٌ في الفقه والفرائض، وذكاءٌ سريع الفهم يسبق ما يعجز
عنه الرابض.

مولده بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن والده، وعن الجمال يوسف بن
زكريا، وغيرهما، وعن حسن بن عمار الشرنبلالي، والشهاب أحمد الشوري،
وعمر الدفري، وشيخنا محدث عصره محمد البابلي، وزين العابدين ابن شيخ
الإسلام، وغيرهم، وكانت وفاته بمصر، في نيف وعشرين بعد الألف - رحمه
الله تعالى -.

[٥٩٠] أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن جمال الدين عبدالله،

ابن عم القطب الشهير الشيخ الكبير إبراهيم المتبولي الشافعي^(٢).

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٨٢ / ١)، «هدية العارفين» (١ / ١٥٣)، «الأعلام» للزركلي
(١ / ٢٣٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٢٧٤).

إمام علامة، أشهر من أن ينبت عليه، وأجل من أن يعرف بالإشارة إليه، لا يجاذب رداء فضله، ولا تدور العين في أصحابه على مثله، كبير علماء عصره بلا مدافع، وحامل لوائهم من غير منازع، مبرز في حلبة العلوم الشرعية، حائز قصبات السبق في الفنون العقلية، وسعة اطلاعه على السنة سارت بها الركبان، من قاص ودان.

أخذ عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، وعن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني، والشمس محمد الرملي، وغيرهم، وله «شرح حافل على الجامع الصغير للسيوطي» في مجلدات، و«نيل الاهتداء في فضل الارتداء»، و«مؤلف في عرض الأعمال».

توفي يوم السبت، ثامن عشر ربيع الآخر، سنة ثلاث بعد الألف. ومن فوائده: أنه سئل عما ورد فيمن مات بطريق مكة أو المدينة ذاهباً أو راجعاً، فأجاب: روى الأزرق في «تاريخ مكة» مرفوعاً: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً، لم يعرض، ولم يحاسب، وكتب له في كل سنة حجة وعمره إلى يوم القيامة».

قلت: ولم يذكر المدينة، ولعلها مقيسة على مكة؛ بجامع أنهما يقصدان للزيارة، فليحرر.

[٥٩١] أحمد بن محمد بن أبي بكر، صاحب الخال^(١).

ورفع نسبه إلى سلطان العارفين بالله الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي في

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٢٤).

ترجمة ولده شيخنا الجمال محمد صاحب الخال .

شيخ المعلوم والمعارف، ومعدن اللطائف والعوارف، الإمام الفقيه،
والعالم النبيه، الذي انفرد في عصره باليمن بعلوم الدين، واشتهر بالولاية
والتمكين، كان قاضي اللحية ومرجعها الذي عليه المعول، ذا كلمة نافذة
لا تهمل، مع تمسك من التقوى، بالسبب الأقوى، والجلالة والمهابة، والخشية
من الله والإنابة .

وُلد بمدينة اللحية، عام خمسة وتسعين وتسعمائة - بالتاء فيهما -،
وحفظ القرآن، و«الإرشاد»، وعدة متون في جملة فنون، وأخذ عن شيوخ
كثيرين، منهم: الفقيه رضي الدين أبو بكر القمري الحشيري، وبمكة عن
العلامة أبي الخير محمد ابن شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي، والشيخ
محمد علي بن علان الصديقي المكي، وعنه: جمعٌ من الأعيان الأفاضل،
وكثيرٌ من العلماء الأماثل، منهم: ولداه: محمد، وأبو بكر .

وله مؤلفاتٌ، منها: «منظومة في الحساب»، و«منظومة في أسماء
الصحابة الذين روى عنهم البخاري في صحيحه» .

وكانت وفاته ليلة الجمعة، خامس عشر رجب، سنة خمس وستين بعد
الألف باللحية، ودفن بقرب تربة العارف بالله سيدي المقبول - صاحب القصب -
ابن أحمد بن موسى - نفع الله به - .

[٥٩٢] أحمد بن محمد بن أبي بكر الأهدل .

صاحب المقصورة بزيد، السيد الولي الشهير، كانت له كراماتٌ ظاهرةٌ
مشهورةٌ، توفي تاسع شوال، سنة تسع وستين وألف بزويد، ودفن في بيته .

[٥٩٣] أحمد بن محمد بن أبي بكر المشرع .

صاحب المبرة - بالراء - من أعمال رمع ، كان عبداً صالحاً عابداً مطعماً ، يحب الفقراء ، ويقوم بكفاية الوافدين ، وله أخلاقٌ رضيةٌ ، وأحوالٌ مرضيةٌ ، ذو صيتٍ رفيعٍ ، وجاهٍ وسيعٍ ، توفي يوم الأربعاء ، ثالث عشر رجب ، سنة أربع وسبعين وألف بالمبرة ، وبها دفن عند آبائه .

[٥٩٤] أحمد بن المساوي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن عبدالله بن

يحيى بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن علي بن أبي بكر بن علي الأهدل .

السيد الناصح الصالح أبو الفضائل ، الذائب في عبادة الرحمن ، العاكف على تلاوة القرآن ، العديم النظير في هذا الزمان ، كان في قرية المحط من أعمال زبيد ، محطاً رحال الوافدين ، قائماً بحقوق المسلمين ، له اليد الطولى في أفعال البر ، ملازماً على الاعتكاف في بيته ، يتلو كتاب الله على الأرض ، لبس على السرير ، وهو متمكن من الديباج والحرير ، ولا يخرج إلا لمهم يتعين .

توفي سنة ألف وأربع وسبعين ، ثالث جمادى الآخرة .

وللسيد محمد بن الطاهر البحر فيه مرثية مطلعها :

هام الشجيّ فدمعي اليوم منسكبُ والقلب من ألم التفريق مضطربُ
ومدمعي وافرٌ في الخد مبتدرُ والدهر ما زال بالأقراع ينقلبُ
لله أيامٌ وصل بالحبيب مضتُ والقلب في فرجٍ والحبُّ مصطحبُ

[٥٩٥] أحمد بن محمد بن عمر الأهدل .

كان سيداً صالحاً ، تالياً لكتاب الله ، سالكاً طريق آبائه ، حسن السيرة

والسريرة، توفي ثالث وعشري ذي الحجة، سنة اثنتين وستين وألف بالمرأعة،
وبها دفن.

[٥٩٦] أحمد بن محمد بن يحيى المطيب الحنفي الزبيدي^(١).

كان سيبويه زمانه، وإمام سائر الفنون في أوانه، فقيهاً محققاً، ألت
الفتوى في مذهب الإمام أبي حنيفة إليه، وزينه الله وأمده بالحفظ، فكان بحراً
زاخراً في جميع الفنون، وخصوصاً علم النحو ومتعلقاته، مع التحقيق الوافي،
والتدقيق الشافي.

أخذ عن والده، وغيره، وعنه: أخوه عبدالله بن محمد، والسيد أبو
بكر بن أبي القاسم الأهدل، وأخوه سليمان، وكثير.

توفي في ذي القعدة، سنة سبع وعشرين وألف بزبد، وبها دفن بتربة
سهام - رحمه الله -.

ورثاه الفقيه الأديب الفاضل المفضن أبو بكر بن علي بن مُهَيَّر، أحد
تلامذته بمرثية منها قوله:

إمام له في العلم باعٌ وساعدٌ وكفٌ يكفُ الخطبَ إما تقلُّبا

ومنها:

أما كان فرداً في العلوم ومحولاً إذا ما عرا خطب من الدهر قلباً
فمَنْ لدروس الفقه بعد شهابها يذل منها فهم ما قد تصعباً
ومن لخبايا النحو كم تسترت وأبدى لنا منها ضميراً محجّباً

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٣).

ومن للفتاوى في العلوم بأسرها يفيدك إيجازاً وإن شاء أطنبا
خطيبٌ ترى قسّاً لديه كباقلٍ فصيحٌ إذا قال أطرى وأطربا
لقد برّ منا الدهر وجهَ بلادنا وفرق منا الحسن تفرقه سبّا

[٥٩٧] أحمد بن محمد بو مُجيب المغربي .

قال الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته» : لقيته وأنا متوجه مع الركب
إلى الحج بالمغرب ، سنة أربع وسبعين وألف ، وهو مجذوبٌ سالكٌ ، محبوبٌ
ناسكٌ ، والغالب عليه الجذب ، وفيه خيرٌ كثيرٌ ، قارب عمره المائة ، ومع ذلك
فهو صحيح الذهن والسمع والبصر .

قال : وسبب معرفتي به الشيخ محمد بن محمد الحفيان ، شيخُ الركب ،
وكان أخبرنا قبل الوصول إلى بلده بكرامة وقعت له معه في بعض حجاته ،
وقد حج مراراً عديدةً مع سيدي محمد الحاج ، صاحب باسكرة ، وكان يثني
عليه كثيراً ، وقال لي : لو عاش ، ما تخلفت عن الحج ، فقلت له : ألا تحج
معنا؟ فقال لي : إنه لا مال لي ، وأنتم لا تشاركونني في دنياكم ، وهو كان
بشاركني في دنياه .

وقد أخذ عن سيدي أحمد الشريف البقال بفاس تلميذ سيدي مسعود
الدراوين ، ولقيه لما جاء للحج ، ومرّ بهذه البلدة ، وقال لي في رجوعه من
الحج : يا بو مُجيب ! أعلمنا بك الحبيب - عليه الصلاة والسلام - .

وقال لطيفة : أخبرني الشيخ بو مُجيب : أنه لما حج ، بقي أمام النبي ﷺ ،
وقال في نفسه : إني لا أذهب لزيارة سيدنا حمزة ولا غيره ، هذا يكفيني ، فقال
لي : يا أحمد ! عمُّ الرجل عوض أبيه ، قال : فقممت في الحين ، وذهبت إلى

زيارة سيدنا حمزة وحدي، وكان وقت خوف، ولقيت هناك ثلاثة رجال أحدهم الخضر.

وقال لطيفة: أخبرنا أيضاً، وهو عندي صدوق، قال: أخبرني الشيخ اللقاني: أن الوزغ يتغذى بعينه، وأنه - أي: اللقاني - كان ذات يوم يأكل، ووزغ ينظر إليه من السقف، فأمر من قتله، قال: وشقوا بطنه، فوجدوا فيه من الخضرة التي كان الشيخ يأكل منها، قال: وقد عقدت معه عقد أخوة في الله، وكتب لي خطة بذلك - نفعتني الله وإياه بها -.

[٥٩٨] أحمد بن محمد النخلي المكي الشافعي^(١).

الشيخ الإمام الفقيه، الهمام العالم، العارف الكامل، الصالح التقى، الورع التقى، الذي يسترشد بعلومه ويقتدى، ويستضاء بأنواره ويهتدى. مولده بمكة في ثامن عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وكان والده من المقربين إلى الدولة، فلزم في صغره قراءة العلوم، واشتغل بما يعنيه من صنوف الخير، وظهر عليه أثر الفلاح.

أخذ عن أكابر شيوخ الحرمين؛ كالشيخ علي الجمال، وعبدالله باقشير، ولزم شيخنا محمد البابلي حين جاور بمكة، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من العارف بالله السيد عبد الرحمن الإدريسي، وأجازه أكثر شيوخه، وتصدر للتدريس للإقراء بالمسجد الحرام، وانتفع به من طلبة العلم الخاص والعام،

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٤)، وذكر وفاته في ١١٣٠هـ، «الأعلام» للزركلي

(١/ ٢٤١)، وذكر وفاته في ١١٣٠هـ.

وله - حفظه الله - الحظ التام من العبادة وتلاوة القرآن، والصيام وقيام الليل والضحى، وغير ذلك من السنن النبوية، مع اطراح التكلف، والتواضع، وعدم الحرص، والتقنع باليسير، وشرف النفس، وأجمع الناس على محبته، فلا تراه عين إلا قرّت برؤيته، ولا تسمع به أذن إلا وأصغت لحسن سيرته، واشتهر ذكره في الحرمين، وعلا قدره في البلدين.

هذا مع المواظبة في غالب أعوامه لزيارة رسول الله ﷺ، وابن عمه حبر الأمة عبدالله بن عباس ؓ، وكفى بذلك منقبة عظيمة وشرفاً، فقد قال بعض العارفين بالله - كما سمعته من بعض شيوخه -: إنه لا يتيسر لأحد زيارته ﷺ حتى يتشفع به سبعون صديقاً إليه ﷺ في أن يزوره.

[٥٩٩] أحمد بن محمد السيد الجعفري الصالح الشافعي، المعروف

بالمصارع^(١).

لكون أخيه كان مصارعاً مشهوراً من المصارعين، ثم غلب هذا الاسم عليه، القاضي الفاضل شهاب الدين، ولي نيابة القضاء بمحاكم دمشق، وكان شديد الحمية، حامياً لساحته من كل ريبة.

أخذ عن أحمد العيثاوي، وخدمه كثيراً، وكان الشيخ يحبه، ويأمره دائماً بالإفادة، ولا تسهل به حدته وتجروءه، وقد وقع له بسبب ذلك محنٌ، ولم يزل على حاله، حتى أصبح ميتاً في فراشه، عشري ربيع الأول، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة الفراديس - رحمه الله تعالى -.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٠) (٩٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي

[٦٠٠] أحمد بن محمد بن قنديل^(١).

الشيخ الفاضل الصالح، شهاب الدين الحنفي، أحد وعاظ دمشق، وكان خثى، وكان يتظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. توفي سنة اثنتي عشرة بعد الألف - رحمه الله تعالى -.

[٦٠١] أحمد بن محمد المنقاري الحلبي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الحنفي^(٢).

وهو ابن عم الشمس محمد بن المنقاري المتقدم ذكره، قرأ على الملا أسد بن معين الدين في العربية، نحواً وصرفاً، فبرع فيها، وتميز على أقرانه، وقال الشعر الحسن، واشتهر بالفضيلة، والذكاء المفرط، ورفع المشايخ من قدره، وصار يضرب به المثل في الفطنة لأهل عصره، وسافر إلى الروم، وأقام مدةً طويلةً بالقسطنطينية، وقدم دمشق، وأقام بها، إلى أن مات في أوائل شوال، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف.

[٦٠٢] أحمد بن محمد بن مفلح الحنبلي القاضي شهاب الدين^(٣).

كان رئيس الكتبة بمحكمة قناة العوني بدمشق، ثم صار قاضياً بها وبغيرها، وكان فاضلاً محمود السيرة في القضاء، صيّن العرض في طريقه،

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٩) (٩٨).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٤) (١٠١)، «خلاصة الأثر» للمحبي

(١/ ٢٩٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٦٠) (٢٦)، «الأعلام» للزركلي

(١/ ٢٣٦).

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٧) (٩٦).

فقيهاً عفيفاً تقياً، مات في عشرين ذي الحجة، سنة ست بعد الألف.

[٦٠٣] السيد أحمد بن محمد بن النقيب الحسيني الحلبي الحنفي^(١).

عالم لم تنجب الشهباء مثله، وكامل لم تر الأيام شكله، نحر العلوم وأتقنها أي إتقان، وتصدر بصدارة شرفه وفضله على سائر الأعيان، ذكره العلامة الخفاجي في «ريحانته»، وأثبت له من بعض أشعاره.

قلت: ومنها: قوله يمدح الأديب صلاح الدين الكوراني الحلبي سنة ثلاثين بعد الألف:

هذا الربيع أتى وجاء بشيرُهُ	وبدت طلائعُهُ وفاح عيبرُهُ
وتناسبت أوقاته في لطفها	فتشابهت آصاله ويكوره
والروض تحسبه جناناً زُحرفت	وكأنما الأغصان فيه حوره
وبدت أزاهره تروق بحسنها	وتجاوبت من جانبيه طيوره

ومنها:

ناح الحمام على أعالي أيكه	حزناً وغنى بهجة شحوره
وجرت جداوله تخرُّ تواضعاً	وصفا ورق لناظريه غديره
لا بدع أن ثار الذي هو كامن	من شوق شغف قد حواه ضميره
فنسيمه قد رق فهو إذا سرى	يُنبي بأخبار الهوى فيثيره

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٥٣٣) (١١٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٧)،

«الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧).

ومنها:

من لم يزل فلكُ النظام يديره	ما لي أرى فيه أديبَ زماننا
قد قلّ في هذا الوجود نظيره	العالمُ العلامةُ الفردُ الذي
ورئيسُه المشهورُ بلِ تحريره	من إذا ذكرت الفضلَ فهو إمامه
في فنّه وسرّيه وجريره	وإذا ذكرت الشعرَ فهو المقتدى
بنسيم شعر من علاه مشيره	متغافلاً عن أن يحرك خدنه
لكن سواه من القريض دُبوره	هو في لطافته ورقته الصّبا

ومنها:

قد كان مصقولاً يروّكُ نوره	فلقد تصدى فكره من بعد ما
سهلُ القريض تباعداً وعسيره	وعرا قريحته خمولٌ فاستوى
فالفضلُ فيك قليله وكثيره	فانعم وكن مولى الورى متفضلاً
لك من زمانك عذبه وبريره	واسلم ودم في نعمة وسعادة
شجواً وأطرب ذا الغرام غديره	ما ناح قمرّيّ بجانب روضة

وقوله رباعية:

يا ظالمُ يا خوانُ يا غدارُ	ما اخترت سواك لا ولا أختار
والظلم ما جزاه إلا النارُ	أسكتك مهجتي وفيها لهبٌ

وقوله:

كالنار تشبُّ فوق ماءٍ جاري	في ساعدها سوارٌ تبرّ واري
----------------------------	---------------------------

هل يوجد في خواطر الأفكار
ماء ولها منطقة من نار
وقوله :

ما الكون سوى صحيفة الأقدار
كم موعظة تضمنت أسطرها
وقوله يرثي أخاه :

رُزءَ أَلَمٍّ وحسرة تتوالى
وجليلُ خطب لو تكلف حملَه
وفراقُ إلفٍ لو أردتُ تصبراً
وغروبُ عينٍ ليس تفتُرُ دائماً
بعداً لدهر شأنه أن لا يرى
تفتُرُ فيه بالسلامة ثم لم
ويذيقنا ماء الحياة مرّوقاً
فُبُحِتَ يا وجهَ الزمان فلا أرى
ذاك الذي قد كان فترةً ناظري
وأخي الذي أعطى المروءة حقّها
قد كنتُ أرجو أن يؤخّر يومه
ويذوق ما قد ذقته لفراقه
فتناولتُ أيدي المنية نحوه
ومصيبةٌ قد جَزَتِ الآمالا
تهلانُ ذو الهضاب هُذً ومالا
عنه طلبتُ من الزمان مُحالاً
عن مكبِ رقراقِ الدموعِ سجالاً
إلا خُؤُوناً غادراً مغتالاً
يبرح به حتى يرى أسمالاً
وإذا اعتبرتُ وجدتَ ذلك ألى
لكَ بعد أن فُقدَ الجمالُ جمالاً
وقرارَ قلبي بل وأعظمَ مالا
من كلِّ ما أرجو وزاد وغالى
عني ويحملُ بعدي الأثقالا
ويمارسُ الأهوال والأوجالا
وبقيتُ فرداً أندب الأطلالا

كنا كغصني روضة قطع الردى	منها الأغصن الأرطب الميلا
أو كاليدن لذات شخص واحد	كان اليمين لها وكنت شمالا
أسفي عليه فضل شمس عوجلت	بخسوفها وعماد مجيد مالا
أسفي عليه من نجيب ما اكتسى	غير المعارف والتقى سربالا
أسفي عليه مع حدائنه سنه	لم يحتقب غير العفاف نوالا
من للمباحث حين يُشكل حلها	من ذا يوضح بعده الإشكالا
من للدروس إذا تعسر فهمها	وتشاعت فيه الرفاق جدالا
من للمروءة والفتوة والندى	من نال منها في الورى ما نالا
من للأخوة والصدقة والوفا	إن عزَّ خطبُ تابع الأحوال
لا كان يوم ضم فيه فراقنا	فلقد أطال الحزن والبلبالا
صيفاً أتى وظننتُ أني في الشتا	لما همى مطرُ الدموع وسالا
فسقى ضريحاً حلّه صوب الحيا	في كل وقت لا يضمنُ وصالا
فلقد وصفتُ به المكارم والعلا	ودفنتُ فيه العزَّ والإقبالا
ولقد طرقتُ به الندى متهللاً	طلقاً وطلق ناظري استهللاً
لا تطلبي يا نفس نداء مثله	هيهات أن تجدي له أمثالا

[٦٠٤] أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي^(١).

عنوان الشرف، والبدیع الذي هو كالبدن في السدف، واللؤلؤ في الصدف،

(١) «البدن الطالع» (٢/ ١٥٣)، «طیب السم» للحيمي (١/ ٩٦).

والجواهر الفرد في هذا الزمن، الذي تاهت به على الشام اليمن.
أخذ عن والده، وجنى ثمرات طريف علمه وتالده، وفاق الأقران، فليس
له فيهم مُدان.

وَألف التآليف الحسان، ومنها: «الأصداق المشحونة بالجواهر المكنونة»
في نحو أربعين كراساً، بالقطع الكامل، وهو شرح منظومة عجيبة غريبة تسمى:
«الجواهر المكنونة» احتوى على فنون من العلم عديدة، وكتاب «سلافة
العاصر»، وكتاب «لذة الوسن»، وكتاب «نسيمات الأسحار» جعله على نهج
«الريحانة للخفاجي»، ذكر فيه جملةً من فضلاء عصره، والمكاتبات التي بينهم
وبينه، وكتاب «توابع نوايع الكلم للزمخشري»، وكتاب «النذير لأرباب المسير»
يشتمل على ما أنشأه من الخطب الوعظية المبتكرة.

وله مقامَةٌ عجيبةٌ سماها: «إبريق الزرجون في الترويح على المسجون»،
ودنوان شعرٍ سماه: «مجمع البحور»، وغير ذلك، ومنها: «عطر نسيم الصبا»
الذي ذيل به كتاب «نسيم الصبا لابن حبيب الصفدي» أهدي إلي والده نسخة،
لما قدمت المحويت من الجهات الكوكبانية، سنة ست ومائة وألف.

وكان من أجل فوائد الرحلة: الاجتماع بهما، والتلمي بمقامات أنسهما
الزاهرة، وآيات فضلهما الباهرة، ولكنه لم يتيسر ذلك لعوائق منعت عما
هنالك، والاجتماع مقدور، وفي المكاتبه بعض إطفاء الأشواق، وبلاغ السلام
- كما قيل - بعضُ التلاق.

إن كانت الأشباح نائيةً فنفسُ أهل الظرف تأتلفُ
يارُبِّ مفترقين قد جمعت فليهما الأعلامُ والصحفُ

ومما كتبه إليّ مجيئاً عن كتابٍ أرسلته إليه في التاريخ المذكور...^(١).

[٦٠٥] أحمد بن محمد المزجاجي الشافعي .

خليفة الحكم بمصر، كان فاضلاً نبيهاً، أديباً شاعراً، توفي بمصر، يوم الأربعاء، خامس عشرين جمادى الأولى، سنة إحدى وعشرين وألف - رحمه الله -.

[٦٠٦] أحمد شهاب الدين بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي المصري الحنفي^(٢).

نادرة الدهر وفريد الأوان، وخاتمة المفسرين في هذا الزمان، صاحب الفنون، وغيث الإفادة الهتون، جمال الكتب والسير، سيد أهل الحديث والأثر.

وُلد بالقاهرة، وبها نشأ في حجر والده، وتأدب وتفقه، وبه تخرج وانتفع، وجلالة والده أشهر من أن تذكر، ثم لازم خاله سيويه زمانه أبا بكر ابن إسماعيل الشنواني في علوم العربية، وحضر دروس الشمس الرملي الفرعية، وقرأ عليه طرفاً من «صحيح مسلم»، ولازم النور الزيايدي مدةً طويلةً، وقرأ على علي بن غانم المقدسي الحنفي، وعلى خاتمة المحدثين إبراهيم العلقمي علم الحديث، وأخذ علم الأدب والشعر عن أحمد العلقمي، ومحمد الصالحي

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أرباع صفحة بياض».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحيي (٤ / ٣٩٥) (٣٢٩)، «خلاصة الأثر» للمحيي (١ / ٣٣١)،

«سلافة العصر» لابن معصوم (٤٢٠)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٤٧٤)،

«الأعلام» للزركلي (١ / ٢٣٨).

الهاللي، وأحمد العناياتي الدمشقيين، والعروض عن محمد دكروري المغربي، والطب عن الشيخ داود البصير.

وارتحل مع والده للحرمين الشريفين، وقرأ ثمة على علي بن جاد الله، وعلى العلامة علي بن صدر الدين حفيد العصام، وغيرهما، وأجازته شيوخه، ثم رحل سنة عشرين بعد الألف إلى القسطنطينية، فأخذ عن بها من الفضلاء والمصنفين؛ كابن عبد الغني، ومصطفى بن عربي، والحبر داود، وغيرهم.

ومكث بالروم دهرًا طويلًا، وولي به مناصب منيةً، ثم تولى قضاء العساكر بمصر، فسار فيه أحسن سير، ثم بعد عزله عنها، توجه إلى الروم ثانيًا، ووقع بينه وبين مفتي الروم وبعض كبارائها، فرجع إلى مصر مرتبًا شبابه، ومتجعج أخذانه وأترابه، وأقام بها، وكانت أيامه للفضائل موسمًا، وللدهر طرازًا معلمًا، وطافت أفاضلها بكعبة علومه، واقتبسوا من مشكاة مثوره ومنظومه.

وكان مع التحلي بعقد هذه العلوم، جاحظ العرب والروم، ووحيد المشور والمنظوم، لم يقض ساعة من عمره إلا في علم يدرسه، أو أدب يفتنسه، أو فائدة يعلقها، أو مسألة يحققها، أو شعر يتدعه، أو بكر معنى يخترعه، أو رسالة يوشيهها، أو مقامة ينشر لآليها، فنظمه نقثات السحر، وقلائد النحور، وغمرات الألحاظ المراض، وعطفات الحسان بعد الإعراض، ونثره أنجم الشرة إشراقًا، وهباب الخمرة رونقًا واتساقًا، فهو من الثعالبي خلف، وعن الباخرزي عَوْض، وللعمامد الكاتب بَدَل.

وقد ألف المؤلفات العديدة، منها: الحواشي المفيدة على تفسير اليبضاوي المسماة بـ: «كفاية الراضي» في مجلدين، و«نسيم الرياض في شرح شفاء

القاضي عياض»، و«شرح درة الغواص للحريري»، و«حاشية على شرح السراجية في الفرائض»، و«حاشية على الرضي»، و«حاشية على الجامي»، و«حاشية على المغني» لم تتم، و«طراز المجالس»، و«حديقة السحر في قرض الشعر».

وتذكره سماها: «خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا» جمع فيها لشعراء العصر تراجم جمّة، وتوّجها بذكر عدة من علماء الأمة، و«ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا»، و«الرسائل الأربعون»، و«ديوان الأدب في محاسن شعراء العرب»، و«ديوان شعر» في مجلد، ورسائل كثيرة، وفصول قصار، ومقامات عديدة، ينبو القلم عن حصرها.

توفي - رحمه الله - بمصر، في الساعة الرابعة، من ليلة الثلاثاء، ثاني عشر رمضان، سنة تسع - بتقديم التاء - وستين بعد الألف، وصلي عليه في يومها بالجامع الأزهر، ودفن بقرب تربة خاله أبي بكر الشنواني، بمقبرة المجاورين، وأرخ وفاته بعضهم بقوله: (في جنة المأوى شهاب قد سكن).

ومن شعره قوله:

قد فتنَ العاشقين حين بدا بطلعةِ كالهِلالِ أبرزها
طرَّ له شاربٌ على شفةٍ كالوردِ في الآس حين طرَّزها
ولما تولى قضاء مصر، مرّ بطريقه على دمشق، عام خمسين بعد الألف، وكان قاضياً بها شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين، فخرجا يوماً لصالحية دمشق، فبينما هما على الجسر الأبيض، إذ وقع نظر صاحب الترجمة على غلامٍ بديع الجمال، فلما رآه، أمسك لجام فرسه هنيئاً، وهو ينظر إليه،

فنظر إليه قاضي دمشق نظرَ معنفٍ، فقال بديهاً:

قيل لا تنظر لوجه جميلٍ فهو إثمٌ مبددُ الحسناتِ
قلتُ هذا الجمالُ لمَّا تبدَّى أدهشَ الكاتبين عن سيئاتي

[٦٠٧] أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف بن حسين بن يوسف بن موسى، الحصكفي الأصل، الحلبي المولد والدار، الشافعي، المعروف بابن الملا، جده لأبيه كان قاضي قضاة تبريز، وشهرته ملا جامي، وشرح «المحرر»، وجده لأمه من بني أجا.

مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، ونشأ في كنف أبيه، واشتغل بالعلم، فقرأ على ابن الحنبلي «مغني اللبيب»، وغيره من كتب النحو، وفي «شرح المفتاح»، وفي المنطق، والقراءات، وفي الحديث، وفي مؤلفاته.

وصحب سيدي الشيخ محمد بن علوان الحموي، وهو بحلب، سنة أربع وخمسين، وسمع منه نحو ثلث «البخاري»، وحضر دروسه ومواعيده، وسمع المسلسل بالأولية من البرهان العمادي، وأجاز له، وقرأ في التجويد على إبراهيم الضرير الدمشقي، نزيل حلب كثيراً، وأجاز له سنة خمس وستين.

ورحل إلى دمشق رحلتين، وأخذ بها عن البدر الغزي، وحضر دروسه بالشامية، وبحث فيها بحثاً حسناً مفيداً، أبان فيها عن يد طولى، وكلما انتقل من مسألة إلى غيرها، قال لسان حاله ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ١٤] كما شهد بذلك البدر في إجازته له.

وقرأ على النور السنفي قطعة من «البخاري» و«مسلم»، وحضره في

دروس من «المحلى»، و«شرح البهجة»، وأجاز له، وقرأ بها «شرح منلا زاده على هداية الحكمة» على محب الدين التبريزي، مع سماعه عليه في التفسير قطعتين صالحتين من «المطول»، والأصفهاني على أبي الفتح السستري، ورحل سنة ثمان وخمسين إلى القسطنطينية، فأخذ «رسالة الإصطرلاب» عن نزيلها غرس الدين الحلبي، واجتمع بالسيد عبد الرحيم العباسي، واستجاز منه رواية «البخاري»، ومدحه بقوله :

لك الشرفُ العالي على قادة الناس	ولم لا وأنت الصدرُ من آل عباس
حويت علوماً أنت فيها مقدّم	وفي نثرها أضحيتَ ذا قدمٍ راسي
وفُقت بني الآداب قدراً ورتبةً	وسُدّتهم بالجود والفضل والباسِ
فيا بدرَ أفقِ الفضل يا زاهرَ السنا	ويا عالمَ الدنيا ويا واحدَ الناسِ
إلى بابك العالي أتاك ميمماً	كليمٌ بعضب عدتَ أنت له آسي
فتى عاري الآداب يا ذا الحجى فما	سواك لعارٍ من سنا الفضل من كاسي
فأقبسه من مشكاة نورك جذوةً	وعلله من ورْدِ الفضائل بالكاسِ
وسامحه في تقصيره ومديحه	فمدحك بحرٌ فيه من كل أجناسِ
فلا زلتَ محمودَ المآثر حاويَ الـ	حمفاخر مخصوصاً بأطيبِ أنفاسِ
مدى الدهر ما احمرتْ خدودُ شقاتي	وما قام غصنُ الورد في خدمة الآسِ

ودرّس وأفاد، وصنف وأجاد، وله شرح عظيم على «المغني» في أربع مجلدات، جمع فيه بين حاشيتي الدماميني، والشميني، وشرح شواهدة للسيوطي، وهو الآن المشهور بالشرح الجديد، وهو من أنفس شروحه وأحسنها.

ونظم الشعر الحسن، ومن شعره في ملبح لابس أسود:

ماسَ في أسود اللباس حبيبي ورمى على القلب في ضرامٍ بعاده
لم يُمس في السواد يوماً ولكن حلَّ في الطرف فاكتسى من سواده
وله مضمناً:

ظبي كساني حلة وأدار لي كاسَ الرحيق على رياض الآس
وغدا يقول عذاره اشرب يا فتى واجعل حديثك كله في الكاس
توفي شهيداً، قتله الفلاحون في قرية باتتنا، من أعمال المعرة، ظلماً
وعدواناً، سنة ثلاث بعد الألف، ودفن في الجبل، بالقرب من تربة جده
إسكندر - رحمه الله تعالى -.

[٦٠٨] أحمد بن محمد المنقوشي المغربي^(١).

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: كان علامةً لودعياً
رحالةً، له اطلاع على علوم كثيرة غريبة، تكرر سفره إلى القسطنطينية كثيراً،
حتى كانت ملحده، فتوفي في شهر محرم، افتتح سنة اثنتين وسبعين وألف،
وبنى أخوه على قبره، فصار مزاراً، ولمعت بارقة من نوره على قبره، ولا يستبعد
ذلك من أمره، خصوصاً وهو شهيد الوفاء والغربة، قاصداً الحج، وطالب علم،
إلى غير ذلك من سيرته الحسنة، وطباعه المستحسنة - رحمه الله -.

[٦٠٩] السيد أحمد بن محمد الخوثي.

كان خالاً في وجنة دهره، ونقطة بیکارة أهل عصره، استفاد عليه خلقٌ

(١) «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٠٣).

كثيراً، وتخرج به جُمٌّ غفيرٌ، ورُزق البركة في أوقات تدريسه، وهو من ذرية الإمام يحيى بن حمزة.

[٦١٠] السلطان أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان بن سليم بن أبي يزيد بن محمد بن مراد بن محمد بن يلدزم بايزيد [بن] مراد الغازي بن أورخان بن عثمان.

تولى السلطنة العامة - على غالب الأقاليم الإسلامية - بعد وفاة أبيه، وكانت ولايته في سنة اثنتي عشرة بعد الألف، وقام بتدبير الملك حق قيام، وتمم محاسنه على ألطف وجهٍ وأحسن نظام.

وكان كثير الخوف والمعروف؛ بحيث إنه جعل لأهل الحرمين وقفاً بمصر، يجمع مغله في كل عام، ويرسل إليهم صحبة الركب المصري، عوضاً عن مال بندر جده؛ لانقطاعه بموجب عدم وصول المراكب الهندية إليها.

وفي سنة ست وعشرين بعد الألف أرسل إلى أعيان مكة؛ من شريفها وقضاتها وأئمتها وخطبائها كسوة عظيمة، فلبس كل من المذكورين ما أرسل إليه، وكان ذلك أول النهار، تجاه البيت الشريف، وفي سنة اثنتين وعشرين وألف أرسل حسن باشا المعمار؛ لعمارة عين مكة، فوصل إلى مكة، وعمر العين، وأصلح بعض إصلاحات كانت بالكعبة المشرفة.

واستمر في الملك إلى سنة سبع وعشرين بعد الألف، فانتقل إلى رحمة الله تعالى، وجاء الخبر إلى مكة، وصلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد أن خطب له الرئيس على قبة زمزم، وكان الإمام بالناس للصلاة عليه السيد عمر بن عبد الرحيم البصري.

[٦١١] السلطان أحمد خان بن محمد خان بن مراد خان بن سليم خان ابن سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد بن عثمان، سلطان الروم^(١). كان حليماً حازماً، عارفاً بمقادير الناس، وكانت له أخلاقٌ حسنةٌ، ومكارم في الخيرات مستحسنة، وكان له اطلاعٌ على أحوال الرعية، فسارت فيهم الحكام سيرةً مرضيةً، وقد كان في زمان أبيه استيلاء الأعداء على أطراف البلاد، وخرج البغاة المسمون بالجلالية، واستولوا على بلاد متعددة، قيل: إلى حدّ مدينة «بروسه»، فتوجه السلطان بسيف هممه على الكفار فأذلهم، وعطف على الجلالية بسيفه المشهور الوزير الأعظم مراد باشا، الذي كان سابقاً على بلاد اليمن، فقتلهم وأبادهم، ثم عطف على بلاد العجم، فبينما الرسل تتردد بينهم بالعفو، والصفح والصلح، انتقل الوزير مراد باشا إلى رحمة الله تعالى.

ومن خيراته: أنه بنى الجامع المعظم في القسطنطينية، يكاد أن يقال: ما بني مثله؛ لأنهم بالغوا في استحسانه، فصار سمعةً في الدنيا، وذخراً في الآخرة، وأرسل إلى الروضة المطهرة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - بالكوكب الدرّي، وكان لا قيمة له، وكان شمعة بين سلاطين الهند والعجم والتتار، وله آثارٌ حسنةٌ في المدينة المنورة، ما سبقه إلى مثلها أحد من السلاطين السابقين.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧١) (١٠٠)، «خلاصة الأثر» للمعجبى (١/ ٢٨٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤٦)، «منايح الكرم» للسنجاري (٣/ ٥٦٥).

وجدد عمارة العلمين، اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، على يد الباشا، وأول من وضع أنصاب الحرم خوفَ تدراسها: الخليل إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - بدلالة جبريل - عليه السلام - وهي في جميع جوانبه، خلا جهة جلة، وجهة الجعرانة؛ فإنه ليس فيهما أنصاب.

ثم نصّبها إسماعيل بن إبراهيم، ثم قصي بن كلاب، وقيل: إن عدنان حين تحدّ أول من وضع أنصاب الحرم، حين خاف أن يندرس الحرم، ونصبته قريش بعد أن نزعوها، والنبي ﷺ بمكة قبل هجرته، وأمر النبي ﷺ عام الفتح تميمَ بن أسد فجعلها.

ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث أربعة نفر لتجديدها، وهم: مخزومة بن عوف - وسعيد بن يربوع، وحويطب بن العزى، وأزهر بن عبد عوف، ثم عثمان - ثم معاوية رضي الله عنه، ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، ثم أمر لراضي العباسي بعمارة العلمين الكبيرين، اللذين هما حدّ الحرم من جهة التميم. في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ثم أمر المظفر صاحب أوطى بعمارة العلمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة، في سنة ثلاث وثمانين وستمئة، ثم صاحب الترجمة - على ما ذكرنا -.

وولادته سنة ألف، وجلوسه في ثلثي عشر رجب، سنة اثني عشرة بعد الألف، وحكومت أربع عشرة سنة، وثمانية أشهر، ووفاته يوم الأربعاء، رابع وعشري ذي القعدة، سنة ست وعشرين بعد الألف.

ومن آثاره أيضاً: تجليد مولد السيدة فاطمة وتبييضه، على يد الباشا حسن المذكور، في التاريخ المذكور.

ومنها أيضاً: عمارة مسجد البيعة، وهو بالقرب من عقبة منى، على يسار الصاعد، بينه وبين عقبة منى مقدار غلوة سهم، ووهم من قال: إنه من منى.
ومنها: عمارة العين، وجعل حزام الكعبة المشرفة، وكان ذلك على يد الباشا حسن المذكور، سنة ثلاث وعشرين، وعمرها أحسن عمارة.
وأصلح مآثر كثيرة أيضاً بمكة المشرفة، ثم توجه إلى الديار الرومية، ثم وصل منها بقصد الوصول إلى مكة، فوصل إلى المدينة المنورة، ومات بها.

ومن آثاره أيضاً: تجديد تحلية البيت الشريف، وإصلاح ما وهى منها.
وأول من حلاها في الجاهلية: عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وفي الإسلام: الوليد بن عبد الملك، وقيل: أبوه، وقيل: ابن الزبير، وحلاها من العباسيين: الأمين، والمتوكل، والمعتضد، وحلتها أم المقتدر العباسي، والملك المجاهد صاحب اليمن، ومن ملوك الأروام: آل عثمان صاحب الترجمة؛ فإنه أرسل من الديار الرومية الباشا حسن المعمار بميزاب الكعبة الشريفة، وأمره أن يجعل لها إزاراً من فضة مطلي بالذهب.

فوصل إلى مكة في أوائل العشر الأول من ذي الحجة، عام اثنين وعشرين بعد الألف، فبرز أمر صاحب مكة الشريف إدريس بن الحسن، إلى أكابر مكة وعلمائها، أن يلقوا الباشا حسناً من الحجون، ويمشون أمام الميزاب، فامثلوا الأمر وبرزوا، وكان ذلك آخر النهار، فدخل الميزاب إلى مكة من الحجون، وأمامه بعض طوائف الأذكار، وهم يذكرون الله تعالى.
فبعد وصول الباشا إلى مكة، وإتمام النسك، وقفل الحجاج إلى

بلدانهم، توجه لعمارة عين عرفة، وكان مأموراً بذلك، وصحبته أموالٌ عظيمةٌ من السلطان المذكور، فأتقن ذلك وأتمه، ثم ركب ميزاب الكعبة الشريفة، وقلع الميزاب الأول، وأرسله إلى السلطان، وجعل إزاراً على الكعبة، واستمر إلى أن وقع سقوط بعض الجدران؛ مما فصلناه في ترجمة الشريف مسعود ابن إدريس، فرفعوا ذلك الإزار، وسبكه متعاطو العمارة، ولم يجعلوا عوضه عليها؛ لعدم الاحتياج إلى ذلك. انتهى.

[٦١٢] أحمد بن محمد علي بن إبراهيم بن حسن بن عبد الرحمن المدرس الحنفي.

صاحبنا الفاضل الأديب، البالغ في شببته مبالغ الشيب، وُلد بالمدينة المنورة سنة سبعين بعد الألف، وبها نشأ، واشتغل بالعلم اشتغالاً حسناً، وأخذ عن الخطيب أحمد البري، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، وغيرهما، ورحل إلى مكة، وأخذ عن شيخنا حسن بن علي العجيمي وغيره، وأجازوه.

وبرع وتأدب، وألف عدة كتب، منها: «شرح البسملة» في مجلدٍ ضخيم، و«شرح إيساغوجي»، وهبني منه نسخةً بخطه، و«حاشيته على شرح مقصورة ابن دريد للإمام عبد القادر الطبري»، وغير ذلك من الرسائل اللطيفة، وله ديوان شعرٍ غالبه مدائح في الأشراف الحسينيين ملوك مكة، اجتمعت به بمكة، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، وأنشدني من شعره قوله مادحاً للشيخ أحمد الخياري:

قربي الراح من حمانا ودوري بين غيدٍ بها حسانٍ بُدورٍ

قَرَّبِيهَا فَهِيَ الدَّوَاءُ لِمَا قَدْ
قَرَّبِيهَا وَخَلَّ عَنْكَ أَنَا
قَرَّبِيهَا صَفْرَاءَ كَالْتَبْرِ لَوْنًا
منها:

خمرة تترك الشحيح جواداً
خمرة حانها يفوق على الشم
مثل وجه الأديب أحمد نجل الـ
الخياري حافظ العصر إيرا
فهو فرد في عصره ووحيد
وقوله:

ووادٍ قد كان بالصحب جمعنا
ووقد ناري هجرهم وبعادهم
وواحيرة العذال إنني أعدهم
وورقاء دوح قد أثارت تشوقي
ووردية الخدين معسولة اللّمي
ووسناء طرف كالغصون اهتزأها
ووجنتها يحكي دموعي احمرارها
وواوات أصدغ لها كعقارب
والخصر منها ما تبدلت غيرها
ولكنهم للقلب بالبعد كَوُوا
وللجسم مني يا خليلي قد شَوُوا
كلاباً فمنهم لا أبالي إذا عَوُوا
لقوم بأحشائي وقلبي قد ثَوُوا
وعشاقها للسقم من صدها حَوُوا
أسانيد علم السحر عن طرفها رَوُوا
ورضوى مع الأرداف منها قد استَوُوا
وكم لسعت قوماً على حبها انطَوُوا
ولم أك من قوم لسلوانها نَوُوا

وودِّي لها من قبل آدم ثابتٌ
وقوله :

عَذَّبَ بما شئتُ أيها القمرُ
من قد حوى الماء في الخدود كذا
رمتَ سلوي هواك يا أُملي
أنت الذي للسهام لحظك قد
بنتَ عن الروح يا سراج ضئي
نهى عن الحب عاذلي سفهاً
إن حبيبي كالغصن قامته
بدرٌ كمثل المُدام رِقته
يسبي البرايا بنور طلعتَه
بلبل قلبي دلالة أبدأ
كلّمني طرفه ومقلّته
رَشَاد توله^(١) كمثل دجى
أصفرُ مثل النضار صفرتَه
لله ما أطفن رشاقته
حمى بالحافظه لوجنته
له كعين عينٌ وحاجبُه

ولست لأقوام إلى غيرها هوذا

إلا الجفا والصدود يا عمرُ
نار بأحشائي حين تستعُرُ
من أين للقلب عنك مصطبرُ
رمى حشاي وماله وترُ
كأنني يا مليك محتضرُ
فقلتُ ذا العذل يا فتى غررُ
له ثنايا كأنها دررُ
والقلبُ قاسٍ كأنه حجرُ
وليس للخضر يلتقي أثرُ
وذاك شرطٌ في العشق معتبرُ
لذاك أصمى الحشا بها حورُ
فريدٌ نَدٌّ لأنه عطرُ
له بنانٌ هامت به البشرُ
وحسنه والحديث والخبرُ
وتلك والله لا مرا بترُ
نونٌ وفاه ميم تستطرُ

(١) كذا في الأصل.

وذاك يا صاحِ جمعه عَنَّمْ بكفّه يدهش به النظرُ
إن هواه غدا بلا غصصٍ لمهجتي والغذا هو الوطرُ
نعيمُ دنياي حسنُ صورته فوصفها صاحٍ ليس ينحصرُ
يحار كلُّ في وصف خلقتَه وكم له من محاسن آخرُ

[٦١٣] أحمد بن محمد بن علي الغنيمي - مصغراً - الأنصاري الخزرجي،
الشافعي ثم الحنفي^(١).

الشيخ الإمام العلامة، شهاب الملة والدين، وحجة المناظرين، وخاتمة
المحققين، وشيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، كان - رحمه
الله - من أجلاء الشيوخ، الذين انفردوا في عصرهم بعلم المنقول والمعقول،
وتبحروا في العلوم الرياضية والأصول، مع النظر الدقيق، والتقرير البديع
والتحقيق، والتواضع وحسن المحاضرة، والملازمة لإقراء العلم والمذاكرة.

أخذ الفقه والحديث، وغيرهما من العلوم الدينية عن القطب الرباني
العلامة الشمس محمد البكري، والشمس محمد الرملي، وأبي نصر الطبلابي،
 وغيرهم، ولازم العلامة خاتمة المحققين الشهاب أحمد بن قاسم العبادي،
مؤلف «الآيات البينات»، وبه تخرج وانتفع في العلوم النظرية.

وأخذ عن النور الزيادي، وصالح البلقيني، والفهامة سيبويه زمانه أبي
المحاسن المعروف بابن المخلطة - بكسر اللام -، وكريم الدين اليرموني
المالكين، وعلي بن غانم المقدسي، ومحمد التحريري الحنفين، وكان

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣١٥)، «الأعلام» للزركلي (١ / ٢٣٧)، «موسوعة
أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٩٤).

آية من آيات الله في العلوم العقلية، بخرأ زاحراً، لا يجارى ولا يمارى .
وانفرد في عصره بدقة النظر، وشدة البحث، والقوة عليه، وكان درسه
لا يحضره إلا جهابذة المحققين، وأكابر الأئمة المدققين، ولكونهم أقل القليل،
لم يحضره إلا كل نبيل، وحضره بعض العلماء الذين لا اعتناء لهم بالدقة
والبحث، فقال: هذا الرجل يمكنه أن يشكك الإنسان في نفسه، ثم ترك
درسه .

وممن لازمه سنين عديدة، ومدةً مديدةً، وبه تخرج، وعليه في العلوم
العقلية عرج: شيخنا شيخ الإسلام علي الشبراملسي - فسح الله في قبره -،
وكان لا يفتر عن ذكره في مجالسه ودروسه، وسمعته - رحمه الله - يوماً يقول
في درسه وقد ذكره: مات علم المعقول والمنقول بعده، وكان يقول: من
رأى دروس الغنيمي وتقريره، ودقة نظره، لا يجوز نسبة هذه التأليف التي ألفها
إليه؛ لأن مقاصده أجل منها، مع أنها في غاية الدقة، وحسن الصناعة .

وكان رحمه الله من أجلاء فقهاء الشافعية في عصره، ثم تمذهب بمذهب
الإمام أبي حنيفة في آخر عمره، بعد أن كان يقرأ في فقه الشافعية كتباً كثيرةً،
ورحل إلى القسطنطينية، فأجله كبارؤها، ولازمه لأخذ العلم عنه علماؤها،
وبلغ ما يروم، وحظي فيها حظوةً لم يحظها أحد في عصره من العرب
والروم .

وكان شيخ الإسلام يجثو بين يديه على الركب، ويبالغ في تعظيمه،
وفي حسن الأدب، وقرأ عليه كتباً كثيرةً، منها: «شرح المواقف»، ولما أراد
الرجوع إلى مصر، أجزل له مع بقية كبرائها العطية، وتولى بمصر المدارس

العلية، وأعطى الوظائف والمعالم السنية.

فرجع من طريق البحر، إلى أن وصل ثغر إسكندرية، فانكسر المركب، وضاعت جميع أسبابه وكتبه، إلا كتاباً واحداً كان بيده، فخرج به من المركب، ثم سُرِق منه، وبقي صفرَ اليدين، ورجع بخفي حنين، فقال عند ذلك: هذه بركة الإمام الشافعي رحمه الله.

ثم أرسل إلى مفتي الروم، وعرفه بجميع ما حصل له، فعوضه عن بعض ذلك، وجدد له مراسيم بمدارسه ووظائفه، واستمر بمصر، وعرض له في آخر عمره ثقلٌ في سمعه، حتى توفي بها ليلة الأربعاء، سابع وعشري رجب، سنة أربع وأربعين بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة.

ومن مؤلفاته: شرحٌ بديعٌ على «المقدمة الشعرانية في علم العربية» سماه: «إرشاد الطلاب إلى لفظ لباب الإعراب»، وحاشيةٌ على «أم البراهين» للسنوسي، في مجلدين ضخمين، سماها: «بهجة الناظرين في محاسن أم البراهين»، و«رسالة فيما يتعلق بجملة البسملة»، و«رسالة في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌ﴾» [الأحقاف: ٢٤]، و«رسالة في بيان السنن ونقائضها»، و«رسالة في إيمان المسلم بعد موته في أي محل يكون».

و«حاشيةٌ على شرح الاستعارات للعصام»، و«حاشيةٌ على شرح إيساغوجي لشيخ الإسلام»، و«ابتهاج الصدور في بيان كيفية الإضافة والتثنية، والجمع للمنقوص والممدود والمقصور»، وله «حاشيةٌ على شرح عقائد النسفي للسعد»، و«حاشيةٌ على شرح جمع الجوامع»، و«حاشيةٌ على شرح الأزهرية».

[٦١٤] أحمد بن محمد باشا الوزير الأعظم المعروف بالفاضل،
الكويرلي الأصل، القسطنطيني المولد^(١).

أحد وزراء الدولة العثمانية، الذين عزت بهم السلطنة، وافتخرت بهم الدولة، كان في وقته من مفاخره السامية، وأفراده المتعالية، وبه ظهر رونق الزمن، وعلا قدر الفضل، وكان عصره إلى أواسط مدته أحسن العصور، ووقته أنصر الأوقات، ولم يكن في الوزراء من يحفظ الدين، وقانون الشريعة مثله، صعباً شديداً في أمور الشرع، سهلاً في أمور الدنيا، وكان حاذقاً مدبراً للملك، قائماً بضبطه.

وُلد بالقسطنطينية سنة خمس وأربعين، واعتنى أبوه بتربيته، فأقرأه العلوم حتى مهر، وسمت همته، واشتهر أمره، وسلك في بداية أمره طريق المدرسين، ثم عدل إلى طريق والده، فتولى وأبوه في الصدارة العظمى ولاية أرض الروم، فظهرت كفايته، وحُمدت طريقته.

ثم انتقل منها إلى حكومة دمشق الشام، وأعطىها برتبة الوزارة، وذلك سنة إحدى وسبعين وألف، وقدمها، وكانت أمورها مختلة النظام، فأصلحها، وتقيّد في أمور الأوقاف، وأزال ما بها من محدثات الوظائف وغيرها، وركب على أولاد معن، وبني الشهاب، وأقام ببقاع العزيز أياماً حتى أزالهم عن بلادهم، وقمع الفتن.

وكان قبل وطنه دمشق ولعت بها أيدي القحط، حتى عمها، وبلغت غرارة الحنطة إلى ثمانين قرشاً، فنفع الناس في طلب الحبوب من مصر،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥٢).

وأمر وهو بالبقاع بعمارة قاعةٍ معظمةٍ، داخل دار الإمارة بدمشق، فبنيت على أسلوب عجيبٍ وطرحٍ غريبٍ.

ثم طُلب من البقاع إلى الروم، فسار بالسرعة، وعُزل عن حكومة دمشق، وجاء أمر حكومة حلب، وهو ذاهبٌ في الطريق ولم يدخلها، وبعد وصوله إلى القسطنطينية، صار قائماً مقام أبيه فيها، وكان السلطان إذ ذاك بأدرنة، وأقام أياماً قليلةً، ثم طُلب إلى أدرنة، وكان والده قد ابتدأه المرض، فلما وصلها، صار قائماً مقامه في حياته، وبعد أيامٍ قليلةٍ توفي والده، فتولى الوزارة مكانه، وكان ذلك سنة اثنتين وسبعين وألف، وأرخ بعضهم توليته بقوله: (دولته نعمة الإله).

وسلك طريقاً في وزارته لم يسبقه إليه أحد، وبلغ من الإحكام ونفوذ القول مبلغاً ليس فيه مستزاد، ولم يبق للناس سوى التمسك بعنايته، ومراعاة حاشيته، وكان حسن التدبير، صائب الرأي، كامل الفراسة.

ومما ينسب إليه من الفطنة: أنه جاء يوماً شخصٌ بتوقيع، ففُرس فيه أنه مصنوع، فناوله لأحد جماعته، وأمره بحفظه، ومضى على ذلك ست سنوات، فجاء يوماً شخصٌ آخر برقعة، فلما رآها، طلب التوقيع، فلما جاء به، قابله على خط الرقعة، ثم سأل من صاحبها عن كاتبها، فأخبره به، فأرسل إليه من أحضره، فلما مثل بين يديه، أراه التوقيع، فاعترف به بأنه هو الذي كتبه، فأمر بقطع يمينه، وعين له في بيت المال كل يومٍ ما يكفيه.

وقصده الشعراء من البلاد، ومدحه جماعةٌ من أكابر شعراء عصره، منهم: العلامة فضل الله بن محب الله ابن القاضي العلامة محب الدين الحموي، فإنه مدحه بثلاث قصائد إحداها التي أولها:

طيفٌ يمثله الغرامُ بفكره ورجاً يحار بطيئه وبنشره

وهي قصيدةٌ فائقةٌ، ولطولها لم أذكرها.

وكتب إليه الأمير المنجكي في صدر الرسالة :

يا سيد الوزراء دعوةً مقعدٍ محت الحوادث رسمه فعسى عسى

فانظر إليه برأفة بل رحمةً يكفيه من جرع الأسى يا ما احتسى

قد كان سحبانَ الزمان فضيلةً قُطعت علوفته فأصبح أخرسا

ومن الغزوات التي وقعت أيام وزارته : غزوة «أيوار» ، عينه مخدومه
السلطان محمد إلى فتحها، فسار بجميع العساكر، في حادي وعشري صفر،
سنة أربع وسبعين، وصدر بينه وبين أهل دائرتها، من كفار المعجر، محارباتٌ
كثيرةٌ، وأوقعوا بعسكره مكائد شتى، وكانت النصره له، وهدم مما يليها قلعة
تسمى بالقلعة الجديدة، كانت الكفار بنتها؛ ليتحصنوا بها.

وبعد ما قدم إلى مقر الدولة، استقام مدةً، وقد قويت شوكته، وعظمت
مهابته، ثم أمره مخدومه بالسفر إلى جزيرة كريت؛ لفتح بلدة قنديه، التي
كانت بقيت في هذه الجزيرة من بين بلادها لم تفتح - كما شرحت ذلك في
ترجمة السلطان إبراهيم -، فوصلها في خامس ذي القعدة، سنة سبع وسبعين،
وبنى بالقرب منها مكاناً كان منهدماً؛ لتهيئة مهمات المحاصرة.

ثم نازلها بمن معه من العساكر، وقد كان أهلها حصنوها بأشياء لا يمكن
حصرها، وأضافوا لسورها سوراً آخر، عمروه من داخل السور القديم، وطالت
الحرب بين الفريقين مدةً، حتى افتتحها صلحاً في غرة جمادى الأولى سنة
ثمانين، ووردت البشائر إلى الأطراف بالزينة، وكثرت تباشير الناس بفتحها.

وبالجملة: فإن أمرها كان بلغ الغاية وطال، حتى ملّ العالم من خبرها.
وأكثر الشعراء من التواريخ لهذا الفتح، وعمل القصائد العجيبة، حتى
رأيت بعض الفضلاء أفرد الأشعار التي نظمت في ذلك، وفي مدح الوزير
صاحب الترجمة، فبلغت شيئاً كثيراً.

ومن التهتات: قصيدة الفاضل الأديب المشهور مصطفى بن عبد الملك
البابي الحلبي، وهي من جيد شعره، ومطلعها:

لك الله من ندبٍ إذا همَّ صَمَمًا وطلّاعٍ أنجادٍ إذا أمَّ تمما^(١)

وبعد ما مهد أمورها، وبنى ما كان تهدم أيام المحاربة من مساكنها،
رجع إلى مقر حكومته، وكان السلطان - إذ ذاك - بأدرنة، فأقام مدة، ثم عينه
السلطان إلى محاربة الكفار المعروفين بالليه، فسار في جمعٍ عظيمٍ لم يشاهد
مثله، وافتتح قلعة قمينجه في سنة أربع وثمانين.

وعاد إلى أدرنة، وأخذ في نقض الأمور وإبرامها على الوجه الحميد،
والرأي السديد، ثم تغيرت أطواره، وحبب إليه العزلة، فانقطع عن الديوان
وتعاطي المصالح، واشتغل باتخاذ الندماء، وعقد مجالس الأنس، والجري
في ميدان النشوة والقصف، إلى أن رحل السلطان إلى القسطنطينية أواسط
محرم، سنة سبع وثمانين، ورحل هو معه.

وعند وصوله إلى القسطنطينية، ابتدأه المرض، وكان ابتداء مرضه اليرقان
الأسود، وعولج مقدار ستة أشهر، فلم يفد العلاج، واشتد به إلى أن رحل
السلطان راجعاً إلى أدرنة، في شعبان من هذه السنة، وخرج هو على أثره من

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «تمما» صفحة بياض بالأصل».

البحر، في مركبٍ إلى بلده سلورية، ووصل من البر إلى نواحي حورلي، فأدركه أجله في قرية بالقرب منها، وغُسل وكُفن بها، وأُتي بجنازته إلى القسطنطينية، فدفن مما يلي والده، بتربته التي كان أنشأها بدرب الديوان، وصُلي عليه مكان دفنه، وذلك في نهار الأربعاء، سابع عشري شعبان، سنة سبع وثمانين وألف.

وكان قبل وفاته وقفَ كتبه، ووضعها في خزانة بالتربة المذكورة، ورتب لها أربعة حفاظ، وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد في مكان، وأخبرني بعض من أثق به: أنها خُمنت بأربعين ألف قرش.

[٦١٥] أحمد بن سنان الرومي^(١).

كاتب أوقاف الحرمين، وناظرها بدمشق، كان فاضلاً أديباً، حسن المحاضرة، عظيم الجاه، خصوصاً عند القضاة، وله حشمةٌ ومكارم وإنصاف، وجمع تاريخاً لطيفاً، تعرض فيه لذكر كثيرٍ من قضاة عصره وأمرائه، توفي ليلة الجمعة، تاسع وعشري شوال، سنة تسع عشرة وألف - رحمه الله وإيانا -.

[٦١٦] أحمد بن سعيد العمودي المكي الشافعي^(٢).

الشيخ العارف بالله، المقيم بجبل أبي قيس. قال النجم الغزي: زرتَه لما حججت سنة عشر بعد الألف، فرأيتَه فقيهاً، كتابه «الإرشاد»، وجماعته ملازمون عنده للصلوات الخمس والأذكار، ومن

(١) «خلاصة الأثر» للمحيي (٢٠٩ / ١).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٣٢٨ / ١) (١٢١).

طريقه: أن جماعته في أيام الموسم لا يتركون الاحتراف، فيكتسبون ما يقوم بهم سائر سنتهم؛ استغناء عن سؤال الناس.

قال: ورأيت عليه السكينة والوقار، وكان مصاباً بإحدى عينيه، وكان ظاهر الولاية، سألته الدعاء لي ولأولادي، وتحابينا في الله، ومات عن نحو تسعين سنة - رحمه الله -، وكان موته في سلخ رمضان، سنة أربع عشرة بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، بترتهم المعروفة، وآل العمودي مشايخ مشهورون بحضرموت، وهم حميريون شيبانيون نوحيون، ذكره في «الغرر».

[٦١٧] أحمد الكردي الشافعي^(١).

الشيخ العلامة المحقق، كان مجاوراً بالكلاسة، بجامع دمشق، وكان ملازماً لصلاة الجماعة، قانعاً بالرزق، لا يتردد إلى أحدٍ، مقبلاً على الاشتغال والإشغال بالعلم، في النحو والمنطق والبيان، انتفع به كثيرٌ من الطلبة، وممن أخذ عنه ولازمه: شيخ الإسلام النجم الغزي، صاحب «الكواكب السائرة»، ومات بالطاعون، سنة اثنتين بعد الألف، ودفن بمرج الدحداح - رحمه الله تعالى -.

[٦١٨] السيد أحمد بن محمد الحارث بن الحسن بن أبي نمي^(٢).

كان آيةً في العقل والذكاء، مرجعاً للأشراف الحسينيين ملوك مكة في جميع أمورهم، وإذا حكم بأمرٍ، لا يقدر أحدٌ أن يستدرك عليه فيه شيئاً لحسن أحكامه، وشدة إحكامه، ولما وقع بين الشريف سعد بن زيد، وبين حسن

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٤٨).

باشا صاحب «جدة» ما وقع، وذهب للمدينة، ولي صاحب الترجمة، ولم يتم له ذلك بعد.

توفي في تاسع رجب، سنة خمس وثمانين وألف بمكة، ودفن في قبة جده - رحمه الله -، وجده الشريف حسن، وهو إلى جنب تابوته مما يلي الشرق، ووضع عليه تابوت عظيم - رحمه الله - وخلف أولاداً أمجاداً، أكبرهم السيد محمد كريم، مشهورٌ وشجاعٌ مخبورٌ، ليس في عصرنا من أمثاله من الأشراف أجود وأسخى منه، وأخوه السيد ناصر أحد دهاة الأشراف وعقلائهم، المرجوع إليهم في المهمات، كان الشريف بركات أمير مكة يقول: لا أخاف من أحدٍ من الأشراف ما أخاف من ناصر.

[٦١٩] السيد أحمد بن محمد الأنسي اليمني^(١).

شاعر له اختراعات غريبة، وتشبيهات مصيبة، وأوصاف باهرة، وأمثال سائرة، وجدُّ يُعجب، وهزلٌ يُطرب، وقفتُ له على أشعارٍ يصبو إليها القلب والطرف، ويقطر منها ماء الملاحة والطرف، ويمتزج بإحس النفس، ويسترجع نافر الأنس، فهو كما قال القائل:

بديعُ شعري رقيقٌ حتى غدا	تجري مع الروح كما تجري
في مُذهبِ الوشي على وشيه	ديباجةٌ ليست على الشعر
كزهرة الدنيا وقد أقبلت	تروقُ في رونقها النَّضْرُ

(١) «نفحة الريحانة» للمحمي (٣/ ٥٨٥) (٢٦٤)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٦٢)،

«البر الطالع» (١/ ٣٧)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٢٩٨) (٢٢)، «طيب السمر»

للمحمي (٢/ ٢٢٧).

أو كالنسيم الغضُّ غبَّ الحيا يختال في أروية الفخر

فمن دَنَّ المكنون، الذي يتنافس فيه المتنافسون: قوله يمدح الشريف
زيد بن محسن، أمير مكة - شرفها الله -:

من قبل رؤياك يا ربِّا عرفناك	أهدى النسيم قبولا طيبَ ربِّاك
ونفحةُ جاءت الآفاقُ منك فلم	يبقَ على المسك ذكرى بعد ذكراك
كم بلبلُ البال منها بلبلٌ سَحَرَا	وهل مغانيه إلا بعضُ مغناك
وأطربَ العيسَ حادٍ في مفازتها	تحت الدجى حين غناها بمغناك
حللتِ نجداً فطابت منك أربُّعه	وأصبح الترب تبرا بعد ممشاك
وخالطت مجةً منك العُذيبَ وما	علمي به قبل لولا نفثُ مسواك
عِمي صباحاً مغاني الغانيات ولا	تنفكُ نعمٌ تفدى أيدي نعماك
أين العهودُ التي كانت مؤكدةً	إياك أن تنقضها بعدُ إياك
نعمتِ يا نعمُ بالاً ولنا	بالٌ يبلبلُه ذكرى محياك
إن كان أربُّعك التي زهت وهزت	بأربُّع من جنان الخلد مأواك
فيهن عينانٍ من شهدٍ ومن لبنٍ	نضاختانٍ فمن عينيَّ عيناك
والمنحنى من ضلوعي لم يزل أبداً	مثواك والقلبُ لم ينفك مرعاك
أو كنتِ أطربك الحادي فمن غزلي	ساق المطيِّ حين غناها وعناك
لولاك ما قلت بيتاً في النسيب ولا	جفا جفوني كراها غبَّ مسراك
ولا لقيتُ من الوجد المبرِّح ما	يرضى رضوى فهل بالله أرضاك
نزلتِ نجداً وأضحى منزلي يمناً	متى متى يا تُرى بالله ألقاك

ولي بقايا حشاشات أضنُّ بها
وفي فؤادي أسرارٌ تضمنها
لا واخذَ اللهُ أيدي العيش قد جمعتُ
يا ربةَ الخالِ والخلخالِ طيفُ خيا
فمتَّعِ به ما عاش وانبعثي
سقى ورؤى للرَّبابِ مثلث
حتى يقالَ لمعناها لقد رحم الضُّ
وحاك منها بروداً ثم فرقها
كان زبداً أطال الله مدته
فهو الذي يده البيضاء وصنعتُه
ملكٌ أناف به مجدٌ وساعده
ما بأسُ عمرو وما همُّ ابنِ ذي يَزَنِ
ما زال لا زال يطوي كلَّ منتشر
حمى به الحرمين اللهُ فامتنعا
فأمت الأمم البيتَ الحرامَ على اخ
سنانه لم يزل يُدعى وصارمه
وكفه واكفُ بالمال يتنزل الـ
زيدُ المحامد والسعي الذي انحسرت
هو الأمينُ ولكن ليس يخدم الـ

عسى عسى تتلافها مطاياك
من الصبا حبذا إبداعها فاك
بعائدِ الصلّةِ المشكَّوِّ والشاكي
لِ منكِ يشفي خليلاً وجدّه ذاكِ
ذمّاه لا تعدميّه لا عَدِمناكِ
للربابِ الرُّبى رُبّاً بذكراك
ضُحّاكِ يا قوم هذا العارضُ الباكي
بكل لونٍ فأعيا وصفها الحاكي
أمدَّ بعض محيَّاه محيَّاكِ
نسجُ المكارم من أبان أوراكِ
جَدُّ وأيده جدُّ له شاكي
وما سياسةُ ساسانٍ واساكِ
من الممالك في عُرب وأتراكِ
عن ملحدٍ وأثيم بل وهتاكِ
تتلافها لم يخف سرب لنسأكِ
بفاطرٍ وبسفاحٍ وسفأكِ
آمال عن بذل ملساكِ
وقصرت دون غايات هاؤلاكِ
مأمون إن غمزت عينٌ لأفأكِ

سَلْ عَنْهُ مَكَّةَ هَلْ مَلِكٌ تَسْلُطُنَا
وَهَلْ لَطَائِرُهُ الْمَأْمُونِ مِنْ مِثْلِ
كَمْ طَابَ فِي طَيِّبَةِ رُبْعٍ بِمُرْتَبِعِ
إِنْ يَنْتَقِلَ عَنْكَ جَوْرٌ يَثْرِبُ فَبِلَا
اخْتَارَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ الْحَرَامِ لَنَا
فَقُلْ لِمَنْ رَامَ مَرْقَاهُ وَغَايَتَهُ
مَا لِلْبَغَاثِ لَاحِقًا لِلْعَقَابِ وَهَلْ
لِسَانُ حَالِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى نَطَقَتْ
زَيْدٌ هُوَ الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي أَنْعَقَدَتْ
فَمَنْ وَمَنْ يَرْتَجِي أَنْ يَشُقَّ لَهُ
يَا بُعْدَ مَا يَتَمَنَّى نَفْسُ ذِي شَرَفِ
دَعِي غُرُورَ الدَّوَاعِي مَا اسْتَطَعَتْ فَإِنْ
لَا تَطْمَعِي أَيْنَ زَيْدُ بْنُ مُحَسِّنِ
وَخَامِسُ الْقَوْمِ مُصْبَاحٌ لَهُ بَرَكَاتُ
أَبُو نَمِيٍّ لَهُ الْمَجْدُ الْأَثِيلُ غَدَا
هُمْ هُمْ إِنْ ذَكَرَتِ النَّاسُ فِي مَلَأِ
أَسْمِعْ وَأَبْصِرْ بِقَوْمٍ إِنْ طَلَبْتَهُمْ
وَقَدْ حَوَى كُلَّ مَا فِي الْقَوْمِ مِنْ حَسَنِ
مَنْ لِي بِرُؤْيَا زَيْدٍ مَنْ يَبْلُغُنِي

يَحْكِي مِنْهُ زَائِدًا بِهَا مِنْ قَبْلِهِ حَاكِي
فَيَمُنْ تَقْدِمُ سَلْ سَلْعًا وَذِي الْوَاكِ
كَسَاهُ بَرْدَ رَيْبِيعٍ عَدْلُهُ الزَّاكِي
عَزَوْهُ فَقَدْ نُقِلْتُ مِنْ قَبْلُ حُمَّاكِ
وَلِلْإِمَامِ إِمَامًا أَيْ تِيحَاكِ
قَصْرٌ وَقِلْ لِلْحِيَارَى أَيْنَ سَوَاكِ
لِلشَّمْسِ فِي غَايَةِ التَّحْقِيقِ مِنْ حَاكِي
فِيهِ بِقَوْلِ حَدِّ السَّيْفِ نَبَاكِ
لَهُ الْعَنَاءُ فِي أَثْنَاءِ شَبَاكِ
عَبَابُ طَرْفٍ مَجَارِي الرَّمَحِ مَدَاكِ
أَنْ تَدْعِيَهُ فَقُلْ مَا بَعْدَ دَعَاكِ
دَعَاكِ دَاعٍ فَقَدْ وَاللَّهِ مَنَّاكِ
أَوْ حَسِينِ أَوْ حَسَنِ بُعْدًا لِمَرْمَاكِ
تُ الْخَيْرِ مَشْكَاتُ نُورٍ سَاطِعٍ شَاكِي
إِرْثًا وَأَبْقِيَهُ أَمْلَاكِ لِأَمْلَاكِ
لَا تَذْكُرِي غَيْرَهُمْ أَنَهَاكِ أَنَهَاكِ
فِي الْمَكْرَمَاتِ تَجْدُ أَفْلَاكَ أَفْلَاكِ
زَيْدٌ وَزَادَ بِأَوْصَافٍ وَأَسْبَاكِ
مَنْ لِي بِبَسْطِ كَفٍّ مِنْ قَبْلِ إِدْرَاكِ

أعوذُ بالله من عجزٍ يحولُ عن از ديار مَنْ سكن الزور أنْهاكِ
يا ربِّ بالبيتِ زدْ زيدَ المكارمِ تع ميراً وعزاً وصِلْ حبلي به الواكي
ثم الصلاةُ على المختار من مضرٍ وآله ما انطوت أشراكُ أشراكِ

وقوله مادحاً للشریف زيد بن محسن، وأجازه عليها ألف ذهب، وعبداً

وفرساً:

سلوا آلَ نَعِمٍ بعدنا أيُّها السفرُ أعندَهُمْ عِلْمٌ بما صنعَ الدهرُ
تصدى لشتِّ الشملِ بيني وبينها فمَنْزِلِي البطحاءُ وَمَنْزِلُهَا القصرُ
وإني ونُعَمٌ لاهيينِ فغالنا فسلَّتْ يدُ الدهرِ الخؤونِ ولا غدرُ
فواللهِ ما مكر العدوُّ كمكره ولكنَّ مكرأ صاغه فهو المكرُ
فقلوا لأحداثِ الليالي تمهلي ويا أيُّها الدهرُ موعِدُكَ الحشرُ
سلامٌ على ذاك الزمانِ وطيبه وعيشٍ تقضى لي وما نبت الشعرُ
فتلك الرياضُ الباسماتُ كأن في عواتقها من سندسٍ حللٌ حمرُ
تنضَّدَ فيها الأقحوانُ ونرجسُ كأعينِ نُعَمٍ إذ يقابلها الثغرُ
كأنَّ غصونَ الوردِ قُضِبُ زبرجدٍ تخال من الياقوتِ أعلامُها الحمرُ
إذا خطرت في الروضِ نُعَمٌ عشيةً تفاوحَ من فضلاتِ أردانِها العطرُ
وإن سحبت أذيالها خلتَ حية إلى الماءِ تسعى ما لأخمصها أثرُ
كساها الجمالُ اليوسفيَّ ملابساً فأهونُ ملبوس لها التيهُ والكبرُ
فكم تخجلُ الأغصانُ منها إذا اثنت ويُغضي حياء من لواظها التبرُ
لها طرةٌ تكسو الظلامَ دياجياً على غرةٍ إن أسفرت طلعَ الفجرُ

وصحنان خد أشرقا فكانما
وجيدٌ من البلور أبيضُ ناعمٌ
ونحرٌ يقول الدرُّ إن به غنى
وحُقَّانٍ كالكاפור ناف علاهما
رويدك يا كافورُ إن قلوبنا
بدا القدُّ غصناً باسقا متأوداً
يكاد يدقُّ الخصرُ من هَيْفٍ به
لها بشرٌ مثلُ الحرير ومنطقٌ
رأنتي سقيماً ناحلاً واهلاً بها
وغنت بييتٍ يلبث الركبُ عنده
إذا كنتُ مطبوعاً فلا زلتُ هكذا
فقلتُ لها والله يا بنة مالكٍ
رمتني العيونُ البابليات أسهماً
فقلت وألقت في الحشا من كلامها
فوالله ما أنسى وقد بَكَرَتْ لنا
تدورُ بكاساتِ العُقارِ كأنجمٍ
نداماي نعمٌ والربابُ وزينبُ
على الناي والعود الرخيم وقهوة
فتقتصن من ألبابنا وعقولنا
مصاييحُ رهبانٍ أضاء لها الديرُ
كعنق غزالٍ قد تكنفها الذعرُ
عن الحلي لكن بي إلى مثله فقرُ
من الندُّ مثقال فنَدَّ به الصبرُ
ضعافٌ وما كل البلاد هي المصرُ
على نقورٍ رملي يطوف به نهرُ
روادفها لولا الثقافةُ والهصرُ
رخيمُ الحواشي لا هدى ولا نذرُ
فأدنتُ لها عوداً أناملها العشرُ
حيارى بصوتٍ عنده يرقصُ البرُ
وإن كنتُ مسحوراً فلا برى السحرُ
لما شفني إلا القطيعةُ والهجرُ
فأقصدي منها سهامكم الجمرُ
تأجج ناراً أنت من ملكنا حُرُ
بإبريقها تسعى به القينةُ البكرُ
إذا طلعت من برجها أفلَ البدرُ
ثلاثُ شخوصٍ بيننا النظمُ والشرُ
يذكرها ذنباً لأقدامنا العصرُ
فلم ندرِ هل ذاك النعاسُ أم السكرُ

معتقة من عهد عادٍ وجُرهم
مشعشة صفراً كأن حبابها
إذا فرغت في الكاس نعم وأختها
خلا أن ريق الثغر أشفى لمهجتي
وأنفع درياقي لمن قتل الهوى
بهذا عرفنا الفرق ما بين كاسها
فوالله ما أسلو هواها على النوى
أبو حسنٍ زيدُ المعالي والتقى
إذا ما مشى بين الصفوف تزلزت
وترجف ذات الصدع خوفاً لباسه
فلو قال للبحر المحيط انتِ طائعاً
كريمٌ متى تنزل بأعتاب داره
تجد ملكاً يغني الوفود وينجز الـ
على جوده من وجهه ولسانه
فما أحنفُ حلماً وما حاتمٌ يداً
هو الملك الضحاك يوم نزاله
لقد قرّ طرفُ الملك منه لأنه
حياةٌ وموتٌ للموالي والعدا
أنخ عنده يا طالب الرزق فالذي

ومودعها الأدنان لقمان والنسرُ
على فرشٍ من عسجد نثر الدرُ
تشابه من ثغريهما الريق والخمرُ
إذا ذاقه قلبُ الشجيّ برد الجمرُ
فهاهنا ارتشافَ الثغر إن سمح الثغرُ
وبين مدام الظلم إن أشكل الأمرُ
بلى إن سلا بذلَ الندى الملكُ القصرُ
له دون أملاك الورى المجدُ والفخرُ
لهيئته الأملاك والعسكرُ المجرُ
فيندك أطوادُ الممالك والقفرُ
أتاه بإذن الله في الساعة البحرُ
تجد ملكاً يزهو به النهي والأمرُ
سعود وأدنى بذله الدُّهم والشقرُ
دليلان للوفدِ البشاشة والبشرُ
وما عنترُ يومَ الحقيقة ما عمرو
إذا ما الجبانُ الوجه قطّبه الكرُ
لديه النوالُ الحلو والغضبُ المرُ
لقد جمعا في كفه الجبرُ والكسرُ
حواه أنوشروان في عينه النزرُ

ولا تُصْنَعِ لِلْعَدَالِ أذْناً وَإِنْ وَفُوا
وهل يستوي عذبُ فراتٍ مروِّقٌ
فلو سمعت أذن العدوِّ بمجده
فما قدَّروا زيْدَ العلا حقَّ قدره
مليكٌ إليه الانتِهَاءُ وقيصرٌ
مليكٌ له عند الإله مكانةٌ
مليكٌ له سرٌّ خفيٌّ كأنما
فإن كذبوا أعداء زيْدٍ فحسبه
ليالي إذ جاء الخصيُّ وأكثروا
فأيقظه من نومه بعدَ هجعة
كأن لم يكنْ أمرٌ وإن كان كائن
وفي طيِّ هذا عبرةٌ لأولي النهي
فيا زيْدُ قل للحاسدين تحنطوا
فمجدي كما تقد تعلمون مؤثِّلُ
من القومِ أربابِ المكارم والعلا
مساميحٌ في الأولى مصاييحٌ في الدجى
أسْتَتَهم في كل شرقٍ ومغربٍ
مساعيرُ حربٍ والقنا متشاجرُ
وكيدُهم لقي الملوك لأمره

بأحسابهم منهم فما العبدُ والحرُّ
وملحٌ أجاج لا ولا التبنُّ والتبرُّ
مزاياء لا ستحيت ولكن بها وقُرُّ
وماذا عليهم يا ترى لهم الحشرُ
يقصِّرُ عنه بل وكسرى به كسرُ
تبوأها من قبله إلياسُ والخضرُ
يناجيه بالغيب ابنُ داودَ الحبرُ
من الشاهد المقبول قصته البكرُ
أقاويل غيِّ ضاق ذرعاً بها الصدرُ
من الليل بيتٌ زاد فخراً به الشعرُ
لكان به أمر نفي ذلك الأمرُ
وذكرى لمن كانت له فطنة تقررُ
بغيطكم إن لم يطيعكم الصبرُ
وكلُّ حمامٍ البرِّ يقيظها الصقرُ
ميامينُ في أيديهم العسرُ واليسرُ
تصالح في معناتهم الخير والشُرُ
إذا وردت زرقٌ وإن صدرت حمزُ
ويوم الندى يبدو حجاججةٌ غُرُ
تقولُ لبدر التَّمَّ ما أنصفَ الشهرُ

بني حسنٍ لا أبعدَ اللهُ دارَكم ولا زال منهلاً بأرجائها القطرُ
ولا زال صدرُ الدست منشرحاً بكم فعنكم أولاء البيت ينشرح الصدرُ
وصلَّى على المختار والآل ربُّنا وسلَّم ما لاح السُّماكان والنسرُ

وقوله في هذه القصيدة: «كأن لم يكن أمر». . . البيت، لهذا البيت قصة، وهو أنه لما كان في أثناء سنة تسع وأربعين بعد الألف، أقبل من الديار الرومية بشير آغا الحبشي الطواشي، معه أوامر من السلطان مراد، بأنه مطلق التصرف، وكان ظنه أنه يعزل الشريف زيد عن منصبه، ويولي غيره.

فورد الخبر بوفاة السلطان مراد، فشاع الخبر بينبع، ثم كتبه بشير؛ ليتم له تنفيذ ما أراد، وكان الشريف زيد هياً لبشير عدة أماكن؛ من المدارس والبيوت، وأمر بفرشها، وكان نيته مواجهته إلى مر، وأرسل بعض أخدام إلى ينبع، ليرى مَنْ مع بشير من الخيل والرجل والناس، فلما وصل إليها، وسمع هذا الخبر وتحققه، رجع مسرعاً إلى الشريف زيد، فلما تحقق صحة الخبر، أمر بتحويل الفرش التي فرشت في ذلك المكان، وغلق بعضها.

ثم لما قارب بشير آغا مكة، خرج إليه الشريف زيد، ولاقاه في الجوخي، محل ملاقة أمير الحاج، فلما قابله، وفي ظن بشير أن الخبر لم يبلغه، وأن يتم له ما أراده من تنفيذ ما شاء على غفلة، فلما تقاربا، ركب الشريف زيد فرسه، مقدماً على بشير قائلاً له: رحم الله مولانا السلطان مراد، فأسقط في يد بشير، وبقي كالأسير، وكان الشريف زيد قد رأى في المنام كأن شخصاً ينشده هذا البيت:

كأن لم يكن أمرٌ وإن كان كائنٌ لكان به أمر نفسي ذلك الأمرُ

فانتبه - رحمه الله -، وكتبه بالسواك على رملٍ في صحن نحاس خشية النسيان، وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن هذا الخبر، فنظم السيد أحمد صاحب الترجمة هذه القصيدة، وأدرج فيها هذا البيت.

[٦٢٠] ولده السيد أحمد بن أحمد بن محمد الأنسي^(١).

شاعر كامل البضاعة في الشعر على فنون، بيني وبينه صحبة أكيدة، ومودة شديدة، مولده بصنعاء سنة أربع وسبعين وألف، أول ما اجتمعت عليه بمكة، سنة ألف ومائة وواحد، لما قدمها مع جماعة من بني الإمام، منهم: السيد حسين ابن الإمام إسماعيل، والسيد عبدالله بن يحيى بن محمد ابن الحسن، والسيد العلامة الحسين بن عبد القادر بن الناصر صاحب كوكبان، وكان وقع بينهم وبين الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، وظهر عليهم، ففروا إلى مكة، وكان بها السيد أحمد بن غالب، فأكرم نزلهم، وأحسن إليهم، وعين لهم ما يكفيهم من الصرف وغيره.

وكان المترجم هجا الإمام محمد بن أحمد، لما تولى الإمامة بقصيدة مطلعها:

خليفة خالف الإسلام والخلفا	بعد المؤيد لا نرضى به خلفا
لم يعف يوماً ولا تندى يداه على	عافٍ وربُّ الندى والمجد منه عفا
يا ضيعة الدين والدنيا بدولته	ورفعة الجهل والأنذال والسُخفا

(١) «نفحة الريحانة» للمحيي (٣ / ٥٩٦) (٢٦٥)، «نشر العرف» لزيارة الصنعاني

(١ / ٧٤) (٢١)، «البدر الطالع» (١ / ٣٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (١ / ٢٤٥)

(١٦)، «طبيب السمر» للحيمي (٢ / ٢٢٠).

ضيدُ المؤيد في كل الخصال فقلُ يا رحمتاه لأهل العلم والضعفا
من جهله وخطاه في تصرُّفه وظلمه حسْبنا ربُّ السما وكفى
سلْ خيله فلكم ألقى بها فتناً محابها جملَ الإسلام واعتسفا

فلما بلغت الإمام، أمر بقطع لسانه، وقتله حيث وجد، فكان ذلك سبب
فراره إلى مكة مع الجماعة المذكورين، ثم جاور بمكة مدةً، ثم توسط له بعض
الأعيان برجوعه إلى اليمن، فرجع إلى اليمن، واجتمع بالإمام، وخدمه بقصيدةٍ
طنانةٍ محت ذنوبه السابقة معه.

ثم ولاه أعمالاً في بلده، ثم غضب عليه، ونهبه، وأرسل به إلى زيلع،
فسجنه بها نحو سنةٍ، فوافق موته بها سنة أربع عشرة بعد المائة والألف - رحمه
الله -، وكان فكة المداعبة، حلو المصاحبة، ممتلئاً من الأدب، مقبلاً على كل
من حذب، وتأكدت بيني وبينه الصحبة بحضرة الإمام - رحمه الله -.

[٦٢١] أحمد بن يونس^(١).

كان وزيراً لشريف مكة السيد إدريس بن الحسن، في قوةٍ وعددٍ ومدد،
وطار صيته في الآفاق، وأكثر الدخل، وأقل الإنفاق، وكان ذا تدبير لأحواله،
حتى جاوز الحدود، فوقع له ما قضاه الملك المعبود.

وذلك أنه لما استفحل أمره وعظم، وصارت الأمور كلها منوطاً برأيه
وتدبيره، تعدى طورَه، ولم يقف عند حده، فتوافق الشريف إدريس والسيد
محسن على عزله، فأرسل الشريف إدريس - وكان إذ ذاك المبعوث - إلى
القائم مقامه بمكة، السيد محمد بن عبد المطلب يأمره بأخذ المهر منه - وهو

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٧١).

مهر العُروض - من القائد أحمد المذكور، وأرسل السيد محسن إلى القائد ياقوت بن سليمان - وكان وزيره - بأخذ مهره منه، ففعل كل ما أمر به .

وكان الأخذ المذكور صبيحة عاشر رمضان، سنة ست وعشرين بعد الألف، فشاع في البلد عزله، وأرسل الشريف إدريس القائد ربحان بن سالم حاكم مكة، يأمره بالوصول إليه إلى الشرف، فقدم إليه، فقلده منصب الوزارة، فوصل إلى مكة في الشهر المذكور.

فلما كان آخر العشر الثاني من رمضان، وصل الخبر للسيد محمد المذكور بأن القائد أحمد يريد الركوب عليك، وقد اجتمعت عنده العُدد والمُدَد، ووصل الخبر إلى القائد أحمد بذلك أيضاً، فركب كل منهما وألبس، ووقف عند باب داره، ثم انجلى الأمر، وظهر أن ما أخبر به كل منهما ليس له أصل، فأرسل السيد محمد إلى الشريف إدريس [و]محسن يعرفهما بذلك، ولما كان العشر الأخير من رمضان، عزم القائد أحمد بن يونس إلى الشريف إدريس بالمبعوث، وأقام هناك، فجاء الأمر إلى السيد محمد، بأخذ أموال القائد المذكور من داره، وكل ما هو له، وأن يحتفظ على ذلك .

فلما أن كانت ليلة العيد، حصلت حركة من آخر الليل عند بيت السيد محمد، وتفريق السلاح وأدراع وألباس، فنزل إلى المسجد، وصلى صلاة العيد فقط، وبرز من المسجد قبل الخطبة، وعزم بالجيش إلى بستان القائد المذكور، فختم على أمواله كلها، وأمر أن يتزل البعض منها إلى البلد، واستمر إلى بعد صلاة العصر، فنزل هو والجيش، بعد أن ختم على بقية الأموال، وقبض على جماعة من المنسوبين إليه، وحبسهم بعد أن ختم على بيوتهم، ثم فكوا بعد وصول الشريف إدريس، إلا إبراهيم بن أمين كاتبه، وأعظم

المقربين إليه؛ فإنه لم يزل مسجوناً، إلى أن قضى الله عليه.

وأما القائد أحمد، فإنه استمر بالمبعوث، فثارت بسببه في ثاني شوال من السنة المذكورة فتنة، أدت إلى الأذراع والإلباس، ثم رحل إلى «كلاخ»، فأقام بها، ثم رحل منها إلى جهة الشام، فلما أن كان في أثناء الطريق، رجع، فوصل إلى الشريف إدريس وهو بالشرف في السنة المذكورة، فسجنه، وكبله بالحديد، ثم إنه قتله في العام المذكور، في محل يقال له: وادي النار، ودفن هناك، فسبحان الفعال لما يشاء ويريد.

[٦٢٢] السيد أحمد بن محمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين ابن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى اليمني^(١).

إمام مبرز في جميع العلوم، وعلامة كارع من مشارب الفهوم، له مؤلفات مفيدة، منها: «شرح الكافل في علم الأصول»، و«مرقاة الأصول للإمام القاسم»، و«شرح الأساس» له أيضاً.

وكانت وفاته فجر يوم الخميس، تاسع رجب، سنة تسع - بتقديم التاء - وثلاثين بعد الألف، في قلعة غمار، من جبل رازح - رحمه الله تعالى -.

وذكره الفاضل أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»، فقال: كان علماً من أعلام الشريعة المصطفوية، وصدراً من صدور العصاة الهاشمية، محققاً في كل العلوم الإسلامية، معقولاتها ومنقولاتها، وأما أصول الفقه، فروي عن القاضي العلامة أبي القاسم البيهقي: أنه قال: هو عندي بمثابة الفاتحة.

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٠٢).

ووصفه السيد العلامة الحسين بن القاسم أنه مجتهدٌ، وناهيك به! ومن تشهد له خزيمة، فهو حسبه.

وكان استقراره بـ «شهادة» من وقت أن هاجر إليها هو وحيّ والده السيد العلامة الطاهر المطهر، حليف السند والقرآن، محمد بن لقمان، إماماً بجامعها، مدرساً بالجامع جميع الأوقات.

واتفق له في اليوم الواحد ثمانية دروس، مع درس غيب مختصرات، ومحله - رحمه الله تعالى - نازحٌ عن الجامع بمسافةٍ بعيدةٍ معروفةٍ، إلى فوق باب البحر المعروف، ويصلي إماماً الصلوات جميعاً في الجامع.

ومع ذلك، فإنه كان مقتر العيش، ولا يعتره لذلك تعب ولا طيش، لرغبتهم في الهجرة إلى الله ﷻ، مع ما كانوا فيه من الخيرات الدنيوية الفانية، ورغبوا إلى ما عند الله ﷻ، ورضوا بما هم عليه لعاقبة الدار الآخروية، وهذا حال آل محمد الأعلام، وما زاد بذلك إلا كلفاً بالعلم، وحرصاً عليه.

وألف في أكثر الفنون، منها: «شرح الأساس في علم الكلام»، و«شرح الكافل»، وهو مفيدٌ للطالب، موافقٌ للكتاب، بتعرضه لذكر الخلاف، ونهى - في هذا الكتاب - أن تكتب صورة الصلاة على النبي ﷺ بغير لفظها، كما يتعارف من أكثر الكتاب؛ من كتابة هذه الصورة: «صلعم» ونحوها، وأمر فيها بإثبات الترضية على الصحابة، إذا ذكروا مجتمعين؛ لأنهم مع الاجتماع جماعة معصومة.

وشرح «تهذيب المنطق»، وحشى على «المفصل» وعلى «الفصول اللؤلئية»، وأوائل «المنهاج» لجده المهدي - رحمه الله تعالى -، ونظم

«الشافية»، وشرح «البحر الزخار» بجزء من أوساطه، كأنه فعل ذلك إما تمييزاً لأحد الشروح، أو وافق قراءة في ذلك المحل، رأيته بخطه، وله رد على «الصواعق المحرقة» قدر خمسة عشر كراساً بالقطع الكامل، لم يتم، وسماه: «البحار المغرقة»، وله شرح على «المراقبة في الأصول»، وله في علم القرآن مؤلفات، وغير ذلك، وأجوبة علمية، ووسائل عملية.

ولم يزل على ما وصفناه بشهارة، حتى كانت الفتوحات في الأقاليم جميعها، فافتضى نظر الإمام المؤيد بالله أن يرسله إلى الطويلة، وتلك الجهات، فتوجه، فكانت على يديه فتوحات في تلك الجهات واسعة، وأعمال نافعة، وانضافت إليه عساكر متكاثرة من وجوه أصحاب الدولة بكوكبان؛ لأنه كان جليل القدر، حسباً ونسباً، وكان له سعي صالح في تلك الجهات، وعزيمة صادقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يتولي الخطبة بنفسه غيباً، وكان عنده من العلماء والأعلام وبين يديه أعيان كثيرون، منهم: السيد العلامة عز الدين بن ذريب المشهور علماً وعملاً، ورياسةً وحلماً، والقاضي العلامة الحسن بن أحمد الحيمي، ثم... (١).

من لنفسي ذابت فلو منعوها	بأحاديثهم شفاها شفاها
أذكرتها ريح الصبا حين هبت	من ثياتهم ليالي صباها
أتلقتها أيدي الفراق وصارت	في قضاها فما أمر قضاها
سَعَرَتْ في الحشا منها سعيراً	قد غشى العين منه ما قد غشاها

(١) جاء في الحاشية: «كلمة «ثم» بالأصل في آخر الصفحة، ووجد في الصفحة التالية ما بعد هذه الكلمة».

كم عذولٍ لحبها قد لحاها
 لو سرى طيفهم سرى عني الهم
 هم نفوا نومَ مقلتي واستباحوا
 وأهانوا دمي فها ندمي كم
 ليت شعري أما نوت لي نوالاً
 كم حَمَامٍ قد كان منها حَمامي
 كم أفاضت جِراً دمعَ
 هيَّجت من فروعها لي شجوناً
 فشجونني منها فيا ليت شعري
 أيُّ حزن لها وهامي في الدَّو
 ما جفاها خِلُّ كما قد جفاني
 ولها مثل ما علمتُ جناحُ
 كم تغني وكم تنوحُ ولم أذُ
 إن يكن ما ادعتُ من الحزن حقاً
 خضبتُ كفَّها وطوقتُ الجيبَ
 أين منها صَبَابتي وولوعي
 ليت أني إن لم يكن لي إلى العو
 ونهاها لَمَّا أضاعت نُهاها
 سم ولكن من لغيرنا بكرها
 مهجتي قد نأوا ففر عراها
 من دماء تريق منها دماها
 أم نوت لي تلك الدماء نواها
 عندما ناحت الضحى بحماها
 العين فيا للإله ما أجراها
 هي أصلُ الأشجان ما سواها
 ما الذي شاقَّها وما أبكاها؟!
 ح مع الإلفِ دائماً سُكناها
 أو مَنَّاها دهرٌ يبعد مَنَّاها
 إن نأى من يحبُّ من مغناها
 ربِّذاك النوحِ ما معناها
 فلماذا قد خالفت مُدَّعاها
 دَ وغنت فأبق منها جواها
 بربوعِ هيهات أن أنساها
 د سبيلٌ عند المنام أراها

[٦٢٣] أحمد بن مرشد الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي الحنفي.

كان شاباً فاضلاً، دمث الأخلاق، لطيف الطباع، حسن الصبغة، أديباً

وقوراً، وُلد بمكة كما أخبرني والده سنة... وقرأ على... وتوفي...^(١).
ومن شعره يعزي السيد محمد يحيى في والده الشريف زيد أمير مكة
مؤرخاً وفاته:

يا سيداً أحيا السرورَ قدومه وأماط صبحُ جبينه ليلَ العنا
لا تجزعَنَّ على مصيبة سيدٍ ولَّى إلى دار البقا عن دارنا
واصبرْ ولا تحزنْ فقد وردت له بشرى يحقُّ بأن تقابلَ بالهنا
القبرُ أنشدني وقال مؤرخاً (في جنة الفردوس زيدُ سكناً)

[٦٢٤] أحمد بن موسى الضجاعي الشافعي.

مفتي زَيد، كان فقيهاً عارفاً، مفتناً في عدة من العلوم، مصلحاً بين
الخصوم، توفي سنة ثلاثين بعد الألف.

[٦٢٥] السيد أحمد بن مهدي اليمني.

كان آيةً من آيات الله، قائماً بمهمات الدين، ودرس القرآن، مطعماً،
مشهوراً بالولاية في قطره، توفي في العشر الثاني من هذه المائة.

[٦٢٦] أحمد بن منصور بن عبد الرحمن، خطيب السُّقَيْمَةِ - بالتصغير -:
محلةٌ بدمشق^(٢).

الشيخ الصالح، المجذوب المعتقد، كان يلبس قميصاً لا غير، ورأسه
مكشوفاً دائماً، ويمشي حافياً صيفاً وشتاءً، ولا يرى على قدميه طين ولا وسخ،

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «سنة»، و«على»، و«توفي» بياض بالأصل».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٦) (١١١).

بل تجدهما نظيفتين طريتين، وكان مستغرقاً في غالب أوقاته، وله كشفٌ ظاهرٌ، وكراماتٌ كثيرةٌ، وحكي عن والده: أنه كان يقول لأمه وهي جلى: إن الذي في بطنك من أولياء الله تعالى.

ومما اتفق له: أنه بات ليلةً في فرنٍ محمى، ولم يضره^(١).

مات يوم الخميس، لأربعة عشر جمادى الآخرة، سنة تسع - بتقديم التاء المثناة - بعد الألف - رحمه الله -.

[٦٢٧] أحمد بن يوسف الصرخدي، المعروف بالمبخر^(٢).

لأنه كان يُبخر الناس بأنواع الطيب، وكان صالحاً مجذوباً معتقداً، ولا يقبل من أحدٍ درهماً حراماً، ولا ما دفع إليه بنية غير طيبة، وقد عُرف ذلك منه، وكان له كشفٌ صريحٌ، وكراماتٌ ظاهرةٌ.

وبالجملة: كان بركةً من بركات الشام، مات يوم الاثنين، سابع عشر شوال، سنة ست عشرة بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة - رحمه الله -.

[٦٢٨] أحمد بن يونس بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي بكر، الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، شهاب الدين أبو العباس العيثاوي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الشافعي^(٣).

(١) هذه الأوصاف والأحوال لا يوصف سوى المجانين الذين سماهم أدعياء الصوفية وأهل الطريق بالمجاذيب، وإلا فما يصنع عاقل بمن هذه حاله سوى الشفقة عليه، لا اعتقاد ولايته، وإنما ذلك من تلبس الشيطان على من قل دينه وقصر عقله، نسأل السلامة والمعافة في الدنيا والآخرة.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٧) (١١٢).

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٨) (١١٤)، «خلاصة الأثر» =

قال تلميذه النجم الغزي في «الذيل»: ذكره تلميذه حسن البوريني في بعض تعليقاته، فقال:

أعني به أحمدَ الدهرِ الذي شهدت	بفضله الناسُ من عرب ومن عجمٍ
وأفضلَ العصرِ مَنْ أمست لساحته	لتنقل العلمَ عنه سائرُ الأممِ
وجامعَ الفضلِ من شاعت محاسنه	حتى اغتدى في الوري كالمفرد العلمِ
مفتي البرايا بعلمٍ حلّ موقعه	عمَّن يخالفه في اللفظ والقلمِ
صدرَ المحافلِ بل بدرَ الفضائلِ مَنْ	غدا بكلِّ مناطٍ ثابتَ القدمِ
فخرَ البقاعِ وغيثا بقعة ذكرت	نسبة الجد بالتخصيص في القدمِ
فلتفخرِ الشامُ إن قد عادَ واحدا	فخراً يدوم دوماً غيرُ منصرمِ
وليفخر العبدُ أن قد صار معتقدا	لذاته باعتقادٍ غيرِ منقسمِ
أدامه الله للطلاب ينفعهم	فما لهم مثله في العفو والكرمِ

وُلد سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، وقرأ القرآن العظيم على أحمد ابن التينة، ثم قرأ النحو والفقه على أخيه تاج الدين، ثم لازم والده، ثم أمره والده أن يلازم فقيه عصره نور الدين السنفي، فلازمه سنين حتى تضلع من الفقه، وأن يحضر دروس علاء الدين بن عماد الدين، فحضره مدةً، وأخذ الحديث عن الشمس محمد بن طولون، وغيره، وأخذ القراءات عن شيخ الإقراء شهاب الدين الطيبي، وصحب في طريق القوم، ومذاكرة العلوم الأستاذ شهاب

= للمحيي (١/ ٣٦٩)، «معادن الذهب» للعرضي (٩٧) (٢٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٧٦).

الدين الغزي، وصحب أيضاً عليّ بن عبد الرحيم الصالحى، وكان أقرانه.

واجتمع بشيخ الإسلام البدر الغزي، وسأله عن نكاح الجنية، فقال: الأصح: أنه لا يجوز، ثم حدثه: أن والده رضى الدين اعتقده جنيةً، فطلبت منه التزوج، فقال: إنه غير جائز، فاستأذنته في الخدمة، فكانت تخدمه، حتى سارت معه إلى مصر، فكانت تظهر في زي خادمٍ تساعد الجماعة في الحط والرحال.

وأذن له البدر الغزي في الإفتاء، فأفتى في حياته، ودخل عليه المترجم يوماً، فقال له البدر: حدثني شيخنا، وذكر سنده إلى رسول الله ﷺ: أنه قال: «إذا أحب أحدكم أخاه، فليعلمه إياه»، ثم قال له البدر: وإني أحبك، قال النجم: وكان شيخنا إذا حدثنا، يبكي، ويقول: ما غبطت نفسي بشيء أحب إلي من قول الشيخ لي: وإني أحبك.

ثم جلس للتدريس، وأقبل عليه الطلبة، وكان أنفع شيخ من أقرانه لتلاميذه، فانتفع به من لا يحصى كثرة، وولي تدريس الشامية البرانية، والعُمرية، والعزيرية، ثم الظاهرية، وولي إمامة الجامع الجديد وخطابته، وخطابة التبريزية خارج دمشق، بمحلة قبر عاتكة، وولي إمامة الجامع الأموي، وكان من أحسن الناس قراءةً في المحراب، مع لطف صوته، وكان عليه السكينة في صلاته، ويدرك سكينته كل من وقع بصره عليه، وكان يعتقده أكابر الناس وعامتهم، منذ كان شاباً إلى أن توفاه الله تعالى، وكل من رآه يشهد أنه من أولياء الله تعالى.

وأخذ عنه جماعة لا يحصون، منهم: الشمس محمد الميداني، وحسن

البوريني، ومحمد بن الجوزي، وعبد القادر الطرابلسي، والقاضي عمر بن الموقع، والسيد أحمد بن المصادع، والقاضي محمود العدوي، ومحمد الرومي، وشرف الدين الدمشقي، وأبو الطيب الغزي، وأحمد الغزي، وأبو بكر الكردي، ومحمد الكردي صائم الدهر، وسليمان الحمصي، وكمال الدين العيثاوي، وغيرهم.

ومرض مرةً عاماً كاملاً، وكان ابتداء مرضه في عيد الأضحى، وانتهاه في يوم عيد الأضحى من العام القابل، فعاده وعيده حسن البوريني، وأنشده قوله :

شهاب المعالي وبدر النهى ومنّ منه كلُّ الورى تستفيد
نذرتُ الصيامَ ليوم الشفا وكان كما يرتجى يومَ عيد
قال النجم : ولما حججت سنة عشر بعد الألف، لقيته يقظةً لا مناماً، ونحن سائرون ليلاً، من أذرعَات إلى مرحلةٍ المفرّق، فقال لي : يا نجم الدين ! استحضر قلبك في شرك ؛ فإن القطب معكم في الركب، ثم التفت، فلم أر أحداً، وكان من أصحاب الأحوال، وهذا وغيره من وقائع له تدل على أنه من الأبدال .

وبالجملة : فإنه كان من أفراد الوقت علماً وعملاً وديناً، وحسن سمّت، وحسن هديٍّ ولطافةٍ، وذوقٍ وفطانةٍ، ومعارفٍ ولطائف، ولم يمت حتى مات أقرانه بدمشق وحلب، ومصر والحجاز، وكان يفتي مع وجود أقرانه من الشافعية ؛ كإسماعيل النابلسي، وأحمد الطيبي، ومحمد الحجازي، والملا أسد، ومحمد الداودي، وكان هو المعوّل على فتواه، والمرجعُ إليه فيها،

مع وجودهم، وإذا اختلف معهم، كان الحق بيده، حتى كان ابن الطيبي يشاوره في كثير من المسائل قبل الكتابة عليها.

واختلفا مرة في بناء المنارة البيضاء على كنيسة النصارى داخل دمشق، فأفتى إسماعيل النابلسي بأن لا تبنى؛ حذراً من أن يكون إشهار الأذان بها سبباً لسبب النصارى لدين الإسلام، ونزع الآية: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وأفتى المترجم بجواز بنائها.

وكان الباني لها علاء الدين بن الحُجيج، وجنح قاضي القضاة مصطفى ابن بستان، ووزير الشام وعلماءها، إلى ما أفتى به المترجم، وبذل النصارى مالا لوزير الشام في عدم بنائها، فلم يفدهم، وألف في بنائها رسالة لطيفة، وكان ذلك قبل التسعين وتسعمائة.

وله مؤلفات كثيرة، منها: متن في الفقه على طريقة «الإرشاد» سماه: «الحبيب»، وشرحه شرحاً سماه: «الخبب في التقاط الحبيب».

وكان فقيه النفس، جيد الملكة، يستحضر مسائل الفروع نصب عينيه، سليم الطبع، بارع الفطنة، حلو الذكاء، يجيب عن الفتوى والمسائل بلا تكلف، وكان ألطف الشيوخ عبارةً، وأجودهم تقريراً، ناصحاً، حسن الخلق، طارحاً للتكلف، يحمل هم الناس، ويهتم لأموالهم، خاشعاً متواضعاً، سريع الدفعة، يكي من خشية الله، ولا يحقر أحداً، ولا ينافس في مجلس ولا ملبس ولا مطعم ولا شراب، قانعاً سخياً، ينفق ما يجد، ويبيت على فاقة، مع كثرة عياله، وكان يفتي حسبةً، وكان لا يشرب القهوة، ويفتي بإباحتها.

وحج وسافر إلى الحصن، ثم إلى طرابلس لصلة أرحامه، وكان له ثم

أخوال، وسافر إلى حلب، ثم مرض بجمى الربع، حتى توفي في مستهل ذي الحجة، سنة خمس وعشرين بعد الألف، عن أربع وثمانين سنة، وصلى عليه إماماً بالناس، تلميذه النجم الغزي بعد صلاة الظهر، بالجامع الأموي، ثم حمل على الرؤوس إلى مقبرة باب الفرديس، ودفن عند رأس أبيه، وكانت جنازته حافلة، لم يتأخر عنها أحد من أعيان البلد وعامتها - رحمه الله تعالى وإيانا -.

[٦٢٩] السيد أحمد بن يحيى بن المفضل بن إبراهيم بن علي ابن الإمام شرف الدين^(١).

كان علامة في سائر العلوم، زاهداً ورعاً ناسكاً.

[٦٣٠] أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر ابن يوسف بن أحمد الحنبلي الكرمي، نسبة لطور كرم، من قرى نابلس، ثم المقدسي^(٢).

كان من العلماء العاملين، الأولياء الزاهدين، ملازماً لمكانه المعروف بالجامع الأزهر، مشغلاً بالعلوم الدينية، غير متردد إلى أحد من أرباب الدنيا، قانعاً باليسير من الرزق، متقيداً بصلاة الجماعة في الصف الأول بالجامع الأزهر، في الأوقات الخمس، قليل الكلام، حسن السيرة، صافي السريرة، جامعاً لصفات الخير، ليس فيه شيء يشينه في دينه ودنياه.

أخبرني ولده صاحبنا الشيخ الفاضل عبدالله: أنه رأى الحق سبحانه في

(١) «طبيب السمر» للحيمي (١/ ١٢٤).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٦٧).

النوم ثلاث مرات، أولها: رأى الملائكة آخذه إلى النار، فإذا بمنادٍ من الحق سبحانه: ليس من أهلها، اذهبوا به إلى الجنة، فقام من نومه، فرأى نفسه بالجامع الأزهر.

مولده ببيت المقدس، سنة ألف، وقرأ القرآن بطور كرم، وأخذ الطريق عن العارف بالله محمد العلمي، وقدم إلى مصر سنة ست وعشرين وألف، وأخذ النحو عن محمد الحموي، والفرائض والحساب عن عبد المنعم الشرنوبلي، والحديث عن إبراهيم اللقاني، وعلي الأجهوري، وكثير.

وكانت وفاته ليلة الجمعة، رابع عشر صفر، سنة إحدى وتسعين وألف بمصر، وصلى عليه بالجامع الأزهر إماماً بالناس أبو الحسن المحلي الخطيب، ودفن بتربة الطويل، بالمجاورين بقرب تربة عمه مرعي - رحمهم الله -، وقد رأيت، واجتمعت به كثيراً، ودعا لي دعوات صالحة.

[٦٣١] أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي.

نسبةً لبلده، وهي قرية من أعمال القليوبية، كما أفادني بعض تلامذته، من فضلاء الشافعية^(١).

[٦٣٢] أحمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جَعَمَان - بفتح الجيم - بن يحيى ابن عمر بن محمد بن أحمد بن علي بن الشَّوْش بن علي بن وهب بن علي ابن صريف بن ذوال بن سنوه بن ثويان بن عيسى بن سحارة بن غالب بن

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الشافعية» بياض سطران بالأصل».

عبدالله بن عك بن عدنان، العكي العدناني الصريفي الذؤالي اليماني، من بيت الفقيه ابن عجيل... (١).

[٦٣٣] أحمد بن منصور الصالحي الدمشقي المجذوب.

من أكبر صلحاء الشام، وأزهدهم وأعبدهم، كان مجاب الدعوة، ويقال: إنه من الأقطاب.

[٦٣٤] السيد أحمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي بن بركات الشريف الحسيني (٢).

قال صاحب «سلافة العصر» في ترجمته: نابغة بني حسن، وباقعة الفصاحة واللسن، الساحب ذيل البلاغة على سحبان، والسائر بأفعاله وأقواله الركبان، أحد السادة الذين رروا حديث السيادة برأ عن بر، والساسة الذين فتقت لهم ريح الجلاذ بعنبر، فاقفظوا نور الشرف من روض الحسب الأنضر، وجنوا ثمر الوقائع يانعا بالنصر، من ورق الحديد الأخضر.

كانت له همة تزاحم الأفلاك، وتراغم بعلو قدرها الأملاك، لم يزل يقدر من نيل الملك ما لم يفد به عدده وعدده، ولم يمدح عليه من الزمان مدده ومدده، فاقترح لطلبه برأ وبحراً، وقلد للملوك بمدحه جيداً ونحراً، فلم يسعفه أحد منهم ولم يساعد، وإذا عظم المطلوب قلّ المساعد.

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الفقيه» بالأصل سطران بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحيي (١/ ٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحيي (٤/ ٩) (٢٦٨)،

«سلافة العصر» لابن معصوم (٢٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٢٥)، «طيب

السمر» للحيمي (٢/ ٥٠٣)، «منايع الكرم» للسنجاري (٤/ ٣٠).

وكان قد دخل شهارة، من أرض اليمن، في أحد الجمادين، سنة إحدى وثلاثين وألف، وامتدح بها إمامها، محمد بن القاسم، بقصيدة راح بها ثغر مديحه ضاحكاً باسم، وطلب منه مساعدته على تخليص مكة له، وإبلاغه من تحليته بولايتها أمله، وكان ملكها - إذ ذاك - الشريف أحمد بن عبد المطلب، فأشار في بعض أبياته إليه، وطعن فيه بسنان بنانه عليه، ومطلع القصيدة:

سلا عن دمي ذات الخلاخل والعقد بماذا استحلت أخذَ روعي بلا عمد
فإن أمنت أن لا تُقَاد بما جنت فقد قيل أن لا يُقتل الحر بالعبد
منها مخاطباً للإمام، وطاعناً على سلطان مكة:

أغث مكةَ وانهضْ فأنت مؤيدٌ من الله بالفتح المفوض والجُدْ
وقَدِّم أخا وِدٍّ وأخِرْ مبغضاً يساوم طعناً في المؤيدِ والمهدي
ويطعن في كل الأئمة معلناً ويرضى عن ابن العاص والنجلِ من هند

فلم يحصل منه على طائل، إلا ما أجاز به من فضل ونائل، فعاد إلى مكة المشرفة، سنة تسع وثلاثين، وأقام بها ستين، ثم توجه إلى الديار الرومية، في أواسط شهر ربيع الثاني سنة إحدى وأربعين وألف، ومدحه بقصيدة فريدة^(١) أولها: ألا هبي، سأله فيها تولية مكة المشرفة، وأنشده إياها في أواخر شوال، سنة إحدى وأربعين وألف، وكان ابن عمه الشريف محسن بن الحسين بن

(١) لم يذكر المصنف - رحمه الله تعالى - من الممدوح في القصيدة، والظن أنه السلطان العثماني في عصره، والله أعلم.

حسن، يطرب لأبيات ابن مطير، ويعجب بها، وهي:

ولي كبدٌ مقروحة من ييعني بها كبداً ليست بذاتِ قروح
أبى الناسُ ويب الله لا يشترونها ومن يشتري ذا علةٍ بصحيح
أحنُّ من الشوق الذي في جوانيحي حنينَ غصيصٍ بالشراب قريح

فسأل السيد أحمد تذييلها، فقال:

على سالفٍ لو كان يُشرى زمانه شريتُ ولكن لا يباع بروحي
تقضّى وأبقى لأعجأ يستفزه تألّقُ برقٍ أو تنسّمُ ريح
وقلباً إلى الأطلال والضال لم يزل نزوعاً وعن أفياء غير نزوح
فليت بذاتِ الضال نخبٌ أحبتي طلاحاً فنضو الشوق غير طليح
يجسّمه بالأبرقين مُنيزكٌ ويرقُّ سرى وهنا وصوتُ صدوح
وموقفٌ بين لو رأى عنه ملحداً ولجتُ بنفسي فيه غير شحيح
صرمتُ به رباعي وواصلتُ أرباعي وأرضيتُ تبريحي وغضتُ نصيحي
وبانيتُ سلواني وكلّ ملوح ولايمتُ أشجاني وكلّ مليح
وكلّفتُ نفسي فوق طوقي فلم أطق لعدّ سجايا محسنٍ بمديحي

ومن شعره قوله:

ألا ليت شعري هل ألقىك مرةً وصوتك قبل الموت هل أنا سامعُ
فيا دهرنا للشّت هل أنت جامعُ ويا دهرنا بالوصل هل أنت راجعُ^(١)

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «راجع» صفحة وربع بياض بالأصل».

[٦٣٥] الشيخ أحمد بن علي الشناوي.

أخذ عن السيد صبغة الله، وعن الشيخ القطب محمد بن أبي الحسن البكري، وعن أحمد بن المقرئ، وله اليد الطولى في الطريق والكرامات، التي لا يحصرها عدّ لبلوغها النهايات، ومن أجلها: أنه عاهد روحاني الأسماء أن لا يؤذوا مريده بشيء من المخوفات، وتعهّد عهد الرجعة، لمن صدق من مريده في إخلاص النيات^(١).



(١) تمّ الجزء الأول [من تجزئة المؤلف] من فوائد كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»، ويليه الجزء الثاني، أوله: إبراهيم.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	تابع المحمدون
١٩٥	الأحمدون
٥٨٧	فهرس الموضوعات



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>